

چورچر.ر.مارتن

فارس
من
الممالك السبع



A KNIGHT OF
THE SEVEN
KINGDOMS

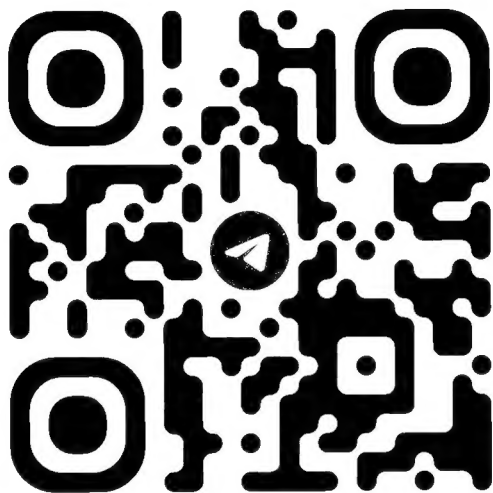
ترجمة: هشام فهمي

رسوم: جاري چياني



انضم لـ مكتبة .. اصنع الكود

telegram @soramnqraa



فارس
من
الممالك السبع

مارتن، جورج
فارس من الممالك السبع: رواية / جورج ر. ر. مارتن.
الترجمة: هشام فهمي
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.

مكتبة

t.me/soramnqraa

27 6 2024

536 صفحة، 20 سم.
ردمك : 1-244-820-977-978
أ- القصص الأمريكية.
أ- فهمي، هشام (مترجم).
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 28903 / 2023
الطبعة الأولى : يناير 2024.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©



كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Copyright © 2015 by George R. R. Martin
Illustrations copyright © 2015 by Gary Gianni
All rights reserved.

Published in the United States by
Bantam Books, an imprint of Random House, a division of Penguin
Random House LLC, New York

Jacket layout design © Harper Collins Publishers Ltd 2015
Jacket illustration © Larry Rostant

ع ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.
هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290

بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشرين.

چورچر.ر.مارتن
فارس
من
الممالك السبع

ترجمة: هشام فهمي

رسوم: جاري جيانى

مكتبة

t.me/soramnqraa



إلى رايا جولدن،

لأجل الابتسامات البشوشة والصُّور الجميلة

- ج . ر . م .

لأجل القضية النبيلة والسير دَنك الذي في داخلنا جميعًا

- ج . ج .

فارسٌ من الممالك السَّبع



الفارس الجوّال





تدور القصة الواردة هنا قبل نحو مئة عام من الأحداث الموصوفة في «لعبة العروش».

رطبت أمطار الربيع الأرض، ولذا لم يجد دنك صعوبة في حفر القبر. انتقى بقعة على المنحدر الغربي لتلّ وطيء، فلطالما أحبّ العجوز مشاهدة الغروب. «يوم آخر أنقضى». اعتاد أن يقولها ويتنهّد. «وثرى ماذا سيجلب لنا الغد؟ إه يا دنك؟».

طيب، أحد الأغداء جلب أمطاراً غمرتهما حتى العظم، والتالي جلب ريحاً عاصفةً بليلةً، واللاحق نوبة برد. بحلول اليوم الرابع أصبح العجوز أضعف من أن يركب، وها هو ذا رحل. قبل أيام معدودة راح يُغنيّ وهما راكبان تلك الأغنية القديمة عن الذهاب

إلى (بلدة النوارس) لرؤية فتاة رائعة الجمال، وإن غنى بدلاً من (بلدة النوارس) عن (آشفرد). بيؤس فكر دنك وهو يحفر: إلى (آشفرد) سأذهب لأرى فتاتي رائعة الجمال، هاي-هو، هو-هاي-هو.

لما بلغ عمق الحفرة الكافية، رفع دنك جثمان العجوز بين ذراعيه وحمله إليها. كان الرجل صغير الحجم، ونحيلًا أيضًا، وبعد تجريده من زرده وخودته ونجاد سيفه بدا أن وزنه لا يجاوز جوالاً من ورق الشجر. أما دنك فهائل الطول قياساً إلى سنّه، فتى أخرق الحركة أشعث الشعر كبير العظام في السادسة عشرة أو السابعة عشرة (لا أحد يعلم يقينًا)، قامته أقرب إلى سبعة أقدام منها إلى ستة، ولتوّه بدأ عوده يشتدّ. كثيرًا ما أثنى العجوز على قوّته، وقد كان دومًا سخياً في ثنائه، فهو لم يملك إلاّ له ليمنحه.

مدّده دنك في قاع القبر ووقف فوقه فترة. تجددت في الهواء رائحة المطر، وعرف دنك أن عليه أن يردم الحفرة قبل أن ينهمر، ولكن كم يصعب أن يهيل التراب على ذلك الوجه العجوز المتعب. المفروض أن يحضر سيتون ليتلو عليه بعض الصلوات، ولكن ليس له غيري. علّم العجوز دنك كلّ ما يعرفه عن السيوف والتراس والرماح، إلا أنه لم يحسن قطّ تعليمه الكلام.

أخيرًا قال معتذرًا: «كنت لأترك لك سيفك، لكنه سيصدا في الأرض. الآلهة ستعطيك واحدًا جديدًا على ما أظنّ. ليتك لم تمّت أيّها السير»، ثم صمت لحظة حائرًا في ما يجب قوله علاوة على ذلك. إنه لا يعرف أيّ صلاة بكاملها، فالعجوز لم يكثر قطّ للصلاة. في النهاية أمكنه أن يقول: «كنت فارسًا

حقًا، ولم تضربني يومًا دون أن أستحقَّ، باستثناء تلك المرَّة في (بركة العذارى). صبيُّ الخان هو الذي أكلَ فطيرة الأرملة لا أنا، لقد أخبرتك. لا يهْمُ الآن. فلتحفظك الآلهة أيُّها السيّر». شاطَ دنك الثُّراب في الحُفرة، ثم شرعَ يملؤها بانتظام دونما نظيرةٍ واحدةٍ إلى الشيء في قاعها. لقد عاشَ عُمَرًا طويلاً. مؤكَّد أنه كان أقرب إلى الستين منه إلى الخمسين، وكم رجلاً يُمكنه أن يقول ذلك؟ على الأقل عاشَ ليشهد ربيعًا آخر. بدأت الشمس رحلتها شطر الغرب فيما أطعمَ الخيول. ثلاثة هي: حصانه المعيب^١ الأقعس، ورهوانة^٢ العجوز، وثندر، جواده الحربيُّ الذي لا يُركَّب إلَّا في المباريات والمعارك. لم يَعدَ الفحل البني الكبير كما كان، لكنه لا يزال يتمتع بعينه اللامعة وروحه الضَّارية، كما أنه أثمن من أي شيء يملكه دنك. إذا بعثَ ثندر وتشتنت العجوز، وسرجيُهما ولجاميُهما أيضًا، فسأخرج من البيعة بفضَّة تكفي... قطب وجهه. الحياة الوحيدة التي يعرفها حياة فارس جَوَّال^٣؛ الرُّكوب من قلعة إلى قلعة، الخدمة عند واحدٍ أو آخرٍ من اللوردات، القتال في معاركهم والأكل في قاعاتهم إلى أن تنتهي الحرب، ثم الانتقال إلى مكانٍ جديد. بين حين وآخر تُقام مباريات أيضًا، ولو أنها أقلُّ تكرارًا، ويعرف دنك أن بعض الفرسان الجَوَّالة تحوَّلوا إليَّ لصوصٍ خلال الأشتية العجاف، وإن لم يفعل العجوز ذلك قط.

١ - الحصان المعيب Stot: أيُّ حصانٍ يُركَّب مع أنه غير صالحٍ للرُّكوب، بسبب إصابةٍ أو تشوُّه خلقيٍّ أو الشيخوخة. (المُترجم).

٢ - الرُّهوان Palfrey: حصانٌ وديعٌ مخصَّصٌ بالأساس للرُّكوب لا القتال. (المُترجم).

٣ - الفارس الجَوَّال Hedge Knight: فارسٌ بلا سيِّد يكسب رزقه من التَّجَلُّل في الخدمة من مكانٍ إلى مكان. تعني الكلمة حرفيًا «فارس الأسوجة»، لأن الفارسَ الجَوَّال بلا بيت، ومن ثمَّ لا مأوى له عادةً إلا أسوجة الأنجار. (المُترجم).

فَكَرَ دَنْكُ: يُمكنني العُثور على فارس جَوَّالٍ آخَرَ يَحْتَاجُ إلى مُرافِقٍ يَرعى حيواناته وَيُنظِّفُ زردَه، أو قد يُمكنني الذهابُ إلى مَدِينَةِ ما، إلى (لانسبُورت) أو (كينجز لاندنج) لِألتحق بحرس المَدِينَةِ. أو...

كان قد كَوَّم أغراض العجوز تحت سَنديانة. تحوي الصُّرَّة القُماش ثلاثة أياثِل فَضِيَّة، وتسعة عشر بِنَسًا نُحاسيًّا، وقِطْعَةً من العقيق الأحمر مكسورة الحافة، فكأكثر الفُرسان الجَوَّالة، وَقِفَ السَّواد الأعظم من ثروة العجوز الدُّنيويَّة على خيوله وأسلحته. الآن يملك دَنْكُ زردًا من حلقات الحديد جلاه ألف مرَّة من الصُّدأ، وخوذة قصيرة ذات أنْفِيَّةٍ عريضة وانبعاج في الصُّدغ الأيسر، ونِجادًا من الجلد البَنِّي المشقَّق، وسيفًا طويلاً في غِمد من الخشب والجلد. إضافةً إلى هذا، خنجر وموسى ومشحذ، وكلسة وغنقيَّة، ورُمح حربي طوله ثمانية أقدام يُكَلِّله رأسُ قاس من الحديد، وتُرس من السِنديان بحافة معدنيَّة مشوَّهة يحملُ رمز السير آرلان ابن (شجرة البنسات): كَأَسًا فَضِيَّةً مَجْنُحَةً على خَلْفِيَّةٍ بَنِيَّة.

رَمَقَ دَنْكُ التُّرس، ثم التقطَ النِجاد وعادَ يَرْمُقُ التُّرس. النِجاد مفصَّل لأجل وركي العجوز النُحيفتين، ولن يَصْلُحَ له أبداً، مثله مثل الزُّرد. هكذا ربطَ الغِمد بجِلٍ من القُنْب عقده حول خصره، وسحبَ السَّيف الطويل.

النَّصْل مستقيمٌ وثقيل، فولاذه ممتازٌ مسبوك في قلعة، والمقبض من الجلد الطَّري الملفوف على خشب، والقبعة من حجر أسود أَمْلَس مصقول. على الرغم من شكل السَّيف البسيط، طابَ له

إحساسه به في يده، ودنك يعلم مبلغ حدّته، فقد عملَ عليه بالمشحذ والقماش المزّت في عديد اللَّيالي قبل خلودهما إلى الثّوم. قال لنفسه: يُنَاسِبُ قبضتي كما نَاسِبَ قبضته دوماً، وفي (مرج آشفرد) دورة مباريات.

لَسُوِيَتْ مشيئةُ أسلس من تشستنت العجوز، لكن دنك كان لا يزال موجوعاً متعباً عندما لمَحَ الخان أمامه، مبنى طويلاً من الجصّ والخشب يطلُّ على جدول. بدا الضّوء الأصفر الدّافئ المُرَاق من نوافذه مغرباً إلى درجة أنه لم يقوَ على تجاوزه، وقال لنفسه: معي ثلاث قطع فضيّة، ما يكفي لوجبة طيّبة وكلّ ما أريدُ شربه من مزر.

بينما ترَجَّل، خرجَ من الجدول غلام عارٍ يتقاطر منه الماء، وشرعَ يُجفِّف نفسه بمعطفٍ من الخيش البنيّ. سأله دنك: «أأنت صبيُّ الإسطل؟». لا يبدو أن الصّبي يتعدّى الثّامنة أو التاسعة من العمر، مخلوق نحيل باهت الوجه، يُغطي الطّمي قدميه الحافيتين حتى الكاحلين. أغرب ما فيه شعره، فلا شعر له. «أريدُ أن تُدعِكَ رهواني. وشوفان لثلاثة الخيول. أيمكنك أن تعتني بها؟».

نظرَ إليه الغلام بلا حياءٍ قائلاً: «يُمكنتي، إذا أردتُ».

عبسَ دنك وقال: «لن أقبل وقاحتك هذه. فلتعلم أنني فارس».



مكتبة

t.me/soramnqraa

- « لا تبدو كالفرسان ».

- « وهل يبدو الفرسان كلهم سواء؟ ».

- « لا، لكنهم لا يبدوون مثلك كذلك. نجاد سيفك حبل ».

- « ما دام يحمل غمدي فإنه يؤدي الغرض. والآن اعتنِ بخيولي. ستنال قطعة نحاسية إذا أحسنت العناية بها، ولطمة على الأذن إذا لم تفعل ».

لم ينتظر ليرى كيف تلقى صبيُّ الإسطبل قوله، بل دارَ مبتعدًا ودخلَ دافعًا البابَ بكتفه.

توقع أن يجد الخان مزدحمًا في هذه الساعة، إلا أنه ألقى القاعة العامة شبه خاوية. إلى إحدى الموائد يجلس لوردٌ صغير يرتدي معطفًا فاخرًا من الدَّمَقَس، غائبٌ عن الوعي ويغط بخفوت في بركة من النِّبِذ المسكوب، ولكن ليس في المكان أحدٌ آخر. نظرَ دنك حوله بحيرة، إلى أن خرجت من المطبخ امرأةٌ قصيرة مكتنزة ممتعة الوجه، وقالت: «اجلس حيثما شئت. أمزراً تريد أم طعاماً؟».

أجابَ دنك: «كليهما»، وأخذَ مقعدًا عند النَّافذة، بعيدًا بمسافةٍ لا بأس بها عن الرَّجل النَّائم.

- «لدينا لحم حملان طيب، مشويٌّ بقشرةٍ من الأعشاب، وبعض البطات التي اصطادها ابني. أيُّهما ستطلب؟».

لم يأكل دنك في خانٍ منذ نصف عام أو أكثر. «كليهما».

قالت المرأة ضاحكة: «حسن، أنت كبيرٌ بما يكفي»، والتقطت كوزًا من المزروع وجلبته إلى مائدته سائلة: «هل ستريد غرفةً لقضاء الليلة أيضًا؟».

- «لا». ما كان شيء ليحلو لدنك أكثر من حشيرةٍ طرية من القش وسقف فوق رأسه، ولكن عليه أن يقتصد في نفقاته. لا بأس بالأرض. «قليلٌ من الطعام وقليلٌ من المزروع ثم أواصلُ طريقتي إلى (آشفرد). كم تبعد؟».

- «يومًا من الركوب. اتجه شمالاً حيث يتفرع الطريق عند

الطَّاحونة المحروقة. هل يعتني صَبِيَّ بخيولك أم سرَح ثانية؟». قال دنك: «لا، إنه هناك. لا يبدو أنَّ عندك زبائن».

- «نصف البلدة ذهبَ للفرجة على الدَّورة. كان ولداي سيذهبان أيضًا لو سمحتُ لهما. سوف يرثان هذا الخان بعد رحيلي، لكن الفتى يُفَضِّل التَّسكع مع الجنود، والفتاة تُبادِر إلى التَّهْهَات والفقهة كُلِّما مرَّ فارس. أقسمُ أنني عاجزةٌ عن فهم السَّبب. الفُرسان مشكلون كسائر الرِّجال، ولم أعرف قطُّ مُثاقفةً تُغَيِّرُ شعر البيض». ثم رمقت المرأة دنك بفضول، فقد أخبرها سيفه وثُرسه بشيء، وحزامه الحبل وغلالتة الخيش بشيء آخر تمامًا. «أأنت ذاهبةٌ إلى الدَّورة عن نفسك؟».

أخذَ رشفةً من المزر قبل أن يُجيب. لونه بَنِيٌّ كالجوز، ومذاقه ثَقِيلٌ على اللِّسان، تمامًا كما يُحِبُّه. «أجل. أنوي أن أكون بطلًا».

ردَّت صاحبة الخان بقدرِ كافٍ من التَّهْذِيب: «حقًّا؟».

عبر القاعة رفعَ اللُّورد الصَّغير رأسه من بركة النَّبِذ. لوجهه مسحةٌ مصفرةٌ سقيمة تحت شعر بَنِيٍّ رملي كجُحَر جردان، وتُغَطِّي ذقنه جُذامة شقراء. فركَ الرِّجل فمه، وطرفَ بعينه ناظرًا إلى دنك، وقال: «لقد حلمتُ بك»، وارتعشت يده إذ أشار بإصبعه مضيفًا: «ابقَ بعيدًا عني، هل تسمع؟ ابقَ بعيدًا تمامًا».

حدَّق إليه دنك متحيرًا، وقال: «سَيِّدي؟».

مالَت عليه صاحبة الخان قائلةً: «دعك منه أيُّها السيِّر. إنه لا يفعل إلا الشُّرب والكلام عن أحلامه. سأحضِرُ الطَّعام»،

وابتعدت بخطواتٍ نشيطة.

- «طعام؟». حوّلت طريقة نطق اللورد الصّغير الكلمة إلى شتيمةٍ بذينة. نهضَ يترنّح واضعًا إحدى يديه على المائدة ليمنع نفسه من السُّقوط، وأعلن: «سأتقيًا». تغطّي وجه غلالته طبقة قشريّة حمراء من بُقع النّبيذ القديمة. «لقد أردتُ عاهرة، لكن المكان خالٍ منهن. كلهن ذهبَ إلى (مرج أشفرد). بحقّ الآلهة، احتاجُ إلى قليلٍ من النّبيذ». ثم اندفع الرّجل مغادرًا القاعة العامّة بخطواتٍ متقلّقة، وسمعه دنك يصعد سلّمًا وهو يُغني بصوتٍ خافت.

قال دنك لنفسه: مخلوقٌ حزين، ولكن لمّ حسب أنه يعرفني؟ وتفكر في هذا لحظة إذ شربَ مزره.

لحم الحملان من أطيب ما أكل، والبطة أطيب وأطيب، مطبوخة بالكرز والليمون، ودسامتها أقلّ كثيرًا من أغلب البط. جلبت له صاحبة الخان بازلًا بالزّيدة أيضًا، وخبز شوفان ما زال ساخنًا من الفرن. قال لنفسه وهو يمضّ آخر قطعةٍ من اللحم عن العظم: هذا ما يعنيه أن يكون المرء فارسًا. طعامٌ طيّب، ومزّر متى أردتُ، ولا أحد يلطمني على رأسي. شربَ كوزًا ثانيًا من المزّر مع الوجبة، وثالثًا ليبلّعها، ورابعًا لأن أحدًا ليس هنا ليمنعه، ولمّا فرغ نقد المرأة أيّلاً فضيًا وأخذ منها الباقي حفنةً من القطع النحاسيّة.

كان الظلام قد دمسَ عندما خرجَ دنك أخيرًا، معدته ممتلئة وضرّة نقوده أخفّ قليلًا، لكنه شعرَ بالارتياح وهو ماشٍ إلى الإسطنبول. من أمامه سمعَ حصانًا يصهل وصوت غلامٍ يقول:

«اهدأ يا فتى»، فحثَّ خُطاه وقد قُطِب وجهه.

وجدَ صَبِيَّ الإسْطِبلِ ممتطيًا شندرًا ومرتديًا درعَ العجوز. الزَّردُ يُجاوِزه طولًا، كما اضطرَّ إلى إمالة الخوذة إلى الخلف فوق رأسه الأُصْلَعِ وإلَّا لغطَّت عينيه. بدا الغلام مصممًا للغاية، وسخيفًا للغاية، وتوقَّف دنك عند باب الإسْطِبلِ وضحك.

رفعَ الغلامُ بصره، واحتقنَ وجهه، وقفزَ أرضًا قائلاً: «سَيِّدي، لم أقصد أن...».

قاطعه دنك محاولاً أن يُغْلِفَ

نبرته بالصَّرامة: «لص! اخلع

هذه الدِّرع، وانبسط لأن

شندر لم يَرُقْكَ في

رأسك الأحمق.

إنه جوادٌ حربيٌّ لا

فرس قزم يركبه غلام».

خلعَ الغلامُ الخوذة

ورماها فوق القشِّ،

وبكلَّ جرأةٍ قال:

«يُمكنني أن أركبه

بمثل مهارتك».



– «أغلق فمك. لا أريد شيئاً من وقاحتك. الزرد أيضاً، اخلعه.

ماذا حسبت نفسك فاعلاً؟».

ردَّ الغلام: «كيف أخبرك وفمي

مغلق؟»، وتلوَّى خالغاً حلقات

المعدن وتركها تسقط.

– «لك أن تفتحه لتجيب. والآن

التقط هذا الزرد وانفض عنه الوسخ

وأعده إلى حيث وجدته. والخوذة

أيضاً. هل أطعمت الخيول كما قلتُ

لك؟ ودعكت سويتفت؟».

قال الغلام وهو ينفض حلقات المعدن

من القش: «نعم. أنت ذاهب إلى (آشفرد)،

أليس كذلك؟ خُذني معك أيُّها السير».

حدَّرت صاحبة الخان دنك من هذا.

«وماذا قد تقول أُمك بخصوص ذلك؟».

لوى الغلام قسماته قائلاً: «أُمِّي؟ أُمِّي

ماتت ولا يُمكنها أن تقول شيئاً».

أدهشه هذا. أليست صاحبة الخان

أمّ الغُلام؟ لعلّه يتدرَّب عندها لا أكثر. سأله دنك بحيرة وقد
شوّس المزّر عقله قليلاً: «أأنت يتيم؟».

رشقه الغُلام برّده: «أأنت كذلك؟».

أقرّ دنك: «كنت ذات يوم». إلى أن أجازني العجوز.

- «إذا أخذتني فيمكنني أن أعمل عندك مُرافقاً».

- «لا يلزمني مُرافق».

قال الغُلام: «كلّ فارس يلزمه مُرافق. أنت تبدو أنك بحاجةٍ إلى
واحدٍ أكثر من الأغلبية».

رفع دنك يده مهدّداً، وقال: «وأنت تبدو بحاجة

إلى لطمَةٍ على الأذن، هكذا يبدو لي.

املأ لي جوالاً بالشوفان. إنني ذاهبٌ

إلى (آشفرد)... وحدي».

إن خاف الغُلام فقد أجاد إخفاء

خوفه. للحظةٍ وقف في مكانه

بتحدٍ مربّعا ذراعينه، ولكن

لحظة أن أوْشك دنك

أن ييأس منه، دارَ الغُلام

وذهب إلى حيث يوضع الشوفان.

ارتاح دنك. مؤسّفاً أنني لا أستطيع... لكن حياته ها هنا في



الخان طيّبة، حياة أفضل من عمله مُرافقًا لفارسٍ جوّال. لن يكون أخذه رحمةً.

على أنه ظلّ يستشعر خيبة أمل الغلام. فيما امتطى سويّفت وأمسك قياد ثندر، فكر دنك أن بنسًا نحاسيًا قد يسره، فقال: «خُذ يا ولد، لقاء مساعدتك»، وألقى إليه بالعملة مبتسمًا، إلّا أن صبيّ الإسطبل لم يُحاول التقاطها، فسقطت في التراب بين قدميه الحافيتين، وهناك تركها.



قال دنك لنفسه: سيتناولها بمجرد أن أرحل، ودار بالرهوانة
وانطلق من الخان قائداً الحصانين الآخرين. كان نور القمر
ساطعاً على الأشجار، والسماء بلا سحب ومرتطة بالنجوم، ومع
ذلك إذ خرج دنك على الطريق أحسَّ بصبي الإسطل يُحدِّق إلى
ظهره بصمتٍ عابس.



كانت ظلال الأصيل تستطيل حين كبَحَ دنك خيوله على حافة (مرج آشفرد) الرَّحْب، حيث نُصِبَ فوق عُشب الحقل نحو ستين من السُّرَادِقَات، بعضها صغير وبعضها كبير، وبعضها مرَّع وبعضها مدوَّر، وبعضها من قُماش الأشرعة وبعضها من الكتَّان وبعضها من الحرير، لكن ألوانها جميعًا زاهية، وعلى قوائمها المركزيَّة تُرفرف رايات طويلة أزهى من حقل زهور بَرِّيَّة زاهر بالأحمر الغني والأصفر الشَّمسي، ودرجات لا تُحصى من الأخضر والأزرق، وأخرى عميقة من الأسود والرَّمادي والأرجواني.

ركبَ العجوز مع بعض هؤلاء الفرسان، ويعرف دنك آخرين ممَّا سمعَ من حكايات في القاعات العامَّة وحول نيران المخيَّمات. مع أنه لم يتعلَّم قطُّ سحر الكتابة أو القراءة، بذلَّ العجوز جهدًا دؤوبًا لمَّا تعلَّق الأمر بتلقينه شعارات النَّبالة، وكثيرًا ما مرَّنه على حفظها وهما راكبان. العنادل تنتمي إلى اللورد كارون، سيِّد (التُّخوم) البارِع في العزف على القيثارة السَّامية براعته بالرُّمَح، والوعل المتوَّج يخصُّ السير لاينل باراشيون، العاصفة الضَّاحكة. وميَّز دنك صيَّاد تارلي وبرق عائلة دُنْداريون الأرجواني، وتُفَّاحة آل فوسوواي الحمراء، وها هو ذا أسد لانستريزار ذهبيًا على قرمزي، وها هي ذي سُلحفاة آل إسترْمونت البحريَّة الخضراء الدَّاكنة تسبح على خلفيَّة خضراء باهتة. الخيمة البنيَّة تحت فحل أحمر لا يُمكن أن تنتمي إلى غير السير أوْثو براكن، الذي لُقِّبَ بغاشم براكن منذ قتل اللورد كونتِن بلاكوود قبل ثلاث سنوات خلال دورة مباريات في (كينجز لاندنج)، وقد سمعَ دنك أنَّ السير أوْثو هوى بضربة في غاية العُنف من فأسٍ طويلة مثلَّمة

هَشُمْتُ مَقْدَمَةَ خُوذة اللُّورد بلاكوود والوجه تحتها. رأى دنك بعض رايات بلاكوود أيضًا عند حافة المرج الغربيَّة، على أبعد مسافةٍ ممكنة من السير أوْثُو. ماربراند، مالستر، كارجل، وسترنج، سوان، مولندور، هايتاور، فلورنت، فراي، پنروز، ستوكورث، داري، پارن، وايلد... يبدو كأنَّ كلَّ عائِلَة ذات حسبٍ ونسبٍ في الغرب والجنوب أرسلت فارسًا أو ثلاثةً إلى (مرج آشفرد) لرؤية العذراء الجميلة وخوض حلبة المجاورة على شرفها.

ولكن مهما تسرَّ سُرادقاتهم الأنظار، يعرف دنك أنه لن يجد لنفسه مكانًا بينها. اللَّيلة مأواه الوحيد معطَف رثٌّ من الصُّوف، وفيما يتعشَّى اللُّوردات والفُرسان العظام ديوكًا مسمَّنًا وخنازير رضيعةً، سيتكوَّن عشاؤه هو من قطعة صُلبة قاسية من اللحم البقريِّ المملَّح. يعلم دنك تمام العلم أنه إذا خيَّم في هذا الحَقْل المبهرج فعليه أن يتحمَّل في آن واحد السُّخرية الصَّامته والتَّهكُّم الصَّريح. قد تُعامله قِلَّةٌ منهم بلطف، لكن ذلك يكاد على نحوٍ ما يكون أسوأ.

يجب أن يستمسك الفارس الجوّال بكبريائه، فدونها لا يعود أكثر من مرتزق. عليَّ أن أستحقَّ مكاني في تلك الصُّحبة. إذا أحسنت القتال فقد يضمني لورد ما إلى آل بيته، وعندئذٍ سأركب مع رفقة نبيلة، وأكل لحمًا طازجًا كلَّ ليلةٍ في قاعة قلعة، وأرفع سُرادقي في الدَّورات. لكن عليَّ أولًا أن أحسن البلاء. على مضضٍ أولى دنك أرض المباريات ظهره وقادَّ خيوله بين الأشجار.

على مشارف المرج العظيم، على بُعد نصف ميلٍ كاملٍ من البلدة والقلعة، وجدَّ مكانًا حيث كوَّن انحناء في جدولٍ صغيرٍ

بِرْكَۃٌ عميقةٌ، ينمو على حافتها البوص بكثافة، وتُسرف شجرة دردار مورقة على كل شيء. عُشب الربيع هناك أخضر كراية أي فارس، وناعم الملمس. بُقعةٌ جميلة هي، ولا أحد استحوذَ عليها بعدُ. قال دنك لنفسه: سيكون هذا سُرادقي، سُرادقًا مستقوفًا بورق الشَّجر وأورف من رايات آل تارلي وآل إستمونت أنفسهم.

خيوله أولًا، وبعد العناية بها خلع ثيابه وخاض في البركة ليغسل نفسه من غبار السَّفر. لطالما قال العجوز: «الفارس الحقُّ محبٌّ للنَّظافة مثلما هو تقي»، مصرًّا أن يغتسلا من الرأس إلى القدمين كلَّما دار القمر، بغض النَّظر عن سوء رائحتهما من عدمه. والآن وقد أصبح فارسًا، تعهَّد دنك بأن يفعل المثل.

جلس عاريًا تحت الدَّرْدَارَة ريثما يجفُّ، يستمتع بدفء الهواء الربيعي على جلده وهو يُشاهد دُبَابَة تَتَيْن تتحرَّك بكسل بين أعواد البوص. تساءل: لماذا يُسمَّونها دُبَابَة التَّتَيْن؟ إنها لا تُشبه التَّتَيْنين في شيء. لا يعني ذلك أن دنك رأى تَتَيْنًا يومًا، إلا أنَّ العجوز فعل، وقد سمع دنك القِصَّة نصفمئة مرَّة، عن السير آرلان الذي أخذه جدُّه إلى (كينجز لاندنج) وهو بعدُ صبيًّا صغير، وكيف رأيا التَّتَيْن الأخير هناك قبل نفوقه. كان أنثى خضراء صغيرة ناقصة النُّمو ذات جناحين ذاويين، ولم يفقس أيُّ من بيضها قط. اعتاد العجوز أن يحكي: «بعضهم يقول إنَّ الملك إِنْجُون سَمَّها. أقصدُ ثالث إِنْجُون، لا والد الملك ديرُون، بل الذي سَمَّوه بِمُهلك التَّتَيْنين أو إِنْجُون المنحوس. كان يخاف التَّتَيْنين لأنه رأى وحش خاله يلتهم أمَّه. لقد صارت الأضياف

٤ - دُبَابَة التَّتَيْن Dragonfly: اليسوب في عالم الواقع، لكننا نستخدم التَّرجمة الحرفيَّة لدواعي القِصَّة.

(المترجم).

أقصر منذ ماتَ التَّينَ الأخير، والأشْثية أطول وأقسى».

بدأ الهواء يَبْرُد فيما غاصَّت الشَّمس تحت مستوى قمم الأشجار، ولمَّا أَحَسَّ دنك بالقشعريرة تخزُّ ذراعَيْه نفْضَ غلالته وبنطاله على جذع الدَّرْدارة لِيُخْلِصَهُمَا مِنَ السَّوَادِ الْأَسْوَأِ مِنَ التُّرَابِ، ثمَّ عَادَ يَرْتَدِيهِمَا. غَدَا سَيَسْعَى إِلَى قِيَمِ الْمَبَارِيَاتِ وَيُدْرَجُ اسْمُهُ، لَكِنْ عِنْدَهُ مَسَائِلُ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ فِيهَا اللَّيْلَةَ لَوْ أَنَّهُ يَأْمَلُ أَنْ يُنَازِلَ غَيْرَهُ مِنَ الْفُرْسَانِ.

لم يَلْزِمَهُ أَنْ يُدَقِّقَ النَّظْرَ إِلَى الْمَاءِ لِيَعْرِفَ أَنَّهُ لَا يَبِيدُ كِفَارِسٍ إِلَّا قَلِيلًا، وَهَكَذَا عَلِقَ تُرْسُ السَّيْرِ آرْلَانَ عَلَى ظَهْرِهِ لِيَعْرِضَ رَمْزَهُ، وَبَعْدَمَا أَوْثَقَ قَوَائِمَ الْخِيُولِ بِالشَّكْلِ، تَرَكَهَا لِتَرْعَى فِي الْكَلَأِ الْأَخْضَرَ الْكَثِيفِ تَحْتَ الدَّرْدَارَةِ فِيمَا انْطَلَقَ عَلَى قَدَمَيْهِ مُتَجِّهًا إِلَى مَضْمَارِ الْمَبَارِيَاتِ.

المرج في الأوقات العادية منطقة مشاع لأهل بلدة (آشفرد) على الجانب الآخر من النهر، أمَّا الآن فيبدو عليه تحوُّل نوعي. بين عشية وضحاها وُجِدَتْ بِلْدَةٌ ثَانِيَةٌ، بِلْدَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ بَدَلًا مِنَ الْحَجَرِ، أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا الْكُبْرَى وَأَحْلَى. بِحِذَاءِ حَافَةِ الْحَقْلِ نَصَبَ عَشْرَاتِ التُّجَّارِ أَكْشَاكَهُمْ لِيَبِيعُوا اللَّبُودَ وَالْفَوَاكِهِ، وَالْأَحْزِمَةَ وَالْأَحْذِيَةَ، وَالْجُلُودَ وَالْبِيزَانَ، وَالْأَنِيَةَ الْخَزَفِيَّةَ وَالْأَحْجَارَ الْكَرِيمَةَ وَالْأَوْعِيَةَ الْقَصْدِيرَ وَالتَّوَابِلَ وَالرَّيْشَ، وَسَائِرَ أَصْنَافِ الْبَضَائِعِ الْآخَرَى، وَبَيْنَ الْجُمُوعِ يَتَجَوَّلُ الْحُوَاةُ وَمَحْرُكُو الدُّمَى وَالسَّحَرَةُ لِيَمَارِسُوا حِرْفَهُمْ... وَكَذَا الْعَاهِرَاتُ وَالنَّشَالُونَ، وَعَلَيْهِ أَبْقَى دَنكَ

يد الحذر على ماله.

عندما التقط أنفه رائحة سُجق يؤزُّ فوق نارٍ داخنة، بدأ ريقه يجري. اشترى قطعةً بنس نحاسيٍّ من كيسٍ نقوده، وقرناً من المزر ليبلعها، وفيما أكل تفرَّج على فارسٍ خشبيٍّ ملوَّن يُقاتل تينياً خشبياً ملوَّناً. سرَّته أيضاً الفرجة على محرَّكة الدُمى التي تتحكَّم في التَّين؛ فتاة فارعة جذابة ذات بشرة زيتونيَّة وشعرٍ دورني أسود، رفيعة كالرُّمح وبلا تدينين يُذكران، وإن أعجبَ دنك وجهها والطريقة التي تجعل بها أصابعها التَّين يكرُّ وينزلق عند أطراف خيوطه. لو أنه يستطيع الاستغناء عن بنس نحاسيٍّ لألقاه إلى الفتاة، لكنه محتاج الآن إلى كلِّ قطعة عملة.

كما أمل، بين التَّجار صنَّاع سلاح، منهم تايروشي بلحية زرقاء متشعبة يبيع خُوداً منمَّقة، قطعاً عجيبيةً بديعةً مشغولةً بأشكال طيورٍ وحيواناتٍ ومموَّهة بالذهب والفضة، وفي مكانٍ آخر وجدَ دنك صانع سيوفٍ متجولاً يبيع نصالاً من الفولاذ الرَّخيص، وآخر عمله أجود كثيراً، غير أنَّ ما يفتقر إليه ليس سيفاً.

عشرَ على الرَّجل الذي يحتاج إليه بعيداً في آخر الصَّف، يعرض على الطاولة أمامه قميصاً من الحلقات المعدنية الممتازة وقفازاً من الفولاذ المشبك. فحصهما دنك بعناية، وقال: «شُغلك متقن».

- «لا أحد أفضل». الحدَّاد رجلٌ قصيرٍ ممتلئ، لا يزيد طوله على خمسة أقدام، لكنه يُناهز دنك عرضاً في الصُّدر والذِّراعين، وله لحية سوداء ويدان ضخمتان، ويخلو من كلِّ مسحةٍ من التَّواضع.

أخبره دنك: «تلزمني درعٌ للدَّورة، بِرَّةٍ من الحلقات الجيدة بعنقِيَّة وكلسة وخوذة عظيمة». خوذة العجوز القصيرة تُناسِب رأسه، لكنه يُريد لوجهه حمايةً أكثر من التي يُوفِّرها قضيْبٌ واحد لوقاية الأنف.

قلَّب فيه صانع السِّلَاح النَّظْر من أعلى إلى أسفل قائلاً: «كبير الحجم أنت، لكنني دَرَعْتُ رجالاً أكبر»، ونهَضَ من وراء الطَّاولَة مُردِّفاً: «اركع. أريدُ قياس هاتين الكتفين. أجل، وعُنقك الثَّخين هذا أيضاً». ركَّع دنك، ومدَّ الرَّجل شريطاً من الجلد الخام المعقود على كتفيه، ثم نخرَ وطوَّق به حلقة ونخرَ ثانيةً. «ارفع ذراعك. لا، اليمنى». ومرةً ثالثةً نخرَ. «يُمكنك أن تقف الآن». استدرَّ باطن ساقٍ وسَمَك ربلته ومقاس خصره مزيداً من الثَّخير، وحينما فرَغ الرَّجل قال: «عندي في عريتِي بعض قطع قد تَصْلُح لك. لا شيء مجمَّل بالذهب أو الفضة، دعني أخبرك، بل فولاذ ممتاز فقط، قويٌّ وبسيط. إنني أصنِّع خُوذاً تبدو كالخوذ، لا خنازير مجتَّحة أو فواكه أجنبيَّة غريبة، لكن خُوذي ستنتفع أكثر إذا أصابَكَ رمحٌ في وجهك».

قال دنك: «هذا كلُّ ما أريدُ. كم؟».

- «ثمانمئة أيل، لأني في مزاج كرم».

- «ثمانمئة؟!». المبلغ أكبر ممَّا توقَّع. «يُمكنني... يُمكنني أن أفايضك بدرع قديمة مصنوعة لرجلٍ أصغر حجماً... خوذة قصيرة، زرد...».

صرَّح الرَّجل: «بيت الفولاذي لا يبيع إلا شُغله، ولكن قد يُمكنني الاستفادة من المعدن. إن لم يكن صدئاً جدًّا فساخذه

وَأَدْرَعَكَ بِسِتْمَةٍ».

يَسْتَطِيعُ دَنْكَ أَنْ يُنَاشِدَ بِئِيتَ أَنْ يُعْطِيَهُ الدِّرْعَ مَرْهُونَةً بِالثِّقَةِ، لَكِنَّهُ يَعْلَمُ نَوْعَ الْجَوَابِ الَّذِي سَيَتَلَقَّاهُ عَلَى طَلَبِ كَهَذَا، فَقَدْ ارْتَحَلَ مَعَ الْعَجُوزِ طَوِيلًا كَفَايَةً لِيَتَعَلَّمَ أَنَّ التُّجَّارَ مَشْهُورُونَ بَارْتِيَابِهِمْ فِي الْفُرْسَانِ الْجَوَّالَةِ، الَّذِينَ يُعَدُّ بَعْضُهُمْ أَفْضَلَ قَلِيلًا مِنْ مَجَرَّدٍ لَصُوصٍ. «سَأَعْطِيكَ قِطْعَتَيْنِ فَضِيَّتَيْنِ الْآنَ، وَالِدِرْعَ وَبَاقِي النُّقُودِ غَدًا».

أَمَعَنَّ صَانِعُ السِّلَاحِ النَّظَرَ إِلَيْهِ لِحِظَةٍ، ثُمَّ قَالَ: «قِطْعَتَانِ فَضِيَّتَانِ تَشْتَرِيَانِ لَكَ يَوْمًا. بَعْدَ ذَلِكَ سَأُبِيعُ شُغْلِي لِلرَّجُلِ التَّالِيِ». التَّقَطَّ دَنْكَ الْأَيْلِينَ مِنْ كَيْسِ نَقُودِهِ وَوَضَعَهُمَا فِي يَدِ صَانِعِ السِّلَاحِ الثَّفْنَةِ قَائِلًا: «سَتَحْصُلُ عَلَى الْمَبْلَغِ كَامِلًا. إِنِّي أَنُوي أَنْ أَكُونَ بَطْلًا هُنَا».

قَالَ بِئِيتَ: «حَقًّا؟»، وَعَضَّ إِحْدَى الْعُمَلَتَيْنِ مُضِيفًا: «وَأُظَنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ كُلَّهُمْ جَاءُوا لِيُشَجِّعُوكَ فَحَسَبُ؟».

كَانَ الْقَمَرُ قَدْ ارْتَفَعَ فِي السَّمَاءِ عِنْدَمَا وَجَّهَ خُطَاهُ عَوْدَةً إِلَى دَرْدَارَتِهِ. مِنْ وَرَائِهِ اتَّقَدَّ (مَرَجَ أَشْفَرْد) بِضَوْءِ الْمَشَاعِلِ، وَحَمَلَ الْهَوَاءُ أَصْوَاتَ الْأَغَانِي وَالضَّحْكَ فَوْقَ الْعُشْبِ، لَكِنْ مَزَاجُهُ هُوَ غُلْفَتُهُ الْكَابَةِ. لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ إِلَّا فِي طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ لِنَحْصِيلِ الْمَالِ مِنْ أَجْلِ دَرْعِهِ، وَإِذَا هُزِمَ... هَمْهَمَ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ: «نَصَرْتُ وَاحِدًا هُوَ كُلُّ مَا يَلْزَمُنِي. لَيْسَ هَذَا أَمْلًا يُجَاوِزُ الْحُدُودَ».



ومع ذلك ما كان العجوز ليأمل ذلك أبداً. السير آرلان لم يركب في مثاقفةٍ منذ اليوم الذي أسقطه فيه أمير (دراجنستون) عن حصانه في دورة مباريات بـ (ستورمز إند) قبل سنواتٍ عدّة، واعتاد أن يقول: «ليس لكلّ رجل أن يتباهى بأنه كسر سبعة رماح ضد أبرع فارس في (الممالك السبع). لم يُمكنني قطّ أن أمل أن أبلّي بلاء أحسن، فلم أحاول؟».

شكّ دنك أن لسرّ السير آرلان صلةً بالأمر أكبر من أمير (دراجنستون)، وإن لم يجرؤ على التصريح بذلك. لقد تمتّع العجوز بالكبرياء حتى اللحظة الأخيرة. قال دنك لنفسه بعناد: إنني سريع وقوي، هكذا قال دومًا، وليس محتمًا أن ما انطبق

عليه ينطبق عليّ.

بينما يجتاز رُقعةً من الحشائش وهو يتفكّر في فُرصه، رأى وميض النار من خلال الشجيرات. ما هذا؟ لم يتوقّف ليُفكّر. فجأةً أصبح سيفه في يده فيما اندفعَ مخترقاً العُشب.

وانبثقَ هادراً لاعناً، فقط ليتوقّف بحدّة فجأةً عند مرأى الغُلام بجوار نار المخيّم. خفض السيف قائلاً: «أنت! ماذا تفعل هنا؟».

أجاب الغُلام الأصلع: «أطبخُ سمكةً. هل تُريد؟».

- «أعني كيف وصلت إلى هنا؟ هل سرتَ حصاناً؟».

- «ركبتُ في مؤخّرة عربيّة مع رجلٍ جلبَ بعض الحملان لأجل مائدة سيّد (آشفرد)».

- «حسن، الأفضل أن ترى هل رحلَ بعدُ، أو تجد عربيّة أخرى. لن أتركك تبقى هنا».

ردّ الغُلام بقلّة حياء: «لا يُمكنك إجباري على الذهاب. لقد اكتفيتُ من ذلك الخان».

حدّره دنك: «لن أسمح بمزيدٍ من وقاحتك. جديرٌ بي أن ألقيك فوق حصاني الآن وأخذك إلى ديارك».

قال الغُلام: «عليك إذاً أن تقطع الطريق كلّهُ إلى (كينجز لاندنج). ستفوتك الدّورة».

- (كينجز لاندنج). للحظةٍ تساءلَ دنك هل يتعرّض للسّخريّة، لكن الغُلام لا يملك وسيلةً ليعرف أنه هو أيضًا وُلِدَ في (كينجز

لاندنج). صعلوك آخر من (سفع البراغيث) على الأرجح، ومن يلومه على الرغبة في مغادرة ذلك المكان؟

شعرَ بالحماقة وهو واقفٌ فوق يتيم في الثامنة من العمر وسيفه في يده، فدسَّه في غمده بوجه مكفهرٍ ليرى الغلام أنه لن يسمح بأي هُراء. فكرر ذلك: ينبغي أن أبرحه ضرباً على الأقل، إلا أن الطفل بدا مثيراً للشفقة للغاية، فلم تحمله نفسه على ضربه. ألقي نظرة في أنحاء المخيم، فرأى النار متقدةً على نحو سار داخل دائرة من الصُخور، والخيول ممسطة، والسياب منشورة على الدردارة لتجف فوق اللهب. «ماذا تفعل هذه هناك؟».

قال الغلام: «لقد غسلتها، وسستُ الخيول، وأشعلتُ النار، واصطدتُ هذه السمكة. كنتُ سأنصبُ سُرادقك، لكنني لم أجد واحداً».

- «هو ذا سُرادقي». قالها ذلك ملوحاً بيده فوق رأسه ليُشير إلى فروع الدردارة الطويلة الشامخة أعلاههما.

قال الغلام دونما تأثر: «هذه شجرة».

- «لا يلزم الفارس الحقيقي سُرادق إلهاء. أفضلُ النوم تحت الأشجار على النوم في خيمة يملؤها الدخان».

- «وإذا سقط المطر؟».

- «ستقيني الشجرة».

- «الأشجار تُسرب الماء».

ضحك ذلك، وقال: «صحيح. بصراحة، المال يعوزني لشراء



سُرادق. والأفضل أن تقلب هذه السِّمكة وإلا احترقت من أسفل
وظلّت نيئةً من أعلى. لن نصلح للعمل صبيّ مطبخ أبداً».
ردّ الغلام: «أستطيع إذا أردتُ»، لكنه قلب السِّمكة.

سأله دنك: «ماذا جرى لشعرك؟».

- «حلقه الميسترات». فجأة وقد اعتراه الاستحياء، رفع الغلام
قلنسوة معطفه البني الداكن ليغطي رأسه.

سمع دنك أنهم يفعلون ذلك أحياناً لعلاج القمل أو دود
الجدور أو عللٍ معيّنة. «أأنت مريض؟».

قال الغلام: «لا. ما اسمك؟».

- «دнк».

أطلقَ الغُلامُ الشَّقِي ضحكةً عاليةً كأن هذا أطرف ما سمعَ على الإطلاق، وقال: «دнк؟! السِيرِ دнк؟ ليس هذا اسم فارس. أهو اختصار لدنكن؟».

أهو كذلك؟ حسبما يذكُر، العجوز لم يدعُه إلا بدнк، أمَّا حياته قبل ذلك فالباقي في ذاكرته عنها قليل. قال: «دنكن، نعم. السِيرِ دنكن ابن...». ليس لدнк اسم آخر، ولا عائلة ينتمي إليها. لقد وجدَه السِيرِ آرلان يعيش حياة مِن الضراوة في مواخير (سَفح البراغيث) وأزقته، ولم يعرف قَط أباه أو أمه. ماذا يقول؟ ليس لـ«السِيرِ دнк ابن (سَفح البراغيث)» وقعٌ يليق بفارس. يُمكنه أن يأخذ (شجرة البنسات)، ولكن ماذا إذا سألوه عن مكانها؟ لم يذهب دнк إطلاقًا إلى (شجرة

البنسات)، ولا تكلم عنها العجوز كثيرًا. عقدَ حاجبُه بُرهةً، ثم اندفع يقول: «السِيرِ دنكن الطويل». إنه طويل فعلاً، لا أحد يُمكنه أن يُجادِل في هذا، وللاسَم وقعَ ينمُ عن البأس. لكن لم يبدُ أن المتسلِّل الصَّغير وافقَه، إذ قال: «لم أسمع قَطُ عن أيِّ سِيرِ دنكن الطويل». وهل تعرف كلَّ فارسٍ في (الممالك السَّبع)؟».



رمقه الغلام بجراةٍ مجيِّبًا: «أعرفُ البارعين».

- «أنا بارعٌ كأَيِّ منهم. بعد الدَّورة سيعلمون جميعًا ذلك. ألك أنت اسمُ أيُّها اللَّصُّ؟».

تردَّد الغلام، ثم قال: «إج».

لم يضحك ذلك. رأسه يُشبهُ البيضةَ حقًّا. الصَّبيَّة الصَّغار قادرون على القسوة، وكذا الرِّجال البالغون. «إج، يَجْدُرُ بي أن أضربك حتى أدميك ثم أصرفك، لكن الحقيقة أني بلا سُرادق وبلا مُرافق أيضًا. إذا أقسمت أن تفعل كما تُؤمر فسأدعك تخدمني خلال الدَّورة. بعد ذلك، حسن، سنرى. إذا قرَّرتُ أنك تستأهل تكلفةَ إعاشتك فستحظى بشِابٍ على بدنك وطعامٍ في بطنك. قد تكون الثِّياب خشنَةً والطعام لحمًا مملحًا وسَمَكًا مملحًا، وربما قليلًا من لحم الغزلان من حينٍ إلى آخر حيث لا يُوجد في الجوار حُرَّاجون، لكنك لن تجوع. وأعدُّ ألا أضربك إلا عن استحقاق».

ابتسمَ إَج قائلاً: «نعم يا سيِّدي».

صحَّح ذلك: «أيُّها السيِّر. إنني مجرَّد فارس جوَّال». تساءل هل يُشاهده العجوز الآن من السَّماء. سأعلِّمه فنون القتال، تمامًا كما علَّمَنِي أيُّها السيِّر. يبدو ولدًا واعدًا، وقد يغدو فارسًا يومًا ما.

وجدَ السَّمكة نيئةً بعض الشيء من الدَّاخِل حينما أَكَلَهَا، والغلام لم يُزِل الشُّوك كُلَّهُ، ومع ذلك فالفرق بين طعمها وطعم اللَّحْم المملح القاسي فرق السَّماء من الأرض.

سرعان ما راح إج في النوم بجوار النار الميّتة، وعلى مقربةٍ استلقى دنك على ظهره واضعاً يديه الكبيرتين خلف رأسه ورائياً ببصره إلى سماء الليل، وقد تراءت إلى مسامعه موسيقى سحيقة من أرض المباريات البعيدة بنصف ميل. النجوم في كل مكان، ألوف وألوف منها، وبينما يتفرّج هوى أحدها في شريطٍ أخضر يانع ومضٍ في السّواد ثم اختفى.

فكّر دنك: النّجم الهاوي يجلب الحظّ لمن يراه، لكن بقيّهم داخل سُرادقاتهم الآن، يرفعون أعينهم إلى الحرير بدلاً من السّماء. الحظّ لي وحدي إذا.

استيقظَ في الصّباح على صباح ديك، وإج بعدُ في مكانه متكور على نفسه تحت ثاني أفضل معطف امتلكه العجوز. حسن، الغلام لم يهرّب ليلاً، إنّما هذه بداية. أيقظه بنخسة من قدمه قائلاً: «انهض. أماننا عمل»، فقام الغلام بسرعة كافية فاركاً عينيه، ليخبره دنك: «ساعدني على تسريع سويتفت».

- «والفطور؟».

- «لدينا لحمٌ مملّح، بعد فروغنا لا قبله».

قال إج: «أوتّر أن أكل الحصان... أيّها السير».

- «ستأكل قبضتي إذا لم تفعل كما يُقال لك. أحضر الفرش. إنها في جوال السّرج. نعم، هذا».

معاً مشطاً شعر الرّهوانة الكميّت، ثم رفعاً أفضل سروج السير

آرلان فوق ظهرها وأوثقا أحزمته. رأى دنك أن إج عامل مجتهد ما إن يصبَّ اهتمامه وجهده على العمل.

أخبر الغلام وهو يركب: «أتوقَّع أنني سأغيبُ معظم النَّهار. ستبقى هنا وتُنظِّم المخيِّم. احرص ألا يأتي لصوصٌ غيرك ليتطفَّلوا».

سأله إج: «ألي بسيف لأطردهم به؟». للغلام عينان زرقاوان كما رأى دنك، داكنتان جدًّا، تُقارب درجتَهما الأرجواني، وبطريقة ما أبداهما رأسه الأصلع ضخمتين.

- «لا. يكفيك سكين. والأفضل أن تكون هنا حينما أرجع، هل تسمعي؟ اسرقي واهرب وسأطاردك، أقسمُ أنني سأفعل، وبالكلاب».

أشار إج: «لست تملك كلابًا».

ردَّ دنك: «سأشتري بعضها من أجلك فحسب»، ووجَّه رأس سويتفت صوب المرج وانطلق يخبُّ بنشاطٍ آملاً أن يكفي التهديد لأن يلزم الغلام الأمانة. باستثناء الملابس على بدنه والحصان من تحته، كلُّ ما يملكه دنك في العالم في ذلك المخيِّم. قال لنفسه متأملاً: حماقةٌ كُبرى مني أن أثق بالغلام إلى هذه الدرجة، لكن هذا ليس بأقل ممَّا فعل العجوز من أجلي. لا بُدَّ أن الأم أرسلته إليَّ لكي أسدِّد ديني.

فيما عبرَ الحقل سمعَ رنين المطارق من عند ضفَّة النَّهر، حيث يعمل النجَّارون على تسمير حواجز المُثاقفة ونصبِ مدرَّجات مشاهدة منيفة. في تلك الأثناء كان بعض السُّرادقات الجديدة

يُرفَعُ أيضًا، فيما نامَ الفُرسان الذين وصلوا قبلاً ليتخلَّصوا من
آثار عريدة البارحة، أو جلسوا يتناولون فطورهم.
شمَّ ذلك دُخان الحطب، ورائحة لحم مقدَّد أيضًا.

شمال المِرج يجري نهر (مجرى الصَّدَف)،
وهو رافدٌ لـ (الماندر) العظيم، وبعد المخاضة
الضَّحلة تقع البلدة والقلعة. رأى ذلك

كثيرًا من بلدات الأسواق في رحلاته مع العجوز،
وهذه أجمل من الغالبية، فلمنازلها المطلية
بالجير والمسقوفة بالقشِّ مظهرٌ جذاب. وهو

بعدُ أصغر، اعتاد أن يتساءل كيف

قد تكون الحياة في مكانٍ كهذا؛

أن تنام كلَّ ليلةٍ وفوق

رأسك سقفٌ وتصحو

كلَّ صباحٍ ملتحفًا

بالجدران أنفُسها. قد أعرف قريبًا. أجل،

وإِج أيضًا. واردة أن يحدث هذا. أشياء أغرب تحدث يوميًا.

(قلعة آشفرد) بناءٌ حجريٌّ مشيّد بشكل مثلث، ترتفع من
زواياه أبراجٌ دائريةٌ طولها ثلاثون قدمًا بينها أسوارٌ مفرّجة، وفي
الشرفات تُرفرف رايات برتقاليةٌ عارضةٌ رمز سيدها المكوّن من



شمس وشِفرونه^٥ بيضاوثن، فيما يقف رجالٌ مسلّحون يرتدون
بِزْزاً بُرتقالِيَّةً وبيضاء خارج البوابة حاملين المِطارد، يُشاهدون
النَّاس يروحون ويحيئون، وعلى ما يبدو منهمكون في المزاح مع
حَلّابة حسناء أكثر من منع أيّ أحدٍ من الدُّخول. توقّف دنك
أمام الرّجل الملتحي القصير الذي قدّر أنه قائدهم، وسأل عن
قِيَم المباريات.

- «پلَمَر مَن تُريد. إنه الوكيل هنا. سأريك».

داخل السّاحة أخذ منه صبيٌّ إسطل سويتفت. علّق دنك تُرس
السّير آرلان البالي على كتفه وتبع قائد الحرس من الإسطبلات
إلى بُرج مبني بزواية في السُّور الواقِي. تقود درجات مرتفعة
بحدّة إلى ممشَى الأسوار، وفيما صعدا سأله القائد: «جئت
لتُدِرِج اسم سيّدك لأجل مضمار النّزال؟».

- «اسمي أنا الذي سأدرجه».

- «حقّاً؟». هل تكلف الرّجل الابتسام؟ لم يعرف دنك
يقيناً. «ذلك الباب هناك. سأتركك لشأنك وأعود إلى موقعي».

عندما دفع دنك الباب، وجد الوكيل جالساً إلى منضدةٍ بحاملين
يخطّ على رِقٍ بريشته. للرّجل شعراً أشيب خفيف ووجهٌ ضيق
ممصوص، وقد سأل رافعاً ناظرينه: «نعم؟ ماذا تُريد يا رجل؟».

أغلق دنك الباب قائلاً: «أأنت پلَمَر الوكيل؟ جئتُ من أجل
الدّورة، لأدخل مضمار النّزال».

٥ - الشِفرونه Chevron: شعار نبالة بشكل حرف V مقلوب. (المُترجم).

زَمْ پَلَمَر شَفْتِيَه، وَقَالَ: «دُورَةُ سَيِّدِي اللُّورْدُ مَسَابِقَةٌ لِلْفَرَسَانِ.
أَنْتِ فَارِسٌ؟».

أَوْ مَا دَنْكَ بَرَأْسَهُ إِيْجَابًا وَهُوَ يَتَسَاءَلُ هَلْ أَحْمَرَّتْ أُذُنَاهُ.

- «فَارِسٌ لَهُ اسْمٌ رَّبِّمَا؟».

- «دَنْكَ». لِمَاذَا قَالَ هَذَا؟! «السَّيْرُ دَنْكُنْ، الطَّوِيلُ».

- «وَمَنْ أَيْنَ أَنْتِ أَيُّهَا السَّيْرُ دَنْكُنْ الطَّوِيلُ؟».

أَجَابَ دَنْكَ: «مَنْ كُلِّ مَكَانٍ. لَقَدْ عَمَلْتُ مُرَافِقًا لِلْسَّيْرِ آرَلَانَ
ابْنَ (شَجَرَةِ الْبَنَسَاتِ) مِنْذُ كُنْتُ فِي الْخَامِسَةِ أَوِ السَّادِسَةِ. هَذَا
تُرْسُهُ»، وَأَرَاهُ لِلْوَكِيلِ مُتَابِعًا: «كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الدَّوْرَةِ، لَكِنَّهُ
أُصِيبَ بِنَزْلَةٍ بَرْدٍ وَمَاتَ، فَجِئْتُ بَدَلًا مِنْهُ. لَقَدْ قَلَّدَنِي الْفَرُوسِيَّةُ
قَبْلَ رَحِيلِهِ، وَاسْتَخْدَمَ سَيْفَهُ»، ثُمَّ سَحَبَ السَّيْفَ الطَّوِيلَ وَوَضَعَهُ
بَيْنَهُمَا عَلَى الْمُنْضَدَةِ الْخَشَبِيَّةِ الْمَشْوُوعَةِ.

لَمْ يُعْطِ قِيَمَ الْمِضْمَارِ السَّيْفِ أَكْثَرَ مِنْ نَظَرَةٍ عَابِرَةٍ، وَقَالَ:
«إِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ. عَلَى أَنِّي لَمْ أَسْمَعْ قَطُّ بِذَلِكَ السَّيْرِ
آرَلَانَ ابْنَ (شَجَرَةِ الْبَنَسَاتِ). تَقُولُ إِنَّكَ كُنْتَ مُرَافِقَهُ؟».

- «لَطَالَمَا قَالَ إِنَّهُ انْتَوَى أَنْ أَصِيرَ فَارِسًا كَمَا كَانَ. وَهُوَ يُحْتَضَرُ
طَلَبَ سَيْفِهِ الطَّوِيلِ وَأَمَرَنِي بِالرُّكُوعِ. مَسَّنِي مَرَّةً عَلَى كَتْفِي الْيَمْنِيِّ
وَمَرَّةً عَلَى الْيُسْرِيِّ، وَرَدَّدَ بَعْضَ الْكَلِمَاتِ، وَلَمَّا نَهَضْتُ قَالَ إِنَّنِي
الْآنَ فَارِسٌ».

- «هَمْف». فَفَرَّكَ الرَّجُلُ پَلَمَرَ أَنْفِهِ قَائِلًا: «لَأَيِّ فَارِسٍ أَنْ يُسْبِغَ

الفروسيّة، صحيحٌ هذا، ولو أنّ العُرف الأشيع أن تقف ساهراً
ويُمرّحك سيّتون قبل أن تُردّد نذكورك. هل شهد على تقليدك أيُّ
أحد؟».

- «لا أحد إلّا طائر أبي حنّاء فوق شجرة شوك؛ سمعته
والعجوز يقول قوله. لقد كلّفني بأن أكون فارساً صالحاً قويمًا،
وأن أطيع الآلهة السّبعة، وأدافع عن الضّعفاء والأبرياء، وأخدم
سيّدي بإخلاص، وأدافع عن البلاد بقوّتي كلّها، وأقسمتُ أن
أفعل ذلك».

- «لا شكّ». لاحظْ دنك أن پلَمَر لم يتفضّل بدعوته بالسير.
«عليّ أن أستشير اللورد آشفرد. أنت أو سيّدك الرّاحل معروفٌ
لأيّ من الفرسان الكرام المجتمعين هنا؟».

فكّر دنك لحظةً، ثم قال: «أُتوجّد سُراق يرفع راية عائلة
دُنْداريون؟ سوداء وعليها برق أرجواني؟».

- «إنه السير مانفرد ابن تلك العائلة».

- «السير آرلان خدَم السيّد والده في (دورن) قبل ثلاث
سنوات. قد يتذكّرني السير مانفرد».

- «أنصحك بأن تتكلّم معه. إذا قبل أن يكفلك فأحضره معك
إلى هنا في الموعد نفسه غدًا».

قال دنك: «كما تقول يا سيّدي»، واتّجه نحو الباب.

ناداه الوكيل: «سير دنكن»، ولمّا التفت إليه دنك قال:
«أتدرك أنّ المغلوب في المباريات يُغرّم أسلحته ودرعه ومطيّته

لصالح الغالب، ويجب أن يدفع فديةً ليستردّها؟»
- «أعرف».

- «وهل تملك المال لتدفع فديةً كتلك؟».

الآن علمَ دنك أن أذنيه محمّرتان، وداعيًا أن يصحّ قوله قال:
«لن أحتاج إلى مال». يلزمني نصرٌّ واحدٌ فقط. إذا فزتُ في
مُثاقفتي الأولى فسأظفرُ بدرع الخاسر وحصانه، أو بذهبه، ويُمكنني
أن أتحملَ خسارةً عن نفسي.

نزلَ الدَّرَجَات على مهلٍ عازفًا عن الإقدام

على الخطوة التالية الضروريّة. في

السّاحة نادى أحد صبيان

الإسطبلات، وأخبره: «يجب

أنكلّم مع قيّم خيول اللورد

آشفرد».

- «سأجده لك».

الحرارة في داخل الإسطبلات

فاترة والإضاءة معتمة.

بينما يمرُّ دنك عضّ فحلّ

رماديّ جامح الهواء

في وجهه، لكن سويتفتُ



أطلقت صهيلًا خافتًا فحسب ومرغت أنفها في يده حين رفعها إليه. غمغم: «فتاة طيبة أنت، أليس كذلك؟». دائمًا قال العجوز إنه لا يجب أبدًا أن يحبَّ الفارس حصانًا، لأن أكثر من قِلة من الخيول ستموت تحته في الغالب، لكن الرجل لم يعمل بنصيحة نفسه قط، فكثيرًا ما رآه دنك يُنفق بنسه الأخير على تُفاحة لتشتت العجوز أو قليل من الشوفان لسويتفت وثندر. كانت الرّهوانة حصان ركوب السير آرلان، وقد حملته بلا كلل على امتداد آلاف الأميال في طول (الممالك السبع) وعرضها. شعر دنك كأنه يخون صديقًا قديمًا، ولكن ما الخيار؟ تشتت أعجز من أن تكون له قيمة، وثندر يجب أن يحمله في المضمار.

مضى بعض الوقت قبل أن يتنازل قِيم الخيول ويظهر. بينما ينتظر، سمع دنك الأبواق النحاس تُدوي من فوق الأسوار وأصواتًا في الساحة، وشاعرًا بالفضول قاد سويتفت إلى باب الإسطبل ليرى ما يحدث. من البوابة تدفقت كوكبة كبيرة من الفرسان والرّماة الرّاكبين، مئة رجل على الأقل، يمتطون بعضًا من أروع الخيول التي رآها دنك على الإطلاق. أحد كبار اللوردات وصل. قبض على ذراع صبيّ إسطبلات وهو يجري مازًا، وسأله: «مَن هؤلاء؟».

حدّجه الصّبي بنظرة استغراب، وقال: «ألا ترى الرّايات؟»، وانتزع ذراعه وأسرع مبتعدًا.

- الرّايات... بينما أدار دنك رأسه رفعت هبة ريح الرّاية المثلثية المفصّلة من الحرير الأسود على قَمّة السّاري الطّويل، وبدأ كأن تين عائلة تارجارين الشّرس برؤوسه الثلاثة يسط

جناحيه نافثًا نارا قرمزية. حامل الرؤية فارس طويل القامة يرتدي درعا مصفحة بيضاء منقوشة بالذهب، وينسدل من فوق كتفيه معطف أبيض ناصع، في حين يُدَرِّع اثنان آخران من الركابين نفسيهما بالأبيض من قمة الرأس إلى أخمص القدمين أيضًا. فرسان من الحرس الملكي يرفعون الرؤية الملكية. لا عجب أن اللورد آشفرد وابنيه هرولوا خارجين من باب الحصن، والعذراء الجميلة أيضًا، فتاة قصيرة بشعر أصفر ووجه متورّد مستدير. فكَرْ دَنك: لا تبدولي بذلك الجمال. محرّكة الدُمى أجمل.

- «يا ولد، اترك ذلك الحصان الوضع واعتن بجوادي».

كان أحد الركابين قد ترجّل أمام الأسطبلات، وقال دَنك لنفسه مدركًا: إنه يُكَلِّمَنِي. «لستُ صبيّ إسطلٍ يا سيدي».

- «لستُ بالذكاء الكافي؟». يرتدي المتحدث معطفًا أسود محدّدًا بالسّاتان الأحمر السّقلّاتي، لكن الثّياب من تحته بارقة كاللّهب، جميعها درجات من الأحمر والأصفر والذهبي. نحيل هو وممشوق القوام كالخنجر، ومع أنه متوسّط الطول فإنه يُناهز دَنك سنًا، وتُحدّد خُصل من الشّعر الذهبي الفضيّ وجهًا منحوتًا متأمرًا، بجهة عالية وعظام وجنتين حادة وأنفٍ مستقيم وبشرة شاحبة ناعمة لا تشوبها شائبة، أمّا عيناه فذات لون أرجواني عميق. «ما دُمت لا تستطيع التّعامل مع حصانٍ فأحضِر لي نبيذًا وفتاةً حسناء».

- «إنني... سيدي، أنا لستُ خادمًا كذلك. يُشرّفني أنني فارس».

قال الأمير الصَّغير: «الفروسيَّة تدهورَت بها الأيام»، ولكن
عندئذٍ هرعَ إليه أحد صبيان الإسطبلات، فالتفتَ لِيُناولَه عنان



رهوانه ذي اللون الدَّموي الرَّائع. في لحظةٍ نَسِيَّ دنك، وبارتياح
انسلَّ إلى داخل الإسطبل من جديدٍ لينتظر قِيَمَ الخيول. مجردُ
وجوده في حضرة اللوردات في سُراداتهم يُصيبه بالاضطراب،
وليس من شأنه أن يُكَلِّم الأمراء.

لا شكَّ عنده أنَّ الفتى الجميل أمير. آل تارجارين من دم
(فاليريا) المفقودة وراء البحار، وشعورهم الذهبيَّة الفضيَّة
وعيونهم البنفسجيَّة تُفَضِّلهم عن البشر العاديين. يعلم دنك أنَّ
الأمير بيلُور أكبر سنًّا، ولكن قد يكون الشَّابُّ أحد ابنيه: فالر
الذي يُدعى غالبًا بالأمير الشَّابُّ لتمييزه من أبيه، أو ماتارس،
الأمير الأكثر شبَّابًا كما سمَّاه مهرَج اللورد سوان ذات مرَّة.
ويُوجد أمراء صغار آخرون، أبناء عمومة لفالر وماتارس، فللملك
ديرُون الصَّالح أربعة أبناء بالغون، لثلاثةٍ منهم أبناء. في أيَّام أبيه
كَادَتْ سُلالة ملوك التَّانين تنقرض، وإن شاع القول بأن ديرُون
وأبناءه أَمَنُوها أبد الدهر.

- «أنت، أيُّها الرَّجل، لقد سألت عني». لقيَمَ خيول اللورد
آشفرد وجهٌ أحمر حمَّرتُه ثيابه البرتقاليَّة زيادةً، وأسلوبٌ فظٌّ في
الكلام. «ما الأمر؟ لا وقت عندي لـ...».

أسرَّعَ دنك يُقاطع الرَّجل قبل أن يصرفه: «أريدُ بيع هذه
الرَّهوانة. إنها فرسٌ ممتازة، واثقة الخطى...».

أعطى الرَّجل سويْتُفَ نظرةً عابرةً لا أكثر، وردَّ: «أقولُ لك
لا وقت عندي. سيَّدي اللورد آشفرد لا يحتاج إلى أمثالها. خُذها
إلى البلدة وقد يَنقُذك هنلي قطعةً فضيَّةً أو ثلاثًا»، ويمتُهي
السُّرعة دارَ لينصرف.

قبل أن يُغادر الرَّجل قال دنك: «أشكرك يا سيدي. سيدي، هل جاء الملك؟».

ضحك منه قِيم الخيول، وقال: «لا والشكر للآلهة. اجتياح الأمراء هذا بلوى بما فيه الكفاية. أين أجدُ مرابط لهذه الحيوانات كُلِّها؟ وعلفًا؟»، وابتعدَ بخطواتٍ واسعة زاعقًا في صبيانه.

لدى مغادرة دنك الإسطبلات، كان اللورد آشفرد قد اصطحب ضيوفه الأمراء إلى القاعة، لكن اثنين من فرسان الحرس الملكي



بدرعئهما البيضاوئِن ومعطفئهما الثلجئَيْن مكثا في السَّاحة يُكلِّمان قائد الحرس. توقَّف دنك أمامهما قائلاً: «سيدي، أنا السَّير دنكن الطَّويل».

ردّ أكبر الفارسيين الأبيضيّن حجّماً: «لقاء سعيد يا سير دنكن. أنا السير رولند كريكهول، وهذا أخي المحلّف السير دونل ابن (وادي الغسق)».

أبطال الحرس الملكي السبعة أعتى مُحاربين في (الممالك السبع) بأسرها، ربّما باستثناء وليّ العهد، بيلور كاسر الحراب ذاته. بقلقٍ سألهما دنك: «هل جئتما لدخول مضمار النزال؟». أجابه السير دونل أحمر الشّعْر واللّحية: «لا يليق بنا أن نركب ضد من أقسمنا على حمايتهم».

وشرح السير رولند: «الأمير فالر يتشرّف بأنه أحد أنصار الليدي أشفرد، واثنان من أبناء عمومته ينويان التّحدّي. بقيّتنا جاؤوا للمشاهدة فحسب».

متنفّساً الصُّعداء، شكرَ دنك الفارسيّن الأبيضيّن على لُطفهما، وركبَ خارجاً من بوّابة القلعة قبل أن يُفكّر أميرٌ آخر في مبادرته بكلمة خشنة. تأمّل في سريره وهو يوجّه الرّهوانة نحو شوارع بلدة (أشفرد): ثلاثة أمراء صغار. فالر أكبر أبناء الأمير بيلور، والثّاني في تسلسل وراثة العرش الحديدي، لكن دنك يجهل كم ورث من بأس أبيه الأسطوري بالرّمح والسيف، أمّا أميراً آل تارجارين الآخراّن فمعرفته بهما أقل. ماذا أفعل إذا اضطررت إلى الرّكوب ضد أمير؟ هل سيُسمَح لي أصلاً بتحدّي شخص شريف النّسب كهذا؟ لا يعرف الجواب. لطالما قال العجوز إنّه غليظ العقل كسور قلعة، والآن تحديداً يشعُر أنه كذلك حقاً.

أعجبَ هنلي شكلُ سويتفت كفايةً حتى سمعَ أنَّ دنك يُريد بيعها، وعندئذ لم يُعد يرى فيها إلا عيوبًا. عرضَ السَّائس ثلاثمئة قطعةٍ من الفضة، فقال دنك إنه يجب أن يدفع ثلاثة آلاف، وبعد كثيرٍ من الجدل والتَّلاسن استقرَّ على سبعمئة وخمسين أيلًا فضيًّا، أقرب كثيرًا إلى سعر هنلي المبدئي من سعر دنك، وهو ما أشعره أنه الخاسر في هذا النِّزال، لكن السَّائس أبى تمامًا أن يرفع السَّعر، وفي النِّهاية لم يملك دنك خيارًا إلا الإذعان. ثم بدأت مشادة ثانية لَمَّا صرَّح دنك أنَّ السَّعر لا يشمل السَّرج، في حين أصرَّ هنلي أنه يشمله.

أخيرًا سُوِّي كلُّ شيء، وإذا ذهبَ هنلي ليُحضِر ماله ملَّس دنك على عُرف سويتفت وقال لها أن تتشجَّع. «إذا فزت فسأرجع وأشتريك مجددًا، أعدكِ». لا شكَّ لديه أنَّ عيوب الرُّهانة جميعًا ستختفي خلال الأيام الفاصلة بين البيعتين، وسيضاعف ثمنها عنه اليوم.

أعطاه السَّائس ثلاث قطع ذهبيَّة والباقي فضةً. عضَّ دنك على واحدةٍ من العُمَلات الذهبيَّة ثم ابتسم؛ إنه لم يذُق الذهب من قبل قطُّ، ولا تعاملَ به. يُسمِّي النَّاس هذه العُمَلات «تنانين»، بما أنَّ أحد وجهيها مدموغٌ بتنين عائلة تارجارين ثلاثي الرُّؤوس، فيما يحمل الوجه الآخر صورة الملك. على اثنتين من العُمَلات التي أعطاهَا له هنلي وجه الملك ديرُون، أمَّا الثالثة فأقدم، وبالية، وعليها رجلٌ مختلف اسمه مكتوب تحت رأسه، غير أنَّ دنك لم يستطع قراءة الحروف. رأى أيضًا أنَّ شيئًا من الذهب

مبرود عند الحافات، فلفتَ نظر هنلي إلى هذا، وبصوت عالٍ.
زمجرَ السَّائِس، لكنه ناوَلَه بضِعْ قطع فضِيَّة أخرى، وأضافَ ملء
قبضةٍ من العُمَلات النُّحاس، لِيُعِيدَ إليه دنك بعضًا من هذه
ويُشير برأسه إلى سويتفت قائلاً: «من أجلها. احرص أن تأكل
شوفانا اللَّيلة. أجل، وتُفاحَةٌ أيضًا».

معلِّقًا الثُّرس على ذراعه ومدليًا جوال الدِّرع القديمة من فوق
كتفه، بدأ دنك يقطع شوارع بلدة (آشفرد) المشمسة سيرًا. بثَّ
فيه ثقل هذه العُمَلات كُلِّها في جرابه إحساسًا عجيبًا، أقرب من
ناحيةٍ إلى توهانٍ مثير ومن أخرى إلى التَّوتر. العجوز لم يأتَمِنه
قَطُّ على أكثر من عُملةٍ أو اثنتين في المرَّة، والآن باستطاعته أن
يعيش بهذا المبلغ الكبير عامًا. وماذا أفعلُ حينما ينفد؟ أبيعُ
ثندر؟ ذلك الطَّرِيق ينتهي بالشَّحاذة أو الإِجرام. هذه الفُرصة لن
تتكرَّر أبدًا. لا بُدَّ أن أخاطر بكلِّ شيء.

وقت أن عبرَ المخاضة إلى ضَفَّة (مجرى الصَّدَف) الجنوبيَّة،
كان الصُّباح في أواخره وأرض المباريات دبَّت فيها الحياة من
جديد؛ يعمل باعة الخمر وطبَّاخو السُّجق بنشاطٍ في تجارتهم،
ويجرُّ دُبُّ راقص قدميه على أنغام صاحبه فيما يُغني مغنٍ
«الدُّب، الدُّب، والفتاة الحسنة»، ويحوي الحُواة، فيما يضع
محركو الدُّمى أوزار قتالٍ آخر.

توقَّف دنك لِيُشاهد التَّينَ الخشبيَّ يُقتَل. عندما قطعَ الفارس
الدُّمية رأسه وانسكبت نُشارة الخشب الحمراء على العُشب،
أطلقَ دنك ضحكةً عاليةً وألقى إلى الفتاة بقطعَتين نُحاسيَّتين
منادياً: «إحدهما لأجل ليلة أمس»، فالتقطت العُمَلتين في

الهواء وألقت إليه بابتسامةٍ من أعذب ما رأى.

- ألي تبتسم أم للنقود؟ لم يُعاشِرْ دنك فتاةً قطُّ، والفتيات يُثرن اضطرابه. في مرّةٍ قبل ثلاث سنوات، وقد امتلأ كيس نقود العجوز بعد نصف عام في خدمة اللورد فلورنت الكفيف، قال لدنك إنَّ الوقت حانَ ليأخذه إلى ماخور ويجعل منه رجلاً. على أنَّ العجوز قال ذلك وهو سكران، ولمّا أفاق لم يتذكر، وحالٌ خجل دنك البالغ دون أن يُذكره. ليس متأكّداً أنه يُريد عاهرةً على كلّ حال. ما دام لا يُمكنه أن يحظى بعذراء ذات حسب ونسب كفارس حقيقي، فعلى الأقل يُريد واحدةً يُعجبها ما هو أكثر من فضّته.

فيما اغترفت فتاة الدُمى نُشارة الدّم داخل تيّنها، قال لها: «هل تشربين قرناً من المزرق؟ أعني معي؟ أو سُجّقة؟ أكلتُ واحدةً البارحة، كانت طيّبةً. يصنعونه من لحم الخنزير على ما أظنُّ».

ردّت الفتاة: «أشكرك يا سيدي، لكن عندنا عرضاً آخر»، ثم نهضت وجرت إلى المرأة الدورنيّة البدينة الشّرسة التي تتحكم في الفارس الدُمى، فيما وقف هو في مكانه شاعرًا بالحماقة، وإن طابّت له طريقة جريها. فتاةٌ جميلة، وطويلة. ليس عليّ أن أركع لأقبلها. يعرف دنك كيف يُقبل. قبل عام في (لانسپورت) أرته عاملة حانة ذات ليلة، لكنها كانت قصيرةً إلى درجة أنها جلست على المائدة لتبلغ شفّته. ألّهبت الذّكري أذنيه. يا له من أحرق كبير. النّزال ما عليه أن يُفكر فيه لا القبل.

كان نجارو اللورد آشفرد يستخدمون الجير لطلاء الحواجز الخشبية التي ستفصل بين المتناقصين مرتفعة حتى الخصر، وشاهدتهم ذلك يعملون فترة. خمس مسارات مصفوفة من الشمال إلى الجنوب لكيلا يركب أحد المتنافسين والشمس في عينيه، وقد نصبت مدرجات من ثلاثة صفوف على جانب المضمار الشرقي، وزودت بظلة برتقالية لوقاية اللوردات والليديوهات من المطر والشمس. سيجلس معظم المتفرجين على ذلك، ولكن في منتصف المدرجات أربعة مقاعد عالية الظهر منصوبة من أجل اللورد آشفرد والعذراء الجميلة والأمراء الزائرين.

عند تخم المرج الغربي أقيم طاووس راحت دسنة من الفرسان تتدرب عليه؛ يضرب كل منهم الذراع القائمة لتدور حول محورها كلما أصاب الثرس المتشطي المثبت إلى طرفها. شاهد ذلك غاشم براكن يأخذ دوره، ثم اللورد كارون سيد (التخوم)، وبقلي فكري: لا أجيد الركوب كما يجيده أي منهم. في أماكن أخرى يتدرب الرجال على أقدامهم، يكر بعضهم على بعض بسيف خشبي،





فيما يقف مُرافقوهم هاتفين بإرشاداتٍ بذيئة. شاهدَ دنك شاباً
 قصيراً عريضاً يُحاول صدَّ فارسٍ قوي العضلات يبدو رشيقيّاً
 سريعاً كقطِّ جبلي، وقد رُسِمَت على كلِّ من تُرسيهما تَفَاحَةُ آلِ
 فُوسُوَاي الحمراء، ولكن سرعان ما حُطِمَ تُرس الرّجل الأصغر

وصارَ شظايا. «ها هي ذي تُفَاحَة لم تَنْضُجْ بعدُ». قالها الأكبر إذ هوى بضربة على خوذَة الآخر، ولمَّا استسلمَ ولد فوسوِواي الأصغر أخيرًا كان مكدومًا داميًا، أمَّا خصمه فبالكاد اضطربت أنفاسه. رفعَ الأكبر مقدِّمة خوذته ونظرَ حوله، وإذ رأى دنك خاطبه: «أنت هناك. نعم، أنت، الكبير. فارس الكأس المجنَّحة. أهذا الذي تحمله سيفٌ طويل؟».

قال دنك بنبرةٍ دفاعيَّة: «ملكيتَه تحقُّ لي. أنا السير دنكن الطويل».

- «وأنا السير ستفون فوسوِواي. أتودُّ أن تُجربني أيُّها السير دنكن الطويل؟ سيروقني أن أجدَ أحدًا جديدًا أقارعه. ابن عموتي لم يَنْضُجْ بعدُ كما رأيت».

حَثَّه ولد فوسوِواي المهزوم وهو يخلع خوذته: «افعلها أيُّها السير دنكن. ربَّما لم أنضج، لكن ابن عموتي الكريم متعَفِّن حتى اللَّب. اضربه حتى تُفرِّغه من البذور».

هزَّ دنك رأسه. لماذا يُورِّطه هذان اللوردان الصَّغيران في عراكهما؟ لا يُريد أن يكون طرفًا فيه. «أشكرك أيُّها السير، لكن عندي مشاغل عليَّ أن أتولَّاها». يُزِعِّجه أن يحملَ هذا المبلغ الكبير، وكلُّما عَجَّلَ بنقد بيت الفولاذي ماله وحصلَ على درعه صارَ أسعد.

رمقه السير ستفون بسخرية، وقال: «الفارس الجوّال عنده مشاغل»، ثم نظرَ حوله حتى وجدَ خصمًا جديدًا آخر يتسكع على مقربة، فناداه: «سير جرانس، لقاء سعيد. تعالَ وجربني. إنني أعرفُ كلَّ حيلةٍ واهنة أتقنها رايمن ابن عموتي، ويبدو

أَنَّ عَلَى السَّيْرِ دَنْكُنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى التَّجْوَالِ بَيْنَ الْأَسْوَجَةِ. هَلَمْ، هَلَمْ».

ابتعدَ دَنْكُ بِخُطَوَاتٍ مَتِيَّسَةٍ وَوَجْهٍ مُحْتَقِنٍ. عَنْ نَفْسِهِ، لَا يَعْرِفُ حِيلًا كَثِيرَةً - وَاهِنَةً أَوْ غَيْرَهَا - وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ يُقَاتِلُ قَبْلَ بَدْءِ الدَّوْرَةِ. دَائِمًا قَالَ الْعَجُوزُ إِنَّهُ كُلَّمَا زِدْتَ مَعْرِفَةً بِخَصْمِكَ بَاتَ تَفَوُّقُكَ عَلَيْهِ أَسْهَلَ. الْفُرْسَانُ مِنْ أَمْثَالِ السَّيْرِ سَتَفُونَ يَتَمَتَّعُونَ بِأَعْيُنٍ ثَابِتَةٍ يَرْصُدُونَ بِهَا نَقْطَةَ ضَعْفِ الْمَرْءِ بِمَجَرَّدِ النَّظَرِ. دَنْكُ قَوِيٌّ وَسَرِيعٌ، وَوِزْنُهُ وَنَظَاقُهُ يَصْبِيَانِ فِي صَالِحِهِ، لَكِنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ وَلَوْ لِحِظَةً أَنَّ مَهَارَاتِهِ تُكَافِي هَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ. لَقَدْ عَلَّمَهُ السَّيْرَ آرْلَانُ قَدَرِ مَا أَمَكْنَهُ، إِلَّا أَنَّ الْعَجُوزَ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ الْفُرْسَانِ، حَتَّى فِي شَبَابِهِ. الْفُرْسَانُ الْعِظَامُ لَا يَقْضُونَ حَيَاتَهُمْ فِي التَّجْوَالِ وَلَا يَمُوتُونَ عَلَى جَانِبِ طَرِيقٍ مُوَحِلٍ. تَعَهَّدَ دَنْكُ لِنَفْسِهِ: لَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ لِي. سَأُرِيهِمْ أَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ فَارِسٍ جَوَّالٍ.

- «سَيِّرْ دَنْكُنْ». هَرَعَ وَلَدُ فَوْسُووَاي الْأَصْغَرَ لِيَلْحَقَ بِهِ. «لَمْ يَجْدُرْ بِي أَنْ أَحْثُكَ عَلَى مُوَاجَهَةِ ابْنِ عُمُومَتِي. كُنْتُ غَاضِبًا مِنْ غَطْرَسَتِهِ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ جَدًّا، فَخَطَرَ لِي... عَلَى كُلِّ حَالٍ، لَقَدْ أَخْطَأْتُ. إِنَّكَ لَا تَرْتَدِي دَرْعًا، وَلَكَسَرَ لَكَ يَدًا لَوْ أَرَادَ، أَوْ رُكْبَةً. إِنَّهُ يَحِبُّ كَيْلَ الضَّرْبَاتِ لِلرِّجَالِ فِي سَاحَةِ التَّدْرِيبِ لِيُصَيِّرَهُمْ مَرْضُوضِينَ خَائِرِي الْقُوَى لِأَحَقًّا، تَحَسُّبًا لِلْقَائِمِ فِي الْمَضْمَارِ».

- «إِنَّهُ لَمْ يَكْسِرْكَ».

- «نَعَمْ، لَكِنِّي مِنْ دَمِهِ، وَلَوْ أَنَّ فَرْعَهُ مِنْ شَجَرَةِ التُّفَاحِ أَعْلَى، وَهُوَ مَا لَا يَكْفُ عَنْ تَذْكِيرِي بِهِ أَبَدًا. أَنَا رَايِمِنْ فَوْسُووَاي».

- «لِقَاءٌ سَعِيدٌ. هَلْ سَتَرْكَبُ أَنْتَ وَابْنُ عُمُومَتِكَ خِلَالَ

- «هو سيفعل بالتأكيد، أمّا أنا فليتنى أقدر. إنني مجرد مُرافق حتى الآن. ابن عمومتي وعدّ بتقليدي الفروسيّة، لكنه مصرّ أنني لم أنضج بعد». لرايمن وجهٌ مرّيع وأنفٌ أفطس وشعرٌ قصير ملبّد كالصُّوف، لكن ابتسامته جذابة. «يبدو لي أنّ لك مظهر مُبار. تُرس من تنوي أن تضرب؟».

أجاب دنك: «لا فرق». هذا هو المفروض أن يُقال، ولو أنّ الفرق في الحقيقة شاسع. «لن أدخل المضمار حتى اليوم الثالث».

قال رايمن: «وحينئذ سيكون بعض الأبطال قد سقط. حسن، عسى أن يتسم لك المُحارب أيُّها السير».

- «ولك». لو أنه مجرد مُرافق فأنتي لي أن أكون فارساً؟ أحذنا أحمق. مع كلّ خطوة أخذها رنّت الفضة في كيس نقوده، وإن أدرك أنه قد يخسرها كلّها في غمضة عين. حتى قواعد هذه الدَّوْرَة ليست في صالحه، إذ تجعل مواجهته خصماً أخضر أو ضعيفاً مستبعدةً للغاية.

الأشكال التي يُمكن أن تتخذها دورة مبارياتٍ عديدة، وتتوقّف على هوى اللورد الذي يستضيفها. بعضها معارك صوريّة بين فرق من الفُرسان، وأخرى التحامات جماعيّة جامحة يظفر فيها بالشرف آخر مُقاتل واقف على قدميه، وحيث يُعمل بقاعدة النزال الفردي تُقرّر المزاوجات بالاقتراع أحياناً، وأحياناً يُقرّرها قيّم المباريات.

يُقيم اللورد آشفرد هذه الدَّورة احتفالاً بيوم ميلاد ابنته الثَّالث عشر. ستجلس العذراء الجميلة إلى جانب أبيها بصفتها ملكة الحُبِّ والجمال الحاكمة، وسيُدافع عنها خمسة أنصار يضعون عطيتَّها على أذُرُعهم، وبمقتضى هذا يجب أن يكون الآخرون كلُّهم متحدِّين، لكن إذا غلبَ أيُّ رجل أحد الأنصار فسيأخذ مكانه ويُصبح هو نفسه نصيرًا، إلى أن يتمكَّن متحدِّ آخر من إسقاطه عن حصانه. في نهاية ثلاثة أيَّام من المُثاقفة سيُقرَّر الخمسة المتبقُّون هل تحتفظ العذراء الجميلة بتاج الحُبِّ والجمال أم تعتمره واحدةٌ أخرى بدلاً منها.

حدِّقْ ذلك إلى المضمار العُشبي والمقاعد الخالية فوق مدرَّجات المشاهدة، وتفكر في فُرصه. نصرٌّ واحدٌ هو كلُّ ما يلزمه، وبعدها بإمكانه أن يُسمِّي نفسه واحدًا من أبطال (مرج آشفرد) ولو لساعة واحدة. العجوز عاش قُرابة السَّتين عامًا ولم يُصبح بطلاً قط. ليس أملًا أكبر من أن يتحقَّق، إذا شاءَت الآلهة. استعاذَ في ذاكرته الأغاني التي سمَّعها، أغانيَّ عن سيميون ذي العينين النُّجمتين، والنَّييل سرون صاحب الثُّرس المرأة، والأمير إيْمون الفارس الثَّنين، والسير ريام ردواين، وفلورين المهرَج. كلُّهم انتصرَ على خصوم أفظع بكثير من أيِّ ممَّن سيواجه. لكنهم كانوا أبطالًا عظامًا، رجالًا شُجعانًا نبيليًّا المولد، باستثناء فلورين. وماذا أكونُ أنا؟ ذلك ابن (سَفح البراغيث) أم السير دنكن الطَّويل؟

قدَّر أنه سيتبيَّن الحقيقة عمَّا قريب، ورفع جوال الدِّرع ووجَّه قدميه ناحية أكشاك التُّجار سعيًا إلى بيت الفولاذي.

عملَ إِجَ باجتهادٍ في موقعِ المخيمِّ، وهو ما سرَّ دنك الذي خشيَ إلى حدٍّ ما أن يَهْرُبَ مُرافقه ثانيةً. سأله الغُلامُ: «هل حصلت على ثمنٍ وافٍ لقاء رهوانتك؟».

- «كيف عرفت أنني بعتهَا؟».

- «ذهبتَ ركبواً ورجعتَ مشياً، ولو سرقها لصوِّصَ لكنت أشدَّ غضباً».

قال دنك: «حصلتُ على ما يكفي لأشتري هذه»، وأخرجَ درعه الجديدة ليُري الغُلامَ. «إذا كنت ستُصبح فارساً يوماً فعليك أن تُميِّزَ الفولاذَ الجيِّدَ من الرَّدِيءِ. انظر هنا، إنه عملٌ متقن. هذه الحلقات مزدوجة السِّلْسِلَة، كل حلقةٍ مربوطة باثنتين أخريَّين، أترى؟ تُزوِّدك بحماية أفضل من السِّلْسِلِ المِفْرَدَة. والخوذة، يَيت دَوَّرَ قَمَّتْهَا. أترى كيف تتحدَّب؟ السيفُ أو الفأسُ ينزلقان عليها، في حين أنهما يخترقان الخُوذَ مسطحة القمَّة». ثم أنزلَ دنك الخوذة العظيمة على رأسه سائلاً: «كيف تبدو؟». علَّقَ إِجَ: «لا تُوجَدُ مقدِّمة».

- «بها فتحات تهوية. مقدِّمات الخُوذ نقاط ضعف». هكذا قال يَيت الفولاذي، وأخبرَ دنك: «لو علمت كم فارساً انغرَزَ في عينه سهمٌ حين رفعَ مقدِّمة خوذته لأجل عبَّةٍ من الهواء البارد لما أردت واحدة أبداً».

قال إِجَ: «لا تُوجَدُ ريشةٌ كذلك. إنها بلا أيِّ زينة».

رفعَ دنك الخوذة قائلاً: «لا بأس بغياب الزَّينة عند أمثالي. أترى كيف يلعب الفولاذُ؟ مهمَّتكَ أن تُحافظَ عليه. هل تعرف



كيف تجلو المعدن؟».

قال الغلام: «في برميل من الرَّمْل، لكنك لا تملك برميلاً. هل اشتريت سُرَادقاً أيضاً أيُّها السَّير؟».

- «لم أحصل على ثمنٍ وافٍ إلى تلك الدَّرَجَةِ». جرأة الغلام هذه كفيلة بإيقاعه في متاعب. جديرٌ بي أن أضربه حتى ينبذها. لكنه علِمَ أنه لن يفعل. تُعْجِبُهُ هذه الجرأة، ويلزمه أن يكون أجراً عن نفسه. مُرافقي أشجع مني، وأذكى. أخبره دنك: «أبليت بلاءً حسناً هنا يا إج. غداً ستأتي معي. ألقِ نظرةً على أرض المباريات. سنبتاع شوفاناً للحصانين وخَبِزاً طازجاً لنا، وربما قليلاً من الجُبنة أيضاً. يبيعون جُبنةً طَيِّبةً في أحد الأكشاك».

- «لن أضطرَّ إلى دخول القلعة، أليس كذلك؟».

- «ولِمَ لا؟ يومًا ما أنوي أن أعيش في قلعة. آملُ أن أظفر بموضع أعلى الملح قبل خاتمتي».

لم يردَّ الغلام، ففكَّر دنك: لعلَّه يخاف دخول قاعة لورد. ليس ذلك أكثر من المتوقع. سيتخلَّص من خوفه هذا مع الوقت، ثم عادَ يتطلَّع إلى درعه معجبًا ويتساءل كم من الزَّمن سيرتديها.

السير مانفرد رجلٌ نحيل، على وجهه نظرةٌ شكِسة، ويرتدي معطفًا أسود مشرَّطًا ببرق عائلة دُنديون الأرجواني، لكن دنك كان سيذكره على كلِّ حال من شعره الذهبي الأحمر الشَّعث. قال دنك وهو راكعٌ على رُكبةٍ واحدة: «السير آرلان خدَم السيِّد والدك عندما دحرَ هو واللورد كارُون الملك النَّسر من (الجبَّال الحمراء) بالنَّار. كنْتُ غلامًا لا أكثر آنذاك، لكنني عملتُ عنده مرافقًا، السير آرلان ابن (شجرة البنسات)».

عبسَ السير مانفرد، وردَّ: «لا، لا أعرفه، ولا أعرفك يا ولد».

أراه دنك تُرس العجوز قائلًا: «هذا رمزه، الكأس المجنَّحة».

- «السيِّد والدي دخلَ الجبَّال بثمانمئة فارس ونحو أربعة آلاف من المُشاة. لا يُمكن أن يتوقَّع مني أحدٌ أن أذكرهم واحدًا واحدًا، أو أذكر التَّراس التي حملوها. ربَّما كنتما معنا،

٦- أعلى الملح وأسفله: في العصور الوُسطى في أوربا عُدَّ الملح تابلاً نفيسًا، وعادةً وُضِعَ في منتصف المائدة، وعليه فَمَن يجلسون أعلى الملح - أي في اتِّجاه رأس المائدة - أرفع مقامًا ممَّن يجلسون أسفله. (المُترجم).

ولكن...»، وهزَّ السيرَ مانفردَ كتفيه.

أصابَ الخرسُ دنكَ وهلةً. العجوزُ جُرَّحَ في خدمةِ أبيك. كيف نسيته؟ «لنَ يسمحوا لي بخوضِ المبارياتِ ما لم يكفلني فارسٌ أو لورد».

قال السيرُ مانفرد: «وفيمَ يعينني ذلك؟ لقد منحتك ما يكفي من وقتي أيُّها السير».

إذا عادَ إلى القلعة من غير السيرِ مانفرد فهو ضائع. رمقَ دنكَ البرقُ الأرجوانيَّ المطرَّزَ على صوفِ معطفِ الرَّجلِ الأسود، وقال: «أذكرُ حينَ حكى والدك للمعسكرِ قصَّةَ حصولِ عائلتكِ على رمزها. ذاتَ ليلةٍ عاصفة، فيما حملَ سلفكم الأوَّلَ رسالةً عبرِ (التَّخومِ الدُّورنيَّةِ)، أُردي سَهْمَ حصانه من تحته وطرحه أرضاً، وخرجَ رجلانِ دُورنيَّانِ من الظَّلامِ مرتديَّينِ الحلقاتِ المعدنيَّةِ ومعتَمريَّينِ خوذتيَّينِ مريَّشتيَّينِ. عندما سقطَ انكسرَ سيفه تحته، ولمَّا رأى المشهدَ حسبَ أنه هالك، ولكنَ بينما دنا الدُورنيَّانِ ليفتكا به، طفَّقَ البرقُ من السَّماء. كانَ برقاً أرجوانيًّا ساطعاً، وانشقَّ ليصعقَ الدُورنيَّيْنِ في فولاذهما ويقتلُهما حيثُ وقفا. الرِّسالةُ أعطتْ ملكَ العواصفِ النُّصرَ على الدُورنيَّيْنِ، وإعراباً عن شُكره رفعَ الرِّسولُ إلى اللُّورديَّةِ. كانَ أوَّلُ لُورد دُنْداريُون، فاتَّخذَ رمزاً له صاعقةَ برقيٍّ متشعِّبةً على خلفيَّةِ سوداءٍ منشورةٍ فيها النُّجوم».

إن خالَ دنكَ أنَّ الحكايةَ ستؤثِّرُ في السيرِ مانفرد فقد أخطأ تماماً، إذ قال الرَّجلُ: «كلُّ ساقٍ في حانةٍ وسائسٍ في إسْطبلٍ خدَمَ والدي يسمعُ تلكَ القِصَّةَ عاجلاً أو آجلاً. معرَّفَتك بها لا

تجعلك فارسًا. ارحل أيُّها السير».

بقلبٍ مثقلٍ عادَ دنك إلى (قلعة آشفرد) متسائلًا ماذا يقول ليمنحه ولمرَّ حقَّ خوض المباريات. على أنه لم يجد الوكيل في غرفة بُريجه، وأخبرَ حارسَ دنك أنه قد يجده في القاعة الكبرى، فسأله: «هل أنتظرُ هنا؟ كم سيغيب؟».

- «وما أدراني؟ افعل ما تُريد».

القاعة الكبرى ليست كُبرى حقًا مقارنةً بغيرها، لكن (آشفرد) قلعة صغيرة. دخلَ دنك من بابٍ جانبي ولمحَ الوكيل في الحال، واقفًا مع اللورد آشفرد ودسته رجال آخريّن عند رأس القاعة، فتقدّم إليهم أسفل جدارٍ معلقةٍ عليه طنافس من الصُوف تُصوّر فواكه وأزهارًا.

- «... مزيدًا من الاهتمام لو أنهما ابناك أنت، أراهن». كان رجلٌ غاضب يقولها فيما أقبلَ دنك، لون شعره المفروود ولحيته المربّعة باهتٌ إلى درجة أنه بدا أبيض في عتمة القاعة، ولكن إذ اقتربَ دنك رأى أن اللون في الحقيقة فضيٌّ شاحب به مسحةٌ من الذهبي.

ردَّ آخر: «سبق أن فعلَ ديرون هذا». حجبت وقفة ولمر المتكلّم عن بصر دنك. «لم يجب قط أن تأمره بخوض المباريات. إن مكانه ليس مضمّرًا مثاقفة أكثر من إيرس أو ريجل».

قال الرّجل الأوّل: «وهو ما تعني به أنه يُؤثر ركوب العاهرات على الخيول». الأمير - مؤكّد أنه أمير - غليظ البنيان قويّ،

يرتدي قميصًا جلدًا مزروودًا تُغْطِيهِ رصائع فضيَّة تحت معطفٍ
ثقيل موشى بفرو القاقوم، وتسم وجنتيه ندوب الجُدري التي
تُخفيها جزئيًّا لحيته المائلة إلى الفضي. «لا يلزماني أن أذكر
بإخفاقات ابني يا أخي. إنَّ عنده ثمانية عشر عامًا لا أكثر. يُمكنه
أن يتغيَّر، بل سيتغيَّر حتمًا واللَّعنة على الآلهة، وإلا فأقسمُ أن
يموت لا محالة».

- «لا تكن أحمق خالصًا. إنها طبيعة دِيرُون، لكنه ما زال دمك
ودمي. لا شكَّ لديَّ أن السير رُولند سيَعثرُ عليه، ومعه إيجُون».

- «بعد أن تنتهي الدَّورة ربَّما».

- «إيريُون هنا. إنه أبرع بالرَّمح من دِيرُون على كلِّ حال، لو أنَّ
الدَّورة ما يَهْمُك». الآن يرى دنك المتكلِّم الجالس على المقعد
العالي، في يده رزمةٌ من الرُّقوق وعند كتفه يحوم اللُّورد آشفرد.
حتى وهو جالسٌ يبدو أطول مقدار رأس من الآخر، حسبما قدَّر
دنك من السَّاقين الطَّويلتين المستقيمتين الممدودتين أمامه.
شعره القصير المشدَّب داكَنٌ ومرقُط بالرمَّادي، وفكه القويُّ
حليق، ويبدو أنفه كأنَّما كُسِرَ أكثر من مرَّة، ومع أنَّ ملبسه في
غاية البساطة - دبليَّة خضراء وشملة بيَّنة وحذاء متآكل - فإنَّ
للرَّجل ثقلًا، سمَّا من السُّلطة واليقين.

خطرَ لدنك أنه دخلَ على شيءٍ لم يجب أن يسمعه إطلاقًا. قرَّرَ
محدِّثًا نفسه: الأفضل أن أذهب وأرجع لاحقًا عندما يفرَّغون،
لكنَّ الأوان فات، ففجأةً لحظه الأمير ذو اللِّحية المائلة إلى
الفضي، وبخشونةٍ سأله: «مَن أنت وما غرضك من اقتحامك
المكان علينا؟».

- «إنه الفارس الذي ينتظره وكيلنا الكريم». قالها الجالس مبتسمًا لدنك بطريقةٍ أوحّت أنه يعي وجوده من البداية. «أنا وأنت الدّخيلان هنا يا أخي. اقترب أيّها السير».

تقدّم دنك ببطء حائرًا في ما هو متوقّع منه. نظرَ إلى پلمر، لكنه لم ينل منه عونًا، فالوكيل ذو الوجه الممصّوص الذي كان شديد البأس أمس يقف الآن صامتًا يتفحص أحجار الأرضيّة. قال دنك: «أيّها السّادة، لقد سألت السير مانفرد دُنديون أن يكفلني كي أدخل مضمار النّزال، لكنه يأبى. يقول إنه لا يعرفني. لكن السير آرلان خدمه، أقسم لكم. إنّ معي سيفه وثرسه، وأنا...».

أعلن اللورد آشفرد، وهو رجلٌ كبير أصلع بوجهٍ أحمر مستدير: «الترس والسّيف لا يصنعان فارسًا. پلمر حدّثني عنك. حتى إن سلّمنا بأنهما كانا ملك السير آرلان ابن (شجرة البنسات)، فواردٌ جدًّا أنك وجدته ميتًا وسرقتهما. لو أنك لا تملك دليلًا أفضل على ما تقوله، شيء مكتوب أو...».

- «إنني أذكرُ السير آرلان ابن (شجرة البنسات)». قالها بهدوء الرّجل الجالس على المقعد العالي. «لم يَفْزَ قَطُ بدورة مبارياتٍ على حدّ علمي، لكنه لم يُخزِ نفسه قَطُ. في (كينجز لاندنج) قبل ستّة عشر عامًا غلبَ اللورد ستوكوثرث ونغل (هارنهال) في الالتحام الجماعي، وقبل ذلك بأعوام عدّة في (لانسپورت) أسقطَ الأسد الأشيب نفسه عن حصانه. آنذاك لم يكن الأسد أشيب كما هو الآن بطبيعة الحال».

قال دنك: «لقد حكى لي عن ذلك مرارًا».

تفرّس فيه الرّجل الطّويل، وقال: «ستتذكّر إذا اسم الأسد

الأشيب الحقيقي لا ريب».

للحظة فرغ عقل دنك تمامًا. ألف مرةً حكى العجوز تلك الحكاية، ألف مرةً، الأسد، الأسد، اسمه، اسمه، اسمه... وهو على وشك أن ييأس خطر الجواب على باله فجأةً، فصاح: «السير ديمن لانستر! الأسد الأشيب! إنه سيّد (كاسترلي زك) الآن».

قال الطويل ببشاشة: «إني نعم، وسيَدْخُل المضمار غدًا»، وهزّ رزمة الأوراق في يده.

سأله الأمير ذو اللحية الفضيّة مقطّبًا جبينه: «كيف تذكّر فارسًا جوّالًا تافهًا تصادف أنه أسقط ديمن لانستر عن حصانه قبل ستة عشر عامًا؟».

- «إنني أحرص على عادة تعلّم كلّ ما أستطيع عن خصومي».

- «ولم تتنازل وتثاقف فارسًا جوّالًا؟».

- «حدث ذلك قبل تسعة أعوام في (ستورمز إند). اللورد باراثيون استضاف مباريات قتاليّة احتفالًا بمولد حفيده. الاقتراع وضع السير آرلان في مواجهتي في التّزال الأوّل. كسرنا أربعة رماح قبل أن أسقطه أخيرًا».

بإصرارٍ قال دنك: «بل سبعة، وكان ذلك ضد أمير (دراجنستون)!»، وما إن خرجت الكلمات من فمه حتى أراد استعادتها، وسمع العجوز يؤبّخه: دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة.

بابتسامة لطيفة قال الأمير ذو الأنف المكسور: «صحيح.

الحكايات تنمو في الحكي، أعرف. لا تُسئ الظنَّ بسيدك القديم، لكنها أربعة رماح فقط للأسف».

شعرَ دنك بالامتنان لعتمة القاعة عالمًا أنَّ أذنيه احمرَّتَا. «سَيِّدي». لا، هذا أيضًا خطأ. «سمو الأمير». خرَّ على رُكبتيه وطأطأ رأسه قائلاً: «كما تقول، أربعة. لا أقصدُ... إنني لم... العجوز، السير آرلان اعتادَ أن يقول إنني غليظ العقل كسور قلعةٍ وبليد كشورٍ برِّي».

علَّق بيلور كاسِر الحراب: «وقويَّ كشورٍ برِّي أيضًا كما يدلُّ مظهرك. لم يقع ضررٌ أيُّها السير. انهض».

قامَ دنك متسائلًا هل عليه أن يظلَّ مطأطأ رأسه أم إنه مسموحٌ له بالنَّظر إلى أميرٍ في وجهه. إنني أَكَلِمُ بيلور تارجارين، أمير (دراجستون)، يد الملك، والوريث الظاهر لعرش إيجون الفاتح الحديدي. ما الذي قد يجرؤ فارسٌ جَوَّال على قوله لشخص كهذا؟ قال دنك متلعثمًا: «للفد أعدت إليه حصانه ودرعَه ولم تأخذ فديةً، أذكرُ هذا. العجـ... السير آرلان قال لي إنك روح الفروسيَّة مجسَّدة، ويومًا ما ستأمن (الممالك السَّبع) بين يديك».

ردَّ الأمير بيلور: «أدعو أَلَّا يَحْدُث ذلك قبل سنواتٍ كُثَار».

مذعورًا قال دنك: «لا»، وكاد يقول: لا أعني أن يموت الملك، لكنه منع نفسه في الوقت المناسب. «آسفٌ يا سيدي. أقصدُ يا سمو الأمير».

متأخِّرًا تذكَّر أنَّ القصير العريض صاحب اللِّحية الفضيَّة دعا

الأمير بيلور بأخيه. هو أيضاً من دم التتّين. يا لِيَّ من أحمق. لا يُمكن أن يكون هذا غير الأمير ميكار، أصغر أبناء الملك ديرُون الأربعة. الأمير إيرس مولعٌ بالكتب، والأمير ريجل مجنونٌ وخانع وسقيم، ولا يُرجَّح أن يقطع أيُّهما نصف البلاد ليحضر دورة مباريات، أمّا ميكار فيقال إنه مُحارب مهيب في حدِّ ذاته، ولو أنه قابِعٌ دومًا في ظلِّ أخيه الأكبر.

قال الأمير بيلور: «ترغب في دخول المضمار، أليس كذلك؟ ذلك القرار من اختصاص قِيَم المباريات، لكنني لا أرى سببًا لرفضك».

حنى الوكيل رأسه قائلاً: «كما تقول يا سيّدي».

حاولَ دنك أن يتلعثم بشكرانه، إلّا أنَّ الأمير ميكار قاطعه: «ليكن أيُّها السير، أنت ممتنٌّ، والآن ارحل».

قال الأمير بيلور: «عليك أن تُسامح أخي النبيل أيُّها السير. لقد ضلَّ اثنان من أبنائه الطريق إلى هنا، ويخشى عليهما».

قال دنك: «أمطار الربيع أطفحت كثيرًا من المجاري المائية. ربّما تعطلَّ الأميران فحسب».

أعلنَ الأمير ميكار لأخيه: «لم أحضر هنا لأستشير فارسًا جَوًّا».

- «يُمكنك الانصراف أيُّها السير». قالها الأمير بيلور لدنك، وليس دونما لُطف.

قال دنك: «نعم يا سيّدي»، وانحنى ودارَ.

ولكن قبل أن يخرج ناداه الأمير: «أيها السير، شيء آخر، أنت لست من دم السير آرلان؟».

- «بلى يا سيدي. أعني نعم، لست من دمه».

أشار الأمير برأسه إلى الترس المشقق الذي يحمله دنك والكأس المجنحة على وجهه، وقال: «بحكم القانون، يحق للابن الشرعي فقط أن يرث رمز فارس. عليك أن تجد شعاراً جديداً أيها السير، صورة تخصك».

قال دنك: «سأفعل. شكراً ثانيةً يا سمو الأمير. سأقاتل بشجاعة، سترى». بشجاعة كيلور كاسر الحراب، كما اعتاد العجوز أن يُردّد.



زاوَلْ باعة الخُمور وطَبَّاخو السُّجق تجارتهم بنشاط، وجالَتْ
 العاهرات دون حياءٍ بين الأكشاك والسُّرادقات، بعضهن على
 قدر كافٍ من الجمال، واحدة حمراء الشَّعر على وجه التَّحديد.
 لم يَسْتَطع دنك منع نفسه من الحملقة إلى نهديها، والطَّريقة
 التي تحرَّكا بها تحت فُستانها الفضفاض إذ مرَّت تتهادى. ففكر
 في الفُضَّة في صُرَّتِه. يُمكنني أن أنالها إذا وددتُ. سيروقها رنين
 نقودي كفاية، ويُمكنني أن آخذها إلى مخيَّمي وأحظى بها طوال
 اللَّيل إذا أردتُ. لم يُجامع دنك امرأة قط، وعلى حدِّ علمه قد
 يموت في مُثاقفته الأولى. إنَّ في المباريات خطورة... لكن في
 العاهرات خطورة أيضًا، وهو ما حدَّره منه العجوز. قد تسرقني
 وأنا نائم، وما العمل حينئذٍ؟ حين أَلَقْتُ إليه ذات الشَّعر الأحمر
 بنظرةٍ من فوق كتفها، هزَّ دنك رأسه وابتعدَ.

وجدَ إيج عند عرض العرائس، يجلس مرتبًا ساقيه على
 الأرض وقد سحبَ قلنسوة معطفه إلى آخرها ليُخَبِّي صلته.
 لقد خشي الغلام دخول القلعة، وعزا دنك هذا بالتساوي إلى
 الخجل والخزي. لا يحسب نفسه جديرًا بالاختلاط باللوردات
 والليديئات، ناهيه بالأمراء العظام. هكذا كان هو أيضًا في
 صِغره، لَمَّا بدا العالم خارج حدود (سَفح البراغيث) مخيفًا
 بقدر ما بدا مثيرًا. إيج محتاجٌ إلى وقت، هذا كل شيء. أمَّا حاليًا
 فيبدو الُطف أن يُعطي الصَّبي بضع قطع نُحاسية ويدعه يستمتع
 بوقته بين الأكشاك من أن يجرَّه معه إلى القلعة رغمًا عنه.

هذا الصَّبَّاح يُقَدِّم محرَّكو الدُّمى حكاية فلورين وچونكول.
 حرَّكت المرأة الدُّورِيَّة البدينة فلورين في درعه متنافرة الألوان،
 فيما أمسكت الفتاة الطويلة بخيوط چونكول قائلةً وهي تُحرِّك

فم الدُّمِيَّةُ إلى أعلى وأسفل: «لستَ فارسًا. إنني أعرفك. أنت فلورين المهرج».

أجابَت الدُّمِيَّةُ الأخرى راکعةً: «أنا كذلك يا سَيِّدَتِي. من أعظم المهرجين الذين عاشوا يومًا، ومن أعظم الفرسان أيضًا».

قالت چونكول: «مهرج وفارس في آن واحد؟ لم أسمع قطُ بشيء كهذا».

قال فلورين: «سَيِّدَتِي الحُلوة، الرِّجال جميعًا مهرجون والرِّجال جميعًا فرسان حينما يمتُّ الأمر بصلَّةٍ للنِّساء».

كان عرضًا جيِّدًا، حزينًا وعذبًا في آن واحد، في نهايته مبارزةٌ مفعمة بالحَيَوِيَّةِ وعِملَاقٌ حسن الطِّلاء. حين تمَّ العرض تحرَّكت البدينة بين المتفرجين لتجمع العُملَةَ فيما حرَّمت الفتاة الدُّمِيَّة.

أخذَ دنك إج وذَهَبَ إليها.

بنظرةٍ بذنب عيناها ونصف ابتسامةٍ قالت: «سَيِّدِي؟». الفتاة أقصر منه بمقدار رأس، ومع ذلك فإنها أطول فتاةٍ رآها على الإطلاق.

خاطبها إج بحماسة: «عرضٌ جيِّد. تُعجِبُنِي الطَّرِيقَةُ الَّتِي تُحرِّكُنيها بها، چونكول والتَّيْنِ والدُّمِيَّةُ الأخرى. شاهدتُ عرض عرائس العام الماضي، وكانت حركاتها متشجَّجةً جدًّا. تحريككِ أنتِ أسلس».

ردَّت على الغلام بتهذيب: «أشكرُك».

قال دنك: «مجسماتكِ منحوتةٌ بمهارةٍ أيضًا. التَّيْنِ خصوصًا.

وحشٌ مخيف. أتصنعينها بنفسكِ؟».

أومأت برأسها قائلةً: «خالي يتولَّى النَّحت. أنا أظليها».

قال: «أيمكنكِ أن تطلي لي شيئاً؟ معي مالٌ لأدفع لك»، وأنزلَ التُّرسَ عن كتفه وأراها إيَّاه. «أريدُ أن أرسم شيئاً فوق الكأس». نظرت الفتاة إلى التُّرس ثم إليه، وقالت: «ما الذي تُريد رسمه؟».

لم يُفكِّر دنك في ذلك. إن لم تكن كأس العجوز المجنَّحة فماذا؟ رأسه خاو تماماً. دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة. «لا... لستُ متأكِّداً». بيّوس أدرك أن أذنيه تحتقنان بالحمرة. «لا بُدَّ أنك تظنِّينني مهرجاً كبيراً».

ابتسمت قائلةً: «الرِّجال جميعاً مهرجون والرِّجال جميعاً فرسان».

سألها آملاً أن يُعطيه الجواب فكرةً: «ما لون الطِّلاء الذي لديك؟».

- «يُمكنني خلط طلاءات مختلفة لعمل أيِّ لونٍ تُريد».

لطالما بدا لون العجوز البني بائخاً لدنك. فجأةً قال: «لا بُدَّ أن تحمل الخلفيّة لون الغروب. العجوز أحبُّ الغروب. والرَّمز...».

قال إيج: «شجرة دردار، شجرة دردار كبيرة كالتي عند البركة، جذعها بني وفروعها خضراء».

قال دنك: «نعم. سيصلح هذا. شجرة دردار... ولكن أعلاها شهاب. أيمكنكِ أن ترسمي ذلك؟».

أومأت الفتاة برأسها إيجابًا، وقالت: «أعطني التُّرس. سأرسمه الليلة بلا إبطاء وأعيدُه إليك غدًا».

ناولها دنك إيَّاه قائلاً: «أدعى بالسير دنكن الطويل».

ردَّت: «أنا تانسل»، وضحكت مضيضة: «تانسل مديدة القامة كما اعتاد الصَّبية تسميتي».

اندفع دنك يقول: «لست مديدة القامة. إنكِ مناسبة تمامًا لـ...»، ثم أدرك ما أوْشك على قوله، وتورَّد وجهه بشدة.

حنَّت تانسل رأسها إلى الجانب وردَّدت بفضول: «لـ...؟».

أنهى عبارته بخيبة: «الدُّمى».





بزغ فجر اليوم الأول من المباريات مُشمساً صحواً. ابتاعَ دنك ملء جوالٍ من المأكولات لِيُفطِرَ هو وإِج بيض إوزٍ وخُبْزاً محمّراً ولحمًا مقدّداً، ولكن حين طَبَخَ الطَّعام وجدَ أنه فاقد الشهية. أحسَّ ببطنه ضلْبًا كصخرة رغم علمه أنه لن يركب اليوم، فحقَّ التَّباري الأول سيذهب إلى فُرسان أعلى نسبًا وأذيع صيتًا، إلى اللوردات وأبنائهم وأبطال دوراتٍ أخرى.

لم يكفَّ إِج عن الثَّرتة طوال إفطارهما، يتكلَّم عن هذا الرُّجل أو ذاك وكيف قد يُبلي. فكَّر دنك بأسفٍ ساخر: لم يُمازِحني حين قال إنه يعرف كل فارسٍ بارع في (الممالك السَّبع). أحسَّ بالضَّالة لاستماعه بكلِّ انتباهٍ لكلام غلام يتيم هزيل، ولكن لعلَّ معرفة إِج تنفعه إذا واجهَ أحد هؤلاء الرِّجال في مُثاقفة.

تحوَّل المرج إلى كُتلةٍ مخضخضة من النَّاس، يُحاولون جميعًا شقَّ طريقهم دفعًا لأجل مشاهدة أفضل. يُجيد دنك الدَّفْع كأَيٍّ منهم، كما أنه أكبر حجمًا من أكثرهم، وهكذا تلوَّى متقدِّمًا ليقوم أخيرًا على بُعد ستِّ يارداتٍ من السِّياج، ولمَّا اشتكى إِج أنه لا يرى إلَّا مؤخِّرات، رفعَ دنك الغلام وأجلَّسه على كتفيه.

عبر الحقل بدأت المدرجات تمتلئ بالأعيان من لوردات وليديئات وبعض أهل البلدة الأثرياء ونحو عشرين من الفُرسان الذين قرَّروا ألا يتسابقوا اليوم. لم يرَ دنك أثرًا للأمير ميكار، وإن تعرَّف على الأمير بيلور بجانب اللورد آشفرد، يُومض ضوء الشَّمس ذهبيًا على مشبك الكتف الذي يُثبَّت معطفه وعلى



التَّوَجُّعُ الرَّفِيعُ حَوْلَ فُودَيْهِ، لَكِنْ مَلْبَسُهُ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ أَبْسَطُ
كَثِيرًا مِنْ مَعْظَمِ اللُّورْدَاتِ الْآخَرِينَ. قَالَ دَنْكُ لِنَفْسِهِ: لَا يَبْدُو مِنْ
آلِ تَارْجَارِيْنَ فِي الْحَقِيقَةِ بِذَلِكَ الشَّعْرِ الدَّاكِنِ، وَذَكَرَ هَذَا لِإِج.
ذَكَرَهُ الْغُلَامُ: «يُقَالُ إِنَّهُ يُشَبِّهُ أُمَّهُ. كَانَتْ أَمِيرَةً دُورْنِيَّةً».

نَصَبَ الْأَنْصَارِ الْخَمْسَةَ سُرَادِقَاتِهِمْ عِنْدَ طَرَفِ الْمَضْمَارِ الشَّمَالِيِّ
وَأَضْعَيْنِ النَّهْرَ وَرَاءَهُمْ. أَصْغَرَ اثْنَيْنِ بَرْتَقَالِيَّانِ، وَعَلَى التُّرْسَيْنِ
الْمَعْلُقَيْنِ خَارِجَ بَابَيْهِمَا الشَّمْسُ وَالشِّفْرُونَةُ الْبِيضَاوَانِ. لَا بُدَّ أَنْ
هَذَيْنِ ابْنَا اللُّورْدِ أَشْفَرْدَ، آندَرُوْ وَرُؤِيرْتِ شَقِيقَا الْعِذْرَاءِ الْجَمِيلَةِ.
لَمْ يَسْمَعْ دَنْكُ قَطُّ فُرْسَانًا آخَرِينَ يَتَكَلَّمُونَ عَنْ بَأْسِهِمَا، أَيْ إِنَّهُمَا
عَلَى الْأَرْجَحِ أَوَّلَ الَّذِينَ سَيَسْقُطُونَ.

بِجَوَارِ السُّرَادِقَيْنِ الْبَرْتَقَالِيَّيْنِ يَرْتَفِعُ وَاحِدٌ مَصْبُوغٌ بِأَخْضَرِ يَانِعٍ،
وَأَكْبَرُ حَجْمًا بِكَثِيرٍ. أَعْلَاهُ تُرْفَرِفُ وَرْدَةٍ (هَاجَارْدَن) الذَّهْبِيَّةُ،

وُزِينَ الشَّعَارَ نَفْسَهُ التُّرْسَ الْأَخْضَرَ الْعَظِيمَ خَارِجَ الْبَابِ. قَالَ
إِج: «هَذَا لِيُو تَايِرْل، سَيِّد (هَاجَارْدَن)».

رَدُّ دَنكَ بَضِيقٍ: «أَعْرِفُ هَذَا. أَنَا وَالْعَجُوزُ خَدَمْنَا فِي
(هَاجَارْدَن) قَبْلَ أَنْ تُوَلَّدَ أَصْلًا». بِالْكَادِ يَتَذَكَّرُ تِلْكَ السَّنَةَ عَنْ
نَفْسِهِ، لَكِنِ السَّيْرَ آرْلَانَ ذَكَرَ فِي أَوْقَاتٍ عَدَّةٍ لِيُو الشُّوْكَةَ الطَّوِيلَةَ



- كما يُدعى أحيانًا - المُثاقِف منقطع النُظير على الرغم من كلِّ ما يصبغ شعره من فضة. «مؤكد أنَّ هذا الواقف بجانب الخيمة هو اللورد ليو، الشَّيخ النَّحيف الذي يرتدي الأخضر والذهبي».

- «نعم. رأيته مرَّةً في (كينجز لاندنج). ليس واحدًا تريد أن تتحدَّاه أيُّها السير».

- «لا أطلبُ نصيحتك بشأن مَنْ أتحدَّى يا ولد».

السُّرادق الرَّابع مخيط من قطع قماش الماسية الشَّكل، يتناوب فيها الأحمر والأبيض. لم يتعرَّف دنك على اللّوينين، لكن إج أخبره أنهما يخصَّان فارسًا من (وادي آرن) اسمه السير همفري هاردنج. «لقد انتصر في التحام جماعيٍّ عظيم بـ(بركة العذارى) العام الماضي أيُّها السير، وفي مضمار النِّزال أسقط السير دونل ابن (وادي الغسق) واللوردَيْن آرن ورؤيس».

وأما السُّرادق الأخير فلأمير فالر. من الحرير الأسود هو، ومن سقفه يتدلَّى صفٌّ من راياتٍ مثلثيةٍ مديبةٍ ذات لونٍ سقلاطي تبدو كالسنة لهب حمراء طويلة. الثُّرس على حامله أسود صقيل، ويُرَينه تَينَ عائلته تارجارين ثَلاثي الرُّؤوس، ويقف بجواره أحد فرسان الحرس الملكي، درعه البيضاء النَّاصعة صارخة أمام سواد قماش الخيمة. إذ رآه دنك هناك، تساءل هل سيجرؤ أيُّ من المتحدِّين أن يمسَّ ثُرس التَّينين، فقالر حفيد الملك رغم كلِّ شيء، ونجل بيلور كاسر الحراب.

ولم يكن لقلقه داع، فعندما دوَّت الأبواق لاستدعاء المتحدِّين، نُودي أنصار العذراء الخمسة جميعًا للدِّفاع عنها. سمع دنك لغط الجمهور المتحمِّس إذ ظهرَ المتحدِّون واحدًا تلو واحدٍ

عند طرف المضمار الجنوبي وجهَر الحُجَّاب باسم كلِّ فارس بدوره. توقَّفوا أمام المدرَّجات ليخفضوا رماحهم تحيةً للورد آشفرد والأمير بيلور والعذراء الجميلة، ثم داروا إلى طرف الحقل الشمالي ليختاروا منافسيهم. قرعَ أسد (كاسترلي رُك) الأشيب تُرس اللورد تايرل، فيما تحدَّى وريثه ذهبيُّ الشعر، السير تايولت لانستر، ابن اللورد آشفرد الكبير، ونقرَ اللورد تلي سيّد (ريثرن) على تُرس السير همفري هاردنج ألماسي النّقش، ودقَّ السير إيلر هايتاور تُرس قالر، ودُعِيَ ابن آشفرد الصّغير لنزال السير لاينل باراثيون، الفارس الملقب بالعاصفة الضّاحكة.

خبَّ المتحدّون إلى طرف المضمار الجنوبي لينتظروا خصومهم: السير إيلر بلونيّ الفضة والدُّخان وعلى تُرسه بُرج حراسة مكلَّل بالنّار، وولدا لانستر المتّشحان بالقرمزي ويحملان أسد (كاسترلي رُك) الذهبي، والعاصفة الضّاحكة المتألّق في قُماش الذهب وعلى صدره وتُرسه وعلّ أسود وفوق خوذته قرون من الحديد، واللورد تلي مرتديًا معطفًا مخطّطًا بالأزرق والأحمر يُثبّته إلى كلِّ كتفٍ مشبك بشكل سمكة تروته فضيّة. إلى السّماء صوّب المتحدّون رماحهم التي يبلُغ طول الواحد منها اثني عشر قدمًا، وقد هبَّت الرّيح قويّة تهزُّ الرّايات وتشدّها.

عند طرف الحقل الشمالي أمسك المُرافقون براذين برّاقة الدّروع ليمتطيها الأنصار الذين اعتمر كلّ منهم خوذته والتقطَ رُمحه وتُرسه بجلالٍ يضارع خصومهم: حرير الأخوين آشفرد المتموّج، وألماس السير همفري الأحمر والأبيض، واللورد ليو فوق حصانه الكرّار^٧ الأبيض ذي الكسوة السّاتان الخضراء

٧- الكرّار Charger: نوعٌ من الجياد الحربيّة يُستخدمُ الأساس في هجمات الفرسان. (المترجم).

المنقوشة بالورد الذهبى، وطبعًا فالر تارجارين. حصان الأمير الشاب أسود كالليل، يتناغم لونه مع درع الأمير وزُمحه وتُرسه وكسائه، وفوق خوذته تَينين ثلاثي الرؤوس يلتصق معدنه المطلي بمينا أحمر غني ويبسط جناحيه، توأمه مرسومٌ على سطح الترس الأسود الصَّقيل. مع كلِّ من المدافعين ربطةٌ من الحرير البرتقالي معقودة حول ذراعه؛ عطايا وهبَّتها لهم العذراء الجميلة.

خيَّم سكُونٌ شبه تام على (مرج آشفرد) إذ خبَّ الأنصار إلى مواقعهم، ثم دَوَّى بوقٌ وتحوَّل السُّكون إلى جلبةٍ في غصون نصف نبضة قلب. عشرون زوجًا من المهاميز انغرزت في أجناب عشرة جيادٍ حربيَّة عظيمة، وضجَّ ألف صوتٍ بالصُّراخ والزَّعيق، ودقَّ أربعون حافرًا مزوَّدًا بحدوةٍ حديدية الأرض لِيتمزَّق العُشب، وانخفضت عشرة رماح وثبتت، وبدا الحقل كأنما يرتج، والتقى الأنصار والمتحدُّون في صدام عاتٍ بين الخشب والفولاذ، وخلال لحظةٍ تجاوزَ بعض الرَّاكبين بعضًا وداروا من أجل جولةٍ أخرى. ترنَّح اللُّورد تلي فوق سرجه، لكنه استطاع الحفاظ على جلسته، ولمَّا أدرك العوام أنَّ الرِّماح العشرة انكسرت ارتفع هدير استحسانٍ هائل. إنه بشيرٌ رائع بنجاح الدَّورة، وبُرهان على براعة المتنافسين.

ناول المُرافقون المُتتافقين رماحًا جديدةً عوضًا عن المكسورة التي رموها، ومرةً أخرى انغرزت المهاميز بعمق. أحسَّ دنك بالأرض تترجرج تحت أخمص قدميه، وفوق كتفيه هتفٌ إجماعيٌّ بسعادةٍ ولَوْحٍ بذراعيه الرِّفيعتين. أقرب مَنْ مرَّ إليهما الأمير الشاب، ورأى دنك سنان زُمحه الأسود يُقبَل بُرج الحراسة على تُرس خصمه وينزلق ليرتطم بصدرة في اللحظة التي تفجَّر فيها

رُمح السير إيلبر إلى شظايا على صدرية الأمير فالر. شَبَّ الفحل
الرَّمادي ذو كسوة الفضّة والدُّخان تحت وطأة الصّدمة، ورُفِعَتْ
قدما السير إيلبر هابتاور من رِكابيه وانكَبَّ بعُنف أرضاً.

وسقط اللورد تلي أيضاً، أطاح به من فوق حصانه السير
همفري هاردنج، إلا أنه هبَّ واقفاً في الحال واستلَّ سيفه
الطويل، وطرح السير همفري رُمحه - الذي لم ينكسر - جانباً،
وترجّل ليواصل قتالهما على الأقدام. أمّا السير إيلبر فلم يتمتّع
بحيويةٍ مشابهة، إذ هرعَ مُرافقه وحلّ خوذته، ثم رفع عقيرته طالباً
المساعدة، ليسند خادمان الفارس الدّائح من ذراعيه وتُعيناه على
العودة إلى سُرادهقه. في أماكن أخرى من الحقل ركَبَ الفرسان
السّة الباقون فوق خيولهم في جولاتهم الثالثة، وتحطّم مزيدٌ من
الرّماح، وهذه المرّة سدّد اللورد ليو تايرل سنان رُمحه بحذقٍ
انتزع خوذة الأسد الأشيب من فوق رأسه، وبوجه مكشوف رفعَ
سَيْدَ (كاسترلي رُك) يده محيياً وترجّل مستسلماً. في تلك الأثناء
كان السير همفري قد أجبر اللورد تلي على الاستسلام بعدما أبرزَ
أنه بارع بالسيف مثلما هو بالرُمح.

ركبَ تايبولت لانستر وآندرو آشفرد متواجهين ثلاث مرّاتٍ
إضافيّة قبل أن يخسر السير آندرو تُرسه وتوازّنه والمباراة في
وقتٍ واحد، وصمد ابن آشفرد الصّغير وقتاً أطول وكسر ما
لم يقلّ عن تسعة رماح ضد السير لائبل باراثيوزن، العاصفة
الضاحكة، ثم سقط كلا النّصير والمتحدّي من فوق سرجه في
الجولة العاشرة، فقط ليقوما معاً لِيَتَابِعا القتال سيفاً ضد مقمعة.
في النّهاية أقرّ السير روبرت آشفرد المرضوض بالهزيمة، لكن
فوق مدرّجات المشاهدة بدا أبوه بعيداً كلّ التّعد عن الاغتمام،

فصحيحٌ أَنَّ ابْنِي اللُّورد آشفرد كليهما اصطحبَ إلى خارج صفوف الأنصار، إِلَّا أَنهما أبليا بلاءً نبيلًا ضد اثنين من أمهر الفرسان في (الممالك السبع).

شاهدَ دنك الغالب والمغلوب يتعانقان ويخرجان معًا من الحقل، وفكّر: يجب أن أبلّي بلاءً أحسن وأحسن رغم ذلك. لا يكفيني أن أجيد القتال وأخسر. يجب على الأقل أن أفوز بالتحدي الأول وإلا فسأخسر كل شيء.

الآن سيأخذ السير تايولت لانستر والعاصفة الضاحكة مكانهما بين الأنصار ليحلّا محلّي الرجلين اللذين هزماه، وقد بدأ السُرادقان البرتقاليان يُزالان بالفعل. على بُعد أقدام قليلة جلس الأمير الشاب مسترخيًا على كرسي معسكرات أمام خيمته السوداء العظيمة، وقد خلع خوذته ليلوح شعره الدّاكن كشعر أبيه، وإن تخلّته خُصلة فاتحة. جلبَ له خادمٌ كأسًا فضيَّةً، ورشفَ منها الأمير، ففكّر دنك: ماءٌ لوأنه حكيم، نبيذٌ لوأنه ليس كذلك. وجدَّ نفسه يتساءل هل ورثَ فالر حقًا قدرًا من بأس أبيه، أم إنَّ حظّه في الاقتراع وقعَ ضد أضعف منافسٍ ليس إلا.

أعلّنت جوقةٌ من الأبواق دخول ثلاثة متحدّين جُدد المضمار، ورفعَ الحُجّاب عقائرهم بأسمائهم. «السير بيرس سليل عائلة كارون، سيّد (التخوم)». تُزيّن قيّارةً فضيَّةً تُرس الرجل، ولو أنَّ معطفه منقوش بالعنادل. «السير چوزث سليل عائلة مالستر، من (سيجارد)». يعتمر السير چوزث قُبعةً مجنّحةً، وعلى تُرسه يطير عُقاب فضّي في سماءٍ نيلجيّة. «السير جاون سليل عائلة سوان، سيّد (الخوذة الحجرية) في (رأس الغضب)». رمز اللورد



جاون طائرا تمّ، أحدهما أسود والآخَر أبيض، ويتقاتلان بضراوة، كما أنَّ درعه ومِعطفه وكُسوة حصانه مزيجٌ صارخ من الأبيض والأسود أيضًا، بما في ذلك خطوط غمده ورُمحه.

مسَّ اللورد كارون - عازف القيثارة والمغنيّ والفارس بعيد الصَّيت - بحدِّ رُمحه وردة اللورد تايرل، ودقَّ السير چوزث ألماسات السير همفري هاردنج، وتحدَّى الفارس الأبيض والأسود، اللورد جاون سوان، الأمير الأسود ذا الحارس الأبيض. فركَ دنك ذقنه. اللورد جاون أكبر سنًّا من العجوز، والعجوز مات. بما أنَّ الغلام فوق كتفيه يعرف كثيرًا عن هؤلاء الفُرسان على ما يبدو، فقد سأله: «إِج، مَنْ أَقلُّ هؤلاء المتحدِّين خطورة؟».

أجاب الغلام من فوره: «اللورد جاون، خصم قالر».

قال دنك مصيَّحًا: «اسمه الأمير قالر. على المُرافق أن يتحلَّى بلسانٍ مهذبٍ يا ولد».

أخذَ ثلاثة المتحدِّين مواقعهم فيما اعتلى ثلاثة الأنصار خيولهم. في كلِّ مكانٍ حولهم ما برحَ النَّاس يتراهنون ويهتفون مشجعين مَنْ اختاروا، لكن عيني دنك ظلَّتْ على الأمير وحده. في الجولة الأولى ضربَ قالر تُرس اللورد جاون ضربةً عابرةً، لينزلق رأس الرُّمَح المثلم جانبًا كما حدثَ مع السير إيلبر هايتاور، وإن انحرفَ هذه المرَّة في الاتِّجاه الآخَر مصيَّبًا الهواء، في حين انكسر رُمَح اللورد جاون على صدر الأمير، وللحظةٍ بدا قالر على حافة السُّقوط قبل أن يستعيد توازنه.

في المرَّة الثَّانية عبر المضمار وجَّه قالر رُمحه يسارًا مستهدفًا

صدر خصمه، وبدلاً من ذلك أصابَ الكتف، بيد أنَّ القوَّة التي حملتها الضربة كَفَّت ليفقد الفارس الأكبر سنّاً رُمحه. لَوَحَتْ ذراعٌ في الهواء بُغية التَّوازُن وسقطَ اللورد جاون، ونزلَ الأمير الشَّاب من فوق سرجه وسحبَ سيفه، لكن الرّجل السَّاقط أشارَ له بالامتناع ورفعَ مقدِّمة خوذته صائحاً: «أستسلم يا سَمَو الأمير. أحسنت القتال»، فردَّد اللوردات فوق المدرجات: «أحسنت القتال! أحسنت القتال!»، فيما جثا قالر لِيُساعد اللورد الشَّاب على النُّهوض.

قال إيج متذمِّراً: «غير صحيح».

- «الزم الصَّمْتُ أو عُدْ إلى المخيم».

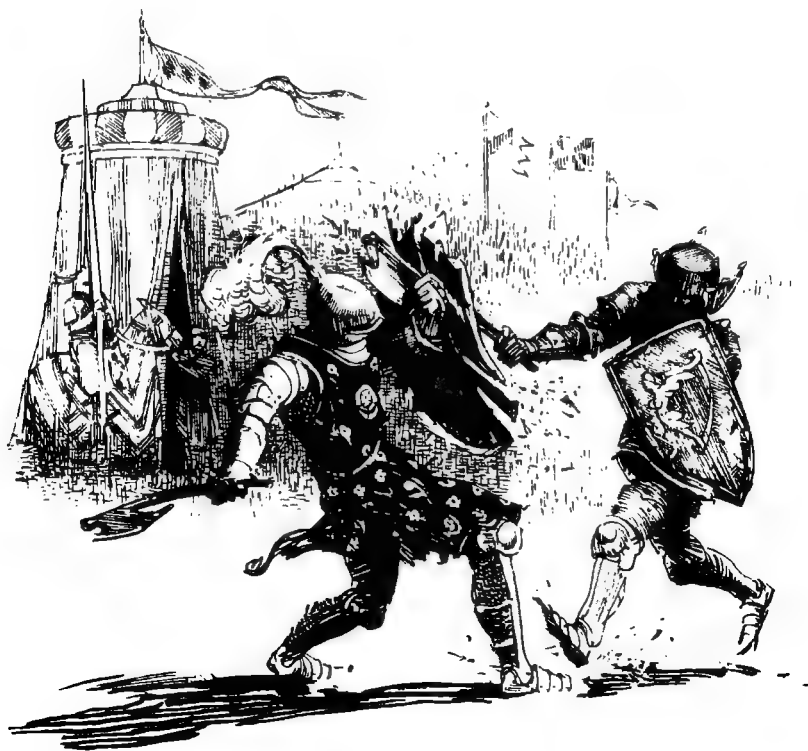
على مسافة أبعد حملَ الرّجال السيرِ جُوزث مالستر المغمى عليه من الحقل، فيما كَرَّ بفأس مثلمة كل من سيِّد القيثارة وسيِّد الوردة على الآخر بشهوةٍ في مشهدٍ أبهج الجمهور الهادر. على أنَّ دنك وضعَ تركيزه كله على قالر تارجارين حتى إنه رآهما بالكاد، ووجدَ نفسه يُفكِّر: فارسٌ لا بأس به، لكنه لا يعدو ذلك. سأتمتعُ بفرصةٍ ضده، وإذا شاءَت الآلهة فقد أُسقطه أيضاً، وبمجرد أن يبدأ القتال على الأقدام سيُبرز وزني وطولي الفرق.

في غمرة حماسه عدلَ إيج جلسته فوق كتفي دنك هاتفاً: «عليك به! اضربه! نعم! إنه أمامك مباشرة، أمامك مباشرة!». بدا أنَّ اللورد كارون مقصد تشجيعه، والآن يعزف عازف القيثارة نوعاً آخر من الموسيقى، يدفع اللورد ليؤلِّتقهقر فيتقهقر فيما يُغني الفولاذ على الفولاذ. والظاهر أنَّ المتفرجون انقسموا بشبه تساو بينهما، فامتزجت هتافات التَّشجيع بالشَّتائم في هواء الصُّباح.

تطايَرتْ شُدْف الخشب والِطَلاء من تُرس اللُورد ليُو إِذ قُطِفَتْ
فأس اللُورد پيرس بتلات وردته الذَّهبيَّة واحدةً واحدةً، إِلى أَن
تحطَّم تُرسه أَخيرًا وانقصمَ، ولكن بينما حدثَ هذا علقَ رَأْس
الفأس لحظةً في الخشب... وهَوَتْ فأس اللُورد ليُو على مقبض
سلاح خصمه لتكسره على بُعد أَقل من قدم من يده. ألقى تايبرل
تُرسه المحطَّم، وفجأةً أَصبحَ هو المهاجِم، وخلال لحظَاتِ ركعِ
الفارس عازف القيثارة على رُكبته مُنشِدًا استسلامه.

طوال ما تبَقَّى من الصَّبَاح وبعد توغَّل الأصيل تكررَ مزيدٌ
مِمَّا أَنفَ ذِكره إِذ نزلَ المتحدُّون إِلى المضمارِ مِثاني وثلاثات،
وأحيانًا خمسَات معًا. دَوَّت الأَبواق، وأعلنَ الحُجَّاب الأَسماء،
وانقضَّت الجياد الحربيَّة، وهلَّلت الجماهير، وانكسرت الرِّماح
كغُصينات الشَّجر، ورُنَّت السُّيوف على الخُوذ والزُّرود. على حَدِّ
سواءِ اتَّفَق العَامَّة الصِّغار واللُوردات الكبار أَنه يومٌ رائع للمُثاقفة.
تواجهُ السَّير همفري هاردنج والسَّير همفري بيزري - وهو
فارسٌ شابٌّ مقدام يرتدي معطفًا مخطَّطًا بالأصفر والأسود،
وعلى تُرسه ثلاثُ خلايا نحل - وكسرَ كُلِّ منهما ما لم يقلَّ عن
دستةٍ من الرِّماح في صراعٍ ملحِمٍ سرعان ما بدأ العوام يُسمُّونه
«معركة همفري»، وسقطَ السَّيرُ تايبولت لانستر عن حصانه
أمام السَّيرِ چُون پنرُوز وكسرت سقطته سيفه، لكنه قاومَ مقاتلًا
بِتُرسه فقط ليفوز بالمباراة ويبقى نصيرًا، أمَّا السَّير رُوبن ريزلنج
ذو العين الواحدة - وهو فارسٌ عجوز يخطُ الشَّيب شعره وله
لحيةٌ بلونِي الملح والفلفل - ففقدَ خوذته على إثر ضربةٍ من
رُمح اللُورد ليُو في جولتهما الأولى، لكنه أبى الاستسلام، وثلاث

مرّاتٍ ركبا متواجهين والريّح تعصف بشعر السيّر رؤين وشظايا الرّماح المكسورة تنطّير حول وجهه المكشوف كسكاكين من خشب، وهو ما أثار في دنك عجبًا أكثر حين أخبره إج أنّ السيّر رؤين فقد عينه بسبب شظيّة رُمح مكسور قبل أقل من خمس سنوات. حالت شهامة اللورد ليو دون تسديده رُمحًا آخر إلى رأس السيّر رؤين غير المحمي، ومع ذلك أذهلت شجاعة ريزلنج العنيدة (أم إنها حماقته؟) دنك. أخيرًا أصاب سيّد. (هايجاردن) صدريّة السيّر رؤين بضربةٍ وطيدة فوق القلب مباشرة، ليدور في





الهواء في طريقه إلى السقوط أرضاً.

خاض السير لاينل باراثيون أيضاً عدّة مباريات لافته للنظر. ضد خصوم أدنى شأنًا، عادةً ينفجر الرجل في ضحكٍ جهوري لحظة أن يلمسوا ثُرسه، ولا ينفك يضحك وهو يركب وينقض عليهم ويخلع أقدامهم من ركايبهم، وإذا اعتمر متحديه خوذة ذات ريشة من أي نوع، يكسرها السير لاينل ويرميها إلى المتفرجين. هذه الرّيش زخارف منمّقة من الخشب المنحوت أو الجلد المشكل، وأحيانًا ممّوهة بالذهب أو المينا أو حتى مطرّقة من الفضة الخالصة، ولذا لا يُقدّر من يغلبهم هذه العادة، ولو أنها جعلت تفضيله عند العوام عظيمًا.



سرعان ما اقتصرَ مَنْ اختاروه على رجالٍ غير مرئِشين، ولكن
 مهما لعلَّ ضحك السير لا ينل استهزاءً بَمَنْ تحدَّوه، ارتأى دنك
 أنَّ شرف اليوم ينبغي أن يكون من نصيب السير همفري هاردنج
 الذي قهر أربعة عشر فارسًا لا تنقص أحدهم المهابة.

في تلك الأثناء جلس الأمير الشاب خارج سُرادقه الأسود،
 يشرب من كأسه الفضيَّة وينهض من حين إلى آخر ليركب
 حصانه ويغلب خصمًا مغمورًا آخر. حقَّق فالر تسعة انتصارات،
 وإن بدا لدنك أنَّ كلَّ واحدٍ منها أجوف. يهزم رجالًا مسنَّين
 ومُرافقين متسلِّقين ويضع لورداتٍ نبيلي المولد وضعي المهارة.
 الرِّجال الخطرون بحقِّ يتجاوزون تُرسه كأنهم لا يرونه.

في ساعة متأخرة من النهار أعلنت جوقة أبواق نحاسية نزول متحدٍ جديد إلى المضمار. دخل الرجل راكباً كرّاراً أحمر عظيمًا، درعه مشرّطة لتلوح من تحتها لمحات من الأصفر والقرمزي والبرتقالي، وإذ دنا من مدرّجات المشاهدة ليؤدّي التحيّة، رأى دنك الوجه تحت مقدّمة الخوذة المرفوعة، وتعرّف على الأمير الذي قابله في إسطبلات اللورد آشفرد.

تقلّصت ساقا إيج حول رقبته، فزَعَق دنك مباعداً بينهما بحدّة: «كُفَّ عن هذا. أتريد أن تخنقني؟!».

نادى حاجبٌ: «الأمير إيريون اللّهب السّاطع من قلعة (كينجز لاندنج) الحمراء، ابن ميكار سيّد (بهو الصّيف) سليل عائلة تارجارين، حفيد ديرُون الصّالح، الثّاني من اسمه، ملك الأندالين والرؤنار والبشر الأوائل، وسيّد (الممالك السّبع)».

يحمل إيريون على ثُرسه التّين ثُلَاثِي الرُّؤوس، إلّا أنه مصوّر بألوانٍ أزهى كثيرًا من تين فالر؛ أحد رؤوسه برتقالي، والثّاني أصفر، والثّالث أحمر، ولّهب الذي تنفثه لمعة رقائق الذهب. معطفه دوّامةٌ من الدّخان والنّار المحبوكين معًا، وخوذته المسوّدة متوّجة بريشةٍ من السنّة لهبٍ حمراء من المينا.

بعد وقفة خفضَ خلالها رُمحهُ للأمير بيلور، وقفة وجيزة للغاية بدتْ كأنّما تعوزها الهمة، هرولَ إيريون إلى طرف الحقل الشّمالي متخطّياً سُرَادِقِي اللورد ليو والعاصفة الضّاحكة، ولم يُبطئ حركته إلّا حين اقتربَ من خيمة الأمير فالر. قام الأمير



الصَّغِير ووقفَ متيسِّسًا بجوار ثُرسه، وللحظةٍ وجدَ دنك نفسه
واثقًا بأن إيريون سيضرب الثُرس... غير أنه ضحك وخبَّ مبتعدًا
ليطرق بقوةٍ على ألماسات السير همفري هاردنج، وبصوتٍ عالٍ
واضح تغنَّى: «اخرج أيُّها الفارس الصَّغير، اخرج. حان الوقت
لتواجه التَّين».

حني السير همفري رأسه بجمودٍ لخصمه فيما جلبَ مُرافقه
برذونه،^٨ ثم تجاهله وهو يمتطي الحصان ويعقد أريطة خوذته
ويلتقط رُمحه وثُرسه. لاذَ المشاهدون بالصَّمت فيما اتَّخذ

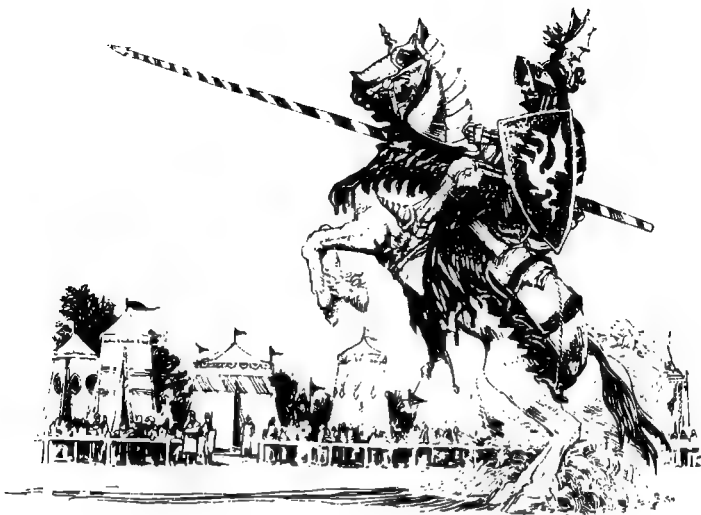
٨ - البردون Destrier: جواد حربي عظيم الحلقة، غليظ الأعضاء، قويُّ الأرجل، عظيم الخوافر. (للمترجم).

الفرسان موضعينهما، وسمعَ دنك رنينٍ مقدِّمة خوذة الأمير
إيريون إذ أنزلها. ثم دوى البوق.

انطلق السير همفري بتؤدةٍ مُزيِّداً سرعته شيئاً فشيئاً، في حين
سحجَ خصمه جنبتي كراهِه الأحمر بكلاً مِهمازيه لينقضَّ بقوة.
مجدِّداً تقلَّصت ساقا إيج، وصاح فجأة: «اقتله! اقتله، إنه أمامك
مباشرة، اقتله، اقتله، اقتله!»، ولم يدرِ دنك لأيِّ الفارسين يصيح
الغلام.

سنان رُمح الأمير إيريون مطليّ بالذهب، وقصبته مطلية بشرائط
من الأحمر والبرتقالي والأصفر، وما إن تحرَّك مجتازاً الحاجز
حتى فكر دنك: منخفض، منخفض جداً. سيخطئ الرَّاكب





ويُصيب حصان السير همفري. عليه أن يرفعه. ثم بدأ يشكّ بدُعرٍ
ينجلي أن إيريون لا ينوي ذلك بالمرّة. لا يُمكن أنه يقصد...

في آخر لحظةٍ ممكنةٍ شبّ فحل السير همفري مبتعدًا عن حدِّ
الرُمح الموجّه إليه وقد زاغت عيناه رُعبًا، ولكن فأت الأوان،
وأصاب رُمح إيريون الحيوان مباشرةً فوق قطعة الدِرْع التي
تحمي عظمة القصّ، وانبثق من مؤخّرة عنقه في سيل من الدّم
اللامع. صارخًا ارتدى الحصان جانبًا محطّمًا الحاجز الخشبيّ
تحطيمًا وهو يسقط. حاول السير همفري أن يثب مبتعدًا، لكن
إحدى قدميه علقت بركابها، وسمع الناس صرخته إذ سُحقت
ساقه بين الحاجز المفكّت والحصان الساقط.

اجتاح الصّباح (مرج آشفرد) بأكمله. هرعَ بعض الرّجال
إلى الحقل لتخليص السير همفري، لكن الفحل المحتضر ألما

رفسَ الهواء في وجوههم إذ اقتربوا. كان إيريون قد عدا بابتهاج دائراً حول القوضى إلى طرف المضمار، ثم دارَ بحصانه وهرولَ عائداً، يصيح بدوره ولو أنْ دنك لم يُميّز الكلام من شدة صرخ الحصان الميّت شبه البشري. قفز إيريون من فوق سرجه وامتشق سيفه متقدّماً إلى خصمه السّاقط، واضطّرّ مُرافقوه وأحد مُرافقي السير همفري إلى شِدِّهِ إلى الخلف. تلوّى إج فوق كتفي دنك قائلاً: «أنزِلني. الحصان المسكين. أنزِلني!».

شعرَ دنك نفسه بالغيان. ماذا أفعلُ إذا حلَّ مصيرٌ مشابه بشنّدر؟ أجهزَ رجلٌ مسلّحٌ بفأس حربيّة على فحل السير همفري واضعاً نهايةً للصّرخات الشّنيعة، ودارَ دنك شاقاً طريقه قسراً بين المحتشدين، ولَمّا بلغ أرضاً مفتوحة أنزلَ إج من فوق كتفيه.

كانت قلنسوة الغلام قد سقطت عن رأسه،

وعيناه محمّرتين. قال دنك للولد: «مشهدٌ

مرعب، أجل، ولكن على المُرافق أن

يتمنّع بالقوّة. للأسف ستري حوادث

أسوأ في مبارياتٍ أخرى».

ردّ إج بفم راجف: «ليست

حادثة. إيريون قصد أن

يفعلها. لقد

رأيتَه بنفسك».

قطّب دنك



وجهه. هكذا بدا له أيضًا، ولكن يصعب عليه أن يقبل أن فارسًا قد يتصرف دونما شهامة إلى تلك الدرجة، بخاصة فارس من دم التَّينين. قال بعناد: «رأيتُ فارسًا أخضر كعُشب الصَّيف يفقد التَّحَكُّم في رُمحه، ولن أسمع مزيدًا عن هذا الأمر. مُثاقفات اليوم انتهت على ما أظن. هلمَّ أيُّها الصَّبي».

صَحَّ ما قاله دنك عن انتهاء مسابقات اليوم. في الوقت الذي استتبَّت فيه الأمور كانت الشَّمس قد انخفضت في الغرب وأمر اللورد آشفرد بالتَّوقف.

مع زحف ظلال المساء على المرج أوقدت مئة من المشاعل على طول صفِّ التُّجَّار. اشترى دنك قرنًا من المزرن لنفسه ونصف قرنٍ للغلام لِيرِوِّح عنه، وتجوَّلاً وقتًا مصغيَّين إلى لحن حماسيٍّ على المزامير والطبول، ثم تفرَّجا على عرض عرائس عن نايميريا، الملكة المُحاربة صاحبة العشرة آلاف سفينة. لم يملك محرِّكو الدُّمى إلا سفينتين، لكنهم قدَّموا معركةً بحريَّةً حاميةً رغم ذلك. أرادَ دنك أن يسأل الفتاة تانسل هل فرغت من رسم ثُرسه، وإن رأى أنها مشغولة، وعليه قال لنفسه مقررًا: سأنتظرُ حتى تُنهي عملها اللَّيلة. قد تكون عطشانةٌ عندئذٍ.

نادى صوتٌ من خلفه: «سير دنكن»، ومرةً أخرى: «سير دنكن». فجأةً تذكر دنك أن هذا اسمه، وقال رايمن فوسوواي وهو يُقبل مبتسمًا: «رأيتك بين العامَّة اليوم والغلام على كتفك. كان عسيرًا حقًّا ألا يلحظكما أحد».

- «الغلام مُرافقِي. إِج، هذا رايمن فوسوواي». اضطرَّ دنك إلى سحب الغلام إلى الأمام، ورغم ذلك طأطأ إِج رأسه وحدَّق إلى حذاء رايمن مُهمِّمًا بتحِيَّة.

قال رايمن ببساطة: «لقاء سعيد أيُّها الصَّبِي. سير دنكن، لِمَ لم تفرِّج من شُرْفَةِ المشاهدة؟ جميع الفُرسان مرَّحِب بهم هناك».

يستريح دنك بين العامَّة والخدم، أمَّا فكرة أن يتَّخذ موضِعًا بين اللُوردات والليديَّات والفُرسان مُلَّاك الأراضي فتزعجه. «لم أكن لأريد رؤية ذلك النِّزال الأخير من بُقعةٍ أقرب».

لوى رايمن قِسمات وجهه قائلاً: «ولا أنا. اللورد آشفرد أعلن أنَّ السَّير همفري المنتصر وكافأه بحِصان الأمير إيريون العداء، لكنه لن يستطيع الاستمرار رغم ذلك. لقد كسرت ساقه في موضعين. الأمير بيلور أرسل إليه ميسْتره الخاص ليعالِجه».

- «هل سيحلُّ نصيرٌ آخر محلَّ السَّير همفري؟».

- «اللورد آشفرد مالٌ إلى أن يهب موقعه للورد كارون، أو ربَّما السَّير همفري الآخر الذي أبدأ في مباراة هاردنج، لكن الأمير بيلور قال له إنه لن يليق أن يُزال تُرس السَّير همفري وسُرادقه في هذه الظُّروف. اعتقدُ أنهم سيُواصلون بأربعة أنصارٍ بدلاً من خمسة».

فكَّر دنك: أربعة أنصار. ليو تايرل، لاينل باراثيون، تايبولت لانستر، والأمير فالر. لقد رأى ما يكفي في هذا اليوم الأوَّل

٩ - الحصان العداء Courser: حصانٌ يُفضَّل ركوبه لسرعته، خصوصًا في المعارك والسِّباقات. (المترجم).

لِيُدرِكَ ضَالَّةَ فُرْصَتِهِ أَمَامَ أَوَّلِ ثَلَاثَةِ، وَهَكَذَا يَتَبَقَّى فَقْط... .

- لَا يُمكن أَنْ يَتَحَدَّى فَارِسُ جَوَّالِ أَمِيرًا. فَالِرِ الثَّانِي فِي تَسْلُسلِ وَرَاثَةِ الْعَرْشِ الْحَدِيدِي. إِنَّهُ ابْنُ بِيلُورِ كَاسِرِ الْحَرَابِ، وَدَمُهُ دَمُ إِيْجُونِ الْفَاتِحِ وَالتَّيْنِ الصَّغِيرِ وَالْأَمِيرِ إِيْمُونِ الْفَارِسِ التَّيْنِ، وَأَنَا مَجْرَدُ صَبِيٍّ وَجَدَهُ الْعَجُوزُ وَراءَ مَحَلِّ أَكْلِ فِي (سَفْحِ الْبَرَاغِيثِ).

أَوْجَعَهُ رَأْسُهُ مِنْ مَجْرَدِ التَّفْكِيرِ فِي الْأَمْرِ. «مَنْ يَنْوِي ابْنَ عَمومتِكَ أَنْ يَتَحَدَّى؟».

- «السَّيْرُ تَابِؤَلَتْ إِذَا جَرَى كُلُّ شَيْءٍ حَسَبِ الْمَتَوَقَّعِ. إِنَهُمَا مِتْكَافِئَانِ. عَلَيَّ أَنَّ ابْنَ عَمومتِي يُرَاقِبُ كُلَّ مَثَاقِفَةٍ بَعِيْنِ حَادَّةٍ. إِذَا جُرِّحَ أَيُّ رَجُلٍ غَدًا أَوْ أَبْدَى أَمَارَةَ إِرْهَاقٍ أَوْ ضَعْفٍ فَسُيَّسَارِعَ سِتْفُونٌ إِلَى الدَّقِّ عَلَى ثَرَسِهِ، لَكَ أَنْ تَتَّقَ بِذَلِكَ. لَا أَحَدٌ اتَّهَمَهُ قَطُّ بِالْإِفْرَاطِ فِي الشُّهَامَةِ»، وَضَحَكَ رَايْمَنْ كَأَنَّمَا لِيَنْزِعَ مِنْ كَلَامِهِ لَذَعَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «سَيَرُ دَنْكَنْ، هَلَّا انْضَمَمْتَ إِلَيَّ لِنَشْرَبَ كُوبًا مِنْ النَّبِيْذِ؟».

- «عِنْدِي شَأْنٌ يَجِبُ أَنْ أَتَوَلَّاهُ». قَالَهَا دَنْكُ مِتْرَعَجًا مِنْ فِكْرَةٍ أَنْ يَقْبَلَ حَفَاوَةً لَا يَقْدِرُ عَلَى رَدِّهَا.

قَالَ إِج: «يُمْكِنُنِي أَنْ أُنْتَظِرَ هُنَا وَأَجْلِبُ ثَرَسَكَ عِنْدَمَا يَنْتَهِي الْعَرْضُ أَيُّهَا السَّيْرُ. سَيُقَدِّمُونَ سِيْمِيُونُ ذَا الْعَيْنَيْنِ النَّجْمَتَيْنِ لَاحِقًا، وَسَيَجْعَلُونَ التَّيْنِ يُقَاتِلُ ثَانِيَةً أَيْضًا».

قَالَ رَايْمَنْ: «هَكَذَا إِذَا، كَمَا تَرَى، لَشَأْنُكَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ، وَالتَّيْبِذُ يَنْتَظِرُنَا. إِنَّهُ صَنْفٌ مَعْتَقٌ مِنْ (الْكِرْمَةِ) أَيْضًا. كَيْفَ يُمكنُكَ أَنْ

تَرْفُضْ دَعْوَتِي؟».

هكذا وقد انعدمت أعذاره، لم يملك دنك خيارًا إلا أن يتبعه تاركًا إيج عند عرض العرائس. فوق السُّرادق الملوّن بالذهبي حيث يُعني رايمن بابن عمومته خفقت تُفّاحة عائلة فوسوواي، ووراءه سقى خادمان ماعزًا بالعسل والأعشاب فوق نار طهو صغيرة. قال رايمن بلا مبالاة وهو يرفع السّديلة لदनك: «عندنا طعام أيضًا لو أنك جائع». تُضيء داخل الخيمة مجمرة فحم تُدْفئ الهواء على نحو سار. ملأ رايمن كوين بالنبّيد، وفيما يصبُّ علّق: «يقولون إنَّ إيريون يتميَّز غيظًا من اللورد آشفرد لإنعامه على السير همفري بكرّاره، لكنني أراهن أن عمّه هو من أشار بهذا»، ثم ناول دنك كوبًا.

- «الأمير يللور رجلٌ شريف».

ضحك رايمن، وقال: «والأمير السّاطع ليس كذلك؟ لا يبدوّ عليك القلق هكذا يا سير دنكن، لا أحد هنا إلانا. ليس سرًّا أن إيريون فيه شتى العلل. الشكر للآلهة أنه متدنّ جدًّا في تسلسل الوراثة».

- «أعتقد حقًّا أنه تعمّد قتل الحصان؟».

- «وهل من شك؟ لو أن الأمير ميكار هنا لاختلف مسار الأحداث، أوكد لك. إيريون كلّهُ ابتسامات وشهامة ما دام أبوه يُشاهد، إذا صحت الحكايات، ولكن في غيابه...».

- «رأيت مقعد الأمير ميكار شاغرا».

- «لأنه ترك (آشفرد) لبحث عن ابنيه، ومعه رولند كريكهول

رجل الحرس الملكي. ثمة حكاية مبالغ فيها متداولة عن فرسان
لصوص، لكنني أراهن أن الأمير سكران في مكانٍ ما لا أكثر».

وجدَ دنك النِّبذَ ممتازًا ذا مذاقٍ فاكهي، من أجود الأكواب
التي شربها على الإطلاق. دَوَّرَه في فمه ثم ابتلعه، وقال: «أيُّ
أميرٍ هذا؟».

- «وريث ميكار. اسمه دِيرُون تيمُّنا بالملك. يدعونه دِيرُون
السَّكِر، ولكن ليس على مسمع من أبيه. الصَّبي الأصغر
كان معه أيضًا؛ غادرًا (بهو الصَّيف) معًا، وإن لم يصلا إلى
(أشفرد) قَطُّ». أفرغَ رايمَن كوبه في جوفه، ثم وضعه جانبًا
قائلًا: «مسكين ميكار».

ردَّ دنك مبهورًا: «مسكين؟ ابن الملك؟».

قال رايمَن: «ابن الملك الرَّابع، وليس بجرأة الأمير بيلور،
ولا بذكاء الأمير إيرس، ولا بوداعة الأمير ريجل، والآن يُعاني
مرغمًا رؤية ابني أخيه يرجحان على أبنائه. دِيرُون عريبد،
وإِيرُون مغرور وقاس، والابن الثالث لم يعد بأيِّ نجاح حتى
إنهم أعطوه لـ (القلعة) لتجعل منه ميسترًا، والأصغر...».

- «سير! سير دنكن!». اقتحمَ إج المكان لاهثًا وقد سقطت
قلنسوته عن رأسه والتمع ضوء المجرمة في عينيه الدَّاكتنيتين
الكبيرتين. «يجب أن تُسرِع. إنه يُؤذيها!».

بحيرة هبَّ دنك واقفًا، وسأله: «يُؤذيها؟ مَنْ؟».

صاحَّ الغُلام: «إِيرُون! إنه يُؤذيها! فتاة الدُّمى! أسرع!»، ودارَ
على عقبيه واندفعَ عائِدًا إلى الليل.

تحرّك دنك ليتبعه، لكن رايمَن أمسكَ ذراعه قائلاً: «سير
دنكن. لقد قال إيريون، أمير من الدّم الملكي. احذر».

علّم أنها نصيحة سديدة. العجوز كان سيقول المثل، إلّا أنّ دنك
لم يستطع الإصغاء، وانتزع ذراعه من يد رايمَن ودفع سديدة
السّرادق بكتفه خارجاً، ليتناهى إلى أذنيه زعيقٌ من جهة صفّ
التّجار. كاذ إج يغيب عن نظره، وهرع دنك خلفه، ولأن ساقيه
طويلتان وساقِي الغلام قصيرتان فسرعان ما قصّر المسافة بينهما.

سورّ من المتفرّجين المحتشدين ارتفع حول محرّكي الدّمى،
وشقّ دنك طريقه بينهم عنوة متجاهلاً شائهم. تقدّم رجلٌ
مسلّح يرتدي البِزّة العسكريّة الملكيّة ليعترض طريقه، فوضع
دنك يداً كبيرةً على صدره ودفعه، ليسقط الرّجل إلى الخلف
وينطرح على مؤخرته في التراب.

رأى دنك كُشك محرّكي الدّمى مقلوباً على جنبه، والدورنيّة

البدينة على الأرض تبكي، ورجلاً

مسلّحاً يُدلي دُميتي فلورين وجونكول

من يديه فيما

يُضرم فيهما

آخر النّار بمشعل، في

حين يفتح ثلاثة رجالٍ

آخرون الصّناديق ويرمون

مُجّداً من الدّمى أرضاً ويدعسونها، وفي كلّ مكانٍ حولهم



تتناثر أشلاء دُمِيَّة التَّيْنِ؛ جناح مكسور هنا، رأسه هناك، ذيله ممزَّق إلى ثلاث قطع. وفي وسط كلِّ هذا يقف الأمير إيريون متألِّقاً في دُبْلِيَّةٍ مخمليَّة حمراء ذات كُمَيْنِ مشرَّطَيْن، يلوي بكلتا يديه ذراع تانسل، والفتاة على رُكبتَيها تتوسَّل إليه، وإيريون يتجاهلها.



فسرَّها الأمير على فتح يدها وقبضَ على إحدى أصابعها، ودنك واقفٌ في مكانه بغباء، يكاد لا يُصدِّق ما يراه. ثم سمع قُضْقُضَةً، وصرخت تانسل.

حاولَ أحد رجال إيريون الإمساك به، وبضربة طارَ ثلاثُ خُطَوَاتٍ واسعة، ثم أطبقَ دنك على كتف الأمير وأداره بجذبةٍ

عنيفة. نُسي سيفه وخنجره، ومعهما كلُّ ما علَّمه إيَّاه العجوز. طرَحَتْ قبضته إيريون أرضاً، وانغرزَ سُنْبُكُ حذائه في بطنه، وحين حاولَ الأمير استلالَ سِكِّينه داسَ دَنَكٍ معصمه وركله ثانيةً، هذه المرَّة في فمه مباشرة. لرُبَّما ظلَّ يركله حتى الموت في التَّو واللَّحظة، لكن رجالَ الأمير الصَّغير تكاثروا عليه، فأمسكَ واحدٌ منهم بكلِّ من ذراعيه وهوى آخر على ظهره بالضَّرب، وما كادَ يتملَّص من أحدهم حتى انقضَّ عليه اثنان آخران.



وأخيراً دفعوه إلى الأرض وثبَّتوا ذراعيه وساقيه. من جديد نهضَ إيريون بفم دَم، ودسَّ فيه الأمير إصبعاً وقال متذمِّراً: «خلخلتَ إحدى أسناني، ولذا سنبدأ بتكسير أسنانك جميعاً»، ثم أزاح شعره عن عينيه قائلاً: «تبدو مألوفاً».

- «حسبتي صبيَّ إسطل».

ابتسم إيريون ابتسامة حمراء، وقال: «أذكرُ. وأنت رفضت أن تأخذ حصاني. لماذا فرطت في حياتك؟ من أجل هذه العاهرة؟». كانت تانسل متكورة على نفسها أرضاً، تحتضن يدها المشوهة،



فنهزها بسنبك حذائه متابعاً: «إنها لا تستحقُ. خائنة. يجب ألا يخسر التّنين أبداً».

فكّر دنك: إنه مجنون، لكنه ما زال ابن أمير، وينوي قتلي.

لربّما صُلّي لحظتها لو أنه يعرف أيّ صلاةٍ إلى آخرها، لكنه لم يملك وقتاً، بل إنه بالكاد ملكَ وقتاً ليخاف.

قال إيريون: «ليس لديك شيء آخر تقوله؟ كم تُثير مللي أيّها السير»، وعادَ يُنقّب في فمه الدّامي، ثم قال أمراً: «أحضِر مطرقةً وكسِر أسنانه كلّها يا وِيت، وبعد ذلك فلنفتح بطنه ونُريه لون أمعائه».

وقال صوت غلام: «لا! لا تؤذوه!».

- بحقِ الآلهة، الولد، الولد الأحمق الشجاع. جاهدَ دنك ليتخلّص من الأذرع التي تُكبّله، ولكن بلا جدوى. «أمسِك لسانك أيّها الصّبي الأحمق. اهرب. سيؤذونك!».

اقتربَ إيج قائلاً: «لا، لن يفعلوا. إذا فعلوا فعليهم أن يُبرّروا ذلك لأبني، ولعمري أيضاً. قلتُ اتركوه. وِيت، يوركِل، أنتما تعرفانني. افعلوا كما أقول».

وارتفعت اليدان اللتان تُبَيّنان ذراعه، ثم الأخيران. لم يفهم دنك ما يحدث. الرّجال المسلّحون يتراجعون، وأحدهم ركع، ثم انشقّ المتجمهرون ليمرّ رايمن فوسوواي الذي وضعَ زرده وخوذته وأمسكَ مقبض سيفه، في حين جرّد ابن عمومته السير ستفون الآتي خلفه مباشرةً فولّاه، وقد حضرَ معهما نصف دسته من الرّجال المسلّحين الذين خيّطت شارة التّفاحة الحمراء على صدورهم.

لم يُعِهم الأمير إيريون انتباهاً، بل قال لإيج: «أيّها التّعس الصّغير الصّفيق»، وبصقَ ملء فمه من الدّم عند قدّمي الغلام،

وسأله: «ماذا جرى لشعرك؟».

أجابَ إج: «حلقتَه يا أخي. لم أُرِد أن أشبهك».



طلع نهار اليوم الثاني من المباريات غائماً، ومن الغرب هبَّت رِيحٌ مضطربة. ففكر دنك: المفترض أن تقلَّ أعداد المتفرّجين في يوم كهذا. كان سيَسهُل عليهما أكثر أن يجدا بُقعةً قُرب السِّياج ليُشَاهدا المُثاقفات من كُثب. لربّما جلسَ إِج فوق الحاجز ووقفتُ أنا خلفه.

بدلاً من ذلك سيجلس إِج في مقصورة المشاهدة مرتدياً الحرائر والفراء، في حين ستحصِر رؤية دنك في جُدران أربعة لزنزانة البُرج التي احتجزه فيها رجال اللورد آشفرد. للُغرفة نافذة، لكنها في الجهة الخطأ، ومع ذلك حشَرَ دنك نفسه في المقعد المجاور للنافذة فيما ذرَّت الشَّمس، وحدَّق ببالٍ كاسف عبر البلدة والحقول والغابة. لقد أخذوا حزامه القُبْبي، ومعه سيفه وخنجره، وأخذوا فضّته أيضاً. يأمل أن يتذكّر إِج أو رايمن تشستنت وشندر.

غمغم بصوتٍ هامس: «إِج». مُرافقه، صبيٌّ مسكين اقتلَعَ من شوارع (كينجز لاندنيج). هل غُفِلَ فارسٌ يوماً مثلما غُفِلَ؟ دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعةٍ ولبيد كشورٍ برّري.

لم يُسمَح له بالكلام مع إِج منذ أخذهم جنود اللورد آشفرد جميعاً عند عرض العرائس، ولا مع رايمن ولا تانسِل ولا غيرهما، بمن في ذلك اللورد آشفرد نفسه. تساءل هل سيَرى أيّاً منهم ثانية. على حدِّ علمه، سيحبسونه هنا في هذه العُرفة الصَّغيرة إلى أن يموت. سأل نفسه بمرارة: ما الذي حسبته سيحدُث؟ لقد جندلتُ ابن أميرٍ وركلته في وجهه.



تحت هذه السَّمَاوَاتِ الرَّمَادِيَّةَ لِن تَبْدُو الشَّيَابُ الْفَاخِرَةُ
 الْهَفْهَافَةُ الَّتِي يَرْتَدِيهَا اللَّوْرَدَاتُ كَرَامِ الْمُحْتَدِ وَالْأَبْطَالِ الْعِظَامِ
 بِالرُّوْعَةِ الَّتِي بَدَتْ بِهَا فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، وَلَنْ تَمْسَسَ الشَّمْسُ
 الْحَبِيسَةَ خَلْفَ أَسْوَارِ السَّحَابِ خُوْذَهُمُ الْفُولَادِيَّةَ بِبَهَائِهَا أَوْ تَجْعَلَ
 زَخَارِفَهُمُ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفَضِيَّةَ تَتَلَأَلَأُ وَتَبْرُقُ، وَرَغْمَ ذَلِكَ تَمْنَى دُنْكَ
 لَوْ أَنَّهُ وَسَطُ الْجُمْهُورِ لِيَتَفَرَّجَ عَلَى الْمُثَاقِفَاتِ. سَيَكُونُ يَوْمًا طَيِّبًا
 لِلْفَرَسَانِ الْجَوَالَةِ، لِرِجَالٍ يَرْتَدُونَ زُرُودًا بِلَا زِينَةٍ وَيَرْكَبُونَ خِيُولًا
 بِلَا دُرُوعٍ.

لَكِنَّهُ سَمِعَهُمْ عَلَى الْأَقْلِ، فَقَدْ انْتَقَلَ إِلَيْهِ صَوْتُ أَبْوَابِ
 الْحُجَّابِ بِوُضُوحٍ، وَبَيْنَ حِينَ وَآخِرٍ أَخْبَرَهُ صَخْبُ الْمُتَفَرِّجِينَ أَنَّ
 أَحَدًا سَقَطَ أَوْ قَامَ أَوْ أَقْدَمَ عَلَى فِعْلٍ مُتَفَرِّدٍ فِي الْجَرَاءِ. سَمِعَ وَقَعَ
 حَوَافِرِ خَافَتَا أَيْضًا، وَمَرَّةً كُلَّ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مُقَارَعَةً بَيْنَ سَيْفَيْنِ أَوْ
 رُمْحًا يَنْكَسِرُ. جَفَلَ دُنْكَ كُلَّمَا بَلَغَ أَذْنِيهِ هَذَا الصَّوْتُ الْأَخِيرَ، إِذْ
 ذَكَرَهُ بِصَوْتِ إِصْبَعٍ تَانَسَلَ عِنْدَمَا كَسَرَهَا إِيْرِيُونَ. وَسَمِعَ أَصْوَاتًا

أخرى كذلك، لكنها أقرب: خطوات أقدام في الطُّرقة خارج بابهِ، وطققة حوافر في السَّاحة بالأسفل، وزَعيقًا وكلامًا من فوق أسوار القلعة. أحيانًا طَغَت هذه الأصوات على أصوات المباريات، واحتسبَ دنك أن لا بأس بذلك.

قبل زمن طويل جدًّا أخبره العجوز: «الفارس الجوّال أنقى أنواع الفرسان يا دنك. الفرسان الآخرون يخدمون اللوردات الذين يعولونهم أو الذين يستمدُّون منهم سُلطتهم على أراضيهم، أمّا نحن فنخدم حيثما نشاء عند رجالٍ نؤمن بقضاياهم. كل فارس يُقسَم على حماية الضُّعفاء والأبرياء، لكننا في ظنِّي أفضل مَنْ يُحافظ على يمينه». عجيبٌ إلى أيِّ حدِّ تبدو هذه الذِّكري قويَّة. لقد نسيَ دنك هذا الكلام تمامًا، وربَّما نسيه العجوز أيضًا قرب النِّهاية.

استحال الصُّباح أصيلًا، وأخذت أصوات المباريات البعيدة تَخفُّ وتَهْمَد. بدأ الغسق يتسرَّب إلى الزَّنزانة، لكن دنك ظلَّ جالسًا على مقعد النَّافذة، يتطلَّع إلى الظلام المتزايد ويحاول تجاهل معدته الفارغة.

مكتبة

t.me/soramnqraa



ثم إنه سمعَ خطواتٍ وخشخشةَ مفاتيحٍ حديديةٍ، فحلَّ نفسه من المقعد ونهضَ فيما انفتحَ الباب. دخل حارسان يحمل أحدهما مصباح زيت، وتبعهما خادمٌ يحمل صحيفة طعام، وخلفهم أتى إج. قال لهم الغلام: «اتركوا المصباح والطعام واخرجوا».

نفذَ الرجال أمره، وإن لحظَ دنك أنهم تركوا الباب الخشبيَّ الثقيل مواربًا. نبهته رائحة الطعام لمبلغ جوعه. على الصحيفة خبز ساخن وعسل، ووعاء من ثريد البازلاء، وسيخ من البصل المشوي واللحم المفحم. جلسَ دنك بجوار الطعام ومزق الخبز بكلتا يديه ودسَّ قطعةً في فمه، ثم علّق: «لا يُوجد سكين».

أحسبوا أنني سأطعنك يا ولد؟».

- «لم يُبلغوني بما حسبه». يرتدي إيج دليّة من الصُوف
الأسود ملاصقةً لبدنه، بخصر مكسّر وكَمِين طويلين مخططين
بالسّاتان الأحمر، وعلى صدره تَبْنين عائلة تارجارين ثلاثي
الرؤوس. «عمّي يقول إنَّ عليّ أن أتوسّل مغفرتك لأنّي خدعتك».
قال دنك: «عمّك، أي الأمير بيلور».

لاح البؤس على الغلام إذ قال: «لم أقصد إطلاقاً أن أكذب».



- «لكنك كذبت، وبشأن كل شيء، بدايةً باسمك. لم أسمع قطُّ عن أمير اسمه إج».

- «هذا اختصار لايجون. أخي إيمون سمّاني إج. إنه في (القلعة) الآن، يتعلّم أن يكون ميسترًا. وديرون أيضًا يدعوني بإج أحيانًا، وكذا أختاي».

رفع دنك السيخ وقصم قطعةً من اللحم. لحم معاز هذا، منكّه بيهارٍ مقصور على عليه القوم لم يذقه من قبل. سالّ الدهن على ذقنه وهو يقول: «إيجون. طبعًا إيجون، مثل إيجون التّنين. كم إيجون كان ملكًا؟».

أجاب الغلام: «أربعة، أربعة إيجون».

مضغّ دنك وازدرد، ثم مرّق مزيدًا من الخبز قائلًا: «لماذا فعلتها؟ أهي مجرد دُعابة لتُغفل الفارس الجوّال الأحمق؟».

- «لا». امتلأت عينا الغلام بالدموع، لكنه وقف في مكانه بشجاعة. «كان يُفترض أن أعمل مُرافقًا لديرُون. إنه أخي الأكبر. لقد تعلّمتُ كل ما وجب أن أتعلّمه لأصبح مُرافقًا صالحًا، لكن ديرُون ليس فارسًا بارعًا إلى ذلك الحدّ. لم يُرد أن يركب في دورة المباريات، وهكذا بعد أن غادرنا (بهو الصّيف) تسلل من فرقة الحراسة التي صاحبتنا، ولكن بدلًا من العودة أدراجه واصل الطريق رأسًا إلى (آشفرد) مفكرًا أنهم لن يبحثوا عنا أبدًا في ذلك الاتجاه. هو الذي خلق رأسي، فقد علم أن أبي سيُرسل رجالًا في أعقابنا. شعر ديرُون تقليدي، بنّي باهت نوعًا، لا يميّزه شيء، لكن شعري مثل إيرُون وأبي».

قال دنك: «دمُ التّنين. شعرٌ ذهبيّ فضيّ وأعيُن أرجوانيّة،

الجميع يعلمون هذا». غليظ العقل كسور قلعةٍ يا دنك.

- «نعم. لذا حلقه ديرون. لقد انتوى أن نختبئ حتى نهاية الدّورة، لكنك حسبتني صبيّ إسطل و...». خفض الغلام ناظره مواصلاً: «لم أبال هل سيقاتل ديرون أم لا، لكنني أردت أن أكون مُرافق أحد، أيّ أحد. آسف أيّها السير، آسف حقاً».

رمقه دنك مفكراً. إنه يعرف معنى أن يرغب المرء في شيء إلى درجة أن ينطق كذبة وحشيّة لمجرّد أن يقترب منه. «ظننتك مثلي. لعلك كذلك، ولكن ليس بالطريقة التي ظننتها».

بأمل قال الغلام: «إنّ كليتنا من (كينجز لاندنج)».

ضحك دنك رغماً عنه قائلاً: «نعم، أنت من قمة (تل إيجون) وأنا من سفحه». مكتبة سرّ من قرأ

- «ليست مسافة بعيدة أيّها السير».

أخذ دنك قضةً من بصلة، ثم سأله: «أعليّ أن أدعوك بـ«سيدي» أو «سمو الأمير» أو ما شابه؟».

- «في البلاط، ولكن في باقي الأوقات لك أن تظّل تدعوني بإج إذا أردت... أيّها السير».

- «ماذا سيفعلون بي يا إج؟».

- «عمي يريد رؤيتك، بعد أن تفرّغ من الأكل أيّها السير».

أزاح دنك الصّحفة جانباً ونهض. «ها قد فرغتُ إذا. لقد ركلتُ أميراً في فمه، ولا أريد أن أبقى آخر منتظراً».

سَلَّمَ اللُّورد آشفرد مسكنه إلى الأمير بيلور خلال مُدَّة إقامته،
وهكذا أَخَذَهُ إِيَّج - لا، بل إنه إِيْجُون، عليه أن يعتاد هذا - إلى
غُرْفَةِ اللُّورد الشَّمْسِيَّة، حيث جَلَسَ بيلور يقرأ على ضوء شَمْعَةٍ
من شمع النَّحل. رَكَعَ دَنكَ أَمَامَهُ، وقال له الأمير: «انهض. هل
ترغب في نبيذ؟».



- «كما يُرضيك يا سمو الأمير».

أَمَرَ الأمير: «صُبِّ لِلسَّيْرِ دَنكَن كَوْبًا من الأحمر الدورني الخلو
يا إِيْجُون. حاول أَلَّا تَسْكَبَهُ عَلَيْهِ، فقد ألحقت به ضررًا يكفي
فَعَلًا».

قال دَنكَ: «لن يَسْكَبَهُ الغُلام يا سمو الأمير. إنه غُلام صالح،
مُرافق صالح. ولم يتعمَّد أن يُؤذيني، أعرفُ هذا».

- «ليس شرطًا أن يتعمَّد المرء الأذى لِيَسْبِيَهُ. لقد وجِبَ أن
يأتيَنِي إِيْجُون حين رأى ما يفعله أخوه بمحرِّكي الدُّمى هؤلاء،

وبدلاً من ذلك هرعَ إليك. لم يكن ذلك لطفًا. ما فعلته أيُّها السير... لرُبَّما فعلتُ المثل لو أُنِي في مكانك، لكنني من أمراء البلاد لا فارسٌ جوَّال. ليس من الحكمة أبدًا أن تضرب حفيد الملك في نوبة غضب مهما كان السَّبب».

أوماً دنك برأسه بتجهُم. قدَّم له إج كأسًا ذهبيةً مترعةً بالنَّبِيذ، فقبلَها وأخذَ جرعةً طويلةً.

قال إج بحرارة: «إنني أكرهُ إيرِيُون! وقد اضطررتُ أن أهرعَ إلى السير دنكن يا عمَّاه. القلعة كانت بعيدة جدًا».

قال الأمير بحزم: «إيرِيُون أخوك، والسَّيْتُونات يقولون إنه يجب أن نحبَّ إخوتنا. إنجُون، اترْكنا الآن. أريدُ أن أتكلَّم مع السير دنكن على انفراد».

وضعَ الغُلام إبريقَ النَّبِيذ وانحنى بجمودٍ قائلاً: «كما ترغب يا سموَّ الأمير»، واتَّجه إلى بابِ العُرفة الشَّمسيَّة وأغلقه وراءه بهدوء.

تفرَّسَ بيلُور كاسِر الحراب في عيني دنكن لحظةً طويلةً قبل أن يقول: «سير دنكن، دعني أسألك: إلى أيِّ مدى تبرع في الفروسيَّة حقًّا؟ ما مبلغ مهارتك بالسِّلاح؟».

لم يدرِ دنك ماذا يقول. «السير آرلان علَّمني السِّيف والثُّرس، والنِّزال على الحلقات والطواويس».

بدا أنَّ الإجابة أزعجتَ الأمير بيلُور. «أخي ميكار عادَ إلى القلعة قبل ساعاتٍ قليلة. لقد عثرَ على وريثه مخمورًا في خانٍ يبعد يومًا من الرُّكوب جنوبًا. ميكار لن يقرَّ بذلك أبدًا، لكنني

أعتقد أنه أمل سراً أن يمتاز ابناه عن ابنيّ في هذه الدّورة. بدلاً من ذلك أخزاه كلاهما، ولكن ماذا يفعل؟ إنهما دم دمه. ميكار غاضب، ويجب أن يجد هدفاً لِيُنْفِس فيه عن غضبه هذا، وقد اختارَكَ أنت».

قال دنك بتعاسة: «أنا؟».

- «إيريون وسوس لأبيه فعلاً، وديرون لم يُساعدك كذلك. ليُزَيِّرُ جُبنه، قال لأخي إنّ فارساً لصّاً ضخماً قابله مصادفةً على الطريق اختطفَ إيجون. يُؤسفني أنك وُضعت في دور هذا الفارس اللّص أيّها السير. حسب حكايته، قضى ديرون هذه الأيام كلّها في تتبّعك من مكانٍ إلى آخر ليستعيد أخاه».

- «لكن إيج سيُخبره بالحقيقة. أعني إيجون».

قال الأمير بيلور: «إيج سيُخبره، لا شكّ عندي، لكن الولد معروفٌ بالكذب أيضاً، وهو ما تُذكره أنت ولسبب وجيه. أيّ ابن سيُصدِّقه أخي؟ وفيما يخصّ محرّكي الدّمي فعند فروغ إيريون من تحريف الحكاية سيكون الأمر قد أصبحَ خيانةً عظّمي. التّنين رمز العائلة الملكيّة، فأن يُصوّر مقتل واحدٍ وانهمار نُشارة الدّم من عنقه... لا ريب أنها حركة بريئة، لكنها بعيدةٌ تماماً عن الحكمة. إيريون وصفّها بهجوم مستتر على عائلة تارجارين، بتحريض على التّمرد، وميكار سيؤاَفِّقه غالباً. أخي شائك الطّباع، وقد علّقَ أعرض آماله على إيريون منذ خيَّبها ديرون أيّما خيبة». أخذ الأمير رشفةً من النّبِيذ، ثم وضعَ الكأس جانباً متابعاً: «أيّا كان ما يُصدِّقه أخي أو يعجز عن تصديقه فحقيقةٌ واحدة مفروغٌ منها. أنت وضعت يدك على دم التّنين، ولقاء ذلك الجُرم يجب

أَنْ تُحَاكِمَ وَيُحَكِّمَ عَلَيْكَ وَتُعَاقِبَ».

- «أُعَاقِبُ؟». لَمْ يُعْجِبْ دَنْكُ وَقَعَ الْكَلِمَةَ.

- «إِيرِيُونُ يُرِيدُ رَأْسَكَ، بِأَسْنَانٍ أَوْ دُونَهَا. لَنْ يَنَالَهُ، أَعْدُكَ، لَكُنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبَى عَلَيْهِ الْمَحَاكِمَةَ. بِمَا أَنَّ وَالِدِي الْمُلُوكِي يَبْعُدُ مِثَالَ الْفَرَاخِ فَلَا بُدَّ أَنْ أَجْلِسَ وَأَخِي لِلْحُكْمِ عَلَيْكَ، وَمَعْنَى اللَّوْرْدِ أَشْفَرْدُ الْحَاكِمِ فِي هَذِهِ الْأَنْحَاءِ، وَاللُّوْرْدُ تَايِرْلُ سَيِّدِ (هَاجَارْدَنْ) وَسَيِّدِهِ الْأَعْلَى. آخِرَ مَرَّةٍ أَدِينُ رَجُلًا بَضْرَبَ أَحَدًا مِنْ الدَّمِ الْمَلِكِي، قُضِيَ بِفَقْدَانِهِ الْيَدَ الْمَسِيئَةَ».

رَدَّ دَنْكُ مَذْعُورًا: «يَدِي؟!».

- «وَقَدَمُكَ. لَقَدْ رَكَلْتَهُ أَيْضًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

وَعَجَزَ دَنْكُ عَنِ النَّطْقِ.

- «بَطْبِيعَةُ الْحَالِ سَاحَتْ زُمَلَاثِي الْقَضَاةُ عَلَى الرَّحْمَةِ. إِنَّنِي يَدُ الْمَلِكِ وَوَرِثُ الْعَرْشِ، وَلِكَلِمَتِي إِلَى حَدٍّ مَا وَزَنَ. لَكِنْ لِكَلِمَةِ أَخِي وَزَنًا أَيْضًا. الْمَخَاطَرَةُ وَارِدَةٌ».

قَالَ دَنْكُ: «أَنَا... أَنَا... سَمَوُ الْأَمِيرِ، أَنَا...». أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: إِنْهُمْ لَمْ يَتَعَمَّدُوا أَيَّ خِيَانَةٍ. كَانَ مَجْرَدُ تَبَيَّنِ خَشْبِي وَلَمْ يَقْصِدْ أَنْ يُمَثِّلَ أَمِيرًا مُلْكِيًّا، إِلَّا أَنَّ كَلِمَاتِهِ هَجَرَتْهُ تَمَامًا، وَهُوَ لَمْ يَبْرَعْ قَطُّ فِي صِيَاغَةِ الْكَلِمَاتِ.

بِهَدْوٍ قَالَ الْأَمِيرُ بِلُورُ: «لَدَيْكَ خِيَارٌ آخَرُ مَعَ ذَلِكَ. سَوَاءٌ أَهْوَ خِيَارٌ أَفْضَلُ أَمْ أَسْوَأُ فَلَا يُمَكِّنُنِي الْجَزْمَ، لَكُنِّي أَذْكُرُكَ بِأَنْ أَيَّ فَارِسٍ يُتَّهَمُ بِجَرِيمَةٍ تَحَقُّقُ لَهُ الْمَطَالَبَةُ بِمَحَاكِمَةٍ بِالنِّزَالِ. لَذَا أَسْأَلُكَ ثَانِيَةً أَيُّهَا السَّيْرُ دَنْكُنِ الطَّوِيلُ... إِلَى أَيِّ مَدَى تَبْرَعُ فِي

قال الأمير إيريون مبتسماً: «محاكمة بالسّبعة. هذا حقّي أنا على ما أعتقد».

نقرّ الأمير بيلور على الطاولة عاقداً حاجبيه، وعن يساره أوما اللورد آشفرد ببطء مؤيِّداً، أمّا الأمير ميكار فسأل مائلاً إلى الأمام نحو ابنه: «لماذا؟ أتخشى أن تواجه هذا الفارس الجوّال بمفردك وتدع الآلهة تُقرّر حقيقة إتّهاماتك؟».

ردّ إيريون: «أخشى؟ أحداً مثل هذا؟ لا تكن سخيّاً يا أبي. إنّ تفكيرى لهو في أخي الحبيب. ديرون أيضاً تعرّض لاعتداء هذا السير دنكن، وله الحقّ الأوّل في دمه. المحاكمة بالسّبعة تُتيح لكلّينا مواجهته».

غمغم ديرون تارجارين: «لا تُسدّ إليّ معروفاً يا أخي». يبدو ابن الأمير ميكار الأكبر أسوأ ممّا بدا عندما لاقاه دنك في الخان، ومع أنّ الظاهر أنه مفيق هذه المرّة، ولا يُلَوِّث النّبذ دبلّيته الحمراء والسّوداء، فعيناه محفّقتان بالدّم وجهته مغطّاة بلمعة العرق. «أنا راضٍ بتشجيعك فيما تفتك بالمارق».

قال الأمير إيريون مبتسماً باتّساع: «إنك في غاية اللّطف يا أخي الجميل، لكنها أناانيةٌ مني أن أبى عليك حقّ إثبات صحّة كلامك بتعريض جسدك للخطر. يجب أن أصرّ على محاكمة بالسّبعة».

تملكت دنك الحيرة، وقد خاطب المنصّة قائلاً: «سموّ الأمير، أيّها السّادة، إنني لا أفهم. ماذا تعني المحاكمة بالسّبعة؟».

اعتدل الأمير بيلور بغير راحةٍ في جلسته، وأجاب: «إنها صنف آخر من المحاكمة بالنّزال. تقليدٌ عتيق، نادرًا ما يتّكل عليه أحد. لقد وصل إلينا عبر (البحر الضيق) مع الأنداليين وآلهتهم السّبعة. في أي محاكمة بالنّزال يسأل المتهم والمتهم الآلهة أن تبثّ في المسألة بينهما. الأنداليون اعتقدوا أنه إذا قاتل سبعة أنصار على كلّ جانب فسيرجع أن تتدخل الآلهة وقد نالت تكريمها وتضمن التّوصل إلى عاقبة عادلة».

علّق اللورد ليو تايرل الذي مسّت ابتسامةٌ مستهزئة شفتيه: «أو إنهم ببساطة مالوا إلى المسايقة»، ثم أردف: «بغض النظر، السير إيريون في نطاق حقوقه. لا بدّ أن تُعقد محاكمة بالسّبعة».

يائسا سأل دنك: «أيجب أن أقاتل سبعة رجالٍ دفعةً واحدة؟».

أجابّه الأمير ميكار بصبر يكاد ينفد: «ليس بمفردك أيّها السير. لا تُمثّل الحماقة، فلن ينفعك هذا. يجب أن يُقاتل سبعة ضد سبعة. عليك أن تعثر على ستّة فرسانٍ آخرين ليقاتلوا بجانبك».

- ستّة فرسان. كأنهم يقولون له أن يعثر على ستّة آلاف. إنه بلا إخوة، ولا أبناء عمومة، ولا رفاق قُدامى وقفوا إلى جواره في المعارك. لماذا يُجازف ستّة غُرباء بحيواتهم ليُدافعوا عن فارس جوّال ضد أميرين من العائلة الملكيّة؟ «سموّ الأمير، أيّها السّادة، ماذا إذا رفض أيّ أحد الانضمام إلّي؟».

نظر إليه ميكار تارجارين من أعلى ببرودٍ قائلاً: «لو أنّ

القضية عادلةٌ فسيقاتل الرجال الصالحون في سبيلها. إذا لم تستطع العثور على أي أنصارٍ أيها السير فذلك لأنك مذب. هل من شيء أوضح؟».

لم يشعر دنك قطً بمثل هذه الوحدة التي استبدت به إذ خرج من بوابة (قلعة آشفرد) وسمع قعقة الشبكة الحديدية وهي تنزل من خلفه. كان الطل يسقط خفيفاً كالندى على جلده، ومع ذلك ارتجف للمستته. على ضفة النهر الأخرى طوقت هالات من الألوان السراذقات المعدودة التي لا تزال في داخلها نار، فخمّن أنّ نصف الليل انقضى، وسيطلع عليه الفجر خلال ساعاتٍ قليلة. ومع الفجر يأتي الموت.



لقد أعادوا إليه سيفه وفَضَّته، ورغم ذلك وهو يتوغّل في مياه المخاضة غلّفت أفكاره الكآبة. تساءل هل يتوقعون منه

أَنْ يُسَرِّجَ حَصَانًا وَيَفِرَّ. يَسْتَطِيعُ إِذَا أَرَادَ. طَبْعًا سَيَعْنِي ذَلِكَ نَهَايَةَ فَرُوسِيَّتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ لَنْ يَعُودَ إِلَّا خَارِجًا عَنِ الْقَانُونِ إِلَى أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ أَحَدُ اللُّوردَاتِ وَيَقْطَعَ رَأْسَهُ. قَالَ لِنَفْسِهِ بَعْنَاد: خَيْرٌ لِي أَنْ أَمُوتَ فَارِسًا مِنْ أَنْ أُعِيشَ تِلْكَ الْحَيَاةَ. مَبْتَلًا حَتَّى الرُّكْبَتَيْنِ، مَشَى بِتَثَاوُلٍ مَرُورًا بِمُضْمَارِ الْمُتَأَقِّفَاتِ الْخَالِي. مُعْظَمُ السُّرَادَقَاتِ مُظْلَمٌ وَقَدْ نَامَ أَصْحَابُهَا مِنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، لَكِنَّهُ رَأَى هُنَا وَهَنَاقَ شَمُوعًا قَلِيلَةً لَا تَزَالُ مُشْتَعِلَةً، وَمِنْ دَاخِلِ إِحْدَى الْخِيَامِ سَمِعَ أَهَاتٍ نَاعِمَةً وَصِيحَاتٍ لَذَّةً، وَحَدَا بِهِ هَذَا إِلَى التَّسَاوُلِ هَلْ سَيَمُوتُ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ فَتَاةً يَوْمًا.

ثُمَّ سَمِعَ حَصَانًا يَنْخُرُ، وَبِوَسِيلَةٍ مَا عَلِمَ أَنَّهُ نَخِيرُ ثَنْدَر. دَارَ دَنْكَ عَلَى عَقْبِيهِ وَجَرَى، وَهِيَ هِيَ ذَا ثَنْدَرٍ مُقَيَّدٍ مَعَ تَشْتَتَتْ خَارِجَ سُرَادَقٍ مُسْتَدِيرٍ يُنِيرُهُ مِنَ الدَّاخِلِ وَهَجٌّ ذَهَبِيٌّ مَبْهَمٌ، وَفَوْقَ قَائِمَتِهِ الْمُرْكُزِيَّةِ رَايَةً مُخْضَلَّةً، لَكِنْ دَنْكَ اسْتَطَاعَ تَمْيِيزَ انْحِنَاءِ تُفَاحَةِ فُوسُوَوَايِ الدَّائِكَةِ، وَبَدَأَ الْمَشْهَدَ كَبْصِصٍ أَمَلٍ.

- «مَحَاكِمَةٌ بِالْإِنِّزَالِ». قَالَهَا رَايْمَنْ بِنْبِرَةٍ ثَقِيلَةٍ. «بِحَقِّ الْآلِهَةِ يَا دَنْكَنْ، مَعْنَى هَذَا رِمَاحَ حَرِيَّةٍ، كُرَاتِ شَائِكَةٍ، فُؤُوسَ مَعَارِكٍ... السُّيُوفِ لَنْ تَكُونُ مِثْلَمَةً، هَلْ تَفْهَمُ؟».

قَالَ ابْنُ عُمُومَتِهِ السَّيْرِ سَتْفُونُ سَاخِرًا: «رَايْمَنْ الْمَتَرْدَّدُ». تُثَبِّتُ تُفَاحَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ مَعْطَفُهُ الصُّوفُ الْأَصْفَرُ. «لَا دَاعِي لِلْخَوْفِ يَا ابْنَ الْعَمِّ، إِنَّهُ نَزَالٌ لِلْفُرْسَانِ. بِمَا أَنَّكَ لَسْتَ فَارِسًا فَلَا خَطَرَ عَلَيْكَ. سَيَرُ دَنْكَنْ، إِنَّ مَعَكَ فُوسُوَوَايِ وَاحِدًا عَلَى الْأَقْلِ، النَّاضِجِ. لَقَدْ رَأَيْتُ مَا فَعَلَهُ إِيْرَبُونُ بِمَحْرَكِي الدُّمَى. إِنِّي فِي صِفِكَ».

مغضبًا قال رايمن: «وأنا كذلك. قصدتُ فقط...».

قاطعَه ابن عمومته: «مَن أيضًا سَيُقَاتِلُ معنا أيُّها السَّير دنكن؟».

بسطَ دنك يديَه بقنوطٍ مجيئًا: «لا أعرفُ أحدًا آخَرَ، لا أحد باستثناء السَّير مانفرد دُنْدَارِيُون. لقد رفضَ أن يشهد بأني فارس، فلن يُخاطرَ بحياته من أجلي أبدًا».

لَاخَ شيء من الاضطراب على السَّير ستفون إذ قال: «نحتاجُ إذاً إلى خمسة رجال صالحين. لِحَسَن الحِظِّ أن لي أكثر من خمسة أصدقاء. ليوا الشُّوكَة الطَّويلة، العاصفة

الصَّاحِكة، اللورد كارون، ولدا لانستر،

السَّير أوثر براكن... أجل، وأولاد بلاكوود

أيضًا، ولو أنك لن تُفْلِحَ أبدًا في جعل

بلاكوود وبراكن يُقَاتِلَانِ في صِفِّ واحد

في التحامٍ جماعي».

اعترضَ ابن عمومته: «لن يُفْرِحَهُم أن

يُوقِفُوا في هذه السَّاعة».

قال السَّير ستفون: «ممتاز. إذا غضبوا

فسيُقَاتِلُون بِمَزِيدٍ من الشَّرَاسَة. يُمكنك

الاعتماد عليَّ أيُّها السَّير دنكن.

اسمع يا ابن العمِّ، إذا لم أرجع قبل الفجر فاجلب درعي



واحرص على تسريح راث وتدريعه من أجلي. سأقابلكما في حلبة المتحدّين»، وأضاف ضاحكاً: «سيُذكر هذا اليوم طويلاً على ما أظنُّ». حين غادرَ الخيمة بخطواتٍ واسعة بدا أقرب إلى السَّعادة.

أمّا رايمَن فلا، فبعد رحيل ابن عمومته قال بجهامة: «خمسة فرسان. دنكن، أكره أن أحطّم آمالك، ولكن...».

- «إذا استطاع ابن عمومتك جلب الرِّجال الذين ذكرهم...».

قال رايمَن: «ليؤ الشُّوكة الطَّويلة؟ غاشم براكن؟ العاصفة الضّاحكة؟»، ونهَضَ مواصلاً: «إنه يعرفهم جميعاً، لا شكَّ عندي، لكن ثقتي أقلُّ بمعرفتهم هُم به. ستفون يراها فرصةً للمجد، لكنها تعني حياتك. حرّيتي بك أن تجد رجالك بنفسك. سأساعدك. أفضلُ أن يزيد أنصارك على اللازم من أن يقلُّوا عنه». في تلك اللَّحظة أدارَ رايمَن رأسه على إثر ضوضاء من الخارج، وإذا سأل: «مَن هناك؟»، دخلَ غلام من سديلة الخيمة منحنيّاً، يتبعه رجلٌ نحيل في معطفٍ أسود مشبَّع بماء المطر. قامَ دنك قائلاً: «إج؟ ماذا تفعل هنا؟».

أجابَه الغلام: «إنني مُرافقتك. سيلزمك مَن يُلْبِسك درعك أيُّها السير».

- «هل يعرف السيّد والدك أنك غادرت القلعة؟».

- «بحقِّ الآلهة، لا آملُ ذلك». قالها ديرون تارجارين وهو يحلُّ مشبك معطفه ويترّكه ينزلق عن كتفيه النّحيلتين.

صاحَ دنك: «أنت؟! أمجنون أنت لكي تأتي إلى هنا؟»، وسحبَ

سَكِينَه مِنْ غَمْدِهِ مُرْدَفًا: «جَدِيرٌ بِي أَنْ أَغْرِزَهُ فِي بَطْنِكَ».

قال الأمير دِيرُون: «على الأرجح، لكنني أوشرُ أن تصبَّ لي كأس نبيذ. انظر إلى يديَّ»، ورفع إحداهما ليروا جميعًا رعشتها. تقدَّم إليه دنك بنظرة عابسة، وقال: «لا أبالي بيديك. لقد تكلمت عني كذِّبًا».

ردَّ الأمير: «كان عليَّ أن أقول شيئًا، أيَّ شيء، حين طالبَ أبي بأن يعرف أين ذهبَ أخي الصَّغير»، وتابع وهو يجلس متجاهلاً دنك وسَكِينَه: «الحقُّ يُقال، لم ألحظ أصلًا أن إج اختفى. لم يكن في قعر كأس نبيذي، ولم أنظر في مكانٍ آخر، ف...»، وصمَّت متنهِّدًا.

تدخَّل إج قائلاً: «سير، أبي سينضمُّ إلى المتَّهمين السَّبعة. توسَّلتُ إليه ألا يفعل، لكنه يأبى الإصغاء. يقول إنها الطَّريقة الوحيدة لاسترداد شرف إيريون، وديرُون أيضًا».

قال الأمير دِيرُون بنبرة لاذعة: «مع أنني لم أطلب قطَّ استرداد شرفي. على حدِّ اهتمامي، فليحتفظ به من أخذه أيًّا كان. ولكن ها نحن أولاء. في رأيي المتواضع أيُّها السير دنكن، لا يوجد ما تخشاه مني. الشَّيء الوحيد الذي أحبه أقل من الخيل هو السُّيوف. أشياء ثقيلة، وحدَّتها فظيعة. سأبذل قصارى جهدي لأبدو بأسلاً خلال الهجمة الأولى، أمَّا بعد ذلك... قد يُمكنك أن تُصيبنني بضربة موفَّقة على جنب الخوذة. اجعلها ترنُّ، ولكن ليس أعلى من اللازم لو أنك تفهم ما أعنيه. إخوتي يتفوقون عليَّ حين يتعلَّق الأمر بالقتال والرَّقص والتَّفكير وقراءة الكتب، لكن أحدًا منهم لا يبلِّغ نصف براعتي في الارتماء فاقد الحسِّ

في الوحل».

لم يستطع دنك إلا أن يُحدِّق إليه ويتساءل هل يُحاول الأمير الصَّغير استغفاله. «لماذا أتيت؟».

- «لأحذرك ممَّا تُواجهه. لقد أمرَ أبي الحرس الملكي بالقتال معه».

رَدَّد دنك مفزوعًا: «الحرس الملكي؟».

- «الثلاثة الموجودون هنا. الشُّكر للآلهة أنَّ العمَّ بيلور ترك الأربعة الآخرين في (كينجز لاندنج) مع جدِّنا الملوكي».

زوَّده إيج بأسمائهم: «السير رولند كريكهول، والسير دُونل ابن (وادي الغسق)، والسير وليم وايلد».

أضافَ ديرون: «خيارهم في الأمر محدود. لقد أقسموا على حماية حياة الملك والعائلة الملكيَّة، وإخوتي وأنا من دم التَّين، ولتُعيننا الآلهة».

عدَّ دنك على أصابعه، وقال: «أي إنَّ لديكم ستَّة. من الرِّجل السَّابع؟».

هزَّ الأمير ديرون كتفيه مجيبًا: «إيريون سيجد أحدًا. سيشتري نصيرًا إذا لزم الأمر. إنه لا يفتقر إلى الذهب».

سألَ إيج: «مَن لديك؟».

- «ابن عمومة رايمن، السير ستفون».

جفَلَ ديرون قائلاً: «واحد فقط؟».

- «السير ستفون ذهب إلى بعض أصدقائه».

قال إج: «أستطيع أن أجلب أناسًا، فرسانًا، أستطيع».

قال له دنك: «إج، إنني سأقاتل أخوتك».

- «لكنك لن تؤذي ديرون. لقد أكد لك أنه سيسقط. وإيريون... أذكر أنه اعتاد وأنا صغير أن يدخل غرفة نومي ليلاً ليضع سكينه بين ساقي ويقول إن له إخوة أكثر من اللازم، وذات ليلة قد يجعلني أخته، وعندئذ يمكنه أن يتزوجني. لقد رمى قطتي في البئر أيضًا. يقول إنه لم يفعل، لكنه يكذب دومًا».

بتعب هز الأمير ديرون كتفيه، وقال: «إج يقول الحقيقة. إيريون وحشٌ شنيع. إنه يخال نفسه تينًا في هيئة بشرية. لهذا أغضبه بشدة عرض العرائس. مؤسف أنه لم يولد من آل فوسوواي ليخال نفسه تفاحةً ونمسي جميعًا آمن بكثير، ولكن هي ذي حالنا»، ثم نهض ملتقطًا معطفه الساقط ونفض عنه ماء المطر مواصلاً: «يجب أن أتسلل إلى القلعة من جديد قبل أن يتساءل أبي لماذا يستغرق شحد سيفي كل هذا الوقت، ولكن قبل أن أذهب، أرغب في كلمة على انفراد أيها السير دنكن. هلاً مشيت معي؟».

رمى دنك الأمير الصغير بريبة لحظةً، ثم أغمد خنجره قائلاً: «كما تشاء يا سمو الأمير. علي أن أحضر تُرسي أيضًا».

وعده رايمن: «إج وأنا سنبحث عن فرسان».

عقد الأمير ديرون معطفه حول عنقه ورفع القلنسوة، وتبعه دنك إلى المطر الخفيف بالخارج، ليمشيا صوب عربات التجار.

قال الأمير: «لقد حلمتُ بك».

- «هكذا قلت في الخان».

- «حقًا؟ حسن، إنها الحقيقة. أحلامي ليست كأحلامك أيُّها السير دنكن. أحلامي أنا صحيحة. إنها تُخيفني. أنت شخصيًا تُخيفني. لقد حلمتُ بك وبتَيْنِ ميت، وحشر عظيم، هائل، جناحاه كبيران إلى درجة تغطية هذا المرج. سقط التَيْنِ فوقك، لكنك ظللت حيًّا وماتَ التَيْنِ».

- «هل قتلته؟».

- «هذا ما لا أعلمه، لكنك كنت هناك، وكذلك التَيْنِ. لقد كنا سادة التَّانين ذات يوم، نحن آل تارجارين، والآن انقرضت التَّانين جميعًا ونحن باقون. لا أريدُ أن أموت اليوم. وحدها الآلهة تعلم السَّبب، لكنني لا أريدُ، فأسدِ إليَّ صنيعًا إذا قدرت واحرص أن يكون أخي إيريون مَن تَقْتله».

قال دنك: «أنا أيضًا لا أريدُ أن أموت».

قال الأمير: «لن أقتلك أنا أيُّها السير، وسأسحب اتِّهامي أيضًا، لكن ذلك لن يُفيد ما لم يسحب إيريون اتِّهامه»، وزفر مُتبعًا: «ربُّما قتلتك بكذبتِي. إذا صحَّ ذلك فأنا آسفٌ. إنَّ مصيري جحيمٌ ما، أعلمُ. غالبًا جحيمٌ بلا نبذ». ارتعد دِيرُون، وعلى هذه الحال افترقا، هناك في الطلِّ البارد.

يصفُ الثَّجَّارُ عرباتهم عند حدِّ المِرج الغربي تحت أجمة من شجر القُضبان والمُرَّان. وقفَ دنك تحت الأشجار ونظرَ بعجزٍ إلى المساحة الخالية التي احتلتها من قبلُ عربة محرَّكي الدُمى. رحلوا. هكذا خشي. كنتُ سأهربُ أيضًا لو أني لستُ غليظَ العقل كسور قلعة. تساءل ماذا سيفعل الآن ليحصل على تُرس. قدَّر أنه يملك الفضة لشراء واحد، هذا لو وجدَ واحدًا للبيع... ناداه صوتٌ من الظلمة: «سير دنكن»، فالتفتَ ليلفي بيت الفولاذي خلفه حاملًا فانوسًا من الحديد. تحت معطف جلدي قصير وقف صانع السِّلاح عاري الجذع، يُغطِّي صدره العريض وذراعيه السِّميكَتين شعرٌ أسود خشن. بادره بيت: «إذا أتيت من أجل تُرسك فقد تركته معي»، وتطلع إلى دنك من أعلى إلى أسفل قائلاً: «يدان وقدمان حسب عدي. هي محاكمة بالنزال إذا، صح؟».

- «محاكمة بالسَّبعة. كيف عرفت؟».

- «لربَّما قبلوك وجعلوك لوردًا، وإن لم يبدُ ذلك واردةً، ولو مضى الأمر في الاتجاه الآخر لنقصتك بضعة أطراف. والآن اتبعني».

سهلَ تمييز عربة بيت من السِّيف والسَّندان المرسومين على جنبها. تبعه دنك إلى الدَّاخل، حيث علَّق صانع السِّلاح الفانوس على خُطافٍ وخلعَ معطفه المبتلَّ وارتدى غلالةً من الخيش. من أحد الجدران ينزل لوحٌ معلق بمفصلات ليعمل بمثابة طاولة، وقد قال بيت لدنك دافعًا نحوه كرسياً واطناً: «اجلس».

سأله دنك وهو يجلس: «أين ذهبَت؟».

أجابَ بِيت: «إنهم متَّجهون إلى (دورن). خال الفتاة، إنه رجلٌ حكيم. البعيد عن العين بعيد عن العقل؛ ابقَ منظورًا وغالبًا سيتذكرك التَّين. علاوةً على ذلك، الرَّجل لم يحسب أنَّ على الفتاة أن تراك تموت»، ثم ذهبَ إلى طرف العربة القصيِّ وفَتَّش في الظِّلال لحظاتٍ قبل أن يعود بالترس. «حافتك كانت قديمةً، فولاذ رخيص، هَشٌّ وصدئ. صنعتُ لك واحدةً جديدةً بضعف السُّمك، ووضعتُ بعض الشَّرائط المثبِّتة على الظهر. ستجده أثقل الآن، لكنه أقوى أيضًا. الفتاة تولَّت الرِّسم».

ولقد أدَّت عملاً أجود ممَّا كان يُمكن أن يأمل. حتى على ضوء الفانوس بدَّت ألوان الغروب غنيَّة زاهيةً، والشَّجرة طويلةً وقويَّةً ونبيلةً، والنَّجم الهاوي شقًّا بَرَّاقًا من الطِّلاء في السَّماء السَّنديانيَّة. ومع ذلك، الآن وقد أمسكها بيده، بدَّت الصُّورة خطأ تمامًا. النَّجم يهوي، فأَيُّ نوعٍ من الرُّموز هذا؟ هل سيهوي



بدوره بالسُّرعة نفسها؟ والغروب يُؤذِن بحلول اللَّيل. قال دنك بيؤس: «كان عليّ أن أحتفظ بالكأس. على الأقل كان لها جناحان للطَّيران، والسير آرا لآن قال إنّ الكوب مليء بالإيمان والمودّة والمشاريب الطّيبة. الثُّرس مرسومٌ كأنه الموت».

أشارَ بَيت: «الدَّرْدارة حيّة. أترى خُضرة الأوراق اليانعة؟ أوراق صيفيّة دون ريب. ثم إنني رأيتُ ترأسًا مزينةً بجماجم وذئاب وغدبان، بل وبرجال مشنوقين ورؤوس دامية، ولقد أدّت المطلوب منها، وكذا سيفعل هذا. هل تعرفُ أسجوعة الثُّراس القديمة؟ السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء...».

- «... وإلّا فأنا مَيِّتٌ وإلى الجحيمِ الانتهاء». منذ سنين لم يُفكّر دنك في تلك الأسجوعة التي لقنها له العجوز قبل زمنٍ طويل. «كم تُريد لقاء الحافة الجديدة والبقية؟».

قال بَيت: «منك؟»، وحكّ لحيته مجيبًا: «قطعة نُحاسيّة واحدة».

انقطع المطر تقريبًا وأوّل خيوط الفجر الباهتة يُضِرِّج سماء الشُّرق، ولكن بعدما آتى مفعوله. أزالَ رجال اللورد أشفرد الحواجز، واستحالَ حقل المباريات إلى مستنقع واحد عظيم من الوحل البني الرَّمادي والعُشب الممزّع، وراحت محالِق من الضُّباب تلتوَّى على الأرض كثعابين بيضاء شاحبة فيما شقّ دنك طريقه عودةً إلى المضمار ومعه بَيت الفولاذي.

بدأت مدرّجات المشاهدة تمتلئ بالفعل، وفوقها ضَمَّ اللوردات والليديها معاطفهم على أبدانهم بإحكام اتِّقاءً لبرودة الصُّبح. وكان العوام أيضًا ينساقون نحو الحقل، ووَقَفَ مئات منهم على طول السَّياج. فكَّر دنك بمرارة: كثيرون جدًّا أتوا ليروني أموت. غير أنه ظلَّمهم، فبعد خُطواتٍ قليلة صاحت امرأة: «حظًا طيِّبًا لك»، وتقدَّم عجوزٌ لِيُمسِكَ يده ويقول: «عسى أن تمنحك الآلهة القوَّة أيُّها السير»، ثم رَدَّدَ أَخ شَحَّاذٍ في رداء بني مهترئ صلاة بركةٍ على سيفه، وقبلته فتاةً على خَدِّه. إنهم في صَفِّي. سأل دنك بيت: «لماذا؟ ماذا أعني لهم؟».

أجاب الحدَّاد: «فارسًا تذكَّر نذوره».



وجدا رايمان خارج حلبة المتحدّين عند طرف المضمار الجنوبي، ينتظر بحصان ابن عمومته وحصان دنك، ثندر الذي انتفض بضيق تحت وزن وافي القذال وواقي الرأس وكسوة الحلقات المعدنية الثقيلة. فحَصَ بَيْت الدِرْع وأعلن أنها متقنة الصُّنع مع أنَّ شخصًا آخر صاغها، وأيًا كان المكان الذي أتت منه فقد شعرَ دنك بالامتنان.

ثم رأى الآخرين: الرَّجل الأعور بلحيته ذات لونَي الملح والفلل، والفراس الشاب بمِعطفه المخطَّط بالأصفر والأسود وخلايا النحل على ثُرسه. فكَر مندَهشًا: رُوبِن ريزلنج وهمفري بيزيري، والسير همفري هاردنج أيضًا. امتطى هاردنج كرَّار إيريون الأحمر، المدرَّع الآن بالآلماس الأحمر والأبيض.

ذهب إليهم قائلاً: «أيُّها الفرسان، إنني مدينٌ لكم».

ردَّ همفري هاردنج: «الدَّين على إيريون، وننوي أن نستوفيه».

- «سمعتُ أنَّ ساقك انكسرت».

قال هاردنج: «سمعت الحقيقة. لا يُمكنني المشي، ولكن ما دامُ بإمكانني ركوب حصانٍ فبإمكانني القتال».

انتحى رايمان بدنك جانبًا، وقال له: «أملتُ أن يرغب هاردنج في فرصةٍ أخرى لقتال إيريون، وقد كان. يتصادفُ أنَّ همفري الآخر أخوه بالمصاهرة. إيج المسؤول عن إحضار السير روبن الذي يعرفه من دورةٍ أخرى. أنتم خمسةٌ إذا».

بعجب قال دنك مشيرًا: «ستة». كان فارسٌ يدخلُ الحلبة، ويقود مُرافقه كرَّاره وراهه. «العاصفة الضاحكة». يعلو السير

لاينل رايمن بمقدار رأس ويُنَاهِز دنك طولاً، وقد ارتدى معطفاً من قماش الذهب يحمل وعل عائلة باراثيون المتوّج، ووضع خوذته ذات القرون تحت إبطه. مدّ دنك يده إليه قائلاً: «سير لاينل، إنني عاجزٌ عن شُكرك كفايةً لمجيئك، أو شُكر السير ستفون لأنه أحضرك».

حدّجه السير لاينل بنظرة حائرة، وقال: «السير ستفون؟



مُرافقك هو الذي أتاني، الصّبي إيجون. الفتى مُرافقني حاول أن يطرّده، لكنه جرى من بين ساقيه وسكب إبريق نبيذ على رأسي»، وضحك متابعاً: «لم تُعقّد محاكمةً بالسّبعة منذ مئة عام وزيادة، أتدري ذلك؟ ما كنتُ لأفوتُ فرصةً لقتال فرسان الحرس الملكي وقرص أذن الأمير ميكار فوق البيعة».



فيما انضمَّ السير لائيل إلى الآخرين، قال دنك لرايمن فوسوواي بأمل: «سَتَّة. مؤكَّد أنَّ ابن عمومتك سيجلب الرَّجُل الأخير».

ارتفع هتاف مدوّ من المتفرّجين، فعند طرف المرج الشمالي خبّ طابور من الفرسان منبثقًا من ضباب النّهر. تقدّم رجال الحرس الملكي الثلاثة أولاً مثل أشباح في دروعهم المينا البيضاء البرّاقة ومعاطفهم البيضاء الطويلة الممتدّة خلفهم. حتى تراسهم بيضاء، مصمتة ونظيفة كحقل من الثلج السّاقط لتوّه. وراءهم ركّب الأمير مينكار وابناه، يمتطي إيريون حصانًا رماديًا أرقش، ويومض البرتقالي والأحمر عبر الشقوق في كسوة الحصان مع كلّ خطوة، أمّا برذون أخيه فكُميت أصغر حجمًا، مدرّع بصفائح سوداء وذهبيّة متداخلة، ومن خوذة ديرون تمتدّ ريشة من الحرير الأخضر. على أنّ هيئة أبيهما هي الأكثر مهابة، إذ تمتدّ أسنان تنين سوداء مقوّسة على كتفيه وقمّة خوذته وظهره، والمقمعة الشّائكة الضّخمة المثبّته إلى سرجه تبدو من أشدّ الأسلحة التي رآها دنك فتكًا.

صاح رايمن فجأة: «سَتَّة. إنهم سَتَّة فقط».

رأى دنك صحّة كلامه. ثلاثة فرسان سود وثلاثة بيض. ينقّصهم رجل أيضًا. أممكّن أنّ إيريون لم يستطع العثور على رجل سابع؟ ما الذي سيعنيه ذلك؟ هل سيقاتلون سَتَّة ضد سَتَّة إذا لم يجد أيّ الفريقين سابعًا؟

انسلّ إيج ليقف بجواره وهو يُحاول الاستيعاب، وقال: «سير، حان الوقت لترتدي درعك».

- «شكرًا أيُّها المرافق. هلاً ساعدتني إذا سمحت؟».

عاونَ بَيْتَ الفولاذي الصَّبِي. الزَّرْدَ والعُنْقِيَّةَ، والكلسة والقُفَّازَ،
والمِغْفَرَ وواقِي الصَّفْنِ، هكذا حَوْلَاهُ إلى فولاذٍ مستوثقين من
كُلِّ إِبْزِيمٍ وكلِّ مَشْبِكٍ ثَلَاثًا. جَلَسَ السَّيْرَ لائِنَلْ يَسْنُ سَيْفِهِ عَلَى
مَشْحَدٍ، فِيمَا تَكَلَّمَ الثَّنَائِي هَمْفَرِي بِهِدْوَاءَ، وَصَلَّى السَّيْرَ رُؤْبِنَ،
وَتَحَرَّكَ رَايْمَنَ فَوْسُووَاي جِيئَةً وَذَهْوَبًا يَتَسَاءَلُ أَيْنَ ابْنُ عَمُوْمَتِهِ.
كَانَ دَنْكَ قَدْ دُرِّعَ بِالْكَامِلِ عِنْدَمَا ظَهَرَ السَّيْرُ سَتْفُونُ أَخِيرًا
وَنَادَى: «رَايْمَنَ، زَرْدِي مِنْ فَضْلِكَ». بَدَّلَ فَوْسُووَاي بَثْوَبَهُ دَبْلِيَّةً
مَبْطُنَةً لِيَرْتَدِيهَا تَحْتَ الْفُولَازِ.

قَالَ دَنْكَ: «سَيْرُ سَتْفُونُ، مَاذَا عَنْ أَصْدِقَائِكَ؟ يَلْزِمُنَا فَارْسُ
آخِرٍ لِيُكْمَلَ سَبْعَتُنَا».

رَدَّ السَّيْرُ سَتْفُونُ: «يَلْزِمُكُمْ اِثْنَانُ لِلْأَسْفِ»، فِيمَا عَقَدَ رَايْمَنُ
الْأَرْبُطَةَ عَلَى ظَهْرِ زَرْدِهِ.

لَمْ يَفْهَمْ دَنْكَ. «سَيِّدِي؟ اِثْنَانُ؟».

التَقَطَ السَّيْرُ سَتْفُونُ قُفَّازًا مِنَ الْفُولَازِ الْمَشْبُوكِ الْمَمْتَازِ وَدَسَّ
فِيهِ يُسْرَاهُ لِيُثْنِيَ أَصَابِعَهُ وَيَسْطِهَا، وَقَالَ فِيمَا مَنْطَقَهُ رَايْمَنُ بِنَجَادِ
سَيْفِهِ: «أَرَى خَمْسَةً هُنَا. بِيْزِيرِي، رِيْزَلَنْجَ، هَارْدَنْجَ، بَارَاثِيُونُ،
وَأَنْتَ».

- «وَأَنْتَ. أَنْتَ السَّادِسُ».

قَالَ السَّيْرُ سَتْفُونُ مَبْتَسِمًا: «أَنَا السَّابِعُ، وَلَكِنْ عَلَى الْجَانِبِ
الْآخِرِ. سَأَقَاتِلُ مَعَ الْأَمِيرِ إِيْرِيُونِ وَالْمُتَّهَمِينَ».

كَانَ رَايْمَنُ عَلَى وَشَكِّ مَنَاوِلَةِ ابْنِ عَمُوْمَتِهِ خُوْذَتِهِ، لَكِنَّهُ تَوَقَّفَ
كَأَنَّمَا صُغِقَ، وَقَالَ: «لَا».

هَزَّ السَّيْرُ سَتْفُونَ كَتْفَيْهِ قَائِلًا: «نَعَمْ. السَّيْرُ دَنَكُنْ يَتَفَهَّمُ، أَنَا وَاشُقْ. إِنَّ عَلَيَّ وَاجِبًا لِأَمِيرِي».

قَالَ رَايْمَنُ الَّذِي امْتَقَعَ وَجْهَهُ: «قُلْتُ لَهُ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَيْكَ».

قَالَ فُوسُؤَوَاي: «حَقًّا؟»، وَأَخَذَ الْخُوْذَةَ مِنْ يَدَيِ ابْنِ عَمُوْمَتِهِ مُرْدَفًا: «لَا شَكَّ أَنِّي قُلْتُهَا صَادِقًا. أَحْضِرْ حِصَانِي».

رَدَّ رَايْمَنُ مَغْضَبًا: «أَحْضِرْهُ بِنَفْسِكَ. إِذَا حَسَبْتَ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ

أَلْعَبَ أَيَّ دَوْرٍ فِي هَذَا فَإِنَّكَ غَبِيٌّ مِثْلَمَا

أَنْتَ وَضِيعٌ».

رَدَّدَ السَّيْرُ سَتْفُونَ:

«وَضِيعٌ؟»، وَطَقَطَقَ بِلِسَانِهِ

قَائِلًا: «صُنْ لِسَانَكَ يَا

رَايْمَنُ. كَلَانَا تُفَاحَةٌ مِنْ

الشَّجَرَةِ نَفْسَهَا، وَأَنْتَ

مُرَافِقِي، أَمْ نَسِيتَ نَذْرَكَ؟».

- «كَلَّا. هَلْ نَسِيتَ أَنْتَ نَذْرَكَ؟ لَقَدْ أَقْسَمْتَ أَنْ تَكُونَ

فَارِسًا».

- «سَأَكُونُ أَكْثَرَ مِنْ فَارِسٍ قَبْلَ نَهَايَةِ الْيَوْمِ. اللَّوْرْدُ فُوسُؤَوَاي.

يُعْجِبُنِي وَقَعَهَا». مَبْتَسِمًا، وَضَعَ السَّيْرُ سَتْفُونَ فِرْدَةً قُفَّازَهُ الْآخَرَى

وَدَارَ عَلَى عَقْبَيْهِ قَاطِعًا الْحَلْبَةَ نَحْوَ حِصَانِهِ، وَمَعَ أَنَّ الْمَدَافِعِينَ

الْآخَرِينَ رَشَقُوهُ بِنَظَرَاتٍ الْاِحْتِقَارِ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَتَحَرَّكَ



شاهدَ دنك السير ستفون يقود برذونه عبر الحقل، وقد انضمت قبضتاه بقوة وإن أحسَّ أنَّ حلقه أضعف من أن يتكلَّم. لا كلام يُمكن أن يُؤثر في أمثاله على كلِّ حال.

وضعَ رايمَن يده على كتف دنك وأداره قائلاً: «نصِّبني فارسًا. سأحلُّ محلَّ ابن عمومي. سير دنكن، نصِّبني فارسًا»، ثم ركع على رُكبةٍ واحدة.

بوجهٍ مقطَّب مدَّ دنك يده إلى مقبض سيفه الطويل، ثم تردَّد. «رايمَن، إنني... لا يجدر بي».

- «يجب أن تفعلها. من غيري عددكم خمسة فقط».

قال السير لائيل باراثيون: «الفتى يقول الحقَّ. افعلها يا سير دنكن. لأيِّ فارسٍ أن يُسبغ الفروسيَّة».

سأله رايمَن: «ألديك شكٌّ في شجاعتي؟».

- «لا، ليس ذلك، ولكن...». ظلَّ دنك على تردُّده.

شَقَّتْ جوقةٌ من الأبواق هواء الصُّباح الضَّبابي، وهرعَ إليهم إيج قائلاً لدنك: «اللورد آشفرد يستدعيك».

هزَّ العاصفة الضَّاحكة رأسه بصبرٍ شحيح، وقال: «اذهب إليه يا سير دنكن. سأمنحُ أنا المُرَافق رايمَن فروسيَّته»، ثم دفعَ دنك جانبًا بكتفه، وامتشق سيفه ومسَّ به كتف المُرَافق اليمَنى مستهلاً بوقار: «رايمَن سليل عائلة فوسوواي، باسم المُحارب أنيطُ بك أن تتحلَّى بالشَّجاعة». ثم انتقل السَّيف من الكتف

اليُمْنى إلى اليُسرى. «باسم الأب أنيط بك أن تتحلّى بالعدل». عودة إلى اليُمْنى. «باسم الأم أنيط بك أن تُدافع عن الصغار والأبرياء». اليُسرى. «باسم العذراء أنيط بك أن تحمي النساء جميعًا...».

تركهم دنك شاعرًا بالارتياح بقدر شعوره بالذنب، وبينما أمسك إاج بشنّدر من أجله فكر: ما زالَ يَنقُصنا واحد. أين سأجدُ رجلًا آخر؟ دار بالحصان واتّجه بتؤدةٍ إلى مدرّجات المشاهدة حيث يقف اللورد آشفرد منتظرًا. من طرف المضمار الشمالي أقبل الأمير إيريون ليلقاء ويقول بمرح: «سير دنكن، يبدو أنكم خمسة أنصارٍ لا أكثر».

- «ستة. السير لاينل يُنصّب رايمن فوسوواي فارسًا. سنقاتلكم ستة ضد سبعة». يعلم دنك أن رجالًا آخرين انتصروا رغم مواجهتهم احتمالاتٍ أسوأ مرارًا.

بيد أن اللورد آشفرد هزّ رأسه قائلاً: «ليس مسموحًا بذلك أيُّها السير. إذا لم تستطع العثور على فارس آخر ينحاز إليك فلا مناص من أن تُعلن مذنبًا بالجرائم التي اتُّهمت بها».

- مذنبًا، مذنبًا بخلخلة سنّ، ولأجل ذلك يجب أن أموت. «سيدي، أرجو لحظة».

- «لك هذا».

تحرك دنك بيّطه بمحاذاة السّياج أمام المدرّجات المزدحمة بالفُرسان، وناداهم: «أيُّها السّادة، أما من أحدٍ منكم يذكّر السير آرلان ابن (شجرة البنسات)؟ كنتُ مرافقه. لقد خدمنا كثيرين

منكم، أكلنا على موائدكم ونمنا في أبهائكم». رأى مانفرد دُنْدَارِيُون جالسًا في الصَّفِّ الأعلى، فخطبته: «السير آرلان أصيب بجرح في خدمة السيّد والدك»، ليقول الفارس شيئًا ما لليدي جارتَه دونما انتباه، ويُجَبِّرْ دَنكَ على تجاوزه. «لورد لانستر، السير آرلان أسقطك عن حصانك مرّة في دورة مباريات». تفرّس الأسد الأشيب في يديه المقفّزتين رافضًا بكلّ تصميم أن يرفع ناظره. «كان رجلًا صالحًا، وعلمني الفروسية. ليس السيف والرّمح فحسب، بل الشرف. قال إنّ الفارس يُدافع عن الأبرياء، وهذا كل ما فعلت. أحتاج إلى فارس واحد آخر ليقاتل بجانبِي، واحد ليس إلّا. لورد كارُون؟ لورد سَوَان؟». ضحك اللورد سَوَان بخفوتٍ فيما همسَ اللورد كارُون في أذنه.

كبحَ دَنكَ حصانه أمام السير أوْثُو براكن، وقال خافضًا صوته: «سير أوْثُو، كلُّنا يعلم عنك أنك بطلٌ عظيم. انضمَّ إلينا، أتوسَّلُ إليك بأسماء الآلهة القديمة والجديدة. إنّ قضيتي عادلة».

على الأقلّ تمتّع غاشم براكن بالكياسة ليردّ: «قد يكون ذلك صحيحًا، لكنها قضيتك أنت لا قضيتي. لستُ أعرفك يا ولد».

بخاطر مكسور دارَ دَنكَ بشندر وانطلقَ جيئةً وذهابًا أمام صفوف الرِّجال السَّاحبين الباردين، ودفعه اليأس إلى أن يزعق: «أما من فرسان حقيقيّين بينكم؟».

ولم يُجاوبه إلّا السُّكوت.

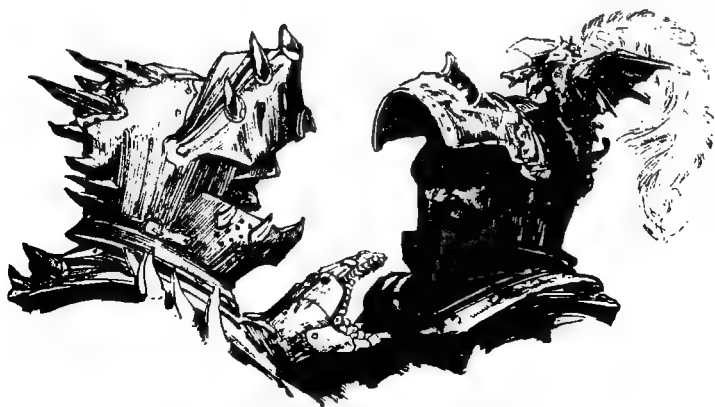
عبر المضمار ضحك الأمير إيرِيُون مناديًا: «لا يسخرن أحدٌ من التّين».

ثم أتى صوتٌ يقول: «سأنضمُّ إلى جانب السيرِ دنكن».

ومن غيومِ النَّهرِ بزغَ فحلَّ أسود على صهوته فارسٌ أسود. رأى
دنك تُرس التَّيْنِ والرَّيشة المينا الحمراء فوق خوذته برؤوسها
الهادرة الثلاثة. الأميرُ الشَّاب. بحقِّ الآلهة، أهذا هو فعلاً؟
ووقع اللورد آشفرد في الخطأ ذاته. «الأمير فالر؟».

رفع الفارس الأسود مقدِّمة خوذته مجيئاً: «لا. إنني لم أفكر
في خوض المباريات في (آشفرد) يا سيدي، ولذا لم أجلب معي
درعاً. ابني تكرَّم وأعارني درعه»، وابتسم الأمير بيلور ابتسامةً
إلى الحُزن أقرب.

ارتدى المتَّهمون في حالةٍ من الارتباك، وهو ما رآه دنك
بوضوح. همز الأمير ميكار مطيَّته متقدِّماً بها ليقول: «أخي، هل
فقدت عقلك؟»، وأشار إلى دنك بإصبعٍ مقفزة بالمعدن مضيئاً:
«هذا الرَّجل هاجمَ ابني».



ردَّ الأمير بيلور: «هذا الرَّجل حمى الضُّعفاء كما يجب أن يفعل كلُّ فارس حق. فلتَقَرَّر الآلهة هل أصاب أم أخطأ»، وشدَّ زمامه ودارَ بِرِزْدُون قالر الأسود الضُّخم ليخبَّ صوب طرف الحقل الجنوبي.

حَثَّ دنك شندر ليلحق به، وتحلَّق المدافعون الآخرون حولهما، رُؤِيس ريزلنج والسير لاينل، والثَّنائي همفري. رجالٌ صالحون كلهم، ولكنَّ أهمَّ صالحون بما فيه الكفاية؟ «أين رايمن؟».

- «السير رايمن إذا سمحت». قالها فوسوواي وهو يخبُّ متقدِّمًا وقد أضاءت ابتسامةٌ كثيفة وجهه تحت خوذته المُرْشَّة. «معدرةٌ أيُّها السير، لزمَني أن أجري تعديلًا صغيرًا على رمزي خشية أن أحسب بالخطأ ابن عمومتي عديم الشُّرف»، ثم أراهم جميعًا تُرسه، حيث بقيت الخلفيَّة الذهبية المصقولة كما هي، وكذا تُفَاحَة فوسوواي، غير أنَّ هذه التُّفَاحَة خضراء لا حمراء. «أخشى أنني لم أنضح بعد... لكن تُفَاحَة خضراء أفضل من واحدةٍ يَنُخِرُها الدُّود، إه؟».

ضحك السير لاينل، وابتسم دنك ابتسامةً عريضةً رغماً عنه، وحتى الأمير بيلور بدا أنه استحسن الأمر.

كان سِبتُون اللورد آشفرد قد جاء إلى واجهة المدرجات ورفعَ بَلُورته ليدعو المحتشدين إلى الصَّلَاة.

قال بيلور بهدوء: «استمعوا لي جميعًا. المتَّهمون سيتسلَّحون برماح حربيَّة ثقيلة في الهجمة الأولى، رماح من خشب المُرَّان طولها ثمانية أقدام، مزوَّدة بدعاماتٍ لحمايتها من الكسر ومكَلَّلة برأس فولاذي حاد بما يكفي لاختراق صفائح المعدن إذا وُضِعَ

خلفها ثقل جوادٍ حربيّ».

قال السير همفري بيزبري: «سنستخدم السِّلاح نفسه». وراءه أخذ السِّيتون يستجدي السَّبعة أن يَنْظُرُوا من عليائهم ويبتُّوا في هذا النِّزاع ويهبوا النُّصر لأصحاب القضيَّة العادلة.

ردُّ بيلور: «لا، سنُسلِّح أنفسنا بدلاً من ذلك برماح مباريات».

احتجَّ رايمن: «رماح المباريات مصنوعة لتتكسر».

- «ومصنوعة أيضًا بطول اثني عشر قدمًا. إذا أصابت أسننتنا أهدافها فلن يُمكنهم أن يلمسونا. صوبوا على الخوذة أو الصُّدر. في المباريات من الشَّهامة أن تكسر رُمحك على تُرس الخصم، أمَّا هنا فقد يعني ذلك الموت. إذا استطعنا إسقاطهم وبقينا نحن فوق سروجنا فالأفضليَّة لنا». ثم رمق الأمير دنك قائلاً: «إذا قُتل السير دنكن فسيُعتبر أنَّ الآلهة حكمت بذنبه وتنتهي المسابقة. إذا قُتل متَّهماه كلاهما أو سحبا اتِّهاماتهما فالشيء نفسه ينطبق عليهما. خلاف ذلك، يجب أن يهلك سبعة هذا الفريق أو ذاك أو يستسلموا لكي تنتهي المحاكمة».

قال دنك: «الأمير ديرون لن يُقاتل».

ضحك السير لاينل قائلاً: «ليس بإجادةٍ على كلِّ حال. مقابل ذلك أماننا ثلاثة من السُّيوف البيضاء علينا مواجهتهم».

تلقى بيلور التعلُّيق برزانة، وقال: «لقد أخطأ أخي حين طالب بقتال رجال الحرس الملكي من أجل ابنه. يمينهم تُحرِّج عليهم إيذاء أمير من الدَّم الملكي. لحسن الحظِّ أني كذلك»، وأعطاهم ابتسامة خافتة مكملًا: «أبعدوا الآخرين عني وقتًا يكفي

وسأتعاملُ مع الحرس الملكي».

سأله السير لاينل باراثيون فيما ختمَ السِّيتون ابتهاله: «أهذا
تصرِّفُ شهم يا أميري؟».

أجابَ بيلور كاسِر الحراب: «الآلهة ستُعلمنا».



رَانَ صَمْتُ عَمِيقٍ مَفْعَمٍ بِالْتَرُّقُبِ عَلَى (مَرَجِ أَشْفَرْد).

على بُعْدِ ثَمَانِينَ يَارْدَةً أَطْلَقَ فِجْلُ إِيرِيُونِ الرَّمَادِي صَهِيلًا لَجِبًا
يَنْمُ عَنْ نِفَادِ الصَّبْرِ، وَرَاحَ يَحْكُ الْأَرْضَ الْمُوَحَّلَةَ بِحَوَافِرِهِ. أَمَّا
ثَنْدَرُ فَتَحَلَّى بِثَبَاتٍ بَالِغٍ بِالمِقَارَنَةِ، فَهُوَ حِصَانٌ أَكْبَرُ سَنًا مَرَّسَهُ
نِصْفَمِئَةً مِنَ المَعَارِكِ، وَيَعْرِفُ المَتَوَقَّعَ مِنْهُ. نَاوَلَ إِجَ دَنْكَ ثُرْسِهِ،
وَقَالَ الْغَلَامُ: «الْآلِهَةُ مَعَكَ أَيُّهَا السَّيْرُ».

شَجَّعَهُ مَرَأَى الدَّرْدَارَةِ وَالشَّهَابِ، وَدَسَّ ذِرَاعَهُ الْيُسْرَى مِنْ تَحْتِ
الْحِزَامِ وَأَحْكَمَ أَصَابِعَهُ حَوْلَ المِقْبِضِ. السِّنْدِيَانِ وَالْحَدِيدُ يَقْيَانِنِي
خَيْرَ وَقَاءٍ، وَإِلَّا فَأَنَا مَيِّتٌ وَإِلَى الْجَحِيمِ الْإِنْتِهَاءُ. جَلَبَ لَهُ يَبِيتُ

الفولاذي رُمحه، إلّا أنّ إجماعاً أن يضعه بنفسه في يد دنك.

عن جانبيه التقط رفاقه رماحهم وانتشروا في صفٍ طويل. إلى يمينه الأمير بيلور، وإلى يساره السير لاينل، لكن فتحة الرؤية الضيقة في الخوذة العظيمة قصرت رؤيته على ما أمامه مباشرة، فاخفت المدرجات، وبالمثل العموم المتزاحمون عند السّياج،



ولم يتبقّ إلّا الحقل الموحد، والضباب الشاحب المدفوع بالهواء، والنهر والبلدة، والقلعة إلى الشمال، والأمير الصغير فوق كرّاه الرّمادي، على خوذته ألسنة اللهب وعلى ثُرسه التّنين. شاهد دنك مرافق إيريون يُناوله رُمحاً حربيّاً طوله ثمانية أقدام ولونه أسود كالليل. سيغرسه في قلبه إذا استطاع.

ثم دوى بوق.

لمُدّة نبضة قلب ظلّ دنك بلا حراكٍ كذبابةٍ حبيسة الكهرمان، مع أنّ الخيول كلّها بدأت تتحرّك. طعنه الهلع طعنًا، وبهياج فكر: لقد نسيْتُ، نسيْتُ كلّ ما أعرفه، سأهين نفسي، سأفقد كلّ شيء.

وأنقذه ثندر. الفحل البني الكبير يعرف ما عليه أن يفعله ولو لم يعرفه راكبه، وهكذا انطلق في خيبٍ بطيء. عندئذٍ تولّى تدريب دنك القيادة، فمسّ الجواد الحربيّ مسّة خفيفةً بالمهمّاز وسدّد رُمحه، وفي الوقت نفسه حرّك ثُرسه حتّى غطّى معظم جنبه الأيسر، ممسكاً به بزاويةٍ ليزيغ عن نفسه الضربات. السنديان والحديد يقيانني خير وقاء، وإلا فأنا ميتٌ وإلى الجحيم الانتهاء.

لم يزد لفظ الجمهور على مور أمواج تتلاطم بعيداً. بسلاسةٍ انتقل ثندر إلى الهرولة، واصطكت أسنان دنك من عُنف الخطوة. ضغط بكعبيه مُحكمًا ساقيه بكلّ قوّته وتاركًا جسده يُصبح جزءاً من حركة الحصان من تحته. أنا ثندر وثندر أنا، إنا كائنٌ واحد، إنا ضميمان، إنا واحد. بمنتهى السُرعة سخن الهواء داخل خوذته حتّى إنه بالكاد استطاع التنفّس.

في مُثاقفةٍ بدورةِ مبارياتٍ تقليديّةٍ، المفترض أن يقع خصمه إلى يساره وراء الحاجز، وعليه أن يُوجّه ضربته بالعرض من فوق عُنق ثندر، فهذه الزاوية تُرجّح انكسار الخشب من الصّدمة، لكن ما يلعبونها اليوم لعبة أشدّ فتكاً، فدون حواجز تفصل بينهم انقضّ بعض البراذين على بعض مباشرةً. حصان الأمير يبلور الأسود الضخم أسرع كثيراً من ثندر، ولمحه دنك من رُكن فتحة الرّؤية يعدو ويسبقه، أمّا الآخرون فأحسّ بهم أكثر ممّا رأهم. لا يهْمُون، إيريون وحده المهمُّ، هو وحده.

شاهد التّين يأتي. نشرّت حوافر فحل الأمير إيريون الرّمادي لُطخ الوحل، ورأى دنك منخري الحصان يتّسعان، في حين ظل الرّمح الأسود موجّهاً إلى أعلى. الفارس الذي يُمسك رُمحه

مرفوعًا وبخفضه باستقامة في اللحظة الأخيرة يُجازف دائمًا
 بخفضه أبعد من اللازم. هكذا قال له العجوز، وهكذا حرَّك
 دنك حدَّ رُمحه ليُصَوِّبه إلى صدر الأمير الصَّغير قائلاً لنفسه:
 رُمحي جزء من ذراعي. إنه إصبعي، إصبعُ خشبيَّة. ما عليَّ إلا أن
 ألمس غريمي بإصبعي الخشبيَّة الطويلة.



حاول ألا يرى الحدَّ الحديديَّ الحادَّ في طرف رُمح إيريون
 الأسود يكبر ويكبر مع كلِّ خطوة. التَّين، انظر إلى التَّين.
 يُغَطِّي الوحش العظيم ذو الرُّؤوس الثلاثة تُرس الأمير بجناحين
 أحمرين ونارٍ ذهبيَّة. لا، انظر إلى وجهه ضربتك فقط. هكذا تذكر
 فجأة، إلا أنَّ رُمحه بدأ ينحرف بالفعل، وحاولَ دنك أن يُصحِّح
 وضعه، ولكن متأخِّرًا جدًّا. رأى سنان رُمحه يضرب تُرس إيريون

فَيُصِيبُ التَّيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْ رُؤُوسِهِ وَيُحْفِرُ اللَّهْبَ الْمَرْسُومَ،
 وَمَعَ الطَّقْطُقَةِ الْمَكْتُومَةِ أَحْسَسَ بَشْدَرٍ يَنْكُصُ مِنْ تَحْتِهِ مَرْتَجِفًا
 مِنْ بَأْسِ الصَّدْمَةِ، وَبَعْدَ نَصْفِ نَبْضَةِ قَلْبِ ارْتِطَمَ شَيْءٌ مَا بِجَنْبِهِ
 بِقُوَّةٍ عَاتِيَةٍ. بَعْنَفٍ تَصَادَمَ الْحَصَانَانِ، وَمَعَ التَّصَادُّمِ رَنَّتْ دُرُوعُهُمَا
 إِذْ تَعَثَّرَ ثَنْدَرٌ وَسَقَطَ رُمَحُ دَنْكٍ مِنْ يَدِهِ. ثُمَّ تَجَاوَزَ خَصْمَهُ وَهُوَ
 يَتَشَبَّثُ بِسَرْجِهِ بِجَهْدٍ مُسْتَمِيتٍ لِكَيْلَا يَقَعَ. بِحَدَّةٍ مَالٍ ثَنْدَرٌ جَانِبًا
 فِي الْوَحْلِ الزَّلْقِ، وَأَحْسَسَ دَنْكٌ بِقَائِمَتَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ تَزَلَّانِ مِنْ
 تَحْتِهِ. كَانَا يَنْزَلِقَانِ، يَدُورَانِ، ثُمَّ ارْتِطَمَتِ مُؤَخَّرَةُ الْفَحْلِ بِالْأَرْضِ
 بِقُوَّةٍ. هَدَرَ دَنْكٌ ضَارِبًا جَنْبِي الْحَصَانِ بِمِهْمَازِيهِ بِشَدَّةٍ: «قُمْ! قُمْ
 يَا ثَنْدَرُ!»، وَبِوَسِيلَةٍ مَا اسْتَطَاعَ الْجَوَادُ الْحَرْبِيُّ الْعَجُوزُ النَّهُوضَ
 مِنْ جَدِيدٍ.

شَعَرَ دَنْكٌ بِالْأَلَمِ مِمَّا ضَلَعَهُ، وَبِذِرَاعِهِ الْيُسْرَى مَجْذُوبَةً
 إِلَى أَسْفَلٍ. لَقَدْ أَتَقَذَّ إِيرِيُونَ رُمَحَهُ فِي السِّنْدِيَانِ وَالصُّوفِ وَالْفُولاذِ،
 وَالْآنَ تَنْتَأُ مِنْ جَنْبِ دَنْكٍ ثَلَاثَةُ أَقْدَامٍ مِنَ الْمُرَّانِ وَالْحَدِيدِ
 الْمَاضِي. مَدَّ يُسْرَاهُ وَقَبَضَ عَلَى الرُّمَحِ تَحْتَ الرَّأْسِ مَبَاشَرَةً،
 وَكَزَّ عَلَى أَسْنَانِهِ وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَدْنِهِ بَانْتِزَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ضَارِيَةٍ، وَتَبَعَ
 ذَلِكَ الدَّمُ الَّذِي تَسَرَّبَ مِنْ بَيْنِ حَلَقَاتِ الْمَعْدَنِ لِيُضْرَجَ مَعْطَفُهُ
 بِالْحُمْرَةِ. مَا ذَبَّ بِهِ الْعَالَمُ وَكَأَذَّ يَسْقُطُ، وَبِخَفُوفٍ فِي خَضَمِ الْأَلَمِ
 سَمِعَ أَصْوَاتًا مَرْتَفَعَةً بِاسْمِهِ. ثُرْسَهُ الْجَمِيلَ غَدَا بِلَا جَدْوَى، فَأَلْقَاهُ
 جَانِبًا بِالْدَّرْدَارَةِ وَالشَّهَابِ وَالرُّمَحِ الْمَكْسُورِ وَكُلِّ شَيْءٍ، وَشَهَرَ سَيْفَهُ،
 لَكِنْ أَلَمَهُ الْبَلِيغُ جَعَلَهُ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ يَقْوَى عَلَى الْقِتَالِ بِهِ.

مَدُورًا ثَنْدَرٌ فِي دَائِرَةٍ مُحْكَمَةٍ، حَاوَلَ دَنْكٌ أَنْ يَسْتَشْعِرَ مَا يَحْدُثُ
 فِي أَمْكَنَةٍ أُخْرَى مِنَ الْحَقْلِ. السَّيْرُ هَمْفَرِي هَارْدَنْجٍ يَتَمَسَّكُ بِغُنْقٍ
 مَطِيئَةٍ وَوَاضِحٌ أَنَّهُ جَرِيحٌ، وَالسَّيْرُ هَمْفَرِي الْآخِرُ رَاقِدٌ بِجُمُودٍ فِي

بُحيرةٍ من الوحل الملطّخ بالدماء ومن مغبنه يَبْرُزُ رُمح مكسور،
ورأى دنك الأمير بيلزور يمرُّ مهرولاً برُمحه السَّليم ويدفع أحد
رجال الحرس الملكي إلى الأرض، وقد سقطَ واحدٌ آخر من
الفرسان البيض بالفعل، وكذا ميكار، أمّا ثالث ثلاثة الحرس
الملكي فإنهمك في صدِّ السير روبن ريزلنج.

- إيريون، أين إيريون؟ دفعه صوت حوافر تدقُّ الأرض خلفه
إلى الالتفات برأسه بحدّة، وصات ثندر وشبَّ ضاربًا بحافريه
الأماميّين عبثًا إذ ارتطمَ به فحل إيريون الرّمادي بكامل سرعته.

هذه المرّة غابَ تمامًا الأمل في التعافي من الصّدمة. طار سيفه
الطويل من قبضته، وارتفعت الأرض لتلقاه، وحطَّ دنك بوقع
ساحق زلزلته حتى العظم وأفرغَ رثيته من الهواء. طعنه الألمُ
بحدّةٍ دفعته إلى الانتحاب، وللحظة استنطاعَ بصعوبة شديدة أن
يستلقي في مكانه. دنك الأنوك، تصوّر أنه يصلح فارسًا. علمَ أنَّ
عليه أن ينهض مجددًا وإلا مات، وبآهة أجبر نفسه على الاعتدال
على يديه ورُكبتيه. عجزَ دنك عن التَّنَفُّس، وعجزَ عن الرؤية
إذ اكتظت فتحة الرؤية في خوذته بالطّمي. معميًا، نهضَ بحدّةٍ
وكشط الطّمي بإصبع مغلفة بالمعدن. هكذا، هذا...

من بين أصابعه لمحَ تينًا يطير وكرة شائكة تلفٌ وتدور في
طرف سلسلة، ثم بدا كأن رأسه انفجرَ إلى أشلاء.



ولَمَّا انْفَتَحَتْ عَيْنَاهُ كَانَ عَلَى الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى، مَنْطَرِحًا عَلَى ظَهْرِهِ. الطَّمِي كُلُّهُ سَقَطَ مِنْ خَوْذَتِهِ، لَكِنْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ يُغْلِقُهَا



الآن الدَّم، ومن فوقه لا شيء إلا سماء غائمة معتمة. راح وجهه ينبض من الألم، وأحسَّ بمعدن بارد مبتل منضِط على وجنته وصُدغته. لقد حطَّم رأسي. إنني أموتُ. الأدهى هو الآخرون الذين يُمكن أن يموتوا معه، رايمن والأمير بيلور والباقون. لقد خذلتهم. لستُ بطلاً. لستُ فارساً جوالاً حتى. إنني نكرة. تذكَّر تباهي الأمير ديزون بأن أحداً لا يبلُغ نصف براعته في الارتماء فاقد الحسَّ في الوحل. لكنه لم يرَ دنك الأنوك قط، أليس كذلك؟ فاق شعوره بالعار ألمه.

ثم ظهر التَّين فوقه.

للتَّين رؤوس ثلاثة، وجناحان وهاجان كاللَّهب، أحمر وأصفر وبرتقالي، والتَّين يضحك ويقول: «هل مُتَّ بعدُ أيُّها الفارس الجوال؟ توَسَّل الهوادة وأقرِّر بذنبك وقد آخذُ يدًا وقدماً فحسب.

أوه، وهذه الأسنان، ولكن ما قيمة قليل من الأسنان؟ رجلٌ مثلك يستطيع أن يعيش أعوامًا على ثريد البازلاء»، وضحك التَّين ثانيةً وتابع: «لا؟ كل هذه إذا»، ودارت الكرة الشائكة ودارت في السماء، وهوت نحو رأسه بسرعة الشَّهاب.

وتدحرج دنك.

أين وجد القوة لا يدري، لكنه وجدها. تدحرج مصطدماً بساقي إيريون، وبذراع مكسوة بالفولاذ طوق فخذه وجره لأعنا إلى الوحل، وعاد يتدحرج ممتطياً إياه. فليلوح بكرته اللعينة الآن. حاول الأمير أن يدفع حرف تُرسه إلى أعلى ليضرب به رأس دنك، لكن خوذته المنبجعة تلقت وطأة الصدمة. إيريون قوي، لكن دنك أقوى، وأضخم وأثقل أيضاً. هكذا قبض على التُرس بكلتا يديه وراح يلوي حتى انشقت الأحزمة، ثم هوى به على خوذة الأمير الصغير، هوى وهوى وهوى محطماً السنة اللهب المطلية بالمينا على ريشة الخوذة. هذا التُرس أغلظ من تُرس دنك، مصنوع من السنديان المصمت المدعم بالحديد. انكسر لسان، ثم آخر، ونفذ لهب الأمير قبل أن تنفذ ضربات دنك.

أخيراً أفلت إيريون مقبض كُرتة الشائكة عديمة الفائدة، وبصعوبة مدَّ يده إلى الخنجر الرقيق على وركه. نجح في تخليصه من غمده، ولكن عندما قرع دنك يده بالتُرس طار الخنجر لیسقط في الوحل.



- يُمكنه أن يقهر السير دنكن الطويل، ولكن ليس دنك ابن (سفع البراغيث). العجوز علّمه المُثاقفة والمُبارزة، أمّا ضرب القتال هذا فقد تعلّمه أوّلاً في أزقة ظليلة وحارات متعرّجة وراء خُمّارات المدينة. ألقي دنك بالثُرس المهشّم بعيداً، وبغُنف رفع مقدّمة خوذة إيريزون متذكّراً ما قاله بيت الفولاذي: مقدّمة الخوذة نُقطة ضعف. كفّ الأمير تقريباً عن المقاومة، عيناه أرجوانيتان مفعمتان بالرُّعب، وانتابت دنك رغبة مفاجئة في أن يُمسك إحداهما ويُفرّقها كحبة من العنب بين إصبعين من الفولاذ. غير أنّ ذلك لا يليق بفارس، وهكذا صاح: «استسلم!».

وبشفتين شاحبتين تحرّكتا بالكاد همس التّين: «أستسلم».

حدّق إليه دنك وهلةً عاجزاً عن تصديق ما سمعته أذناه. انتهى الأمر إذ؟ نقل رأسه ببطءٍ من جانبٍ إلى جانبٍ محاولاً

أن يرى، وقد انغلقت فتحة الرؤية بعض الشيء على إثر الضربة التي هوت على جنب وجهه الأيسر، فرأى الأمير ميكار بمقمعته في يده يُحاول شقَّ طريقه قتالاً إلى ابنه، ويصدّه بيلور كاسِر الحراب.

هَبْ دنك واقفًا وسحبَ الأمير إيريون وراءه، ثم تحسَّس أربطة خوذته وانتزعها ورماعها، وفي الحال غرق في مرأى العالم ومسمعه؛ الأنين والشَّاتم، وهتافات المتفرجين، وصريخ فحل فيما ينطلق آخر عبر الحقل بلا راكب. في كلِّ مكانٍ يرُنُّ الفولاذ على الفولاذ. أمام مدرجات المشاهدة يُوجِّه كلُّ من رايمن وابن عمومته إلى الآخر ضربات سيفه، كلاهما على قدميه وتُرساهما حُطام، التُّفَاحَة الخضراء والتُّفَاحَة الحمراء كلتاها شظايا، وأحد فرسان الحرس الملكي يحمل أخًا جريحًا إلى خارج الحقل والاثنتان باديان سواء في درعيهما البيضاوين ومعطفيهما الأبيضين، في حين سقطَ ثالث ثلاثة الفرسان البيض، وانضمَّ العاصفة الضاحكة إلى الأمير بيلور في مواجهة الأمير ميكار. تصادمت المِقمعة والفأس الحريَّة والسيف الطويل وجلجلت على الخوذ والتُّراس. ضدَّ كلِّ ضربةٍ نجح ميكار في تسديدها تلقَّى ثلاثًا، ورأى دنك أنَّ القتال سينتهي قريبًا. يجب أن أنهيه قبل أن يموت مزيدٌ منا.

بغثة اندفع الأمير إيريون نحو كُرته الشائكة، لكن دنك ركَّله في ظهره وطرحه على وجهه، ثم أطبقَ على إحدى ساقيه وجَّره عبر الحقل، ولدى وصوله إلى المدرجات حيث يجلس اللورد آشفرد كان الأمير السَّاطع قد باتَ بنيًّا كمرحاض. شدَّه دنك حتى وقف وهزَّه نافضًا قليلًا من الطمي على اللورد آشفرد والعذراء

الجميلة، وزعق: «أخبره!».

وبصق إيريون اللهب الساطع ملء فمه من العُشب والتراب،
وقال: «أسحب اتِّهامي».

بعدها لم يدرِ دنك هل مشى إلى خارج الحقل من تلقاء نفسه
أم استلزم عوناً. الألم في كلِّ موضع من جسده، وأسوأ في بعضها
من بعض. تذكر أنه تساءل في أعماقه: *أأنا الآن فارسٌ حقاً؟*
أأنا بطلٌ؟

ساعده إاج على خلع الكلسة والعنقيّة، ورايمن أيضاً، وحتى
بيت الفولاذي. حالت دوخته الشديدة دون أن يُميّز بينهم؛ كانوا
مجرّد أصابع وأباهيم وأصوات، وإن علمَ دنك أن بيت هو الذي
راح يشتكي. «انظروا ما فعله بدرعي، كلها انبعاجات وخطبات
وخدوش. أجل، دعوني أسألكم، لماذا أكلف نفسي الجهد؟
عليّ أن أقصّ هذا الزرد للأسف».

سأل دنك باستعجال وهو يُحاول القبض على يدي صديقه:
«رايمن، الآخرون، كيف أبلوا؟». يجب أن يعرف. «هل مات
أحد؟».



أجابَه رايمن: «بيزيري. قتله دونل ابن (وادي الغسق) في

الهجمة الأولى. السير همفري مصاب بجرح بليغ أيضًا. بقيتنا
مكدومون مدّمون لا أكثر، باستثناءك أنت».

- «وهم؟ المتّهمون؟».

- «السير ولم وايلد رجل الحرس الملكي حُمِلَ من الحقل
فاقد الوعي، وأظنني كسرتُ لابن عمومتي بضعة ضلوع. ذلك ما
آمله على الأقل».

اندفع دنك يسأل: «والأمير ديرون؟ هل نجا؟».

- «حالما أسقطه السير روين عن حصانه استلقى حيث سقط.
ربّما كُسرَت قدمه. حصانه داسه وهو يجري طليقًا في الحقل».

على الرغم من دُواره وارتيابه شعرَ دنك بارتياح عظيم. «أخطأ
حُلمه إذا. التّين الميت. إلا إذا ماتَ إيريون. لكنه لم يَمُت،
أليس كذلك؟».

قال إج: «نعم. لقد أبقيتَ على حياته، ألا تذكّر؟».

- «على ما أظنُّ». بهذه السّرعة بدأت ذكرياته عن القتال
يُغلفها الارتباك والإبهام. «في لحظة أحسُّ أنني سكران، وفي
التّالية يجعلني الألم الرّهب أعرفُ أنني أموت».

أرقّده على ظهره وتكلّموا فوقه فيما حدّق هو إلى السّماء
الغائمة العكرة. بدا له أن الصّباح لم ينقض بعد، وتساءل كم
استغرق القتال.

سمع رايمن يقول: «بحقّ الآلهة، رأس الرّمح غرسَ الحلقات
في عمق لحمه. سيتعفّن ما لم...».

اقتَرَحَ أحدهم: «أسْكِرُوهُ وَضُبُّوا زَيْتًا مَغْلِيًّا دَاخِلَ الْجَرْحِ. هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الْمَيْسْتَرَاتِ».

- «بَلْ نَبِيدُ». حَمَلَ الصَّوْتُ رَنْيَا مَعْدِنِيًّا أَجُوفًا. «لَيْسَ زَيْتًا لِأَنَّ ذَلِكَ سَيَقْتُلُهُ، بَلْ نَبِيدُ مَغْلِيًّا. سَأَرْسِلُ الْمَيْسْتَرِ يَوْمَ لِيَلْقِيَ عَلَيْهِ نَظْرَةً بَعْدَمَا يَفْرُغُ مِنْ عِلَاجِ أَخِي».



فَوْقَهُ وَقَفَ فَارِسٌ طَوِيلٌ فِي دَرَعٍ سَوْدَاءَ بَعَجَتْهَا وَجَرَّحَتْهَا ضَرْبَاتٌ عَدِيدَةٌ. الْأَمِيرُ بِيْلُورُ. فَقَدْ الْتَمَسَ السَّقْلَاتِي فَوْقَ خُوذَتِهِ

رأسًا وكلا جناحيه ومعظم ذيله.

قال دنك: «سمو الأمير. أنا رجلك. أرجوك. رجلك».

قال الفارس الأسود: «رجلي»، ووضع يده على كتف رايمن ليثبت نفسه متابعًا: «إنني محتاجُ إلى رجالٍ صالحين أيُّها السير دنكن. البلاد...». خرج صوته مشوشًا على نحوٍ غريب. ربَّما عضَّ لسانه.

كان دنك في غاية التعب، والبقاء مستيقظًا عسيرًا. مرَّةً أخرى تمتَم: «رجلك».

حرَّك الأمير رأسه ببطء من جانب إلى جانب قائلاً: «سير رايمن... خوذتي إذا تلطَّفت. المقدِّمة... المقدِّمة متصدِّعة، وأصابعي... أصابعي كأنها خشب...».

ردَّ رايمن: «حالا يا صاحب السُّمو»، وأمسك خوذة الأمير بكلتا يديه وأطلق أنينًا، ثم قال: «بيت أيُّها الرَّجل الصَّالح، ساعدني».

جرَّ بيت الفولاذي كرسي صعود، ثم قال: «إنها مسحوقه عند الظَّهر يا سمو الأمير، نحو الجنب الأيسر، ملتحمة بالغنقيَّة. فولاذٌ ممتاز هذا الذي يصدُّ مثل هذه الضَّربة».

قال بيلور بنبرةٍ ثقيلة: «مِقمعة أخي على الأرجح. إنه قوي»، وجفَلَ قائلاً: «هذا... إحساسٌ غريب، إنني...».

- «ها هي ذي تنخلع». رفع بيت الخوذة المليئة بالانبعاجات. «بحقِّ الآلهة! يا ألَهتي يا ألَهتي يا ألَهتي احفظي...».

رأى دنك شيئاً أحمر مبتلاً يسقط من الخوذة. كان أحدهم
يُدوي بصُراخ فظيع، وقبالة السَّماء الغائمة الموحشة ترنح في
درع سوداء أميرٌ طويل طويل بنصف جمجمة ليس إلا، ولمح
دنك دمًا قانيًا وعظمًا أبيض وشيئًا آخر، شيئًا رماديًا مزرقيًا
شبيهًا بالعجين. مرّت نظرة انزعاج غريبة على وجه بيلور كاسر
الحراب كسحابة عابرة أمام شمسٍ، ورفع يده ومسّ مؤخره رأسه
بإصبعين بمنتهى منتهى الخفة. ثم سقط.

أمسكه دنك، ويقولون إنه قال له كما قال

لشندر في الالتحام الجماعي: «قم، قم، قم»،

غير أنه لم يتذكّر ذلك بعدها، والأمير

لم يَقم.



دخل بيلور تارجارين -أمير (دراجنستون)، ويد الملك، وحامي البلاد، والوريث الظاهر لعرش ممالك (وستروس) السبع الحديدي- النار في ساحة (قلعة آشفرد) على ضفة نهر (مجرى الصدف) الشمالية. قد تختار عائلات عظمى أخرى أن تدفن موتاها في ظلمة الأرض أو تغرقهم في البحر الأخضر البارد، بيد أن آل تارجارين من دم التين، وخواتيمهم مسطورة بالذهب.

كان أرفع فارس في عصره، وقد حاجَّ البعض بوجوب ذهابه لمواجهة الظلام مسربلاً بحلقات المعدن وصفائح وفي يده سيفه، ولكن في النهاية رجحت رغبة أبيه الملوكي، ولديرون الثاني طبيعة مسالمة. حينما مرَّ دنك جازاً قدميه بنعش بيلور، رأى الأمير يرتدي غلالة مخملية سوداء، وعلى صدره طرز التين ثلاثي الرؤوس بخيط سقلاطي، وحول عنقه سلسلة ذهبية ثقيلة، ومع أن سيفه وُضِعَ مُغمداً بجواره فقد اعتمر خوذة، خوذة ذهبية رفيعة مقدمتها مفتوحة ليرى الناس وجهه.

وقف الأمير الشاب فالر ساهراً عند قدم النعش فيما رقد أبوه مسجى. إنه صورة أقصر وأنحف وأوسم من والده، من غير الأنف المكسور مرتين الذي جعل بيلور يبدو أدنى إلى الإنسانية من الملكية. شعر فالر بنى، لكن خصلة بارقة من الذهبى الفضي تتخلله، خصلة ذكر منظرها دنك بإيريون، وإن أدرك أن ذلك ليس عدلاً، ف شعر إج ينمو من جديد بارقاً كشعر أخيه، وإج صبي لطيف بما فيه الكفاية بالنسبة إلى أمير. عندما توقف ليقدم تعازيه الخرقاء المتخمة بالشكران، حدق إليه الأمير فالر بعينين زرقاوين فاترتين، وقال: «أبي كان في



التَّاسِعَةُ والثَّلَاثِينَ لَا أَكْثَرَ. لَقَدْ اْمْتَلَكْ مَقَوِّمَاتِ مَلِكٍ عَظِيمٍ،
الْأَعْظَمُ مِنْذِ إِيْجُوْنِ التَّيْنِ. لِمَاذَا تَأْخُذُهُ الْآلِهَةُ وَتَتْرُكُكَ أَنْتَ؟»،
وَهَزَّ رَأْسَهُ مُتَبَعًا: «ارْحَلْ أَتِيْهَا السَّيْرَ دَنْكُنْ، ارْحَلْ».

بَلَا كَلَامٍ خَرَجَ دَنْكٌ يَعْرِجُ مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى الْمَخِيْمِ عِنْدَ الْبَرَكَةِ
الْخَضِرَاءِ. لَمْ يَمْلِكْ عَنْ سُؤَالٍ فَالَرَ جَوَابًا، وَلَا عَنْ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي
طَرَحَهَا هُوَ نَفْسَهُ. لَقَدْ قَامَ الْمَيْسْتَرَاتِ وَالنَّبِيْذِ الْمَغْلِي بِالْوَاجِبِ،
وَجَرَحَهُ يَنْدَمِلُ بِنِظَافَةٍ رَغْمَ أَنَّ نَدْبَةً مَتَغَضِّنَةً عَمِيقَةً سَتَبْقَى بَيْنَ
ذِرَاعِهِ الْيُسْرَى وَحِلْمَتِهِ. لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَى الْجَرْحَ دُونَ التَّفَكِيرِ فِي
بَيْلُورٍ. أَنْقَذَنِي مَرَّةً بِحُسَامِهِ وَمَرَّةً بِكَلَامِهِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ مَيِّتًا حَيْثُ
وَقَفَ. الْعَالَمُ لَا يُعْقَلُ حِينَ يَمُوتُ أَمِيرٌ عَظِيمٌ لِيَعِيشَ فَارِسٌ
جَوَّالٌ.

جَلَسَ دَنْكٌ تَحْتَ دَرْدَارَتِهِ وَحَمَلَقَ بِجَهَامَةٍ إِلَى قَدَمِهِ.

حين ظهرَ أربعة حُرَّاس يرتدون البِزَّة العسكريَّة الملكيَّة في مخيَّمه في ساعة متأخِّرة من أحد الأيَّام، أيقنَ بأنهم أتوا ليقتلوه رغم كلِّ شيء، ولأنه أضعف وأشدُّ إرهابًا من أن يمدَّ يده إلى سيفه، ظلَّ دنك جالسًا وظهره إلى الشَّجرة وانتظرَ.

- «أميرنا يستأذنك في كلمةٍ على انفراد».

سألَ دنك بحذر: «أيُّ أمير؟».

- «هذا الأمير». قالها صوتٌ فظٌّ قبل أن يُجيب قائد الحرس، وخرجَ ميكار تارجارين من وراء الدَّرْدَارَة.

نهضَ دنك ببُطء. ماذا يُريد مني الآن؟

أشارَ ميكار، فاخْتَفَى الحُرَّاس بسرعةٍ كما ظهرُوا. أمعنَ الأمير النَّظْرَ إليه لحظةً طالت، ثم دارَ وابتعدَ عنه ليقف بجوار البركة رامقًا انعكاسه في الماء، ثم أعلنَ فجأةً: «لقد أرسلتُ إيريون إلى (ليس). قد تُغيِّره بضعة أعوام في (المُدن الحُرَّة) إلى الأفضل».

لم يَزُرْ دنك (المُدن الحُرَّة) قَطُّ، وعليه لم يدرِ بِمَ يردُّ. سرَّه أن إيريون اغتربَ عن (الممالك السَّبع)، وأملَ ألا يرجع أبدًا، لكن ذلك ليس شيئًا يُقال لأبٍ عن ابنه، وهكذا وقفَ صامتًا.

التفتَ الأمير ميكار ليواجهه قائلاً: «بعض النَّاس سيقول إنني تعمَّدتُ أن أقتل أخي. الآلهة تعلم أنها كذبة، لكنني سأظلُّ أسمعُ تلك الهمسات حتَّى يوم مماتي. ومِقمعتي هي التي أصابته بالضربة القاتلة، لا شكَّ عندي. الخصوم الآخرون الوحيدون الذين واجههم في الالتحام الجماعي ثلاثة من الحرس الملكي، تُحرِّم عليهم ندورهم أن يفعلوا أكثر من الدِّفاع عن أنفسهم. إنه

أنا إذا. الغريب أنني لا أذكر الضربة التي حطمت جمجمته. أهذه
نعمة أم نقمة؟ شيء من هذه وشيء من تلك على ما أظن».

من طريقة نظره إلى دنك، بدا أن الأمير يُريد إجابة. «لا أدري
يا سمو الأمير». ربّما وجب أن يكره ميكار، لكنه شعر بدلا
من ذلك بتعاطف عجيب مع الرجل. «أنت ضربت بالمقعدة يا
سيدي، لكن من أجلي أنا مات الأمير بيلور، أي إنني قتلته أيضا
بقدر ما قتلته».

قال الأمير: «أجل. أنت أيضا ستسمع الهمسات. الملك عجوز.
حينما يموت سيرتقي فالر العرش الحديدي عوضا عن أبيه.
كلّما انتهت معركة بالهزيمة أو فشل محصول سيقول الحمقى:
ما كان بيلور ليسمح بحدوث هذا، لكن الفارس الجوّال قتله».

رأى دنك ما في قوله من حق. «لو لم أقاتل لبرت يدي،
وقدمني كذلك. أحيانا أجلس تحت تلك الشجرة هناك وأنظر
إلى قدمي وأسأل لو كان باستطاعتي أن أستغني عن واحدة. كيف
تستحقّ قدمي حياة أمير؟ والآخرون أيضا، الثنائي همفري، كانا
رجلين صالحين أيضا». البارحة فقط استسلم السير همفري
هاردنغ لجراحه.

- «وما الإجابة التي تُعطيها لك شجرتك؟».

- «لا إجابة يُمكنني أن أسمعها. لكن العجوز، السير آرلان،
كلّ ليلة عند حلول المساء اعتاد أن يقول: تُرى ماذا سيُجلب لنا
الغد؟ ولم يعرف قط، مثلما لا نعرف نحن. لطيب، لعلّ غدا
سيأتي واحتاج فيه إلى تلك القدم؟ تحتاج فيه البلاد إلى تلك
القدم أكثر من حياة أمير؟».

أَعْمَلْ مِيكَارَ التَّفْكِيرِ فِي رَدِّهِ وَقْتًا وَقَدْ كَبَسَ فَمَهُ تَحْتَ اللَّحْيَةِ
الْفَضِيَّةِ الشَّاحِبَةِ الَّتِي تَجْعَلُ وَجْهَهُ يَبْدُو مَرْتَعًا، ثُمَّ قَالَ بِخَشْوَةٍ:
«غَيْرِ وَارِدٍ بِالْمَرَّةِ. فِي الْبِلَادِ فُرْسَانُ جَوَّالَةٍ بَعْدَ الْأَسُوجَةِ الَّتِي
يَجُولُونَ بَيْنَهَا، وَلَهُمْ جَمِيعًا سِيقَانٌ».

- «لَوْ أَنَّ عِنْدَ صَاحِبِ السُّمُو إِجَابَةٌ أَفْضَلُ فَأَوْدُ أَنْ أَسْمَعَهَا».

قَبَّضَ مِيكَارَ وَجْهَهُ قَائِلًا: «مَحْتَمَلٌ أَنَّ الْآلِهَةَ تَتَلَذَّذُ بِالْأَدْعَابَاتِ
الْقَاسِيَةِ، أَوْ قَدْ لَا تُوجَدُ آلِهَةٌ أَصْلًا. رَبِّمَا لَمْ يَكُنْ لشيءٍ مِنْ هَذَا
مَعْنَى. يُمَكِّنُنِي أَنْ أَسْأَلَ السِّتُونَ الْأَعْلَى، وَلَكِنْ عِنْدَمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ
آخِرَ مَرَّةٍ قَالَ لِي إِنَّ أَيَّ إِنْسَانٍ يَعْجِزُ عَنْ فَهْمِ تَصَارِيفِ الْآلِهَةِ
حَقَّ الْفَهْمِ. قَدْ يَكُونُ عَلَيْهِ أَنْ يُجَرِّبَ النَّوْمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ»، وَلَوْ
قَسَمَاتِهِ مُرْدَفًا: «يَبْدُو أَنَّ ابْنِي الْأَصْغَرَ صَارَ مَوْلَعًا بِكَ أَيُّهَا السَّيْرُ.
حَانَ الْوَقْتُ لِتُصْبِحَ مُرَافِقًا، لَكِنَّهُ يَقُولُ لِي إِنَّهُ لَنْ يَخْدُمَ أَيَّ فَارِسٍ
غَيْرِكَ. إِنَّهُ وَلَدٌ مَنَفَلَتْ كَمَا لَاحَظْتُ. هَلْ تَقْبَلُهُ؟».

- «أَنَا؟». انْفَتَحَ فَمُ دَنكَ وَانْغَلَقَ وَانْفَتَحَ. «إِج... أَعْنِي
إِيْجُون... إِنَّهُ صَبِيٌّ طَيِّبٌ، وَلَكِنْ، سَمَوُ الْأَمِيرِ، أَعْرِفُ أَنَّكَ
تُشْرِفُنِي، وَلَكِنْ... إِنَّنِي مَجْرَّدُ فَارِسٍ جَوَّالٍ».

قَالَ مِيكَارُ: «مِنْ الْمُمْكِنِ تَغْيِيرُ ذَلِكَ. إِيْجُونُ سِيرْجَعُ إِلَى
قَلْعَتِي فِي (بَهُو الصَّيْفِ). إِنَّ لَكَ مَكَانًا هُنَاكَ إِذَا رَغَبْتَ. فَارِسُ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِي. سَتُعْهِدُنِي سَيْفَكَ، وَلَا إِيْجُونُ أَنْ يُرَافِقَكَ، وَفِيمَا
تُدْرِيهِ سَيُكْمِلُ قِيَمَ سِلَاحِي تَدْرِيكَ»، وَحَدَّجَهُ الْأَمِيرُ بِنَظَرَةِ الْبَصِيرِ
مُضِيفًا: «سَيَدُكَ السَّيْرُ آرْلَانُ فَعَلَ كُلَّ مَا بَوَسَعَهُ مِنْ أَجْلِكَ، لَا
شَكَّ عِنْدِي، وَلَكِنْ مَا زَالَ أَمَامَكَ كَثِيرٌ يَجِبُ أَنْ تَتَعَلَّمَهُ».

- «أَعْرِفُ يَا سَيِّدِي». نَظَرَ دَنكَ حَوْلَهُ، إِلَى الْعُشْبِ الْأَخْضَرِ

والبوص، والدردارة الباسقة، والتَّمُوجات المتراقصة على صفحة
البركة المضاءة بالشَّمْس. كانت دُبابَة تَتِين أخرى تتحرَّك فوق
الماء، أو لعلَّها الذُّبابَة ذاتها. سأل نفسه: ما قرارك يا دنك؟
الذُّباب أم التَّنَّازِين؟ لرُبَّما أجاب من فوره قبل أيَّام معدودة. إنه
لم يحلِّم إلَّا بهذا، لكن الآن والإمكانية في متناول اليد فإنها
تُخيفه. «قُبيل موت بيلور أقسمتُ أن أكون رجله».

- «اجترأ منك. ماذا قال؟».

- «إنَّ البلاد محتاجةٌ إلى رجالٍ صالحين».

- «صحيحٌ كفايةً. وماذا في هذا؟».

- «سأخذُ ابنك مُرافقًا يا سموَّ الأمير، ولكن ليس في (بهو
الصَّيف)، ليس قبل سنةٍ أو اثنتين. لقد رأى ما يكفي من القلاع
في تقديري. سأقبله بشرط أن آخذه

معي على الطَّريق»، وأشار إلى

تشستنت العجوز متابعًا:

«سيركب حصاني المعيب،

ويرتدي معطفي القديم، ويشحذ

سيفي ويجلو زردِي. ستنام في

خاناتٍ وإمطلات،



وبين حين وآخر في قاعة فارس مالك أراض أو أحد صغار
اللوردات، وربما تحت الأشجار إذا اضطررنا».



رمقه الأمير ميكار غير مصدق، وقال: «هل أتلفت المحاكمة
عقلك يا رجل؟ إيجون أمير من أمراء البلاد، دم التين. الأمراء
لا يُخلقون للنوم في الخنادق وأكل اللحم المملح القاسي»، ولما
رأى دنك يتردد قال: «ما الذي تخشى قوله لي؟ قل ما تريد
أيها السير».

بمنتهى الهدوء قال دنك: «أراهن أن ديرون لم ينم في خندق
قط، وكل اللحم الذي أكله إيريون يومًا كان ثخينًا وطريًا وداميًا
على الأرجح».

تطلع ميكار تارجارين سيد (بهو الصيف) إلى دنك ابن
(سفع البراغيث) وقتًا طويلًا وفكه يتحرك بصمت تحت لحيته
الفضية، وأخيرًا دار على عقبه وانصرف دونما كلمة. سمعه دنك
يبتعد راكبًا مع رجاله، وعندما رحلوا خلا المكان من أي صوت
إلا طنين جناحي دبابة تين منطلقة فوق الماء.

أتى الغلام في الصَّباح التَّالي فيما أشرقت الشَّمس، ينتعل حذاءً قديمًا ويلبس بنطالًا بَنِيًّا وغلالةً من الصُّوف البَنِي ومعطفٍ سفرٍ قديمًا. «السَّيِّد والدي يقول أنني سأخدمك».

- «أخدمك أيُّها السَّيْر. يُمكنك البدء بتسريح الحصانين. تشستنت لك. عامله برفق. لا أريدُ أن أجدك على متن ثندر ما لم أضعك هناك بنفسِي».

سأله إاج وهو ذاهبٌ لِيُحضِر السَّرجين: «أين سنذهب أيُّها السَّيْر؟».

فكَّر دنك لحظةً قبل أن يُجيب: «لم أجتز (الجال الحمراء) قطُّ. أتودُّ أن تُلقِي نظرةً على (دورن)؟».

ارتسمت على فم إاج ابتسامةٌ واسعة، وقال: «أسمعُ أنَّ عندهم عروض عرائسٍ مسليَّة».



السَّيْفُ الْمُحَلَّفُ







في قفص حديديّ عند تقاطع الطرق كان رجلان ميتان يتعفنان
في شمس الصّيف. توقّف إجماع أسفلهما ليُلقي نظرة، وسأل: «مَنْ
تحسبهما كانا أيّها السّير؟». ممّتاً لمُهلة الرّاحة هذه، شرع بغله
ميسر يجرّ العُشب الشّيطانيّ البنيّ الجاف النّابت بحذاء حافة
الطّريق، غافلاً عن برميّليّ التّبيذ الضّخمين على ظهره.

أجاب دنك: «لصّين». يُقرّبه اعتلاؤه صهوة ثندر أكثر من

الرَّجُلَيْنِ المِيتَيْنِ. «مغتصِبَيْنِ. قَاتِلَيْنِ». تَلَوْتُ دَوَائِرَ غَامِقَةٍ غَلَالَتِ
الخَضِرَاءُ القَدِيمَةَ تَحْتَ إِبْطَيْهِ، فَالسَّمَاءُ زَرْقَاءُ وَحَرَارَةُ الشَّمْسِ
مُسْتَعْرَةٌ، وَمِنْذَ حُلِّ المَخِيْمِ هَذَا الصَّبَاحِ سَأَلْتُ مِنْهُ جَالُونَاتٍ مِنْ
العَرَقِ.

خَلَعَ إِجْ قَبْعَتَهُ القَشَّ المَرْنَةَ عَرِيضَةَ الحَافَةِ لِيَلُوجَ مِنْ تَحْتِهَا
رَأْسَهُ الْأَصْلَعَ اللَّامِعَ، وَاسْتَخْدَمَهَا كَمَرْوَحَةٍ لِيَذِبَ الذَّبَابَ. عَلَى
الرَّجُلَيْنِ المِيتَيْنِ تَزْحَفُ مِثَالُ الذَّبَابَاتِ، وَيَهِيْمُ مَزِيدٌ مِنْهَا بِكْسَلٍ
فِي الهَوَاءِ السَّاخِنِ السَّاكِنِ. «مُؤَكَّدٌ أَنَّهُمَا فَعَلَا فَعْلَةً سَيِّئَةً لَكِي
يُتْرَكَا لِلْمَوْتِ فِي قَفْصِ غَرِيَانٍ».

أَحْيَانًا يَتَمَتَّعُ إِجْ بِحِكْمَةِ المِيسْتَرَاتِ، لَكِنَّهُ مَا زَالَ فِي أَحْيَانٍ
أُخْرَى غُلَامًا فِي العَاشِرَةِ. قَالَ دَنْكُ: «اللُّورْدَاتُ أَنْوَاعٌ. بَعْضُهُمْ لَا
يَلْزِمُهُ سَبَبٌ قَوِيٌّ لِيَحْكُمَ عَلَى رَجُلٍ بِالْمَوْتِ».

يَتَّسِعُ القَفْصُ الحَدِيدِيُّ بِالكَادِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَرَغْمَ ذَلِكَ
أَقْحَمَ فِيهِ اثْنَانِ مَعًا، فَوْقَهَا وَجْهًا إِلَى وَجْهِهِ، تَتَشَابَكُ أَذْرُعُهُمَا
وَأَرْجُلُهُمَا وَيَلْتَصِقُ ظَهْرَاهُمَا بِحَدِيدِ القَضْبَانِ الْأَسْوَدِ السَّاخِنِ.
أَحَدُهُمَا حَاوَلَ أَنْ يَأْكُلَ الْآخَرَ؛ قَضَمَ مِنْ عُنْقِهِ وَكَتَفِهِ، وَالْغَرِيَانِ
نَالَتْ مِنْ كُلِّهِمَا نَصِيْبًا. عِنْدَمَا ظَهَرَ دَنْكُ وَإِجْ دَاثِرَيْنِ مِنْ حَوْلِ
الثَّلِّ ارْتَفَعَتِ الطُّيُورُ فِي السَّمَاءِ كَسَحَابَةٍ سَوْدَاءٍ أَفْزَعَتْ كَثَافَتِهَا
الشَّدِيدَةَ مِيسْتَرًا.

قَالَ دَنْكُ: «أَيُّمَا كَانَا فَكَلَاهُمَا يَبْدُو أَعْجَفَ». هَيْكَلَانِ عَظْمِيَّانِ
مَغْلَقَانِ بِالْجِلْدِ، وَالْجِلْدُ أَخْضَرٌ يَتَعَفَّنُ. «رَبِّمَّا سَرَقَا بَضْعَةً أَرْغَفَةً
مِنَ الخُبْزِ، أَوْ صَادَا غَزَالًا فِي غَابَةِ لُورْدٍ مَا». مَعَ دُخُولِ الجَفَافِ
عَامِهِ الثَّانِي، أَصْبَحَ مَعْظَمُ اللُّورْدَاتِ أَقْلَ تَسَامُحًا مَعَ الصَّيْدِ غَيْرِ

المشروع، ولم يكونوا متسامحين جدًّا من الأصل.

- «يُحْتَمَلُ أَنَّهُمَا مِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْخَارِجِينَ عَنِ الْقَانُونِ». فِي (دُوسِك) سَمِعَا عَازِفَ قِيثَارَةٍ يُغَنِّي «يَوْمَ شَنَقُوا رُؤُسَ الْأَسْوَدِ»، وَمِنْذَ ذَلِكَ الْحِينِ يَرَى إِجَ خَارِجِينَ عَنِ الْقَانُونِ شِهَامًا وَرَاءَ كُلِّ شُجِيرَةٍ.

لَاقَى دَنْكَ عِدَدًا مِنَ الْخَارِجِينَ عَنِ الْقَانُونِ فِي أَثْنَاءِ مُرَافَقَتِهِ الْعَجُوزِ، وَلَا يَسْتَعْجِلُ لِقَاءَ مَزِيدٍ مِنْهُمْ، فَلَا يَبْدُو أَنَّ أَحَدًا مِمَّنْ عَرَفَهُمْ تَحَلَّى بِشِهَامَةٍ خَاصَّةٍ. يَذْكُرُ وَاحِدًا اشْتَرَكَ السَّيْرَ آرْلَانَ فِي شَنْقِهِ، كَانَ مَغْرَمًا بِسَرَقَةِ الْخَوَاتِمِ، وَاعْتَادَ أَنْ يَقْطَعَ أَصَابِعَ الرِّجَالِ لِيُظْفِرَ بِهَا، أَمَّا مَعَ النِّسْوَةِ فَفَضَّلَ الْقَضْمَ، وَعَلَى حَدِّ عِلْمِ دَنْكَ لَا تُوجَدُ عَنْهُ أَغَانٍ. خَارِجُونَ عَنِ الْقَانُونِ أَوْ صَيَّادُونَ دُونَ إِذْنٍ، لَا فَرْقَ. الْمَوْتَى صُحْبَةٌ رَدِيئَةٌ. دَارَ بِشَنْدَرٍ عَلَى مَهْلٍ حَوْلَ الْقَفْصِ، وَبَدَأَ كَأَنَّهُ مُحَاجِرُ الْعَيُونِ الْفَارِغَةِ تَتْبَعُهُ. أَحَدُ الْمَيْتِينَ رَأْسُهُ مَطَاطًا وَفَوْهُ مَفْغُورٌ، وَقَدْ قَالَ دَنْكَ لِنَفْسِهِ إِذْ لَاحَظَ: إِنَّهُ بِلَا لِسَانٍ. قَدَّرَ أَنَّ الْغَرِيَانَ رَبَّمَا أَكَلَتْهُ. لَقَدْ سَمِعَ أَنَّ الْغَرِيَانَ تَنْقُرُ أَعْيُنَ الْجُثَثِ أَوَّلًا، وَلَكِنْ يَجُوزُ أَنَّ اللِّسَانَ يُؤْكَلُ ثَانِيًا. أَوْ جَائِزٌ أَنَّ أَحَدَ الْمَوْرِدَاتِ أَمَرَ بِاقْتِلَاعِهِ بِسَبَبِ شَيْءٍ قَالَهُ.

دَفَعَ دَنْكَ أَصَابِعَهُ عِبْرَ خُصَلَاتِ شَعْرِهِ الَّتِي فَتَحَتْ لَوْنَهُ الشَّمْسِ. إِنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ مَسَاعِدَةِ الْمَوْتَى، وَعَلَيْهِ وَاجِبٌ أَنْ يُوَصِّلَا بِرِمَالِي النَّيْذِ إِلَى (سْتَانْدَفَاسْت). قَالَ نَاطِرًا مِنْ طَرِيقٍ إِلَى آخَرٍ: «مَنْ أَيُّ اتِّجَاهٍ أَتَيْنَا؟ إِنْنِي تَائِهٌ».

أَشَارَ إِجَ مُجِيبًا: «(سْتَانْدَفَاسْت) فِي ذَلِكَ الْإِتِّجَاهِ أَيُّهَا السَّيْرُ».

قَالَ دَنْكَ: «هُوَ طَرِيقُنَا إِذَا. يُمَكِّنُنَا الْعَوْدَةَ بِحُلُولِ الْمَسَاءِ،

ولكن ليس إذا بقينا هنا طول النهار نعدُّ الذِّباب»، ومسَّ ثندر بكعبيه ودارَ بالبرذون الكبير نحو الفرع الأيسر.

عادَ إِج يضع قَبْعته المرنة وشدَّ مقود ميستر بحدَّة، فتخلَّى البغل عن جزِّ العُشب الشَّيطاني وتحركَ من غير معارضةٍ على غير المعتاد. فُكر دنك: هو أيضًا حرَّان، ومؤكد أنَّ هذَّين البرميلين ثقيلان.

خبَزَت شمس الصَّيف الطَّرِيق حتى أضْحى بصلابة القرميد، وفي الطَّرِيق أخاديد عميقة بما يكفي لكسر ساق حصان، ولذا حرصَ دنك على قيادة ثندر على الأرض الأعلى بينها. يوم غادَرا (دُوسك) لوى كاحله وهو ماش في سواد الليل والحرارة أفتَر. اعتادَ العجوز أن يقول إنَّ على الفارس أن يتعلَّم التَّعايش مع الآلام والأوجاع. أَجل يا فتى، ومع العظام المكسورة والنَّدوب. إنها جزء من فروسيَّتِكَ مثلها مثل سيوفك وتراسك. ولكن إذا حدثَ أن كُسِرَت لثندر ساق... الفارس دونما حصانٍ ليس بفارسٍ على الإطلاق.

تبعَه إِج من بُعد خمس ياردات بميستر وبرميلي النَّبيذ، يمشي الغُلام بقدم حافية في أخدودٍ وبالأخرى خارجه ليرتفع وينخفض مع كلِّ خُطوة. على إحدى وركبته يضع خنجره المغمَد، وحذاؤه معلق فوق حقيبة ظهره، وغلالته البنيَّة الرُّثة مطويَّة ومעقودة حول خصره. تحت قَبْعته القش عريضة الحافة وجهه مَسَّخ ملطَّخ، وعيناه واسعتان داكنتان. إنه في العاشرة، لم يَبْلُغ بعدُ الأقدام الخمسة طولًا. في الآونة الأخيرة بدأ ينمو سريعًا، ولو أنَّ أمامه طريقًا طويلًا طويلًا من التُّمو قبل أن يلحق بدنك. يُشبه الولد

تمامًا شخصية صبي الإسطل التي ينتحلها، ولا يُشبه بالمرّة شخصيته الحقيقيّة.

سرعان ما اختفى الميتان وراءهما، إلا أنّ دنك وجد نفسه يُفكر فيهما. البلاد حافلة بمخالفي القانون هذه الأيام. الجفاف لا يُبدي أيّ أمارات على الانتهاء، والعامة لجؤوا بالألوف إلى الطّرق بحثًا عن مكان ما حيث لا تزال الأمطار تسقط. اللورد عُدا فالدّم أمرهم بالعودة إلى أراضيهم وسادتهم، لكن قلائل أطاعوا. يلوم كثيرون عُدا فالدّم والملك إيرس على الجفاف، ويقولون إنه قضاء من الآلهة، ذلك أنّ قاتل الأقربين ملعون. على أنهم لا يقولون ذلك جهراً لو أنهم حُكماء. تقول الأحجية التي سمعها إيج في (البلدة القديمة): كم عينا للورد عُدا فالدّم؟ ألف عينٍ وعين.

قبل ستّ سنواتٍ في (كينجز لاندنج) رآه دنك بأمّ عينيه على متن حصانٍ شاحب في (شارع الفولاذ)، يتبعه خمسون من حرسه الملقّبين بأسنان العُدا فالدّم. حدث ذلك قبل أن يرتقي الملك إيرس العرش الحديدي ويُعيّنه يداً، ومع ذلك لفت الأنظار وهو متّشح باللّونين الدّخانيّ والسّقلاّتيّ ويتدلى السّيف «الأخت المظلمة» على وركه. جعلته بشرته الممتقعة وشعره الأبيض بياض العظم يبدو كجثة حيّة، وعلى وجنته ورقبته امتدّت وحمّة خمرية يُفترض أنها تُشاكل عُدا فالدّم أحمر، لكن دنك لم يرَ إلاّ لطفة غريبة الشّكل من الجلد حائل اللّون. شخص دنك ببصره إلى عُدا فالدّم حتى إنه أحسّ بالنّظرة، والتفت مشعوذ الملك ليرُمقه بإمعانٍ وهو يمرّ. للرّجل عينٌ واحدة، وهذه العين الواحدة حمراء، أمّا الأخرى فمحجّرٌ فارغ، الهدية التي أعطاها

له الفولاذ الأليم في (حقل العُشب الأحمر)، وإن بدا لدنك أنَّ العينين كلتيهما اخترقتا جلده ونفذتا إلى روحه ذاتها.

على الرغم من الحرِّ بُثَّت فيه الذِّكري رجفة، حتى إنَّ إيج ناداه: «سير؟ هل من خطب؟».

قال دنك: «لا. إنني حرَّان وعطشان مثلها»، وأشار إلى الحقل بعد الطريق، حيث تَدْبُل صفوفٌ من السَّمَام على الفروع المعترشة. على طول الحافات لا تزال زهور رأس الكبش والأعشاب الشَّيطانيَّة مستمسكةً بالحياة، لكن حال المحاصيل أسوأ كثيرًا، وقد أدرك دنك ما تَشْعُر به ثمار السَّمَام بالضُّبط. تعودُّ السير آرلان أن يقول إنه لا داعي لأن يعطش الفارس الجوّال أبدًا، «ما دام يملك خوذةً يلتقط فيها المطر. ماء المطر أفضل شراب في الدُّنيا يا فتى»، لكن العجوز لم يشهد قطَّ صيفًا كهذا. ترك دنك خوذته في (ستاندفاست)، فهي أسخن وأثقل من أن يعتمرها، والمطر الذي يُمكن أن يلتقطه فيها شحيحٌ للغاية. ماذا يفعل الفارس الجوّال وأماكن تجواله نفسها بِنِيَّة ظمآنة تموت؟

قد يغطس في الجدول حينما يصلان إليه. ابتسم مفكرًا في حلاوة ذلك الشُّعور؛ أن يقفز في الماء مباشرةً ويخرُج مبتلًا عن آخره مبتسمًا ملء فمه، ينهمر الماء كشلالٍ على خَدَّيه ويتخلَّل شعره الملبَّد وغللاته المخضلة الملتصقة بجلده. قد يرغب إيج أيضًا في غطسة، ولو أنه يبدو فاتر الحرارة جافًا، مغبرًا أكثر منه متعرق. في (دورن) سعى الغلام هنا وهناك عاري الصدر حتى صارَ بِنِيًّا كالدورنِيِّين. قال دنك لنفسه: إنه دم التَّنين الذي في عروقه. مَنْ سمعَ من قبل بَتِّينٍ يعرق؟ كان سيسرُّه أن يخلع

غلاته، غير أنَّ ذلك لا يليق. للفارس الجوّال أن يركب عاريًا
 تمامًا إذا اختارَ، فليس له أحدٌ يُخزّيه إلّا نفسه، لكن المسألة
 تختلف حين يتعهّد المرء بسيفه. تعود السير آرلان أن يقول:
 عندما تقبل من أحد اللوردات طعامه وشرابه، ينعكس ما تفعله
 كلّهُ عليه. افعل دومًا أكثر ممّا يتوقّعه منك، لا أقلّ أبدًا. لا
 تنكّص من أيّ مهمّةٍ أو مشقّة. وفوق كلّ شيء، إيّاك أن تُخزي
 اللورد الذي تخدمه. في (ستاندفاست) يعني «الطعام والشراب»
 الدّجاج والمزر، لكن السير يوستس نفسه يأكل الطّعام البسيط
 عينه.

ظلّ دنك لابسا غلاته ويتصبّب عرقًا.

مكتبة

t.me/soramnqraa

كان السير ينس صاحب الثّرس البنيّ منتظرًا عند الجسر
 الخشبيّ القديم، ونادى: «عُدّتما إذا. غيابكما طال إلى درجة أنني
 حسبتكما هربتما بفضة الشّيوخ». يمتطي ينس غرّونه الأشعث
 ويلوك لفافةً من الثّبغ المرّ أبدت فمه كأنه ممتلئ بالدمّ.

أخبره دنك: «اضطّررنا إلى قطع الطّريق كلّهُ إلى (دوسك) لنجد
 قليلًا من الثّبيد. الكراكن أغاروا على (دوسك الصّغرى) وسرقوا
 الثّروات والنّساء وأحرقوا نصف ما لم يأخذوه».

قال ينس: «داجون جرايچوي هذا يعوزه أن يُشنق. أجل،

١٠ - الغرّون Garron: نوعٌ متين صغير الحجم من الخيول. (المترجم).

ولكن مَنْ سَيَسْئَلُهُ؟ هل رأيت العجوز يَبتِ قرَّاصَ الأَرْدافِ؟»
 - «أخبرونا أنه ماتَ. الحديديُّون قتلوه حين حاولَ منعهم من
 اختطاف ابنته».

- «بحقِّ الجحائم السَّبعِ
 اللَّعِينَةِ!». أَشَاحْ

بنس بوجهه لِيَبْصُقَ،

وقال: «رأيتُ

أَمَّا تِلْكَ ابْنَةُ مَرَّةَ. لا

تسألُهل الموت من

أجلها إذا طلبت

أَيُّي. ذلك الأحمق

يَبتِ كان مدينًا لي

بنصف قطعة



فَضِيَّةَ». يبدو الفارس البني تمامًا كما بدا لَمَّا غادَرا، والأسوأ
 أنَّ رائحته لم تتَحَسَّن. يرتدي الرَّجُلُ الثَّيابَ ذاتها كلَّ يوم:
 بنطالًا بَنِيًّا، وغلالةً من الخيش بلا شكل معيَّن، وينتعل حذاءً
 من جلد الخيل، وعندما يتدرَّع يلبس معطَفًا بَنِيًّا فضفاضًا فوق
 قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة الصَّدئة.

نَجَاد سيفه عبارةً عن شريطٍ من الجلد المغلي، الذي يبدو
 وجهه المتغضَّن كأنَّما شَكِلَ منه أيضًا. رأسه يُشَبِّه ثمار الشَّمَامِ

الذَّابِلَةُ الَّتِي مَرَرْنَا بِهَا. حَتَّى أَسْنَانُهُ بَنِيَّةٌ تَحْتَ الْبُقْعِ الْحُمْرَاءِ
الَّتِي يُخَلِّفُهَا التَّبَعُ الْمُرُّ الَّذِي يَحِبُّ مَضْغُهُ. وَسَطَ كُلِّ هَذَا الْبَنِيِّ
تَبَرَّزَ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَتَانِ بِخُضْرَتِهِمَا الْبَاهِتَةِ وَضِيقِهِمَا وَتَقَارُبِهِمَا
وَالْتِمَاعِهِمَا بِالْغُلِّ. عَلَّقَ الرَّجُلُ: «بِرْمِيلَانِ فَقَط. السَّيْرُ مَتَعُوسٌ
أَرَادَ أَرْبَعَةً».

رَدَّ دَنكَ: «مَنْ حُسْنُ حَظَّنَا أَنَّنَا وَجَدْنَا اثْنَيْنِ. الْجَفَافُ بَلَّغَ
(الْكِرْمَةَ) أَيْضًا. سَمِعْنَا أَنَّ الْعَنْبَ يَتَحَوَّلُ إِلَى زَبِيبٍ عَلَى
الْأَغْصَانِ، وَالْحَدِيدِيُّونَ يُقْرَصُونَ...».

قَاطَعَهُ إِجْ: «سَيْرٌ؟ الْمَاءُ اخْتَفَى».

حَالَ تَرْكِيزَ دَنكَ عَلَى بِنْسٍ دُونَ أَنْ يَلْحَظَ. تَحْتَ أَلْوَاكِ الْجَسْرِ
الْخَشَبِيَّةِ الْمَعُوجَةِ لَمْ يَتَبَقْ إِلَّا الرَّمْلُ وَالْحِجَارَةُ. غَرِيبٌ هَذَا.
مَنْسُوبُ الْجَدُولِ كَانَ مَنْخَفِضًا حِينَ ذَهَبْنَا، لَكِنَّهُ ظَلَّ يَجْرِي.

ضَحَكَ بِنْسٌ. لِلرَّجُلِ نَوْعَانِ مِنَ الضَّحْكِ: أَحْيَانًا يَقِيقُ
كَالدَّجَاجِ، وَأَحْيَانًا يُصْدِرُ نَهِيْقًا أَعْلَى مِنْ بَغْلِ إِجْ. هَذِهِ الضَّحْكَةُ
ضَحْكَةُ الدَّجَاجَةِ. «جَفَّ فِي غِيَابِكُمَا عَلَى مَا أَظُنُّ. إِنَّهُ شَيْءٌ
يَفْعَلُهُ الْقَحْطُ».

أَفْعَمَتِ دَنكَ خَبِيَّةَ الْأَمَلِ. طَيِّبٌ، لَنْ أُغْطَسَ إِذَا. تَرَجَّلَ مِنْ
فَوْقِ حِصَانِهِ مَتَسَائِلًا: مَاذَا سَيَحْدُثُ لِلْمَحَاصِيلِ؟ نِصْفُ الْآبَارِ
فِي (الْمَرْعَى) جَفَّ، وَالْأَنْهَارُ كُلُّهَا مَنْخَفِضَةٌ الْمَنْسُوبِ، بِمَا فِي
ذَلِكَ (النَّهْرُ الْأَسْوَدُ) وَ(الْمَانْدَرُ) الْعَظِيمِ.

قَالَ بِنْسٌ: «شَيْءٌ كَرِهَ الْمَاءَ. شَرِبْتُ قَلِيلًا مِنْهُ مَرَّةً فَمَرَضْتُ
كَالْكَلَابِ. التَّيِّدُ أَفْضَلُ».

- «ليس للشوفان. ليس للشعير. ليس للجزر والبصل والكرنب. حتي العنب يحتاج إلى ماء»، وهزّ دنك رأسه سائلاً: «كيف يجف بهذه السرعة؟ إننا لم نغيب إلا ستة أيام».

- «لم يكن ماؤه غزيراً أصلاً يا دنك. في الماضي اعتدتُ أن أتبول جداول أكبر من هذا».

قال دنك: «لستُ دنك. لقد أخبرتك من قبل». تساءل لِم يُزعج نفسه. ينس رجلٌ سليط اللسان، ويسرّه أن يتهمك على الآخرين. «أدعي بالسير دنكن الطويل».

ردّ ينس: «ومن يدعوك بهذا؟ جروك الأصلع؟»، ونظرَ إلى إج ضاحكاً ضحكة الدجاجة، وقال: «إنك أطول ممّا كنت وأنت تخدم شجرة البنسات، لكنك ما زلت تبدو دنك خالصاً لي».

فركَ دنك قفاه وحدّق إلى الصُخور بالأسفل. «ماذا نفعل؟».

- «أوصلا الخمرور وأخبرا السير متعوس أن جدوله جفّ. ما زال في بشر (ستاندفاست) ماء، فلن يعطش».

- «لا تدّعه بالسير متعوس». دنك مولّع بالفارس الشيخ. «إنك تنام تحت سقفه، فأولّه شيئاً من الاحترام».

- «أنت تؤليه نصيينا ممّا من الاحترام يا دنك. سأدعوه أنا بما أريد».

صدرَ من الألواح الرّماديّة المائلة إلى الفضيّ صريرٌ ثقيل إذ تحرّك دنك فوق الجسر ليُلقي نظرةً عابسةً على الرّمال والأحجار تحته. رأى بين الصّخر قلةً من البرك الصّغيرة تلمع، ولا واحدة منها أكبر من يده. «سمك ميت، هناك وهناك، أترى؟». ذكرته

رائحته بالرجلين الميتين عند تقاطع الطرق.

قال إيج: «أراها أيها السير».

وثبَ دنك إلى قاع المجرى وأقعى على كعبيه وقلبَ حجرًا. جافٌ ودافئٌ من أعلى، ورطبٌ ومطّينٌ من أسفل. قال: «لا يمكن أنْ مُدَّةً طويلةً مرّت منذ اختفى الماء»، ونهضَ راميًا الحجر جانبًا إلى الضفة، حيث سقطَ مخترقًا بروزًا متفتتًا في سحابة من التراب البني الجاف. «التربة مشققة على طول الضفتين، لكنها طرية وموحلة في المنتصف. هذه الأسماك كانت حيّة أمس».

علّق السير بنس: «دнк الأنوك، هكذا اعتادَ شجرة البنسات أن يدعوك، ما زلتُ أذكر»، وبصقَ لفافة التبغ المرّ على صخرة، لتلتمع حمراء لزجة في ضوء الشمس. «لا يجدر بالأنوك أن يحاولوا التفكير، فعقولهم أغلظ كثيرًا من أن تُفكر».

- دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة. من فم السير آرلان حملت العبارة وُدًا، فقد كان رجلًا طيبًا حتى في التوبيخ، أمّا من السير بنس صاحب الترس البني فوقها مختلف. «السير آرلان مات منذ عامين، وأنا أدعى بالسير دنكن الطويل». أغرته بشدة فكرة أن يهوي بقبضته على وجه الفارس البني ويهشم هذه الأسنان الحمراء النخرة تهشيمًا. قد يكون بنس صاحب الترس البني بغيضًا خبيثًا، لكن دنك يفوقه طولًا بما لا يقل عن قدم ونصف، ووزنًا بأربعة أحجار.^{١١} محتملٌ أنه أنوك، لكنه كبير. أحيانًا يُخيّل إليه أنه خبطَ برأسه نصف أبواب (وستروس)، ناهيه بكلّ عارضة سقفٍ في كلّ خانٍ من (دورن) إلى (العنق).

١١ - الحجر Stone: وحدة وزن عتيقة تُعادل حاليًا أربعة عشر رطلاً. (المُترجم).

في (البلدة القديمة) أخذَ إِيْمُونُ أخو إِيْحَ قِيَاسَاتِهِ، فوجدَ أنَّ بوصةً
تَنَقِّصُهُ لِيَبْلُغَ سبعةَ أَقْدَامٍ طَوْلًا، إِلَّا أنَّ ذَلِكَ حَدَثَ قَبْلَ نَصْفِ
عَامٍ، وَرَبِّمَّا نَمَا مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ. التَّمُو هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي
يُجِيدُهُ ذَنْكَ حَقًّا، كَمَا اعْتَادَ الْعَجُوزُ الْقَوْلَ.

عَادَ إِلَى ثَنْدَرٍ وَاعْتَلَاهُ مَجْدَّدًا، وَقَالَ: «إِيْحَ، وَاصِلِ الطَّرِيقَ إِلَى
(سْتَانْدَفَاسْت) بِالْبَيْيْذِ. سَأَذْهَبُ لَأَرَى مَاذَا جَرَى لِلْمَاءِ».

قَالَ بِنْس: «الْجَدَاوِلُ تَجِفُّ طَوْلَ الْوَقْتِ».

- «أُرِيدُ أَنْ أَلْقِيَ نَظْرَةً فَقَطْ...».

- «مِثْلَمَا نَظَرْتُ تَحْتَ الصَّخْرَةِ؟ لَا يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَقْلُبَ
الصُّخُورَ أَثْنَاءَ الْأَنْوَكِ، فَلَسْتُ تَدْرِي أَبَدًا مَا قَدْ يَزْحَفُ مِنْ
تَحْتِهَا. إِنَّ عِنْدَنَا حَشَايَا قَشٍ لَطِيفَةً فِي (سْتَانْدَفَاسْت)، وَبِيضًا
فِي مَعْظَمِ الْأَيَّامِ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ كَثِيرًا غَيْرَ الْاسْتِمَاعِ لِلسَّيْرِ
مَتَعُوسٍ يُثْرِثِرُ عَنْ عَظَمَتِهِ الَّتِي كَانَتْ. دَعَكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، أَقُولُ
لَكَ. الْجَدَاوِلُ جَفَّتْ، هَذَا كُلُّ شَيْءٍ».



على أن أكثر ما يتَّسم به دنك هو العناد، وهكذا قال لإِج: «السير يوستس ينتظر نبیذه. أخبره أين ذهبَتْ».

قال إِج: «حاضر أيُّها السير»، وشدَّ مقود ميستر مرَّةً، فأرْعشَ البغل أذنيه، وإن عادَ يتحرَّك في الحال. يُريدُ الخلاص من هذَّين البرميلين على ظهره. ولا يستطيع دنك أن يلومه.

تدفَّق الجدول شمالاً وشرقاً حينما تدفَّق، فوجَّه دنك ثندر جنوباً وغرباً. لم يمض أكثر من دسَّة من الیاردات قبل أن يلحق به بنس قائلاً: «الأفضل أن آتي لأُضمن ألا تُشنق»، ودسَّ لفافة جديدة من التَّبغ المُرمي في فمه مردفاً: «بعد ذلك الدَّغل من الصَّفصاف الرَّملي تنتهي الضفَّة الیمنى بأكملها إلى أرض العناكب».

- «سأبقى على جانبنا». لا يُريد دنك متاعب مع سَيِّدة (الخندق البارد)، ففي (ستاندفاست) لا يُسمَع عنها إلا المساوئ. یلقبها النَّاس بالأرملة الحمراء، نسبةً إلى الأزواج الذين دفنَهم، ويقول سام المحنِّي العجوز إنها ساحرة ومُسَيِّمة وأسوأ. قبل سنتين أرسلتُ فُرسانها عبر الجدول للقبض على أحد رجال أُوْزجري لسرقته خرافاً، وهو ما قال عنه سام: «عندما ركبَ سيدي إلى (الخندق البارد) لِيُطالب بعودته، قيل له أن يبحث عنه في قاع الخندق. لقد وضعتُ ديك المسكين في جوالٍ مليء بالصُّخر وخيَّطته عليه وأغرقتَه. بعد ذلك ضمَّ السير يوستس السير بنس إلى خدمته، لِيُبعد تلك العناكب عن أراضيهِ».

حافظَ ثندر على مشيةٍ بطيئة ثابتة تحت الشَّمس الحامية.

السَّماء زرقاء قاسية، لا يُرى فيها أثرٌ للسُّحب. يلتوي مجرى

الجدول حول مرتفعاتٍ صخريةٍ وصفصافٍ بائس، عبر تلالٍ بنيةٍ جرداءٍ وحقولٍ من الحبوب المينة والميتة. بعد ساعةٍ من الجسر في اتجاه المنبع وجدا نفسيهما راكبين على حافة غابة أوزجري الصغيرة المسماة (خميلة وات). من بعيدٍ لاحت الخضرة جذابةً وملأت رأس دنك بأفكارٍ عن وهادٍ ظليلةٍ ونهيراتٍ يتعالى خريرها، ولكن حين وصلا إلى الأشجار ألقياها ناحلةً مهزولةً مرتخية الفروع. بعض السنديانات العظيمة تتساقط أوراقه، والصنوبرات نصفها استحاليً بنياً كالسيرينس وتطوق جذوعها حلقات من الإبر الميتة. فكر دنك: أسوأ وأسوأ. شرارةٌ واحدةٍ وسيشتعل كل هذا كالصوفان.

أمّا في الوقت الراهن فالحراج المتشابكة على طول (ماء المربعات) لا تزال زاخرةً بالكروم الشائكة والقُرَاص والورد البري الأبيض والصفصاف الشاب، وبدلاً من شقّ طريقهما عبرها عنوةً عبرا قاع الجدول الجاف إلى جانب (الخندق البارد)، حيث أزيلت الأشجار لتأكل الماشية الكلأ. بين الأعشاب البنية الظمأى والزهر البري الباهت راحت بضعة خرافٍ سوداء الأنوف ترعى، وهو ما علّق عليه السيرينس بقوله: «لم أعرف قط حيواناً غيبياً كالخراف. أتظنّها قريبتك أيّها الأنوك؟»، ولمّا لم يردّ دنك عادَ يُطلق ضحكة الدجاجة.

بعد نصف فرسخٍ من التوغّل جنوباً قابلاً السد.

ليس كبيراً قياساً إلى السدود عموماً، لكنه يبدو قوياً. بعرض الجدول أقيم من الضفة إلى الضفة متراسان خشبيان مصنوعان من جذوع أشجارٍ لا يزال لحاؤها عليها، ومُلئ الفراغ بينهما

بالصخر والتراب المكبوسين بصلابة، ووراء السد يرتفع السيل زاحفاً إلى الضفتين ويتسرب إلى أخدود شقّ عبر حقول الليدي وبر. وقف دنك على ركبائه ليلقي نظرة أفضل، فرأى لمعة الشمس على المياه تشي بنحو عشرين قناة أصغر تجري في كل اتجاه كشبكة عنكبوت. إنهم يسرقون جدولنا. أفعمه المشهد بالحنق، بخاصة حين أدرك أن الأشجار أخذت ولا شك من (خميلة وات).

قال ينس: «انظر ماذا فعلت أيها الأنوك. لم ترض بأن الجدول جف وحسب، لا. قد يبدأ هذا بالماء، لكنه سينتهي بالدم. دمك ودمي غالباً»، واستلّ الفارس البني سيفه متابعاً: «حسن، لا مجال للتراجع الآن. ها هم أولاء حفاروك الملعونون ثلاثاً. الأفضل أن نبثّ فيهم شيئاً من الخوف»، وكشط جنبه غرّونه بمهمازيه وهروّل فوق العشب.

لم يجد دنك خياراً إلا أن يتبعه وقد اعتلى سيف السير آرلان الطويل وركه، قطعة مستقيمة ممتازة من الفولاذ. لو أنّ حفارو الأخاديد هؤلاء يتمتعون بذرة من العقل فسؤلون الأدبار. انطلق شندر مثيراً بحوافره النقع كتلاً.

أسقط أحد الرجال رفشه عند مرأى الفارسين المقبلين، وإن لم يحدث ما هو أكثر. ثمة عشرون من الحفارين، قصار وطوال، ومسنون وشبان، كلهم حمّسته الشمس، وقد شكلوا صفّاً غير منتظم إذ أبطأ ينس حركته، قابضين جميعاً على مجارفهم ومعاولهم. صاح أحدهم: «هذه أرض (الخندق البارد)».

أشار ينس بسيفه الطويل قائلاً: «وهذا جدول أوزجري. من

أقامَ هذا السَّد اللّعين؟».

أجابَ حفَّار شاب: «الميسٲر كرك بناه».

قال رجلٌ أكبر سنًا بإصرار: «لا. الجرو الرّماذي أشار قليلاً وقال افعلوا هذا وافعلوا ذاك، لكن نحن الذين بنناه».

- «يُمكنكم إذا أن تغوروا وتهدموه».

لاح في أعين الحفَّارين العبوس والتَّحدّي. مسحَ واحدٌ منهم العرق عن جبهته بظهر يده، ولم يتكلّم أحد.

قال بنس: «ضعاف السّمع أنتم. أيجب أن أقطع أذنًا أو اثنتين؟ من الأوّل؟».

- «هذه أرض وبرّ». الحفَّار العجوز هزيل، محنيّ الظهر وعنيد. «ليس لك حقٌّ في القدوم إلى هنا. اقطع أئّة آذان وستغرّك ستي في جوال».

اقتربَ بنس قائلاً: «لا أرى ستّات هنا، بل مجرد فلاح متبجّج»، ونخز صدر الحفَّار البنيّ العاري برأس سيفه بقوّة كفّت لأن يريق قطرة من الدّم.

- إنه يتمادي. حدّره دنك: «أغمِد فولاذك. ليس هذا من صنعه. الميسٲر كلّفهم بهذا العمل».

خاطبه حفَّار بأذنين كبيرتين بارزتين: «إنه من أجل المحاصيل أيّها السّير. الميسٲر قال إنّ القمح يموت، والإجّاص أيضًا».

قال بنس: «طيب، قد يموت الإجّاص، وقد تموتون أنتم».

ردّ العجوز: «كلامك لا يُخيفنا».

- «حَقًّا؟». جعلَ بِنَس سيفه الطَّويل يصفرُ إذ هوى ليشقَّ
وجنة العجوز من الأذن إلى الفكِّ. «قلتُ إمَّا أن يموت الإِجَّاصُ
وإمَّا تموتون».

سألَ دم الحفَّار أحمر على جنب وجهه.



- لم يجب أن يفعل هذا. ابتلعَ دنك ثورته مرغمًا، فبنس في
صفِّه في هذه المسألة، وزعقَ في الحفَّارين: «ارحلوا من هنا.
عودوا إلى قلعة سيِّدتكم».

واستحثَّهم السير بنس: «اجروا!!».

أفلت ثلاثة منهم أدواتهم وفعلوا هذا بالضبط راکضين وسط العُشب، إلا أن رجلاً آخر مسفوع البشرة متين البنيان رفع معولاً قائلاً: «إنهما اثنان فقط».

قال العجوز واضعاً يده على وجهه ليتقاطر الدّم من بين أصابعه: «المجارف ضد السُيوف قتالٌ للحمقى يا يورجن. ليست هذه النّهاية. إياك أن تحسب ذلك».

- «كلمة واحدة زيادة وقد تكون نهايتك أنت».

- «لم نقصد أن نُؤذیکم». قالها دنك لوجه الرّجل الدّامي. «لا نريد إلا ماءنا. أخبروا سيّدتکم بذلك».

قابضاً على معوله ما زال، وعدّه متين البنيان: «أوه، سنُخبرها أيّها السّير، سنُخبرها لا محالة».

في طريق العودة شقاً قلب (خميلة وات) ممتنّين للقدر القليل من الظل الذي زوّدهما به الشّجر، ورغم ذلك طبختهما الحرارة طبخاً. المفترض أن في الغابة غزلاناً، لكنهما لم يريا أيّ كائنات حيّة إلا الذّباب الذي أخذ يطنّ حول وجه دنك وهو راكب، ويزحف حول عينيّ شندر مزعجاً الجواد الحربيّ الكبير أيّما إزعاج. الهواء ساكن خانق. على الأقل في (دورن) كان النّهار جافاً، وليلاً اشتدّ البرد حتى إنني كنتُ أرتجف تحت معطفي. في (المرعي) اللّيلي بالكاد أبرد من الأنهر ولو على هذه المسافة شمالاً.

حين خفضَ رأسه تحت فرع متدلٍّ، قطفَ ورقةً وسحقها بين أصابعه، فتفتَّت في يده كرقِ عُمُرهِ ألف عام. قال لِنِيس: «لم يُوجد دَاعٍ لجرح ذلك الرَّجل».

- «كانت دغدغةً للخدِّ ليس إلَّا، لتُعلِّمه أن يحفظ لسانه. لقد وجبَ أن أشقَّ له حلقة اللُّعين، ولكن عندئذٍ كان الآخرون سيجرون كالأرانب ونضطُّرُّ إلى دعسهم جميعًا».

سأله دنك مبهوتًا: «كنت ستقتل عشرين رجلًا؟».

- «اثنان وعشرون. اثنان فوق مجموع أصابع يديك وقدميك أيُّها الأنوك. يجب أن تقتلهم جميعًا وإلَّا لانطلقوا ينشُرون الحكايات». دارا من حول عددٍ من الأشجار السَّاقطة. «كان يجب أن نقول للسَّير متعوس إنَّ القحط جفَّف الجدول الصَّغير النَّافه».

- «اسمه السَّير يوستس. كنت ستكذب عليه إذا».

أجابَه نِيس: «أجل، ولمَ لا؟ ومَن سيُخبره بغير ذلك؟ الدُّباب؟»، وابتسم ابتسامة حمراء مبتلَّة مضيِّفًا: «السَّير متعوس



لا يُبَارِحُ البُرْجُ أَبَدًا إِلَّا ليرى الفَتِيَّةَ وَسَطَ التُّوتِ الأسودِ». - «السَّيْفُ المَحْلُفُ مَدِينٌ لِسَيِّدِهِ بالحَقِيقَةِ».

رَدَّ بِنَسْ: «الحَقَائِقُ أَنْوَاعٌ أَثِيهَا الْأَنْوَكُ»، وَبَصَقَ وَوَاصَلَ: «الْآلِهَةُ تُسَبِّبُ الْجَفَافَ، وَمَا يَبْدُ أَيُّ إِنْسَانٍ حِيلَةً لَعِينَةٍ حِيَالِ الْآلِهَةِ. لَكِنْ الْأَرْمَلَةُ الْحَمْرَاءُ... إِذَا أَخْبَرْنَا السَّيْرَ مَتَعَوَسَ بِأَنَّ تِلْكَ الْكَلْبَةَ الْحَقِيرَةَ أَخَذَتْ مَاءَهُ فَسَيَشْعُرُ أَنَّ شَرْفَهُ يُلْزِمُهُ بِاسْتِعَادَتِهِ. انْتَظِرْ وَاسْتَرَى. سَيَحْسَبُ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا».

- «وَهُوَ الْوَاجِبُ. عَامَّتُنَا مُحْتَاجُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ لِأَجْلِ مُحَاصِلِهِمْ».

أَطْلَقَ السَّيْرُ بِنَسْ ضَحَكَتِهِ النَّاهِقَةَ قَائِلًا: «عَامَّتُنَا؟! أَكُنْتُ غَائِبًا أَتَغَوِّطُ فِي مَكَانٍ مَا حِينَ جَعَلْتُكَ السَّيْرَ مَتَعَوَسَ وَرِيثَهُ؟ كَمْ مِنَ الْعَامَّةِ لَدَيْكَ فِي ظَنِّكَ؟ عَشْرَةٌ؟ بَمَنْ فِي ذَلِكَ ابْنُ جَيْنِ الشُّزْرَاءِ الْمَعْتَوَةِ الَّذِي يَجْهَلُ أَيُّ طَرْفِي الْفَأْسُ يُمَسِّكُ. اذْهَبْ وَأَسْبِغِ الْفُرُوسِيَّةَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَسَيُصْبِحُ عِنْدَنَا نَصْفُ عَدَدِ فُرْسَانِ الْأَرْمَلَةِ، نَاهِيكَ بِمُرَافِقِيهَا وَرُمَاتِهَا وَالْبَقِيَّةَ. سَتَلْزِمُكَ كُلُّمَا يَدُوكَ وَكُلُّمَا قَدَمِيكَ لَتَعُدَّهُمْ، وَأَصَابِعُ يَدَيَّ وَقَدَمَيَّ غُلَامِكَ الْأَصْلَعِ كُلِّهَا أَيْضًا».

- «لَا تَلْزِمْنِي أَصَابِعُ أَقْدَامٍ لِأَعْدَاءٍ». سَتَمَ دَنْكَ الْحَرَّ وَالذَّبَابَ وَرَفَقَةَ الْفَارَسِ الْبَنِيِّ. رُبَّمَا رَكِبَ مَعَ السَّيْرِ آرْلَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، لَكِنْ ذَلِكَ حَدَثٌ قَبْلَ سِنَوَاتٍ وَسِنَوَاتٍ. الرَّجُلُ بَاتَ رَذِيلًا وَخَدَّاعًا وَجَبَانًا. هَمَزَ دَنْكَ حَصَانَهُ وَخَبَّ مُتَقَدِّمًا لِكِي يَضَعُ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ وَرَاءَهُ.

(ستاندفاست) قلعةً مجاملةً فقط. على الرغم من أنها ترتفع بشجاعة فوق تلٍ صخريٍّ وتُمكن رؤيتها من بُعد فراسخ حولها، فهي ليست أكثر من منزلٍ مبرِّج. استدعى انهيارُ جزئيٍّ قبل بضعة قرونٍ قليلاً من إعادة البناء، ومن ثمَّ ففوق نوافذ الوجهين الشمالي والغربي أحجارٌ رمادية باهتة وتحتها الأحجار السوداء القديمة. خلال الإصلاحات أضيفت بُرِجات إلى خطِ السَّقْف، ولكن فقط على الجنبين اللذين أُعيدَ بناؤُهُما، أمَّا في الرُّكنين الآخرَين فيجثم تمثالان مغاريَّان^{١٢} برتَهما الرِّيح وعوامل الطقس إلى درجة تُصعِّب معرفة شكلَهما الأصليَّين. السَّقْف المبنِيٌّ بخشب الصُّنوبر مستوٍ، لكن ألواحهُ ملتويةٌ بشدَّةٍ وعُرضةٌ للتَّسريب.

يقود دربٌ متمعِّجٌ من سفح التَّل إلى البُرج، ويمنع ضيقه البالغ قطعه ركوبًا إلا في طابورٍ فردي. قادَ ذلك الطريق في أثناء الصُّعود، وينس خلفه مباشرةً، وأمكنه أن يرى إِج بقبَّعته القش المرنة واقفاً أعلاهما فوق بروزٍ صخري.

كبحا حصانَيهما خارج الإسطبل الصَّغير المبنى بالأغصان المجدولة والجصِّ، المستقر عند سفح البُرج نصف متوارٍ تحت كومةٍ مشوَّهة من الطَّحالب الأرجوانية. رأى ذلك حصان الشَّيخ الرَّمادي المخصِّي في أحد المرباط بجوار ميستر، وبدأ أنَّ إِج وسام المحنِّي أدخلا النَّبيذ، وفي السَّاحة كانت الدَّجاجات تتسكع. أسرَعَ إليه إِج متسائلاً: «هل اكتشفت ما جرى للجدول؟».

١٢- الزَّخرفة المغاريَّة Grotesques: مصطلح يصف تماثيل مشوَّهة ومنحوتات قبيحة الأشكال تُزيِّن المباني، بخاصَّةٍ في المدن الأوربيَّة. (المترجم).

أجابَ دنك: «الأرملة الحمراء سَدَّتْ»، وترجَّل وناولَ الغُلامَ
عنانَ ثنْدر قائلاً: «لا تدعه يشرب كثيراً دُفْعَةً واحدةً».

- «حاضر أيُّها السيّر، لن أفعل».

ناداه السيّر ينس: «أنت يا ولد، يُمكنك أن تأخذ حصاني
أيضاً».

رقمه إج بوقاحةً راداً: «لستُ مُرافقك».

فكَّر دنك: لسانه هذا سيؤدِّي إلى أذنيته يوماً ما. «ستأخذ
حصانه أو ستنال لطمَةً على الأذن».

ارتسمَ على ملامح إج العبوس، وإن لبَّى الأمر، ولكن بينما مدَّ
يده إلى اللِّجام تنخَّع السيّر ينس وبصقَ، لَتُصيب كُتلة من البلغم
الأحمر اللامع الغُلام بين اثنتين من أصابع قدميه، فرمى الفارس
البني بنظرةٍ جليديَّة قائلاً: «بصقت على قدمي أيُّها السيّر».

نزلَ ينس من فوق حصانه بجهد، وردَّ: «أجل. المرَّة القادمة
سأبصقُ في وجهك. لن أسمع بسلطة لسانك اللعينة».

رأى دنك الغضب في عيني الغُلام، وقبل أن تسوء الأمور قال:
«اعتنِ بالحصانين يا إج. علينا أن نتكلَّم مع السيّر يوستس».

المدخل الوحيد إلى (ستاندفاست) عبر باب من السِنديان
والحديد يرتفع عشرين قدماً فوقهما. الدَّرجات السُّفلى من حجر
أسود أملس، متأكلة إلى درجة أنَّ منتصفها مقعَّر، وعلى مسافةٍ
أعلى تُفسِّح الطَّرِيق لِسُلَّم خشبيٍّ شديد الانحدار، يُمكن رفعه
كجسرٍ متحرِّك في أوقات المتاعب. طردَ دنك الدَّجاجات إلى
الجانب، وصعدَ درجتين درجتين.

(ستاندفاست) أكبر مما تبدو؛ تحتلُّ سراديبها وأقيبتها العميقة مساحةً كبيرةً من التُّل الذي تريض فوقه، أمَّا فوق الأرض فيمتاز البرج بأربعة طوابق، في أعلى اثنين منها نوافذ وشُرَفات، وفي الآخرين الأدنى فتحات رماية فقط. الحرارة أفتَر في الدَّاخل، لكن الإضاءة معتمة جدًّا، حتى إنَّ دنك اضطرَّ إلى ترك عينه تكيِّفان عليها. وجدَّ زوجة سام المحنِّي على رُكبتِها عند المستوقد تكنس الرَّماد، فسألها: «السَّير يوسُتس فوق أم تحت؟».

- «فوق أيُّها السَّير». العجوز حدباء إلى درجة أنَّ رأسها منخفض عن كتفيها. «لقد عادَ لتوِّه من زيارة الفِتيّة تحت، وسط الثُّوت الأسود».

الفِتيّة هم أبناء يوسُتس أوزجري: إدون وهارُولد وأدام. إدون وهارُولد كانا فارسين، وأدام مُرافقًا شابًّا، وقد ماتوا في معركة (حقل العُشب الأحمر) قبل خمس عشرة سنةً في نهاية تمرُّد بلاكفاير. أخبر السَّير يوسُتس دنك: «ماتوا ميتاتٍ طيِّبةً وهم يُحاربون بشجاعةٍ في سبيل الملك، وقد جلبتهم إلى الدِّيار ودفنتهم وسط الثُّوت الأسود». زوجته أيضًا مدفونة هناك، ومتى يفتح الشَّيخ برمِل نبيذٍ جديدًا ينزل إلى سفح التُّل ليصبَّ لكلِّ من الفِتيّة سَكينةً، وقَبيل أن يشرب يهتف: «نخب الملك!».

تحتلُّ غُرْفَة نوم السَّير يوسُتس الطَّابق الرَّابع من البرج، وتحتها مباشرةً تقع غُرْفَة الشَّمسيّة. هناك علِمَ دنك أنه سيَجده يعبث بين الصَّنَاديق والبراميل. على جُدران الغُرْفَة الرَّماديّة السَّميكة علَّقت أسلحةٌ صدئة ورايات مستولى عليها، غنائم من معارك

دارت رحاها قبل قرون طويلة ولا يذكّرها الآن إلا السير يوستس.
في نصف الرّايات عفونة فطرية، وجميعها باهت للغاية ومغطى
بالغبار، وألوانها الزّاهية سابقاً حالت إلى الرّمادي والأخضر.

كان السير يوستس يجلو الوسخ عن ثرس خرب بخرقه عندما
دخل دنك وفي أعقابه ينس بعطره الفوّاح. بدا أن عيني الفارس
الشيخ تألقتا قليلاً لمرأى دنك، وأعلن: «عملاقي الطيّب،
والسير ينس الشّجاع. تعالياً وألقيا نظرة. عثرت عليه في قاع
ذلك الصّندوق. إنه كنز، ولو أنه أهمل إلى حدٍ مخيف».

ثرس هو، أو ما تبقى من ثرس، وهذا المتبقّي زهيد. نحو
نصفه مكسور، والبقية رمادية ومتشظية، والحافة الحديدية صدئة
عن آخرها، والخشب مليء بثقوب الدّيدان. لا تزال قشارة قليلة
من الطّلاء عالقة به، لكنها أقل من أن تلمح إلى رمز معيّن.

قال دنك: «سيدي اللورد». لم يعد

آل أوزجري لوردات منذ قرون،

وإن سرّ السير يوستس أن يُخاطب

بهذا اللّقب

الذي يُردّد

صدى أمجاد عائلته

التّليدة. «ما هذا؟».

فرك الشيخ الحافة لتسقط

منها بضع قشور من الصّدا، وأجاب: «ثرس الأسد الصّغير.



السير ويلبرت أوزجيري حملَه في المعركة
التي ماتَ فيها. أنا واثقٌ بأنكم
تعرفان الحكاية».

قال بنس: «لا يا سيدي، لا نعرفه
في الواقع. تقول الأسد الصغير؟
أكان قزمًا أو ما شابه؟».

- «طبعًا لا». ارتعش شارب

الفارس الشَّيخ إذ قال: «السير
ويلبرت كان رجلًا طويلًا قويًا،
وفارسًا عظيمًا. الاسم أُطلقَ

عليه في طفولته، بصفته الأصغر بين خمسة
إخوة. في أيامه كان لا يزال في (الممالك السَّبع) سبعة ملوك،
وكثيرًا ما اشتبكت (هايجاردن) و(الصَّخرة) في الحرب. آنذاك
حكَّمنا الملوك الخُضريّ، آل جاردنر الذين تحدَّروا من دم جارت
ذي اليد الخضراء، وشكلت يدٌ خضراء على خلفيّة بيضاء رايتهم
الملكيّة. أخذ جايلز الثالث راياته شرِّقًا ليخوض حربًا ضد ملك
العواصف، وذهب إخوة ويلبرت كلّهم معه، ففي تلك الأيام
خفّق أسد المربّعات دومًا بجوار اليد الخضراء عند ذهاب ملوك
(المرعى) إلى القتال.

«ولكن حدثَ في غياب الملك جايلز أن رأى ملك (الصَّخرة)
فرصته ليقضم لُقمةً من (المرعى)، وهكذا حشد جيشًا من

الغربيين وزحفَ لِيُهاجِمنا. كان آل أُوْزجَري مُشيري (التُّخم الشَّمالي)، وهكذا وَقَعَت على الأسد الصَّغير مسؤوليَّة لقاء المعتدين. الملك لانسل الرَّابع هو مَنْ قادَ رجال لانستر على ما يبدو لي، أو رُبَّما الخامس. سدَّ السير وبلبرت طريق الملك لانسل وأمره بالتَّوقُّف قائلاً: إِيَّاكم أن تتقدَّموا. ليس مرغوباً فيكم هنا. أَمنعكم من أن تطَّوُّوا (المرعى) بأقدامكم. لكن ابن لانستر أمرَ راياته كُلَّها بالمضي قُدَّماً.

«تقاتلاً نصف يوم، الأسد الذهبي وأسَد المربَّعات. كان لانستر مسلَّحاً بسيفٍ فاليري لا يُناظره أيُّ فولاذٍ تقليدي، ولذا وجدَّ الأسد الصَّغير نفسه في وضع حرج وقد حُطِّمَ ثُرسه. في النِّهاية، وهو ينزف من دسِّة من الجروح البليغة وسيفه مكسورٌ في يده، ألقي بنفسه على غريمه مباشرة، ويقول المغنُّون إنَّ الملك لانسل شقَّه نصفين تقريباً، ولكن فيما حضره الموت عثرَ الأسد الصَّغير على الثَّغرة في درع الملك تحت ذراعه وطعَّنه بخنجره طعنة نافذة. عندما ماتَ ملكهم عادَ الغريُّون أدراجهم، وأنقذَ (المرعى)». ملَّس الشَّيخ على الثُّرس المكسور بحنانٍ كما لو أنه طفل.

نعبَ بنس: «أجل يا سيدي، نحتاج إلى رجلٍ كهذا اليوم. أنا ودنك ألقينا نظرةً على جدولك يا سيدي. جاف كالعظم، وليس من الجذب».

وضع الشَّيخ الثُّرس جانباً قائلاً: «أخبرني»، وأخذَ مقعداً مشيراً لهما بفعل المثل، وفيما باشرَ الفارس البني الحكي جلسَ الشَّيخ مصغياً بانتباه، ذقنه مرفوعٌ وكتفاه إلى الوراء؛ استقامته كالرُّمح.

لا ريب أنَّ السَّيرَ يوستس أوزجري كان في شبابه مضرِّبًا للمثل في الشَّهامة، طويلًا وعريضًا ووسيمًا. الزَّمن والأسى أنفذا فيه إرادتهما، لكنه لم ينحن، وما زال رجلًا كبير العظام عريض الكتفين برميليَّ الصَّدر ذا ملامح قويَّة حادَّة كعُقَاب عجوز. شعره قصير القَصَّة ابيضُّ كالحليب، لكن الشَّارب الكَثَّ الذي يُغْطِي فمه يبقى بلون الرَّماد، ولحاجبيه اللَّون نفسه، والعينان أسفلهما درجتها من الرَّمادي أفتح وتُترعهما الحُزن.

وبدا حُزنهما في ازديادٍ حين تطرَّق بنس إلى السَّد. قال الفارس الشَّيخ: «ذلك الجدول معروف باسم (ماء المربَّعات) منذ ألف عام أو أكثر. لقد اصطدْتُ فيه السَّمَك في صِباي، وكذا أبنائي كلُّهم. أليسان أحبَّت العوم في المياه الضُّحلة في أيَّام الصَّيف الحَّارة كهذه الأيَّام». أليسان هي ابنته التي ماتت في الرِّبيع. «على ضفاف (ماء المربَّعات) قَبَلْتُ فتاةً أوَّل مرَّة. كانت ابنة عمومة، أصغر بنات عَمِّي المنتمي إلى آل أوزجري سادة (البُحيرة المورقة). كلُّهم رحل، حتى هي». ارتعشَ فم الرُّجل إذ أردف: «لا يُمكن تحمُّل هذا أيُّها الفارسان. لن تنال المرأة مائي، لن تنال مائي المربَّع».

نَبَّه السَّير بنس: «السَّد قويُّ البناء يا سيدي، أقوى من أن أهدمه أنا والسَّير دنك خلال ساعة، حتى إن ساعدنا الغُلام الأصلع. ستلزمنا جبال ومعاول وفؤوس، ودستةٌ من الرِّجال. وهذا لأجل العمل فقط، لا القتال».

حدَّق السَّير يوستس إلى تُرس الأسد الصَّغير، وتنحنَّ دنك وقال: «سيدي، بخصوص ذلك، عندما لا قينا الحفَّارين...».

قاطعه بنس: «دнк، لا تُزعج سيدي بالتفاهات. لقد علمتُ
أحمق واحدًا درسًا، وهذا كل شيء».

رمقه السير يوستس بحدّة سائلًا: «درسًا من أي نوع؟».

- «بسيّفي إذا جاز التعبير. قطرة دامية صغيرة على الخد، هذا
كلُّ ما في الأمر يا سيدي».

نظر إليه الفارس الشيخ طويلًا قبل أن يقول: «تصرّف...
تصرّف أهوج أيُّها السير. إنّ للمرأة قلب عنكبوت. لقد قتلت
ثلاثة من أزواجها، وإخوتها جميعًا ماتوا وهم ما زالوا في
القِمَاط. خمسة كانوا، أو ربّما ستّة، لا أذكر، لكنهم وقفوا بينها
وبين القلعة. يُمكنها أن تُجرّد أيّ فلاح يُغضبها من جلده جلدًا،



لا شكَّ عندي، ولكن أن تجرح أنت واحدًا... لا، إنها لن تسمح
بإهانة كهذه. تأكد أنها ستأتي من أجلك كما أتت من أجل
لم».

قال السير بنس: «ديك يا سيدي. أستمح من جنابك العذر،
أنت عرفته وأنا لا، لكن اسمه كان ديك».

قال دنك: «إذا سمح سيدي، يُمكنني أن أذهب إلى (البُستان
الذهبي) وأخبر اللورد رُوان بأمر هذا السد». رُوان سيّد الفارس
الشيخ الأعلى، والأرملة الحمراء أيضًا تحوز أراضيها منه.

- «رُوان؟ لا، لا تبحث عن مساعدة هناك. أخت اللورد رُوان
تزوجت وندل ابن عمومة اللورد وايمان، أي إنه قريب الأرملة
الحمراء. ثم إنه لا يحبني. سير دنكن، عليك غدا أن تذهب في
جولة حول قراري كلها وتستنهض كل رجل سليم البدن في سن
القتال. أنا عجوز، لكنني لم أمت. قريبًا ستكتشف المرأة أنه ما
زالت لأسد المربعات مخالف».

فكر دنك بكآبة: مخلبان، وأنا أحدهما.

تكفل أراضي السير يوستس ثلاث قرى صغيرة لا يتألف
أيها من أكثر من مجموعة صغيرة من الأكواخ وزرائب الغنم
والخنازير. أكبرها تمتاز بسيت من حُجرة واحدة مسقوفة
بالقش، خُربشت على جدرانها بالفحم صور بدائية تُمثل السبعة.
هناك يقود مدج - وهو راعي خنازير عجوز أحذب زار (البلدة

القديمه) مرّة- الصَّلوات كلَّ سبعة أيّام، ومرّتين في السّنة يأتي
سِتّون حقيقيّ ليغفر الخطايا باسم الأم. يُسرّ العوام بالغفران،
وإن كرهوا زيارات السِّتّون رغم ذلك بما أنهم ملزمون بإطعامه.

ولا يبدو أنّ منظر دنك وإج سرّهم أكثر. دنك معروف في
القُرى، ولو بمجرّد أنه فارس السّير يوستس الجديد فحسب،
ومع ذلك لم يُقدّم له ولو كوبّ من الماء. كان معظم الرّجال
في الحقول، ولذا فأغلب من زحفوا خارجين من الأكواخ
عند وصولهما نساء وأطفال، وبعض الجدود الأوهن من أن
يعملوا. حملَ إج راية أوزجري، الأسد المكوّن من مربّعات
خضراء وذهبيّة، الواقف منتصبًا على قدم واحدة على خلفيّة
بيضاء. أخبرَ دنك القرويين: «أتينا من (ستاندفاست) باستدعاء
من السّير يوستس. كل رجل سليم البدن بين الخامسة عشرة
والخمسين مأمورٌ بالتّجمّع عند البُرج غدًا».

سألته امرأةٌ نحيفة يختبئ طفلان وراء ثورتها ويرضع ثالث من
ثديها: «أهي الحرب؟ أجااء التّين الأسود من جديد؟».

ردّ عليها دنك: «لا تتانين في هذه المسألة، سوداء أو حمراء.
هذه المسألة بين أسد المربّعات والعناكب. الأرملة الحمراء
أخذت ماءكم».

أومات المرأة برأسها، وإن لآخ عليها الارتياب حين خلّع إج
قبعته ليُهَيّو وجهه، وقالت: «الغلام بلا شعر. أهو مريض؟».

قال إج: «إنه مخلوق!»، وعادَ يضع القبّعة، وأدارَ رأس ميستر،
وابتعدَ على مهل.



- الغلام متعكّر المزاج اليوم. بالكاد نطقَ إيج كلمةً منذ تحرّكا. مسّ دنك شندر بالمهماز، وسرعان ما لحقّ بالبغل ليقول لمُرافقه الواجم وهما متّجهان إلى القرية التالية: «أأنت غاضب لأنني لم أنحز إليك ضد السير ينس أمس؟ أنا لا أحبُّ الرّجل أكثر ممّا تحبّه، لكنه رغم ذلك فارس. المفروض أن تُكلّمه بكياسة».

قال الغلام: «أنا مُرافقك أنت لا مُرافقه. إنه قذر وبذيء، ويقرّصني».

- لو أنّ لديه فكرة عن هويّتك الحقيقيّة لبال على نفسه قبل أن يمسسك بإصبع. «اعتاد أن يقرّصني أيضًا». نسيّ دنك ذلك تمامًا حتى ذكره كلام إيج. كان السير ينس والسير آرلان ضمن فريق فرسان استأجرهم تاجرٌ دورني ليصحبوه بأمان من (لانسيورت) إليّ (ممر الأمير). لم يتعدّ دنك آنذاك سنّ إيج، وإن جاوزّه طولًا. اعتاد أن يقرّصني تحت ذراعي بقوة تخلف كدمة. أحسستُ بأصابه كأنها كمّاشة حديد، لكنني لم أخبر السير آرلان قطّ. اختفى أحد الفرسان الآخرين قرب (السبت الحجري)، وأشيع أنّ ينس بقر بطنه في شجار. «إذا قرصك ثانية فأخبرني وسأضعُ لذلك حدًا. حتى ذلك الحين، العناية بحصانه لا تُكلّفك كثيرًا».

- «على أحدهم أن يعتني به. ينس لا يمشّطه أبدًا، ولا يُنظّف مربطه، بل ولم يُسمّه حتى!».

أخبره دنك: «بعض الفرسان لا يُسمّي خيوله أبدًا، فهذه الطّريقة، عندما تموت، لا يفوق حُزنهم عليها الاحتمال. يُوجد مزيدٌ من الخيول دومًا، لكن خسارة صديقٍ مخلص صعبة». أو

هكذا قال العجوز، لكنه لم يأخذ بنصيحة نفسه قَطُّ. لقد سمَّى كلَّ حصانٍ امتلكه. وكذلك ذلك. «سنرى كم رجلاً سيَحْضُرُ عند البُرج... ولكن سواء أكانوا خمسة أم خمسين فعليك أن تُعنى بهم أيضًا».

لَا حَ على إجح الامتعاَض، وقال: «عليَّ أن أخدم عوامًا؟!».

- «لن تخدمهم، سَتُسَاعِدُهُم. يجب أن نُحوِّلهم إلى مُقاتلين». إن أمهلتنا الأرملة وقتًا يكفي. «إذا شاءت الآلهة، سنجد أن لبعضهم شيئًا من الخبرة السَّابقة في الجُنْدِيَّة، لكن أغلبهم سيكون أخضر كعُشب الصَّيف، اعتادَ استخدام المعزقة أكثر من الحرب، ومع ذلك قد يأتي يومٌ تعتمد فيه حيواتنا عليهم. كم كانت سنُّك حين حملت سيفًا للمرَّة الأولى؟».

- «كنتُ صغيرًا أيُّها السير، والسَّيف من الخشب».

- «صبيَّة العائمة أيضًا يُقاتِلون بسِوْفٍ خشبيَّة، مع فرق أن سيوفهم عِصِي وفروع مكسورة. إجح، قد يبدو هؤلاء الرِّجال حمقى في نظرك. سيجهلون الأسماء الصَّحيحة لِقِطْع الدِّرع، أو رموز العائلات الكُبرى، أو الملك الذي أبطلَ حقَّ اللُّورد في اللَّيلة الأولى... ولكن عاملهم باحترام. أنت مُرافق مولودٍ من دم نبيل، لكنك لا تزال صغيرًا. أكثرهم سيكونون رجالًا بالغين، وللرَّجل كبرياؤه مهمما تواضع مولده. في قُراهم ستبدو أنت أيضًا تائهاً أخرق، وإذا شككت في ذلك فاذهب واعزق خطا من التُّربة وجزَّ صوف خروفٍ وأخبرني بجميع أسماء الحشائش والزُّهور البريَّة في (خميلة وات)».

فَكَرَ الْغُلامُ لِحِظَةً، ثُمَّ قَالَ: «يُمْكِنُنِي أَنْ
أُعَلِّمَهُمْ رِمُوزَ الْعَائِلَاتِ الْكُبْرَى، وَكَيْفَ
أَقْنَعَتِ الْمَلِكَةَ أَلَيْسَانَ الْمَلِكِ جَهِيرْسَ بِإِبْطَالِ
الَّيْلَةِ الْأُولَى. وَيُمْكِنُهُمْ أَنْ يُعَلِّمُونِي
أَنْوَاعَ الْحَشَائِشِ الْأَفْضَلِ لِعَمَلِ
السُّمُومِ، وَإِنْ كَانَ أَكَلَ هَذَا الثُّوتِ
الْأَخْضَرَ مَأْمُونًا».



- «يُمْكِنُهُمْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ قَبْلَ
أَنْ تَتَطَرَّقَ إِلَى الْمَلِكِ جَهِيرْسَ،
الْأَفْضَلُ أَنْ تُسَاعِدَ فِي
تَعْلِيمِهِمْ اسْتِخْدَامَ الْحَرَبَةِ. وَلَا تَأْكُلْ شَيْئًا يَرْفُضُ مَيْسْتَرُ أَكْلِهِ».

فِي الْيَوْمِ التَّالِي شَقَّتْ دَسْتَةٌ مِنَ الرَّاغِبِينَ فِي أَنْ يَكُونُوا مُحَارِبِينَ
طَرِيقَهَا إِلَى (سْتَانْدَفَاسْت) لِلتَّجْمُعِ بَيْنَ الدَّجَاجَاتِ. أَحَدُهُمْ
عَجُوزٌ جَدًّا، وَاثْنَانِ صَغِيرَانِ جَدًّا، وَاتَّضَحَ أَنَّ غُلَامًا نَحِيلًا فِي
الْحَقِيقَةِ بِنْتُ نَحِيلَةٍ. هَؤُلَاءِ أَعَادَهُمْ دَنْكَ إِلَى قُرَاهِمِ، وَهُوَ مَا تَرَكَ
ثَمَانِيَةً: ثَلَاثَةً اسْمُهُمْ وَاتِ، وَاثْنَيْنِ اسْمُهُمْ وَبِلَ، وَوَاحِدًا اسْمُهُ لِمَ،
وَأَخْرَ اسْمُهُ بَيْتَ، وَالْأَبْلَهُ رُوبَ الْكَبِيرِ. لَمْ يَتِمَّاكَ دَنْكَ أَنْ يُفَكِّرَ:

مجموعةً بئسة. لا أثر في أيِّ مكانٍ للفتيان الفلاحين الضخام الوسام الذين يظفرون بأفئدة العذراوات كريمات المحتد في الأغاني، فكل رجل من هؤلاء أقدر من سابقه. لم في الخمسين من العمر على أقلِّ تقدير، وليت عينان دامتان، وهما الوحيدان اللذان لهما خبرة في الجندية، فكلاهما ذهب مع السير يوستس وأبنائه للقتال في تمرّد بلاكفاير. أمّا الستة الآخرون فخضروا كما خشي دنك، والثمانية كلهم مقلّون، واثنان ممّن اسمهم وات أخوان، وهو ما علّق عليه ينس مقوقناً: «أظنّ أنّ أمكما لم تعرف اسمًا آخر».

وفيما يخصُّ الأسلحة فقد جلبوا منجلاً وثلاث معازق وسكينًا قديمًا وبعض الهراوات الخشبية المتينة. حملَ لم عصا مبرّئة قد تصلّح حرباً، وصرّح أحد الاثنين وبل بأنه يُجيد القذف بالصُّخور، ليقول ينس: «رائع جدًّا، لدينا منجنيق لعين». بعد ذلك عُرفَ الرَّجل باسم «منج».

سألهم دنك: «هل بيرع أيُّكم في الرّماية بالقوس الطويل؟».

جرّجَرَ الرّجال أقدامهم في التُّراب فيما التقطت الدّجاجات الحَبّ من الأرض حولهم، وأخيرًا أجاب بيت داعم العينين: «عُذراً أيُّها السير، لكن سيدي لا يسمح لنا بالأقواس الطويلة. غزلان أوزجري لأسود المربّعات لا أمثالنا».

أراد أصغر الثلاثة وات أن يعرف: «سنحصل على سيوفٍ وخوذ وزرود؟».

ردّ ينس: «طبعًا، بمجرد أن تقتلوا أحد فرسان الأرملة وتجرّدوا جثته الدّامية. احرص أن تدسّ ذراعك في مؤخّرة حصانه أيضًا،



فهنالك ستَعَثُرُ على فَضَّتِه»، وقرصَ وات الصَّغِير تحت ذراعه
حتى صرَخَ الولد أَلَمًا، ثم ساقَهُم جميعًا إلى (خميلة وات)
لِيَقْطَعُوا خَشَبًا للحراب.

عادوا حاملين ثماني حراب مقوَّاة بالنَّار تتبايَن أطوالها بشدَّة،
وتراسًا بدائيَّةً من الغصون المجدولة. صنعَ السير بِنس لنفسه
حربةً أيضًا، وأراهم كيف يطعنون بالسِّنان ويستخدمون القصبه
للمراوغة... وأين يُوَجِّهون السِّنان بُغْيَةَ القتل. قال: «البطن
والحلق هما الأفضل حسبما وجدْتُ»، ودقَّ بقبضته على صدره
متابعًا: «هنا القلب؛ هذا أيضًا سيؤدِّي الغرض. المشكلة أنَّ
الضُّلوع تعترض الطُّريق. البطن لطيف وطري؛ بقره بطيء لكنه

مضمون. لم أعرف قَطُّ رجلاً عاشَ وأحشاؤه تتدلَّى منه. والآن، إذا أولاكم أحمق ما ظهره فاغرسوا السِّنان بين لوحِي ككتفيه أو في كليته. هذا مكانها. إنهم لا يعيشون طويلاً ما إن يُوخزوا في الكلية».

سَبَّب وجود ثلاثة وات في الجماعة ارتباكاً وينس يُحاول أن يُعْلي عليهم ماذا يفعلون، فاقترح إج: «علينا أن نُسمِّيهم بأسماء القُرى أيُّها السير، مثل السير آرلان ابن (شجرة البنسات)، سيِّدك القديم». ولربَّما صلَّح ذلك، لكن قُراهم أيضاً بلا أسماء، فقال إج: «حسن، يُمكننا أن نُسمِّيهم نسبةً إلى محاصيلهم أيُّها السير». تستقرُّ إحدى القُرى وسط حقول فاصوليا، وتزرع الثَّانية الشَّعير غالباً، وتفلح الثَّالثة صفوفاً من الكرنب والجزر والبصل واللِّفت والشَّام. لا أحد أراد أن يُسمَّى كرنباً أو لفتاً، فأصبحت المجموعة الأخيرة الشَّام، وهكذا انتهى بهم الأمر بأربعة شعير واثنين شَّام واثنين فاصوليا، ولكن بما أنَّ الأخوين وات كليهما شعير فقد لزمَ مزيدٌ من التَّمييز، ولَمَّا ذَكَرَ الأخ الأصغر أنه سقط ذات مرَّة في بئر القرية، لَقَّبَه ينس بـ«وات المبلول»، واستقرَّ الأمر على هذا. سعد الرِّجال أيُّما سعادة لحصولهم على «أسماء لوردات»، باستثناء رُوب الكبير الذي لم يستطع أن يتذكَّر أهو فاصوليا أم شعير.

حالما حصلوا جميعاً على أسماء وحراب، خرج السير يوستس من (ستاندفاست) ليُخاطِبهم. وقفَ الفارس الشَّيخ خارج باب البُرج مرتدياً حلقات المعدن وصفائحته تحت معطفٍ صوف طويل أطفئ الزَّمن صُفرته على بياضه، يحمل على وجهه وظهره الأسد المخيط بشكل مربَّعاتٍ صغيرة من الأخضر والذهبي. قال

السير يوستس: «أيتها الفتية، كلُّكم يذكّر ديك. الأرملة الحمراء ألقت به في جوالٍ وأغرقتَه. لقد سلّبتَه حياته، والآن تُحاول أن تسلبنا ماءنا أيضاً، (ماء المربّعات) الذي يُغذّي محاصيلنا... لكنها لن تنجح!»، ورفع سيفه فوق رأسه هاتفاً بصوتٍ رنان: «لأجل أوزجري! لأجل (ستاندفاست)!».

ردّد دنك: «أوزجري!»، وانضمَّ إجم والمجنّدون إلى الهتاف: «أوزجري! أوزجري! لأجل (ستاندفاست)!».

درب دنك وينس الجماعة الصّغيرة بين الخنازير والدجاج فيما شاهد السير يوستس من الشّرفة بالأعلى. كان سام المحنيّ قد حشا بعض الأجولة القديمة بالقشّ الوسخ، وصارت هذه الأجولة خصومهم. بدأ المجنّدون يتمرّنون على القتال بالحربة وينس يجار فيهم. «اغرزوا والووا وانتزعوا. اغرزوا والووا وانتزعوا، ولكن لا بُدَّ أن تُخرجوا الحربة اللّينة! سرعان ما ستحتاجون إليها من أجل الرّجل التّالي. بطيء يا منج، بطيء للغاية. إذا لم تستطع الإسراع فارجع إلى القذف بالصّخور. لم، ضع وزنك وراء طعنك. أحسنت. إلى الدّاخل، إلى الخارج، إلى الدّاخل، إلى الخارج. انكحوم بها، هذه هي الطريقة، إلى الدّاخل، إلى الخارج، انتزعوها، انتزعوها، انتزعوها انتزاعاً!».

عندما مُزّقت الأجولة أشلاءً بنصف ألفٍ من طعنات الحراب وانسكَب القشُّ كلّهُ على الأرض، ارتدى دنك حلقات المعدن وصفائحهِ والنقْطَ سيفاً خشبياً ليرى كيف سيُلي الرّجال في مواجهة خصم فيه حياة، والنتيجة: ليس بلاءً حسناً. وحده منج تمنّع بالسرّعة الكافية ليتجاوز بحرته تُرس دنك، وفعل

هذا مرّة واحدة فقط. صدّ دنك طعنة زائغة خرقاء تلو أخرى
ودفع حرابهم جانبًا وانقضّ عليهم من كُثب كالثور، ولو أنّ سيفه
من الفولاذ بدلًا من الصُّنوبر لفتك بكلّ منهم مرارًا. نَبَّههم وهو
يهوي بضرباتٍ عنيفة على سيقانهم وأذرعهم ليضمن استيعابهم
الدّرس: «ما إن أتجاوز رؤوس حرابكم فأنتم موتى». سرعان ما
تعلّم منج ولم ووات المبلول كيف



يتقهقرون على الأقل، في حين أسقطَ



رؤب الكبير حربته وجرى، ليُطارده بنس
ويعود به مجرورًا باكيًا. حلّ عليهم آخر
الأصيل مكدومين مرضوضين جميعًا،



وقد بدأت بثورٍ جديدة تظهر على



أيديهم الثّفنة حيث قبضوا

على الحراب. لم تظهر على

دنك نفسه آثار، لكنه كان

غارقًا في العرق حين ساعده

إج على نزع درعه.

فيما غربت الشّمس،

ساق دنك جماعتهم

الصّغيرة إلى القبو وغصّبهم

جميعًا على الاغتسال، بمنّ



فيهم الذين اغتسلوا قريباً في الشتاء السابق، وبعدها قدمت زوجة سام المحنّي للجميع أوعية من اليخنة المليئة بالجزر والبصل والشّعير. بلغ تعب الرجال العظم، ورغم ذلك أوحى كلامهم بأن كل واحد منهم سيصبح عمّاً قريب مميّناً كفرسان الحرس الملكي، وبالكاد يستطيعون الانتظار ليثبتوا بسالتهم. حرّضهم السير بنس بإخبارهم عن مباحج حياة الجندي... بخاصة السلب والنساء، ووافقّه المُقاتلان السابقان. حسب كلامه، عاد لم من تمرّد بلاكفاير بسكين وحذاء ممتاز. الحذاء أصغر من أن ينتعله، لكنه علّقه على جداره. أمّا بيت فراح يحكي باستفاضة عن بعض تابعات المعسكرات اللاتي عرفهن وهو يتبع التّنين.

زوّدهم سام المحنّي بثمانى حشايّا من القشّ في السرداب، وهكذا ما إن امتلأت بطونهم حتى خلدوا إلى النّوم، في حين مكث بنس وقتاً يكفي لأن يُعطي دنك نظرة اشمزاز ويقول: «كان على السير متعوس أن ينكح مزيداً من الفلاحات وهو بعد يملك قليلاً من المنّي في خصيتيه العجوزين. لو أنه بذّر لنفسه محصولاً من النّغول آنذاك فلربّما حظينا ببعض الجنود الآن».

- «لا يبدو أن أسوأ من أيّ جند فلاحين آخرين». زحف دنك مع بعض هؤلاء وهو يرافق السير آرلان.

قال السير بنس: «أجل. خلال أسبوعين قد يصمدون ضد ثلاثة أخرى من الفلاحين، ولكن ضد فرسان؟»، وهزّ رأسه وبصق.

تقع بئر (ستاندفاست) في القبو التّحتي، في حُجرة رطبة محوّطة بالحجارة والتُّراب، وهناك تنقع زوجة سام المحنّي الثّياب وتُفَرِّكها وتُنْفِضُها قبل أن تحملها إلى السّطح لتجفّ. يُستخدم حوض الغسيل الحجريّ الكبير للاستحمام أيضًا، والاستحمام يستدعي سحب الماء من البئر دلوًّا دلوًّا، ثم تسخينه فوق المستوقد في مرجل حديديّ كبير، ثم إفراغ المرجل في الحوض، ثم بدء العمليّة بكاملها من جديد. يتطلّب ملء المرجل أربعة دلاء، وملء الحوض ثلاثة مراحل، ولدى بلوغ المرجل الأخير السّخونة يكون ماء الأوّل قد فتر. سَمِعَ السير ينس يقول إنّ الأمر لا يستحقّ كلّ هذا الشّقاء اللّعين، ولهذا يفشو في جسده القمل والبراغيث، وتفوح منه رائحةٌ كالجبنة.

أمّا دنك فعلى الأقلّ إج موجودٌ ليعاونه متى شعرَ أنه في أمس الحاجة إلى غسلة مناسبة كما يشعُر اللَّيلة. سحب الولد الماء بصمّت عابس، وبالكاد تكلم وهو يُسَخِّنُه. فيما بدأ المرجل الأخير يغلي سأله دنك: «إج؟ هل من خطب؟»، فلمّا لم يُجِبْه إج قال: «ساعِدني على حمل المرجل».

معًا حملاه بجهدٍ من المستوقد إلى الحوض حارصين ألاّ يبلّلا نفسيهما، ثم سأل الغلام: «سير، ماذا تحسب السير يوستس سيفعل؟».

- «سيهدم السّد ويردع رجال الأرملة إذا حاولوا منعنا». تكلم بصوت عالٍ لكي يُسمَعَ فوق طرطشة ماء الحَمّام، وقد ارتفع البخار في ستارٍ أبيض وهما يصبّان ليتورّد وجه دنك.

- «تراسهم خشبٌ مجدول أيُّها السير، يُمكن أن يخترقها رُمح مباشرة، أو سهم نُشَابِيَّةٌ».

- «قد نجد لهم بعض قطع الدُّروع حينما يستعدُّون». هذا أفضل ما يُمكنهم أن يأملوه.

- «قد يُقتلون أيُّها السير. وات المبلول ما زال نصف غُلام. ويل الشَّعير سيتزوَّج عندما يأتي السِّيتُون المرَّة القادمة. ورؤب الكبير لا يعرف قدمه اليمنى من اليسرى».

ترك دنك الرجل الفارغ يَسْقُط بصوتٍ مكتوم على الأرض التُّرابيَّة الصُّلبة، وقال: «رؤجر ابن (شجرة البنسات) كان أصغر من وات المبلول عندما مات في (حقل العُشب الأحمر)، وجيش أبيك ضمَّ رجالاً تزوَّجوا لتوِّهم أيضًا، ورجالاً آخريْن لم يُقبِلوا فتاةً قط، وضمَّ مثابٍ لم يعرفوا أقدامهم اليمنى من اليسرى، وربما آلافًا».

ردَّ إيج بإصرار: «تلك مسألة مختلفة. تلك كانت حربًا».

- «وهذه أيضًا، الشَّيء نفسه ولكن أصغر».

- «أصغر وأتفه أيضًا أيُّها السير».

أخبره دنك: «القرار في هذا ليس لك أو لي. إنَّ واجبهم أن يذهبوا ليُحاربوا حين يستدعيهم السير يوستس... وأن يموتوا إذا لزم الأمر».

قال إيج: «ما وجبَ إذا أن تُسمِّيهم أيُّها السير. سيجعل ذلك حُزننا أصعب احتمالًا عندما يموتون»، ولوى قسماته مُردفًا: «إذا استخدمنا حذائي...».

- «لا». وقفَ دنك على قدمٍ واحدةٍ وخلَعَ فردةَ حذائه.

- «نعم، لكن أبي...».

- «لا». لحَقَّت الفردهُ الثانيةُ بالأولى.

- «إننا...».

- «لا». خلَعَ دنك غلالته الملوّثة بالعرق وألقى بها نحو إاج

قائلاً: «اطْلُب من زوجة سام المحنّي أن تغسلها لي».

- «سأفعلُ أيُّها السير، لكن...».

- «قلتُ لا. أتلتزمك لطمةً على الأذن لتُحسِن السَّمْع؟». حلَّ

دنك أربطة بنطاله؛ تحته لا يُوجدُ إلاه، فالطَّقَسَ أحرُّ من أن يلبس

ثياباً داخليةً. «خيرٌ أنك قلقٌ على وات ووات ووات وبقيتهم،

لكن استخدام الحذاء يتوقَّف فقط على الحاجة الماسّة». كم

عيناً للورد عُدا ف الدَّم؟ أَلِف عينٍ وعين. «ماذا قال لك أبوك

حين بعث بك لترافقني؟».

أجابَ الغُلام بنفورٍ واضح: «أن أحرص على حلاقة شعري أو

صباغته، وألاً أخبر أحداً باسمي الحقيقي».

خدمَ إاج دنك عامّاً ونصفاً، ولو أنها تبدو في بعض الأيام

عشرين عامّاً. لقد صعدا (ممر الأمير) معاً وقطعا رمال (دورن)

العميقة، الحمراء منها والبيضاء، وأخذهما قاربٌ يُدفع بالعصي

عبر (الدَّم الأخضر) إلى (بلدة الأخشاب)، حيث سافرا إلى

(البلدة القديمة) على متن القاليون «الليدي البيضاء». نامَ

الاثنان في إسطبلاتٍ وخاناتٍ وأخاديد، وأكلا عيشاً مع إخوةٍ

نَسَاكٍ وعاهراتٍ ومشخّصين، ولاحقاً مئةٌ من عروض العرائس.

حافظَ إيج على سياسة حِصان دنك، وعلى حَدَّة سيفه الطَّويل،
وعلى زرده خاليًا من الصَّدأ. إنه صاحبٌ يَتَمَنَاهُ أيُّ رجل، وأصبحَ
الفارس الجَوَّالَ يَعْتَبِرُهُ بمثابة أخٍ صغير.

- لكنه ليس كذلك. هذه البيضة فقسَّتْها التَّنَّانِين لا الدَّجَاج.
قد يكون إيج مُرافقًا لفارس جَوَّال، لكن إيجُون سليل عائلة
تارجارين هو رابع وأصغرُ أبناء ميكار أمير (بهو الصَّيف)،
عن نفسه الابن الرَّابِع للملك الرَّاحل دِيرُون الصَّالِح، الثَّاني من
اسمه، الذي جلسَ على العرش الحديدي خمسةً وعشرين عامًا
إلى أن أَمَاتَهُ الوَبَاءُ الرَّبِيعِي العَظِيم.

ذَكَرَ دنك الغُلام: «على حَدِّ علم معظم النَّاس، إيجُون تارجارين
عَادَ إلى (بهو الصَّيف) مع أخيه دِيرُون بعد دورة المباريات في
(مرج آشفرد). أبوك لم يُرد أن يُعرَف أنك تجوب (الممالك
السَّبع) مع فارس جَوَّال مجهول. دعنا إذا لا نسمع مزيدًا من
الكلام عن حداثك».

لم يَنَلْ من جوابٍ إِلَّا نظرةً. لإيج عِنانان كبيرتان، على نحو
ما يجعلهما رأسه المَحْلُوق تَبْدُوَان أكبر. في عَتَمَةِ القَبْوِ المُضَاءِ
بالمصابيح بدَوَتَا سوداوين، ولكن في إضاءةٍ أَفْضَلَ يُرَى لونهما
الحقيقي... عميقٌ وداكنٌ وأرجوانيٌّ.

- عِنانان قَالِيرِيَّتَان. في (وستروس)، لِقلائل من غير دم التَّينين
عيون بذلك اللَّون، أو شعر يتألَّق كَمزِيَجٍ مَغْزُولٍ من الذهب
المطرَّق وخيوط الفضة.

وهما مبحران في (الدَّم الأَخْضَر)، جعلَتَها البَنَاتُ اليَتَامَى لُعبَةً
أن يَفْرُكْنَ رأس إيج المَحْلُوق طَلَبًا لِلْحِظِّ، ليَحْتَقِنَ وَجْهَ الغُلامِ

بدماءٍ أبدته أشدَّ حُمرةً من رُمّانة، ويقول: «يا لحماقة الفتيات! مَنْ تلمسني المرّة الثّالِية ستسقط في النّهر»، وهو ما دفعَ دنك إلى الرّد: «عندئذٍ سألمسك أنا. سأطملك على أذنك بشدّة تُسمِعك أجراسًا طيلة دورة قمر». على أنّ ذلك حفز الغلام على وقاحةٍ زيادة، وقال بعناد: «الأجراس أفضل من الفتيات الحمقاوات!»، لكنه لم يدفع أحدًا في النّهر.

دخلَ دنك الحوض وأنزلَ نفسه بهدوءٍ إلى أن غطّاه الماء حتى الذّقن. لم يزل الماء ساخنًا حدّ الحرق من أعلى، ولو أنه أبرد من أسفل. كزّ دنك على أسنانه لكيلا يصرّخ، فلو فعل لضحك الغلام. الحقيقة أنّ إيج يحبُّ ماء استحمامه ساخنًا حدّ الحرق. - «أتريد مزيدًا من الماء المغلي أيّها السّير؟».



- «لا بأس بهذا». فركَ دنك ذراعيه وشاهدَ الوسخَ ينجلي في سحاباتٍ رماديةٍ طويلة. «أحضِر لي الصَّابون. أوه، والفرشة طويلة اليد أيضًا». ذكَّره التَّفكير في شعر إِج بأن شعره هو مَتَسَخ، فأخذَ نفسًا عميقًا وانزلقَ تحت مستوى الماء لينقعه جيّدًا، ولمّا عادَ يَخْرُج نائثرًا الماء وجدَ إِج واقفًا بجوار الحوض وفي يديه الصَّابونة والفرشة طويلة اليد المصنوعة من شعر الخيل. علّق دنك إذ تناول الصَّابونة: «على خَدِّكَ شعر. شعرتان. هناك، أسفل أذنك. احرص على إزالتهما عندما تحلقَ شعرك المرّة القادمة».

- «سأفعلُ أيُّها السير». بدا أن الاكتشاف سرَّ الصَّبِي.

- لا شكَّ أنه يحسب أن شُعيرتين من لحية تجعلانه رجلًا. هكذا فكَرَ دنك أيضًا حين وجدَ شيئًا من الزَّغَب نابتًا فوق شفته العليا. حاولتُ أن أحلقه بخنجري وكدتُ أبتَرُ أنفي. قال لإِج: «اذهب الآن ونل قسطًا من النُّوم. لن أحتاج إليك ثانيةً قبل الصُّباح».

استغرقَ تنظيف نفسه من الوسخ والعرق وقتًا طويلًا، وبعدها وضع الصَّابونة جانبًا وتمدّد قدر استطاعته وأغلقَ عينيه. كان الماء قد فترَ، وبعد لهيب النَّهار عدَّ هذا رفاهيةً مرحَّبًا بها. ظلَّ ناقعًا نفسه في الماء حتى تجعّد جلد قدميه وأصابعه وبردَ الماء واصطبغَ بالرَّمادي، وعندئذٍ فقط خرجَ من الحوض على مضض.

رغم أنه وإِج أُعطيَا حشيتي قشٍّ سميكتين في القبو، يُفَضِّل دنك النُّوم فوق السَّطح، فالهواء هناك أنقى، وأحيانًا يهبُ النِّسيم.

ليس عليه أن يخشى المطر؛ المرة التالية التي يَسْقُط فيها المطر
عليهما بالأعلى ستكون الأولى.

غَابَ إِج فِي النَّوْمِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ دُنْكَ السَّطْحِ. اسْتَلْقَى دُنْكَ
عَلَى ظَهْرِهِ شَابِكَا يَدَيْهِ تَحْتَ رَأْسِهِ، وَرَنَا بَبْصَرِهِ إِلَى النُّجُومِ. فِي
كُلِّ مَكَانٍ نَجُومٍ، أَلُوفٌ وَأَلُوفٌ مِنْهَا، وَقَدْ ذَكَرْتَهُ بَلِيلَةً فِي (مَرْجِ
آشْفَرْد) قَبْلَ ابْتِدَاءِ الْمُبَارِيَّاتِ. لَيْلَتَهَا رَأَى نَجْمًا يَهْوِي. الْمَفْتَرَضُ
أَنَّ النُّجُومَ الْهَائِيَّةَ تَجْلِبُ الْحِظَّ، وَهَكَذَا طَلَبَ مَنْ تَانَسَلُ أَنْ
تَرْسُمَ عَلَى ثُرْسِهِ شَهَابًا، لَكِنْ (آشْفَرْد) لَمْ تَجْلِبْ لَهُ أَيَّ حِظٍّ
عَلَى الْإِطْلَاقِ. قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ الدَّوْرَةُ كَادَ يَفْقَدُ يَدًا وَقَدَمًا، وَخَسِرَ
ثَلَاثَةَ رِجَالٍ صَالِحِينَ حَيَوَاتِهِمْ. لَكِنِّي كَسَبْتُ مُرَافِقًا. إِج كَانَ مَعِيَ
حِينَ رَحَلْتُ مِنْ (آشْفَرْد)؛ الْخَيْرُ الْوَحِيدُ الَّذِي أَتَى مِنْ كُلِّ مَا
جَرَى.

أَمَلُ أَلَا تَهْوِي اللَّيْلَةُ نَجُومَ.

مِنْ بَعِيدِ جِبَالٍ حُمْرَاءَ وَتَحْتَ قَدَمَيْهِ رَمَالٌ بَيْضَاءَ. كَانَ دُنْكَ
يَحْفَرُ، يُقْحِمُ فِي التُّرْبَةِ الْجَافَّةِ السَّاخِنَةِ رَفْشًا وَيُطَوِّحُ بِالرَّمْلِ النَّاعِمِ
مِنْ فَوْقَ كَتْفِهِ، يَحْفَرُ حُفْرَةً. قَبْرًا، قَبْرًا لِلْأَمْلِ. وَقَفَ ثَلَاثِي مِنْ
الْفُرْسَانِ الدَّوْرَتَيْنِ يَتَفَرَّجُونَ عَلَيْهِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ بِأَصْوَاتٍ هَادِئَةٍ،
وَعَلَى مَسَافَةٍ أَبْعَدَ انْتِظَرِ التُّجَّارِ بِمَا مَعَهُمْ مِنْ بَغَالٍ وَعَرِيَّاتٍ
وَزَلَّاجَاتٍ رَمَالٍ. أَرَادُوا أَنْ يَنْطَلِقُوا، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الرَّحِيلُ قَبْلَ

أن يدفن تشستنت. لن يترك صديقه القديم للثعابين والعقارب
وكلاب الرمال.

نفق الحصان المعيب خلال العبور المعطش الطويل بين
(ممر الأمير) و(فيلث)، وإج راكب فوق ظهره. بدا أن قائمته
الأماميّتين انطوتا تحته ببساطة، ومباشرة ركع وانقلب على جنبه
ومات. إلى جوار الحفرة افترشت جثته الأرض وقد بدأت تبيس
بالفعل، وقريباً ستفوح منها رائحة العفن.

بكي دنك وهو يحفر، وهو ما استطرفه الفرسان الدورنيون.
قال أحدهم: «الماء ثمين في القفر؛ لا يجدر بك أن تبده أيها
السير»، وقهقه آخر قائلاً: «لماذا تبكي؟ كان مجرد حصان،
وردياً أيضاً».

فكر دنك وهو يحفر: تشستنت، اسمه تشستنت، ولقد حملني
فوق ظهره أعواماً ولم يطرحني أرضاً قط أو يعصني. بدا الحصان
المعيب العجوز بائساً بجوار جياذ الرمال المطهمة التي يمتطيها
الدورنيون، برؤوسها الأنيقة وأعناقها الطويلة وأعرافها المسترسلة،
لكنه أعطى كل ما قوي عليه.

قال السير آرلان بصوته صوت الرجل العجوز: «تبكي حصاناً
معيباً أقعس؟ إنك لم تبكني قط يا فتى، أنا الذي وضعتك على
ظهره»، ثم أطلق ضحكة قصيرة ليبيد أنه لا يقصد بتأنيبه أذى،
وأضاف: «هو ذا دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة».

وقال بيلور كاسر الحراب من القبر: «لم يذرف عليّ دمعاً
أيضاً مع أنني كنت أميره، أمل (وستروس). الآلهة لم تُقدّر لي أن
أموت شاباً».

وقال الأمير قالر: «أبي كان في التاسعة والثلاثين لا أكثر. لقد امتلك مقومات ملك عظيم، الأعظم منذ إيجون التين»، ونظرَ إلى دنك بعينين زرقاوين فارتتين، وسأله: «لماذا تأخذة الآلهة وتتركك أنت؟». للأمير الصغير شعر أبيه البني الفاتح، لكن خُصلة من الذهبي الفضي تتخلله.

أرادَ دنك أن يصرخ: أنتم موتى، ثلاثكم موتى. لِمَ لا تدعونني وشأني؟ السير آرلان ماتَ بنوبة برد، والأمير بيلور بالضربة التي نالها من أخيه يوم محاكمة دنك بالسبعة، وابنه قالر خلال الوباء الربيعي العظيم. لستُ ملومًا على ذلك. كنا في (دورن) ولم نعرف أصلًا.

قال له العجوز: «أنت مجنون. لن نحفر لك حفرةً عندما تقتل نفسك بهذه حماقة. في الرمال العميقة على الرجل أن يكتنز ماء».

وقال قالر: «ارحل أيُّها السير دنكن، ارحل».

ساعده إيج على الحفر. لم يملك الغلام رفشًا، بل يده فقط، وقد عادَ الرمل يتدفق إلى القبر بالسرعة التي يُزيلانه بها، كأنهما يُحاولان الحفر في البحر. يجب أن أوصل الحفر. قالها دنك لنفسه رغم أوجاع الحفر في ظهره وكتفيه. يجب أن أدفنه على عمقٍ سحيق حيث لن تعثر عليه كلاب الرمال. يجب أن...

- «... تموت؟». قالها رُوب الكبير ضعيف العقل من قاع القبر، وإذ مُدّد هناك هامدًا تمامًا باردًا تمامًا وفي بطنه يفغر جرحٌ أحمر محزّن، لم يبدُ كبيرًا نهائيًا.

تَوَقَّفْ دَنكَ وَحَدِّقْ إِلَيْهِ قَائِلًا: «لَسْتُ مَيِّتًا. إِنَّكَ نَائِمٌ فِي الْقَبْرِ»، وَنَظَرَ إِلَى السَّيْرِ آرَلَانَ مُبْتَغِيًا الْعَوْنَ، وَنَاشَدَهُ: «قُلْ لَهُ أَيُّهَا السَّيْرُ، قُلْ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْقَبْرِ».

لَكِنِ السَّيْرُ آرَلَانَ ابْنَ (شَجَرَةِ الْبَنَسَاتِ) لَيْسَ الْوَاقِفَ فَوْقَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلِ السَّيْرُ بِنْسٍ صَاحِبِ الثَّرَسِ الْبَنِيِّ. قَوْأَ الْفَارَسِ الْبَنِيِّ لَا أَكْثَرَ، وَقَالَ: «دَنكَ الْأَنْوَكُ. بَقَرُ الْبَطْنِ بَطِيءٌ لَكِنَّهُ مُضْمُونٌ. لَمْ أَعْرِفْ قَطُّ رَجُلًا عَاشَ وَأَحْشَاؤُهُ تَتَدَلَّى مِنْهُ». بَقَبَقَتْ رَغْوَةٌ حَمْرَاءَ عَلَى شَفَتَيْهِ، فَالْتَفَتَتْ وَبَصَقَتْ، وَتَشَرَّبَتْ الرِّمَالُ الْبَيْضَاءُ بُصَاقَهُ. وَقَفَ مَنَاجِخُ خَلْفَهُ بِسَهْمٍ فِي عَيْنِهِ، يَذْرِفُ دُمُوعًا حَمْرَاءَ بَطِيئَةً، وَهَا هُوَ ذَا وَاتِ الْمَبْلُولِ أَيْضًا، رَأْسُهُ شَبَهُ مَشْجُوجِ نَصْفَيْنِ، وَمَعَهُ لَمْ الْعَجُوزُ وَبَيْتُ مُحَمَّرُ الْعَيْنَيْنِ وَالْبَاقُونَ جَمِيعًا. فِي الْبَدَأِ ظَنَّ دَنَكَ أَنَّهُمْ شَارَكُوا بِنْسٍ مُضْغِ التَّيْغِ الْمُرِّ، لَكِنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ مَا يَسِيلُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ دَمٌ. فَكَّرَ: مَوْتِي، كُلُّهُمْ مَوْتِي، وَنَهَقَ الْفَارَسُ الْبَنِيُّ وَقَالَ: «أَجَلٌ. الْأَفْضَلُ إِذَا أَنْ تَشْغَلَ نَفْسُكَ بِالْعَمَلِ. عِنْدَكَ قُبُورٌ أَكْثَرَ عَلَيْكَ أَنْ تَحْفَرُهَا أَيُّهَا الْأَنْوَكُ. ثَمَانِيَةٌ لَهُمْ وَوَاحِدٌ لِي وَوَاحِدٌ لِلْسَّيْرِ مَتَعُوسِ الشَّيْخِ، وَوَاحِدٌ أَخِيرٌ لَصِيَّكَ الْأَصْلَعِ».

فَلَتَ الرَّفْشُ مِنْ يَدَيْ دَنَكَ، وَصَاحَ: «إِجْ، اهْرُبْ! يَجِبُ أَنْ نَهْرُبَ»، لَكِنِ الرِّمَالُ بَدَأَتْ تَغُورُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمَا، وَعِنْدَمَا حَاوَلَ الْغُلَامُ أَنْ يَتَسَلَّقَ إِلَى خَارِجِ الْحُفْرَةِ غَارَتْ أَجْنَابُهَا الْمَتَدَاعِيَّةُ وَانْهَارَتْ، وَرَأَى دَنَكَ الرَّمْلَ يَغْمُرُ إِجْ وَيُدْفِنُهُ إِذْ فَتَحَ فَمَهُ لِيَصِيحَ. حَاوَلَ أَنْ يُقَاتِلَ لِيَبْلُغَهُ، لَكِنِ الرَّمْلُ أَخَذَ يَرْتَفِعُ فِي كُلِّ جِهَةٍ حَوْلَهُ، يَسْحَبُهُ إِلَى الْقَبْرِ، يَمْلَأُ فَمَهُ، وَأَنْفَهُ، وَعَيْنَيْهِ...



عند طلوع النهار شرع السير ينس في تدريب مجنديهم على تكوين جدار تراس، فصف ثمانيتهم كتفاً إلى كتف بحيث تتلامس تراسهم وتبرز رؤوس حرابهم كأسنان خشبية طويلة حادة، ثم ركب دنك وإج وكرًا عليهم.

رفض ميستر الدنو لمسافة عشرة أقدام من الحراب وتوقف فجأة، إلا أن ثندر مدرّب على هذا، وهكذا دبذب الجواد الحربي الكبير مندفعاً إلى الأمام مباشرة ومكتسباً سرعة، لتجري الدجاجات صارخة تحت أقدامه وتصفق بأجنحتها مبتعدة. لا بد أن في دعرها عدوى، فمرة أخرى بادر رؤب الكبير إلى إسقاط حريته والهرب تاركاً ثغرة في منتصف الجدار، وبدلاً من إغلاقها انضم إليه محاربو (ستاندفاست) الآخرون في هربه. داس ثندر تراسهم الملقاة قبل أن يكبحه دنك، وصرت الفروع المجدولة وتشظت تحت حوافره ذات الحدودات الحديد. انهال السير ينس

بوابل من الشَّتائم اللَّاذعة فيما تشَّت الدَّجاج والفلاحون في كلِّ اتِّجاه، وقاتل إِج بكِدٍ ليكتم ضحكهُ، لكنهُ في النِّهاية خسر القتال.

- «كفى ضحكًا». وقفَ دنك ثنדר وحلَّ خوذته وانتزعها. «إذا فعلوا هذا في معركةٍ فسَيُقتلون عن آخرهم». وأنت وأنا أيضًا غالبًا. أصبح الصُّباح حارًّا بالفعل، وشعرَ دنك أنه ملوَّث لزوج كأنه لم يستحمَّ مطلقًا. أخذ رأسه يدق، ولم يستطع نسيان الحُلم الذي رآه البارحة. حاولَ أن يقول لنفسه: ليس ذلك ما حدث، لم يكن الواقع هكذا. تشستت ماتٌ خلال الرُّكوب الجاف الطويل إلى (فَيْث)، هذا الجزء صحيح، وركبَ هو وإِج معًا حتى أعطاهما أخو إِج ميستر، أمَّا البقيَّة...

- لم أبلِك. ربِّما أردتُ، لكنني لم أفعل. وأرادَ أن يدفن الحصان أيضًا، لكن الدُورنِيِّين لم يُمكنهم الانتظار، وبينما ساعده أحد الفُرسان على تجريد الحصان المعيب من السَّرج واللِّجام أخبره: «يجب أن تأكل كلاب الرِّمال وتُطعم جِراءها. لحمه سيُطعم الكلاب أو يُطعم الرِّمال. خلال عامٍ سيُنظف عظمه تمامًا. هذه هي (دُورن) يا صديقي». وإذا تذكَّر هذا، لم يسع دنك إلا أن يتساءلَ مَنْ سيتغذَّى على لحم وات، ولحم وات، ولحم وات. لعلَّ تحت (ماء المربَّعات) أسماكًا مربَّعة.

ركبَ ثنדר عائداً إلى البُرج، وترجَّل قائلًا: «إِج، ساعد السير ينس على جمعهم والعودة بهم إلى هنا»، ودفعَ بخوذته إلى الغُلام وصعدَ السَّلالم بخطواتٍ واسعة.

قابله السير يوستس في عتمة غُرفته الشَّمسيَّة، حيث قال له:

«لم يكن هذا عملاً متقناً».

قال دنك: «نعم يا سيدي. لن يصلحوا». السيف المحلف مدينٌ لسيده بالخدمة والطاعة، لكن هذا جنون.

- «إنها مرَّتْهم الأولى. آباؤهم وإخوتهم كانوا مثلهم في السوء أو أسوأ حين بدؤوا تدريبهم. أبنائي عملوا معهم قبل أن نذهب لنعين الملك، كل يوم طوال أسبوعين كاملين. لقد صنعوا منهم جنوداً».

سأله دنك: «ولمَّا قامَت المعركة يا سيدي؟ كيف أبلوا حينئذٍ؟ كم منهم عادَ إلى الدِّيار معك؟».

نظرَ إليه الفارس الشيخ طويلاً، وأخيراً أجاب: «لم، وبيت، ودبك. ديك جمعٌ لنا المؤمن. كان من أفضل جامعي المؤمن الذين عرفتهم. لم نرحف قطُّ ببطون خالية. ثلاثة عادوا أيُّها السير، ثلاثة وأنا»، وارتجف شاربه إذ أضاف: «قد يستغرق الأمر أكثر من أسبوعين».

قال دنك: «سيدي، المرأة قد تصل غداً مع رجالها جميعاً». إنهم فتية صالحون، لكنهم سيصيرون فتيةً موتى قريباً إذا واجهوا فرسان (الخنديق البارد). «لا بُدَّ من سبيل آخر».

ردَّد السير يوستس: «سبيل آخر»، ومرَّر أصابعه بخفَّة على ثُرس الأسد الصَّغير قائلاً: «لن أنال عدالةً من اللورد رُوان، ولا من هذا الملك...»، ثم أمسك دنك من ساعده، وأخبره: «يخطر لي أنه في سالف الأيام، حينما حكمَ الملوك الخُضر، كان بإمكانك أن تدفع للرجل كفارة الدَّم إذا قتلت أحد حيواناته

أو فلاحيه».

ساوَر دنك الشُّكُّ وهو يُرَدِّد: «كَفَّارَةُ الدَّمِّ؟».

- «سَبِيلَ آخِرِ كَمَا قَلْتُ. لَدَيَّ بَعْضُ الْمَالِ الْمُدْخَرِ. كَانَتْ مَجْرَدَ قَطْرَةٍ دَامِيَةٍ عَلَى الْخَدِّ حَسْبَمَا قَالَ السَّيْرُ بِنَسْ. يُمَكِّنُنِي أَنْ أَدْفَعَ لِلرَّجُلِ أَيْلًا فَضِيًّا، وَثَلَاثَةُ لِمَرْأَةٍ تَعْوِضًا عَنِ الْإِهَانَةِ. يُمَكِّنُنِي، وَسَأَفْعَلُ... إِذَا وَافَقْتَ عَلَى هَدْمِ السَّدِّ، وَعَبَسَ الشَّيْخُ وَهُوَ يُرَدِّفُ: «وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُنِي الذَّهَابُ إِلَيْهَا، إِلَى (الْخَنْدَقِ الْبَارِدِ)». طُنْتُ ذُبَابَةَ سَوْدَاءَ سَمِينَةٍ حَوْلَ رَأْسِهِ وَحَطَّتْ عَلَى ذِرَاعِهِ. «الْقَلْعَةُ انْتَمَتْ إِلَيْنَا مِنْ قَبْلِ. أَتَعْلَمُ ذَلِكَ يَا سَيْرُ دَنْكُنْ؟».

- «أَجَلْ يَا سَيِّدِي». سَامُ الْمُحْنَى حَكَى لَهُ.

- «طِيلَةُ أَلْفِ عَامٍ قَبْلَ الْفَتْحِ كُنَّا مُشِيرِي (التُّخْمِ الشَّمَالِيِّ)، يُقَدِّمُ لَنَا عَشْرُونَ مِّنَ اللُّورْدَاتِ الْأَدْنَى شَأْنًا الْبَيْعَةِ، وَمِثَّةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ مُلَّاكِ الْأَرَاضِي. امْتَلَكْنَا أَرْبَعَ قَلَاعٍ فِي ذَلِكَ الْحِينِ، وَأَبْرَاجَ مِرَاقِبَةٍ فَوْقَ التِّلَالِ لِنُنْذِرُنَا بِقُدُومِ أَعْدَائِنَا. (الْخَنْدَقُ الْبَارِدُ) عُدَّتْ أَعْظَمَ مَقَرَّاتِنَا. اللُّورْدُ پَرُونَ أَوْزَجَرِي شَيَّدَهَا، پَرُونَ الْأَبْيُّ كَمَا لَقَّبُوهُ.

«بَعْدَ (حَقْلِ النِّيرَانِ) آلَتْ (هَاجَارْدَن) مِنْ مَمْلُوكٍ إِلَى وُكَلَاءٍ، وَاضْمَحَلَّ آلُ أَوْزَجَرِي وَتَضَاءَلُوا. ابْنُ إِيْجُونِ، الْمَلِكُ مِيجُورُ، هُوَ الَّذِي أَخَذَ (الْخَنْدَقَ الْبَارِدَ) مِنْ حِينَ تَكَلَّمَ اللُّورْدُ أَوْرَمَنْدُ أَوْزَجَرِي ضِدَّ قَمْعَةِ النُّجُومِ وَالسُّيُوفِ، كَمَا عُرِفَتْ جَمَاعَتَا الصَّعَالِيكِ وَأَبْنَاءَ الْمُحَارِبِ». صَارَ صَوْتُ الْفَارَسِ الشَّيْخِ مَبْحُوحًا وَهُوَ يَتَكَلَّمُ. «فَوْقَ بَوَابَةِ (الْخَنْدَقِ الْبَارِدِ) أَسَدٌ مَرِيعَاتٌ مَنَقُوشٌ عَلَى الْحَجَرِ، أَرَانِي أَبِي إِيَّاهُ عِنْدَمَا أَخَذَنِي مَعَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِرِيَاةِ الْعَجُوزِ رَايْنَارْدِ

وَبَر، وأريته لأبنائي بدوري. أدام... أدام خدَمَ في (الخندق البارد) وصيفًا ومُرافقًا، و... ونما... نوعٌ معيَّن من الشَّغف بينه وبين ابنة اللورد وايمان. هكذا ذات يوم شتوي ارتديتُ أفخم ثيابي وذهبتُ إلى اللورد وايمان لأعرضُ عليه زواجهما. كان كَيِّسًا في رفضه، ولكن بينما غادرتُ سمعته يضحك مع السير لوكس إنشفيد. لم أرجع قَطُ إلى (الخندق البارد) بعد ذلك، باستثناء مرَّةٍ واحدة حين تجرَّأت المرأة على اختطاف واحدٍ من قومي. لَمَّا قالوا لي أن أبحث عن لِم المسكين في قاع الخندق...».

قاطعَه دنك: «ديك. ينس يقول إن اسمه ديك».

- «ديك؟». الآن ترحف الذبابة على كُفِّه متوقِّفة لتفرك أرجلها معًا كديدن الذباب. «ديك. هكذا قلتُ. رجلٌ وفي، أذكره جيِّدًا. لقد جمعَ لنا المؤن خلال الحرب. لم ترحف قَطُ ببطون خالية. حين أبلغني السير لوكس إنشفيد بما جرى لرجلي المسكين ديك، حلفتُ يمينًا مغلظةً أنني لن أطأ القلعة بقدمي ثانية أبدًا إلا لأستحوذ عليها. كما ترى إذا، لا يُمكنني الذهاب يا سير دنكن، لا لدفع كفارة الدَّم ولا لأيِّ سببٍ آخر. لا يُمكنني نهائيًّا».

وفهمَ دنك. «يُمكنني أن أذهب يا سيدي. لم أحلف أنا أيَّ أيمان».

- «أنت رجلٌ صالح يا سير دنكن، فارسٌ شجاع ومخلص»، واعتصرَ السير يوستس ذراع دنك مردفًا: «ليت الآلهة أبقت على ابنتي أليسان. إنك رجلٌ من النُّوع الذي أملتُ دومًا أن تتزوَّجه. فارسٌ حقٌّ يا سير دنكن، فارسٌ حقٌّ».

قال دنك الذي بدأ وجهه يتورَّد خجلًا: «سأبلغ الليدي وِبر

بما قلته بشأن كَفَّارة الدَّم، ولكن...».

- «سَتُنْقِذَ السَّيْرَ بِنِسٍ مِنْ مَصِيرِ دِيكَ. إِنِّي وَاثِقٌ. لَسْتُ حَكَمًا رَدِيًّا عَلَى الرِّجَالِ، وَأَنْتِ الْفُولاذُ الْحَقِيقِيُّ. سَتَجْعَلُهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَثْهًا السَّيْرِ، مَجْرَّدَ مَنْظَرِكَ. عِنْدَمَا تَرَى الْمَرْأَةَ أَنَّ لَـ (سْتَانْدَفَاسْت) نَصِيرًا مِثْلَكَ قَدْ تَهْدِمُ السَّدَّ بِمَحْضِ إِرَادَتِهَا».

لَمْ يَدِرْ دِنَكَ بِمَ يَرُدُّ، فَرَكَعَ قَائِلًا: «سَيِّدِي. سَأَذْهَبُ غَدًا وَأَبْذُلُ أَقْصَى مَا بَوْسَعِي».

- «غَدًا». عَادَتِ الذُّبَابَةُ تَحُومُ وَحَطَّتْ عَلَى يَدِ السَّيْرِ يَوْسْتَسِ الْيُسْرَى، فَرَفَعَ يُمْنَاهُ وَسَحَقَهَا سَحَقًا. «نَعَمْ، غَدًا».

مَنْزَعَجًا قَالَ إِج: «حَمَامَ آخِر؟! لَقَدْ اسْتَحَمَّتْ أَمَس».

- «ثُمَّ قَضَيْتُ نَهَارًا أُسْبَحُ فِي عِرْقِي دَاخِلَ الدِّرْعِ. أَطْبِقْ شَفْطَيْكَ وَامْلَأِ الْمَرْجَلَ».

أَشَارَ إِج: «اسْتَحَمَّتْ لَيْلَةً قَبْلُنَا السَّيْرُ يَوْسْتَسِ فِي خِدْمَتِهِ، وَالْبَارِحَةَ، وَالْآنَ، أَيُّ إِنْهَاءِ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ كَامِلَةٍ أَثْهًا السَّيْرِ».

- «عَلَيَّ أَنْ أَتَعَامَلَ مَعَ سَيِّدَةٍ شَرِيفَةِ النَّسَبِ. أَتُرِيدُنِي أَنْ أُمِثَلَ أَمَامَ مَقْعَدِهَا الْعَالِي وَرَائِحَتِي كَالسَّيْرِ بِنِس؟».

قَالَ إِج وَهُوَ يَمْلَأُ الْمَرْجَلَ: «يَجِبُ أَنْ تَتَمَرَّغَ فِي حَوْضٍ مِنْ فَضْلَاتِ مَيْسْتَرٍ لَتُصْبِحَ رَائِحَتُكَ بِذَلِكَ السُّوءِ أَثْهًا السَّيْرِ. سَامَ

المحنيّ يقول إنّ أمين القلعة في (الخندق البارد) يُعادلُك حجمًا. اسمه لو كَسْ إنشفيلد، لكنه يُدعى بالإنش الطويل بسبب حجمه. أتظنّه كبيرًا مثلك أيُّها السير؟».

- «لا». مرّت سنوات منذ قابلَ دنك أحدًا يُعادلُه طولًا. التقطَ الرجل وعلّقه فوق النار.

- «هل ستقاتله؟».

- «لا». يكاد دنك يتمنّى لو يحدّث العكس. قد لا يكون أعظم مُقاتل في البلاد، ولكن من شأن الحجم والقوّة أن يُعوّضا عن نقائص عديدة. ولكن ليس عن نقص العقل. إنه خائبٌ في الكلام، وأشدُّ خيبةً مع النساء. هذا العملاق لو كَسْ إنشفيلد لا يُرهبه بقدر فكرة مواجهة الأرملة الحمراء. «سأتكلّم مع الأرملة الحمراء، هذا كل شيء».

- «ماذا ستقول لها أيُّها السير؟».

- «إنّ عليها أن تهدم السّد». لا بدّ أن تهدمي سدّك يا ستّي، وإلّا... «أعني أنني سأسألها أن تهدم السّد». أرجوك أعيدي ماءنا المرّع. «إذا سمحت». قليلٌ من الماء يا ستّي إذا سمحت. لن يُريده السير يوستس أن يترجّى. كيف أقولها إذا؟

سرعان ما بدأ الماء يَبْخُر ويُبْقِبِق، فقال دنك للغلام: «ساعِدني على حمله إلى الحوض». معًا رفعوا الرجل من فوق المستوقد وقطعا القبو إلى الحوض الخشبيّ الكبير، وفيما صبّ الماء اعترفَ دنك: «لا أعرفُ كيف أتكلّم مع شريفات النّسب. لرّما قُتِلَ كلانا في (دورن) من جرّاء ما قلته لليدي فيث».

ذَكَرَهُ إِج: «اللَّيْدي فَيْثُ مَجْنُونَة، وَلَكِنْ أَمَكَّنَكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ بِمَزِيدٍ مِنَ الشَّهَامَة. إِذَا أَنْقَذْتَ الْأَرْمَلَة الْحَمْرَاءَ كَمَا أَنْقَذْتَ فِتَاةَ الدُّمَى مِنْ إِيْرِيُون...».

- «إِيْرِيُون فِي (لِيس)، وَالْأَرْمَلَة لَيْسَتْ مُحْتَاجَةً إِلَى إِنْقَاذٍ». لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ تَانَسَل. تَانَسَلْ مَدِيدَة الْقَامَة اسْمُهَا، لَكِنْهَا لَمْ تَكُنْ فِي نَظَرِي مَدِيدَة الْقَامَة.

قَالَ الْغُلَام: «حَسَن، نَمَّةُ فُرْسَانٍ يُغَنُّونَ أَغَانِي شَهَامَةٍ لِسَيِّدَاتِهِمْ، أَوْ يَعْزِفُونَ لَهُنَّ أَنْغَامًا عَلَى الْعُودِ».

بَدَأَ دَنْكَ مَغْتَمًّا إِذْ قَالَ: «لَا أَمْلِكُ عَوْدًا، وَلَيْلَة أَنْ أُسْرِفَ فِي الشُّرْبِ فِي (بَلَدَةِ الْأَخْشَابِ) قُلْتُ لِي إِنِّي أُغْنِي كَثُورًا فِي مِرَاغَة وَحَل».

- «نَسِيتُ أَيُّهَا السَّيْر».

- «كَيْفَ نَسِيتُ؟».

أَجَابَ إِج بِكُلِّ بَرَاءَة: «أَنْتِ أَمَرْتَنِي بِالنِّسْيَانِ أَيُّهَا السَّيْر. قُلْتُ لِي إِنِّي سَأُنَالُ لَطْمَةً عَلَى الْأُذُنِ إِذَا ذَكَرْتُ الْأَمْرَ ثَانِيَةً».

- «لَا غَنَاءَ». حَتَّى إِنْ تَمَتَّعَ بِصَوْتٍ صَالِحٍ لِلْغَنَاءِ فَلَا غَنِيَّةَ الْوَحِيدَة الَّتِي يَعْرِفُهَا دَنْكَ كَامِلَةً هِيَ «الدُّب، الدُّب، وَالْفِتَاةُ الْحَسَنَاءُ»، وَيَشْكُ فِي أَنَّهَا سَتَنْفَعُ لاسْتِمَالَةِ اللَّيْدي وَبِر. عَادَ الْمَرْجُلُ يَبْخُرُ، فَحَمَلَاهُ بِجَهْدٍ إِلَى الْحَوْضِ وَقَلْبَاهُ.

سَحَبَ إِج مَاءً لِيَمْلَأَ الْمَرْجُلَ مَرَّةً ثَالِثَةً، ثُمَّ تَسَلَّقَ لِيَجْلِسَ عَلَى حَافَةِ الْبُئْرِ، وَقَالَ: «الْأَفْضَلُ أَلَّا تَقْبَلَ أَيَّ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ فِي (الْخَنْدَقِ الْبَارِدِ) أَيُّهَا السَّيْر. الْأَرْمَلَة الْحَمْرَاءُ سَمَّيْتُ أَزْوَاجَهَا

كَلَّهْم».

رَدُّ دَنكَ: «ليس واردًا أن أتزوَّجها. إنها سيِّدة شريفة النَّسَب، وأنا دَنك ابن (سَفْح البراغيث)، أَتَذْكُر؟»، وَقَطَّب جبينه سائلًا: «كم زوجًا بالضَّبْط كان لها؟ هل تعرف؟».

- «أربعة، ولكن لا أطفال. متى وضَعَتْ أتى شيطانٌ ليلاً ليأخذ الوليد. زوجة سام المحنِّي تقول إنها باعَتْ صغارها الذين لم يُولدوا بعدُ لسيِّد الجحائم السَّبع لِيُعَلِّمها فنونه السُّوداء».

- «شريفات النَّسَب لا يتعرَّضن للفنون السُّوداء، بل يرقصن ويغنيّن ويطرزن».

قال إيج باستمئاع: «لعلها ترُقِّص مع الشَّياطين وتُطرز تعاويذ شرِّيرة»، ثم سأل: «وكيف تعرف ما تفعله شريفات النَّسَب أيُّها السيِّر؟ الليدي فيث هي الوحيدة التي عرفتها يومًا».

رَدُّ وقح، لكنه صحيح. «قد لا أعرفُ أيَّ سيِّدات شريفات النَّسَب، لكنني أعرفُ غلامًا يَطْلُب لطمَةً موجعةً على الأذن. فركَ دَنك مؤخَّرة رقبته التي يُخَلِّف فيها نهارًا من ارتداء الحلقات المعدنيَّة تبيُّسًا كالخشب كلَّ مرَّة. «أنت عرفت ملكات وأميرات. هل رقصن مع الشَّياطين وما رسن الفنون السُّوداء؟».

- «الليدي شيبيرا تفعل، عشيقه اللورد غُدا ف الدَّم. إنها تغتسل بالدِّماء لتحفظ جمالها. وفي مرَّة وضَعَتْ أختي ريا جرعة حُبٍّ في شرابي لأتزوَّجها بدلًا من أختي ديلا».

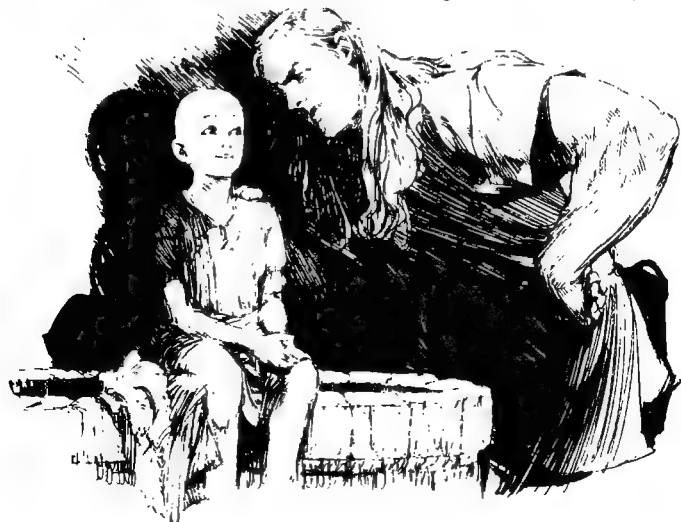
تكلَّم إيج كأن زواج المحارم هذا أكثر شيءً طبيعيًّا في الدُّنيا. هو كذلك عنده. يُزوِّج آل تارجارين الأخ بأخته منذ مئات السِّننين

للحفاظ على نقاء دم التَّين، ورغم موت آخر التَّانين الفعلية قبل مولد دنك فقد استمرَّ ملوك التَّانين. لعلَّ الآلهة لا تُمانع أنهم يتزوَّجون أخواتهم. سأله دنك: «وهل نجحت الجرعة؟».

أجاب إج: «كانت ستنجح، لكنني بصقتها. لا أريدُ زوجةً، بل أريدُ أن أصبح فارسًا في الحرس الملكي وأعيش فقط في سبيل خدمة الملك والدِّفاع عنه. رجال الحرس الملكي يُقسِمون على عدم الزَّواج».

- «شيء نبيل، ولكن عندما تكبر قد تكتشف أنك تُفضِّل أن تحظى بفتاة على معطف أبيض». كان دنك يُفكِّر في تانسل مديدة القامة، والطريقة التي ابتسمت له بها في (آشفرد). «السير يوستس قال إنني رجلٌ من النوع الذي أمل أن تتزوَّجه ابنته. كان اسمها أليسان».

- «إنها ميتة أيُّها السير».



ردّ دنك مستاء: «أعرفُ أنها ميتة. لو أنها حيّة، قال. لو أنها كذلك لودّ أن تتزوّجني، أو أحدًا مثلي. لم يعرض لورد عليّ ابنته قبلًا قطّ».

- «ابنته الميتة! وربّما كان آل أوزجري لوردات في الماضي، لكن السير يوستس ليس إلّا فارسًا يملك بعض الأراضي».

- «أعرفُ ماهيته. أتريد لطمّة على الأذن؟».

قال إج: «في الحقيقة أفضلُ لطمّة على زوجة، بخاصّة زوجة ميتة أيّها السير. الرجل يغلي».

حملا الماء إلى الحوض، وخلعَ دنك غلالته. «سأرتدي غلالي الدورنيّة إلى (الخدق البارد)». تلك الغلالة من الحرير الرّملي، أجود ثوبٍ يمتلكه، ومرسومة عليها دردارته ونجمته الهاوية.

علّق إج: «إذا ارتديتها خلال الرّحلة فسيُلبّسها العرق أيّها السير. ارتدِ التي ارتديتها اليوم. سأجلبُ الأخرى، ويُمكنك أن تُغيّرها عندما تصل إلى القلعة».

- «بل قبل أن أصل إلى القلعة. سأبدو أحرق إذا غيّرت ملابسي على الجسر المتحرّك. ومَن قال إنك ستأتي معي؟».

- «الفارس أقوى تأثيرًا وفي حضرته مُرافق».

صحيحٌ هذا. الغلام يتمتّع بحُسن التّمييز في تلك الأمور. وهو الواجب. لقد عملَ وصيفًا سنتين في (كينجزلاندنج). ومع ذلك يعزف دنك عن أخذه إلى قلب الخطر، فلا فكرة لديه عن نوع الاستقبال الذي ينتظره في (الخدق البارد). لو أنّ هذه الأرملة الحمراء خطرة حقًا كما يقولون فقد ينتهي به الأمر في قفص

غِرْبَانٍ كَالرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ رَأَيَاهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ. قَالَ لِإِج: «سَتَبْقَى هُنَا وَتُسَاعِدُ السَّيْرَ بِنَسْ عَلَى تَدْرِيبِ الْعَوَامِّ»، ثُمَّ خَلَعَ بِنِطَالَهُ رَكْلًا وَنَزَلَ فِي حَوْضِ الْمَاءِ الْبَاخِرِ قَائِلًا: «أَذْهَبَ الْآنَ وَنَمَ وَدَعْنِي لِحَمَّامِي. لَنْ تَذْهَبَ، وَالْمَسْأَلَةُ مُنْتَهِيَةٌ».

صَحَا إِج وَذَهَبَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ دُنْكَ وَعَلَى وَجْهِهِ ضَوْءُ شَمْسِ الصُّبْحِ. بَحَثَ الْآلِهَةُ، كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْتَرَّ الطَّقْسُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ؟ اعْتَدَلَ جَالِسًا وَتَمَطَّى مَتَابُئًا، ثُمَّ نَهَضَ وَنَزَلَ يَتَعَثَّرُ نَاعِسًا إِلَى الْبَثْرِ، حَيْثُ أَشْعَلَ شَمْعَةً سَمِينَةً مِنَ الشَّحْمِ وَرَشَّ قَلِيلًا مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى وَجْهِهِ وَارْتَدَى ثِيَابَهُ.

عِنْدَمَا خَرَجَ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ وَجَدَ ثُنْدَرَ فِي انْتِظَارِهِ مَسْرُجًا مَلْجُومًا عِنْدَ الْإِسْطَبْلِ، وَفِي انْتِظَارِهِ إِج أَيْضًا مَعَ بَغْلِهِ مَيْسْتَر.

يَنْتَعِلُ الْغُلَامُ حِذَاءَهُ، وَعَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ يَبْدُو مُرَافِقًا مَلَانِمًا فِي دَبْلِيَّةٍ أُنِيقَةٍ مِنَ الْمُرَبَّعَاتِ الْخَضِرَاءِ وَالذَّهَبِيَّةِ وَبِنِطَالٍ ضَيِّقٍ مِنَ الصُّوفِ الْأَبْيَضِ. أَعْلَنَ إِج: «مُؤَخَّرَةُ الْبِنِطَالِ كَانَتْ مَمْرُقَةً، لَكِنْ زَوْجَةُ سَامِ الْمُحَنِّي خَاطَتْهُ لِي».

- «كَانَتْ ثِيَابُ أَدَامَ». قَالَهَا السَّيْرُ يَوْسْتَسُ وَهُوَ يَقُودُ حِصَانَهُ الرَّمَادِيَّ الْمُخَصِّيَّ مِنَ الْإِسْطَبْلِ، وَقَدْ زَيْنَ أَسَدَ مُرَبَّعَاتٍ مَعْطَفَ الشَّيْخِ الْحَرِيرِيِّ الْمَهْتَرِّ الَّذِي يَنْسِدِلُ مِنْ فَوْقَ كَتِفَيْهِ. «فِي الدَّبْلِيَّةِ نَزَرُ يَسِيرٍ مِنَ الزَّنْخِ مِنَ الصُّنْدُوقِ، وَلَكِنْ يُفْتَرَضُ أَنْ

تَصْلَح. الفارس أقوى تأثيرًا وفي حضرته مُرافق، ولذا قرَّرتُ أن يصحبك إجماع إلى (الخندق البارد)».

- فاقني حيلة غلام في العاشرة. رمقَ دنك إجماع، وبصمتِ تفوّه بعبارة «لطمة على الأذن»، لبيتسم الغلام باتِّساع.

قال السير يوستس: «معي شيء لك أيضًا أيُّها السير دنكن»، وأخرج معطفًا ونفضه بحركة واحدة واثقة.

المعطف من الصُوف الأبيض، مؤطَّر بمرئعات من السَّاتان الأخضر وقماش الذهب. آخر ما يحتاج إليه دنك في هذا الحرِّ معطف من الصُوف، ولكن حين أسدله السير يوستس من حول كتفيه رأى دنك الفخر على وجهه ووجد نفسه عاجزًا عن الرِّفْض. «أشكرك يا سيدي».

قال الشَّيخ: «يُناسبك جدًّا. ليتني أستطيع أن أعطيك أكثر»، وارتعش شاربه وهو يتابع: «لقد أرسلتُ سام المحنيَّ إلى القبو ليجث بين أغراض أبنائي، لكن إدوين وهارولد كانا أصغر حجمًا، أنحف صدرًا وسيقانهما أقصر كثيرًا. يُحزنني أن أقول إنَّ شيئًا تركاه لن يصلح لك».

- «المعطف يكفي يا سيدي. لن أهينه».

- «لا أشكُ في ذلك». قالها الشَّيخ وربَّت على حصانه مرَّة مردفًا: «خطرَ لي أن أركب معكما جزءًا من الطريق لو أنك لا تُمانع».

- «إطلاقًا يا سيدي».

قَادَهما إجماع وهُم ينزلون التَّل وقد جلسَ منتصب القامة على



ظهر ميستر. سأل السير يوستس

دلك: «أيجب أن يعتمر تلك

القَبعة القش المرنه؟ إنه يبدو

سخيفًا قليلًا، ألا ترى هذا؟».

- «ليس بالسُخف الذي

سيبدو به ورأسه يتقشّر يا سيدي».

حتى في هذه السّاعة والشمس

بالكاد تعلو خطّ الأفق، في

الجوّ سخونة. بحلول الأصيل

سيسخن سرجانا إلى حدّ إصابتنا

بالقروح. قد يبدو إيج أنيقًا في ثياب الغلام الميت الفاخرة، لكنه سيُمسي إيج مسلوفا بحلول اللّيل. على الأقلّ يستطيع دلك تبديل ملابسه، ففي خُرج سرجه الغلالة الفاخرة وعلى بدنه الخضراء القديمة.

أعلن السير يوستس: «سنسلك الطّريق الغربي. لم يُطرق إلّا قليلًا خلال السّنوات الماضية، لكنه ما زال أقصر طريق من (ستاندفاست) إلى (قلعة الخندق البارد)». أخذهما الدّرب حول مؤخّرة التّل، مرورًا بالقبور حيث وارى الفارس الشّيخ زوجته وأبناءه الثّرى في دغل من شُجيرات الثّوت الأسود. «أحبّوا قطف الثّوت هنا، أبنائي. في صغرهم اعتادوا أن يأتوني بأوْجهٍ لزجة وأذْرعٍ مخدوشة، فأعرف أين كانوا»، وابتسم الشّيخ بحنينٍ

مواصلًا: «مُرافقك إِج يُذَكِّرني بولدي أدام. صبيُّ شُجاع قِياسًا إلى سَنَةِ الصَّغِيرَةِ. كان أدام يُحاولُ حِمايةَ أخيه الجريح هارُولد حين اجتاحتَهما المِعرَكَةُ. أحدُ رجالِ النَّهْرِ بسَتْ جِوزاتِ بلوط على ثُرُسِه بترَ ذِراعِه بفأسٍ»، ونظَرَت عِناهُ الرَّمادِيتان الحزِبتان في عَيني دنك إذ سألَه: «سَيِّدُكَ القَدِيمُ هَذا، فارس (شِجَرَةِ البَنَسات) ... هل قاتَلَ في تَمَرُّدٍ بِلَا كِفاير؟».

- «نعم يا سَيِّدي، قَبْلَ أن يُشغِلَني عِندَه». في ذلك الحين لم يَتَعَدَّ دنك الثَّلاثَةَ أو الرَّابِعَةَ، يَجري نِصفَ عارٍ في أَزْقةِ (سَفْحِ البِراغيث)، أَقربَ إلى حِوانٍ مِنْهُ إلى صِبي.

- «هل قاتَلَ في صَفِّ التَّينِ الأَحْمَرِ أمِ الأَسود؟».



«أحمر أم أسود؟» سؤالٌ محفوف بالخطر، حتى حاليًا. منذ أيام إيجون الفاتح حملَ رمز عائلة تارجارين تينًا ثلاثي الرؤوس، أحمر على أسود، لكن ديمون المدعي عكسَ هذين اللونين على راياته على غرار كثيرٍ من النُّغول. ذَكَرَ دنك نفسه: السير يوستس سيدي الأعلى؛ له حقٌ في السُّؤال. «قاتلٌ تحت راية اللورد هايفورد يا سيدي».

- «شبكة خضراء على خلفيةٍ ذهبيةٍ وشريط أخضر متموج؟».

- «ربّما يا سيدي. إيج سيعرف». يستطيع الولد أن يعدَّ شعارات نصف فرسان (وستروس).

- «اللورد هايفورد كان موالياً بارزًا. الملك دِيرُون عَيْنَه يده قبيل المعركة. بَتَرُول أبلى بلاءً في غاية السُّوء حتى إنَّ كثيرين شككوا في إخلاصه، أمّا اللورد هايفورد فكان راسخًا في مناصرته من البداية».

- «السير آرلان كان بجواره حين سقط. لُورِد ما بثلاث قلاع على تُرسه أُرِده».

- «رجالٌ صالحون كُثِر سقطوا يومها، على كلا الجانبين. العُشب لم يكن أحمر قبل المعركة. هل حكى لك سيّدك السير آرلان ذلك؟».

- «لم يطب للسير آرلان قَطُّ أن يتحدّث عن المعركة. مُرافقه أيضًا ماتَ فيها. رُوچر ابن (شجرة البنسات) اسمه، ابن أخت السير آرلان». مجرّد قولها أشعَرَ دنك بقدر ضئيل من الذُّنب. لقد سرقَتْ موقعه. فقط الأمراء واللوردات الكبار عندهم موارد

تكفي للاحتفاظ بمُرافقين معًا. لو أعطى إيجون غير الجدير سيفه لوريثه ديرون بدلًا من نغله ديمون فلربما ما كان تمرّد بلاكفاير ليقوم، ولربما ظلّ روجر ابن (شجرة البنسات) حيًا حتى اليوم. لكان فارسًا في مكان ما، فارسًا أحقّ مني، ولانتهى بي المطاف إلى المشنقة، أو إلى حرس الليل لأذرع (الجدار) إلى أن أموت.

قال الفارس الشيخ: «المعارك الكبرى شيء رهيب، لكن في خضمّ الدماء والتقتيل جمالًا أيضًا أحيانًا، جمالًا من شأنه أن يفطر قلبك. لن أنسى أبدًا منظر الشمس وهي تغرب على (حقل العشب الأحمر)... عشرة آلاف رجل ماتوا، واختنق الهواء بالأنين والنواح، لكن فوقنا اصطبغت السماء بالذهبي والأحمر والبرتقالي، فاتنة حتى إنّ علمي أنّ أبنائي لن يروها أبدًا أبكاني»، وتنهّد متابعًا: «الفرق بين النصر والهزيمة كان أصغر ممّا يُريدونك أن تعتقد هذه الأيام. لولا عُذاف الدّم...».

قال دنك: «سمعتُ دائمًا أنّ بيلور كاسر الحراب هو من حقّق النصر في المعركة، هو والأمير ميكار».

اختلج شارب الشيخ، وقال: «المطرقة والسندان؟ المغنّون يُغفلون كثيرًا فأكثر. ديمون كان المُحارب نفسه في ذلك اليوم. لم يستطع أيّ رجل الوقوف أمامه. لقد حطّم طليعة اللورد آرّن تحطيمًا وفتك بفأرس (النجوم التسع) ووايل ونوود الجامح قبل أن يُواجه السير جونز كوربراي فارس الحرس الملكي. طوال ساعة تقريبًا رقصا معًا فوق حصانتهما، يحومان ويدوران ويهويان بضرباتهما فيما مات الرجال حولهما في كلّ اتجاه.

يُقال إنه عندما تقارع «اللَّهَب الأسود» و«سَيِّدَةُ البؤس» سُمِعَ الصَّوْت من بُعد فرسخ كامل. نصف أَعْيَنِيَّة ونصف صرخةٍ حسبما يقولون. لكن في النِّهَايَةِ عندما تَوَانَتْ «السَّيِّدَةُ» فلقَ «اللَّهَب الأسود» خُوذة السَّيْرِ جَوِين وتركه معميًّا ينزف.

«ترجَّل ديمُون ليتأكَّد ألا يُداس خصمه السَّاقط، وأمر النَّاب الأحمر بأخذه إلى المِيسْترات في المؤخِّرة. وهو ذا خطوهُ المميت، لأن أسنان الغُداف ظفروا بقمَّة (الحيد الباكي)، ورأى غُداف الدَّم لواء أخيه غير الشَّقِيق المَلِكِيَّ على بُعد ثلاثمئة ياردة، وديمُون وابنيه تحته. أوَّلًا قتلَ غُداف الدَّم إيْجُون، أكبر التَّوأمين، إذ علِمَ أنَّ ديمُون لن يَتْرَكَ الولد أبداً ما دامَ في جسده دفء، مع أنَّ السِّهَام البِضَاء تساقطت كالْمَطَر. ولم يَتْرَكَ فعلاً رغم أنَّ سبعة سِهَام اخترقت جسده مرميَّةً بالسَّعُوذة بقدر ما رماها قوس غُداف الدَّم. التقطَ إيْمُون الصَّغِير «اللَّهَب الأسود» حين فلتَ السَّيْف من أصابع أبيه المحتضر، فقتله غُداف الدَّم بدوره، أصغر التَّوأمين. هكذا هلكَ التَّيْن الأسود وابناه.

«وقع كثيرٌ فأكثر بعدها، أعرف. لقد شهدتُ جزءاً منه بنفسِي... فرار المتمرِّدين والفولاذ الأليم يلمُّ شتاتهم ويقود هجمته المجنونة... قتاله ضدَّ غُداف الدَّم الذي لا يبيِّزه إلا القتال الذي خاضه ديمُون ضد جوين كُوربراي... ضربة مطرقة الأمير بيلور على مؤخِّرة المتمرِّدين وصُراخ الدُورنِيِّين جميعاً وهُم يملؤون الهواء بالحِراب... لكن شيئاً من ذلك لم يفرق في النِّهَايَةِ. الحرب انتهت عندما ماتَ ديمُون.

«فرقٌ صغير جدًّا... لو أنَّ ديمُون داسَ جوين كُوربراي وتركه

لمصيره فلربما استطاع تحطيم ميسرة ميکار قبل أن يستولي
 عُذاف الدّم على الحيد، وعندئذ كان النّصر سيُصبح من نصيب
 التّانين السّود وقد مات اليد وانفتح لهم الطريق إلى (كينجز
 لاندنج). لربّما كان ديمون جالسًا على العرش الحديدي بالفعل
 عند وصول الأمير بيلور مع رجاله من لوردات العواصف ومن
 الدّورنيتين.

«للمّغنيين أن يُغنّوا ما شاؤوا عن مطرقتهم وسندانهم أيّها السيّر،
 إلّا أن قاتل الأقربين هو من قلب الوضع بسهم أبيض وتعويذة
 سوداء. إنه يحكمنا الآن أيضًا، تأكد من هذا. الملك إيرس
 صنيعته. لن يدهشني أن أعلم بأن عُذاف الدّم سحر جلالته
 ليخضعه لإرادته. لا عجب أننا ملعونون».

هزّ السيّر يوستس رأسه وغرق في صمت عابس، وتساءل دنك
 كم سمع إج، ولكن لا سبيل إلى سؤاله. كم عينا للورد عُذاف
 الدّم؟

حرارة النّهار في ارتفاع بالفعل. علّق دنك لنفسه: حتى الذّبّاب
 هرب. الذّبّاب أعقل من الفُرسان. إنه يبقى بعيدًا عن الشّمس.
 تساءل هل سيقدّم له ولاج واجب الضّيافة في (الخندق البارد).
 سيُرحّب جدًّا بدورق من المزِر البني فاتر الحرارة، ولكن بينما
 تأمل دنك ذلك الاحتمال بتلذذ، تذكر ما قاله إج عن تسميم
 الأرملة الحمراء أزواجها، ونفّر عطشه في الحال. ثمة أشياء أسوأ
 من الحلوّ الجافّة.

قال السيّر يوستس: «في زمنٍ ماضٍ حازت عائلة أوزجري
 جميع الأراضي على امتدادٍ فُراسخٍ عديدة، من (نني) في

الشَّرق إلى (غار الحصى). (الخندق البارد) كانت ملكنا،
 و(تلال الحدوة)، والكهوف في (تباب درنج)، وقُرى (دُوسك)
 و(دُوسك الصُّغرى) و(سَفح البراندي)، وكلا ضَفَّتِي (البُحيرة
 المورقة)... وتزوَّجت عذراوات أوزجري من عائلات فلُورنت
 وسوان وتاريخك، وحتى هايتاور وبلاكوود».

لأَحَت حافة (خميلة وات) لأنظارهم. سترَ دنك عينه بيده
 وضيقهما رامقًا الخُضرة، وعلى غير العادة حسدًا إج على قُبْعته
 المرنة. على الأقل سنجد شيئًا من الظِّل.

قال السير يوستس: «سابقًا امتدَّت (خميلة وات) حتى
 (الخندق البارد) نفسها. لا أذكرُ من هو وات، ولكن قبل الفتح
 كان بإمكانك أن تجد في خميلته ثيرانًا بريَّةً وإلكات عظيمة
 طولها عشرون شبرًا أو أكثر، وأيضًا غزالات حمراء أكثر ممَّا
 يستطيع أيُّ رجل أن يصطاد في عُمره بأكمله، إذ لم يُسَمَح إلاَّ
 للملك وأسد المربعات بالصَّيد هنا. حتى في أيَّام أبي ارتفعت
 الأشجار على جانبي الجدول، لكن العناكب أزالوها لكي يرمى
 بقرهم وخرافهم وأحصنتهم».

زحفت إصبعٌ رفيعة من العرق على صدر دنك، ووجدَ نفسه
 يتمنَّى من صميم قلبه لو يصمَّت سيِّده الأعلى. الكلام لا يُطاق
 في هذا الحرِّ. الرُّكوب لا يُطاق في هذا الحرِّ. لا شيء يُطاق في
 هذا الحرِّ اللعين.

في الخميلة صادفوا جثَّة قَطَّ أشجارٍ بيَّ ضخم تفشو فيها
 اليرقات. قال إج وهو يدور بميستر من حولها: «إيو! رائحتها
 أسوأ من السير بنس!».

كَبَحَ السَّيْرَ يَوْسْتَسَ حَصَانَهُ قَائِلًا: «قَطُّ أَشْجَارٍ. لَمْ أَعْرِفْ أَنَّ
أَيًّا مِنْهَا تَبَقَّى فِي هَذِهِ الْخَمِيلَةِ. تُرَى مَا الَّذِي قَتَلَهُ؟»، وَإِذْ لَمْ
يَتَلَقَّ جَوَابًا قَالَ: «سَأَعُوذُ أَدْرَاجِي مِنْ هُنَا. وَاصِلًا التَّقَدُّمَ عَلَى
الطَّرِيقِ الْغَرِيبِي وَسَيَأْخِذُكُمَا إِلَى (الْخَنْدَقِ الْبَارِدِ) مَبَاشَرَةً. هَلْ
مَعَكَ الْمَالُ؟». أَوْ مَا دُنْكَ بِرَأْسِهِ إِيْجَابًا، فَقَالَ الْفَارَسُ الشَّيْخُ:
«عَظِيمٌ. عُدَّ بِمَائِي أَيُّهَا السَّيْرُ»، وَخَبَّ مُبْتَعِدًا فِي الْإِتِّجَاهِ الَّذِي
جَاؤُوا مِنْهُ.

لَمَّا رَحَلَ قَالَ إِج: «فَكَّرْتُ فِي الْأَسْلُوبِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ
تُخَاطَبَ بِهِ اللَّيْذِي وَتَرَى أَيُّهَا السَّيْرُ. عَلَيْكَ أَنْ تَكْسِبَهَا إِلَى صِفِّكَ
بِالْإِطْرَاءِ الْكَيِّسِ». يَبْدُو الْغُلَامُ فَاتِرَ الْحَرَارَةِ مُنْتَعِشًا فِي غِلَالَتِهِ
ذَاتِ الْمَرَبَّعَاتِ كَمَا بَدَأَ السَّيْرُ يَوْسْتَسَ فِي مَعْطَفِهِ.

- أَنَا الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْرِقُ؟ «الْإِطْرَاءُ الْكَيِّسِ. إِطْرَاءُ كَيِّسٍ مِنْ
أَيِّ نَوْعٍ؟».

- «كَمَا تَعْرِفُ أَيُّهَا السَّيْرُ. قُلْ لَهَا كَمْ تَبْدُو بَهِيَّةً وَجَمِيلَةً».

سَاوَرَتْ دُنْكَ الشُّكُوكَ. «لَقَدْ عَمَّرْتُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَزْوَاجٍ، فَلَا
بُدَّ أَنَّهَا عَجُوزٌ كَاللَّيْذِي قُيِّثَ. إِذَا قُلْتُ إِنَّهَا بَهِيَّةٌ وَجَمِيلَةٌ فِي حِينٍ
أَنَّهَا عَجُوزٌ فِي وَجْهِهَا ثَالِثُ لَيْلٍ فَسَتَعُدُّنِي كَذَابًا».

- «مَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَجِدَ شَيْئًا حَقِيقِيًّا تَقُولُهُ عَنْهَا. هَكَذَا يَفْعَلُ
أَخِي دِيرُونُ. يَقُولُ إِنَّهُ وَارِدٌ أَنْ تَتَمَتَّعَ الْعَاهِرَاتُ الْعَجَائِزُ الْقَبِيحَاتُ
أَنْفُسَهُنَّ بِشَعْرِ خُلُوٍّ أَوْ آذَانِ حَسَنَةِ الشَّكْلِ».

- «آذَانِ حَسَنَةِ الشَّكْلِ؟». بَدَأَتْ شُكُوكَ دُنْكَ تَتَنَامَى.

- «أَوْ أَعْيُنَ جَمِيلَةٍ. قُلْ لَهَا إِنَّ فُسْتَانَهَا يُبْرِزُ لَوْنَ عَيْنَيْهَا»،

وفكّر الغلام لحظةً ثم قال: «ما لم تكن لها عينٌ واحدة مثل اللورد عُدا فالدّم».

- سيّدي، هذا الفُستان يُبرز لون عينيّك. سمعَ دنك فُرسانًا ولوردات صغارًا يتفوّهون بمجاملاتٍ شبيهة للليديّات أخريات، وإن لم يُعبّروا عنها قطّ بتلك الجرأة. سيّديّ الكريمة، جميلٌ هذا الفُستان، يُبرز لون عينيّك الفاتنتين كلتيهما. بعض تلك الليديّات كان عجوزًا ومهزولًا، أو بديئًا ومتورّد البشرة، أو نديئًا بفعل الجُدري ودميّا، لكنهن ارتدين فساتين جميعًا وامتلكت كلّ منهن عينيّن، وعلى حدّ ذاكرة دنك سرّتهن الكلمات المنمّقة جدًّا. يا له من فُستانٍ بديع يا سيّديّ، يُبرز الجمال البديع في عينيّك جميلتي اللّون. قال دنك بكآبة: «حياة الفارس الجوّال أبسط. إذا قلتُ القول الخطأ فغالبًا ستضعني في جوالٍ مليء بالصّخر وتُخيطه عليّ وتلقني بي في خندقها».

ردّ أج: «أشكّ في أنّ عندها جوالًا كبيرًا إلى تلك الدّرجة أيّها السّير. يُمكننا أن نستخدم حذائي بدلًا من ذلك».

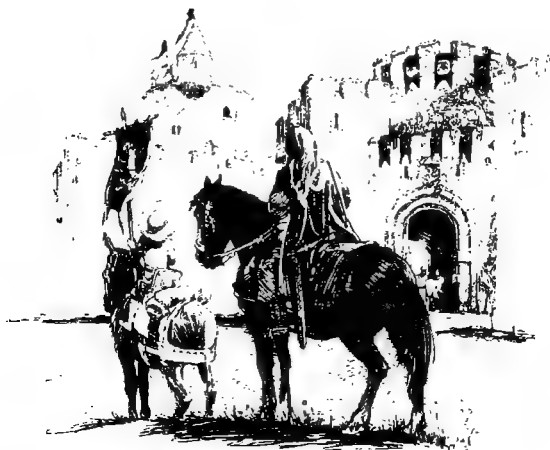
زمجرَ دنك: «لا، لا يُمكننا».

عندما خرجا من (خميلة وات) وجدا نفسيهما على مسافة بعيدة عكس التّيّار من السّد، وقد ارتفعت المياه إلى منسوب كافٍ لأن يأخذ الغطسة التي يحلّم بها. عميقة بما يكفي لإغراق رجلٍ. على الجانب الآخر سُقّت الضفّة وحُفِرَ أخدودٌ لتحويل جزءٍ من المجرى غربًا، والأخدود يمتدّ بمحاذاة الطّريق ليغذي عديدًا من القنوات الأصغر التي تسعى كالثّعابين عبر الحقول. حالما نعبّر الجدول سنُصبح تحت سُلطة الأرملة. تساءلَ دنك

إلام يركب. إنه مجرّد رجلٍ واحدٍ يحمي ظهره غُلام في العاشرة.
هوّى إج وجهه سائلاً: «سير؟ لماذا توقّفنا؟».

- «لم نتوقّف». همزَ دنك مطيَّته بكعيّته وخاضَ في الجدول،
وتبعه إج فوق البغل. ارتفعت المياه حتى بطن ثندر قبل أن
تُعاود الانخفاض، وخرجا والماء يَقْطُرُ منهما على جانب
الأرملة. أمامهما يمتدُّ الأخدود مستقيماً كالحرية، يبرُق بالأخضر
والذهبي في الشّمس.

حين أبصرا أبراج (الخدق البارد) بعد عدّة ساعات، توقّف
دنك ليبدّل بغلاته الغلالّة الدورنيّة الأنيقة ويخلخل سيفه الطويل
في غمده، فلا يُريد أن يعلق النّصل إذا دعت الحاجة إلى سحبه،
وهزّ إج مقبض خنجره أيضاً وعلى وجهه نظرة جادّة تحت قبعته
المرنة، ثم استأنفا الرّكوب جنباً إلى جنب، دنك فوق برذونه
الكبير والغلام فوق بغله، وراية أوزجري تُرفرف بخمولٍ فوق
ساريتها.



إلى حَدِّ ما خَيَّبت (الخدق البارد) أمله بعد كلِّ ما قاله عنها
 السيّر يوستس. مقارنةً بـ(ستورمز إند) أو (هايجاردن) وغيرها
 من المقارِ اللوردِيَّة التي رآها دنك فهي قلعةٌ متواضعة...
 غير أنها قلعةٌ حقيقيَّة لا بُرج حراسةٍ محصَّن؛ ترتفع أسوارها
 الخارجِيَّة المفرَّجة ثلاثين قدماً، وفي كلِّ رُكن بُرج يُعادل ارتفاع
 (ستاندفاست) مرَّةً ونصفاً، ومن كلِّ بُرج وقمةٌ تتدلى رايات وبر
 السوداء ثقيلةٌ يُزخرف كلاً منها عنكبٌ أرقط على شبكةٍ فضيَّة.
 قال إج: «سير؟ الماء، انظر أين يذهب».

ينتهي الأخدود تحت أسوار (الخدق البارد) الشرقيَّة منصِّباً
 في الخندق الذي استمدَّت منه القلعة اسمها، وجعلت خرخرة
 الماء المنصب دنك يكرز على أسنانه. لن تنال مائي المربَّع. قال
 لإج: «تعال».

فوق قنطرة البوابة الرئيْسيَّة يتهدَّل صفٌّ من رايات العنكب
 في الهواء الساكن، فوق الرَّمز الأقدم المنقوش بعمق في الحجر،
 ورغم أنَّ قروناً من الرِّيح وعوامل الطُّقس أبلته فلا يزال شكله
 مميزاً: أسد من المربَّعات يقف منتصباً على قدم واحدة. البوابة
 تحته مفتوحة، وإذ دبَّبا فوق الجسر المتحرِّك لاحظَ دنك القدر
 الذي ينخفضه الخندق. ستَّة أقدام على الأقل.

اعترضَ حَرَّابان طريقيهما عند الشَّبكة الحديدِيَّة، لأحدهما لحيَّة
 سوداء وللآخر لا. طالب اللَّحيَّة بمعرفة غرضهما هنا، فأخبره
 دنك: «سَيدي أُوْزجري بعثَ بي لأتعامل مع الليندي وبر. اسمي
 السيّر دنكن الطويل».

قال الحارس عديم اللّحية: «حسن، أعرفُ أنك لست بنيس. كنا سنشّمهُ وهو قادم». للرّجل سنٌ مخلوعة وشارة عنكبٍ أرقط مخيطة فوق قلبه.

زرّ اللّحية عينيه رامقًا دنك بريبة، وقال: «لا أحد يرى حضرة اللّبيدي إلا بإذن الإنش الطويل. تعالَ معي. لصبيّ الإسطل أن يبقى مع الخيول».

ردّ إج بإصرار: «أنا مُرافق لا صبي إسطل. أأنت أعمى أم غبيّ فحسب؟».

انفجرَ عديم اللّحية ضاحكًا، أمّا اللّحية فصوّب رأس حربته إلى حلق الغلام وقال: «أعد ما قلت».

لطمَ دنك إج على أذنه قائلاً: «لا، اخرس واعتن بالخيول»، وترجّل مخاطبًا الحارس: «سأرى السير لو كس الآن».

خفضَ اللّحية حربته، وردّ: «إنه في السّاحة».

مرّا من تحت الشّبكة الحديدية مدبّبة الرّؤوس وكوّة دفاع قبل أن يخرّجا إلى السّاحة الخارجيّة. كانت كلاب الصّيد تنبحُ في الوجار، وسمعَ دنك إنشادًا من التّوافذ الرّجائيّة المطليّة بالرّصاص في جدران السّبت الخشبيّ سباعي الأجناب. أمام ورشة الحدادة انهمكَ حدّاد في تركيب حدوةٍ لجوادٍ حربيّ بمساعدة صبيّه، وعلى مقربةٍ أطلقَ مُرافق سهامه على أهداف الرّماية، فيما بارّته فتاةٌ منمّشة ذات ضفيرةٍ طويلة رميّة برمية، وقد راح الطّاووس يدور أيضًا إذ أخذَ نصف دسّته من الفرسان دورهم في ضربه.

وجد السير لو كس الإنش الطويل بين المتفرجين عند الطاووس، يتكلم مع سبتون بدين ضخم يتصبب عرقاً أكثر من دنك، رجل أبيض عجيني مستدير في مسح رطب كأنه ارتداه وهو يغتسل. بجواره يقف إنشفيد كالرُمح، متيَّساً ومنتصب القامة وفارع الطول... ولو أنه ليس طويلاً مثل دنك. ستّة أقدام وسبع بوصات، وفي كل بوصة كبرياء أكثر من سابقتها. مع أنه يرتدي الحرير الأسود وقماش الفضة، بدا السير لو كس بارداً كأنما يمشي فوق (الجدار).

ناداه الحارس: «سيدي، هذا الشخص أتى من بُرج الدجاج ليُمثل أمام حضرة الليدي».

التفت السبتون أولاً مُطلقاً صيحة ابتهاج حادة جعلت دنك يتساءل هل هو سكران. «وما هذا؟ فارسٌ جوال؟ عندكم في (المرعى) أماكن كبيرة للتجوال»، ثم رسم السبتون علامة بركة وقال: «عسى أن يُقاتل المُحارب في صفك دوماً. أنا السبتون سفتون. اسمٌ مؤسف، لكنه اسمي. وأنت؟».

- «السير دنكن الطويل».

قال السبتون للسير لو كس: «شخصٌ متواضع هذا. لو أنني كبيرٌ مثله لسميت نفسي السير سفتون الهائل، السير سفتون البرج، السير سفتون ذا السحاب حول أذنيه». وجه الرجل البدريّ محتقن، وعلى ثوبه بُقع نبيد.

تفرّس السير لو كس في دنك. رجلٌ أكبر سنّاً هو، في الأربعين على الأقل، ويجوز أنه يبلغ الخمسين، بارز الأوتار أكثر منه قوياً العضلات، وقبيح الوجه إلى حدٍ لافت، فشفتاه غليظتان،

وأَسَنَانَهُ شَبَكَةً مِنَ الصُّفْرَةِ، وَأَنْفَهُ عَرِيضٌ لَحِيمٌ، وَعَيْنَاهُ جَا حِظَتَانِ. وَغَا ضَب. هَكَذَا اسْتَشْعَرَ دَنكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: «الْفُرْسَانُ الْجَوَّالَةُ مَتَسَوِّلُونَ يَحْمِلُونَ سَيُوفًا فِي أَفْضَلِ الْأَحْوَالِ، وَخَارِجُونَ عَنِ الْقَانُونِ فِي أَسْوئِهَا. ارْحَلْ. لَا تُرِيدُ أَحَدًا عَلَى شَاكِلَتِكَ هَاهُنَا».

أَرِيدُ وَجْهَ دَنكَ، وَقَالَ: «السَّيْرُ يَوْسْتَسُ أَوْزَجْرِي بَعَثَ بِي مِنْ (سْتَانْدَفَاسْت) لِأَتَعَامَلَ مَعَ سَيِّدَةِ الْقَلْعَةِ».

رَدَّدَ السَّيْتُونُ: «أَوْزَجْرِي؟»، وَنَظَرَ إِلَى الْإِنْسِ الطَّوِيلِ قَائِلًا: «أَوْزَجْرِي صَاحِبُ أَسَدِ الْمَرَبَّعَاتِ؟ ظَنَنْتُ أَنَّ آلَ أَوْزَجْرِي انْقَرَضُوا».

- «قُرَابَةُ هَذَا بِمَا لَا يُحَدِّثُ فَرْقًا. الشَّيْخُ آخِرُهُمْ. إِنَّمَا نَتْرُكُهُ يَحْتَفِظُ بِمَنْزِلٍ مَبْرَجٍ مَتَهَدِّمٍ يَبْعُدُ بَضْعَةَ فَرَاسِخٍ شَرْقًا»، وَقَالَ السَّيْرُ لَوَكْسٍ عَابِسًا فِي وَجْهِ دَنكَ: «إِذَا أَرَادَ السَّيْرُ يَوْسْتَسُ الْكَلَامَ مَعَ حَضْرَةِ اللَّيْدِيِّ فَلْيَحْضُرْ بِنَفْسِهِ»، وَضَاقَتْ عَيْنَاهُ إِذْ أَضَافَ: «أَنْتَ الَّذِي كَانَ مَعَ بِنْسٍ عِنْدَ السَّدِّ. لَا تُحَاوِلِ الْإِنْكَارَ. حَرِيٌّ بِي أَنْ أَشْنَقَكَ».

جَفَّفَ السَّيْتُونُ جَبْهَتَهُ مِنَ الْعَرَقِ بِكَفِّهِ قَائِلًا: «لَيَنْقِذَنَا السَّبْعَةُ. أَهْوِ قَاطِعَ طَرِيقٍ؟ وَكَبِيرٌ أَيْضًا. سَيْرٌ، ثَبَّ عَنْ شُرُورِكَ وَاسْتَرَحِمَكَ الْأَمَّ». أَوْهَنْتُ ضَرْطَةَ التَّمَاسِ السَّيْتُونِ الْمَبْرُورِ. «أَوْهَ، وَبَلِي. سَامِحْنِي عَلَى إِطْلَاقِي الرِّيحِ أَيُّهَا السَّيْرُ. إِنَّهَا نَتِيجَةُ الْفَاصُولِيا وَخُبْزِ الشُّعِيرِ».

قَالَ دَنكَ لَكِلَيْهِمَا بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعَ اسْتِجْمَاعَهُ مِنْ كَرَامَةٍ: «لَسْتُ قَاطِعَ طَرِيقٍ».

لم يتأثر الإنش الطويل بإنكاره، وقال: «لا تستغل صبري أيُّها السير... لو أنك حقًا سير. اجر إلى بُرج الدجاج وقُل للسير يوستس أن يُسلِّم السير ينس أبا الثَّانَةِ البَيَّة. إذا أغنانا عن متاعب اقتلاعه من (ستاندفاست) فقد تميل حضرة الليدي أكثر إلى التَّسامح».

- «سأحدِّثُ مع حضرة الليدي عن السير ينس والمتاعب عند السَّد، وعن سرقة مائنا أيضًا».

- «سرقة؟ قُل هذا لسَيِّدتنا وستسبح في جِوالٍ قبل أن تغرُب الشَّمس. أواثقٌ أنت بأنك ترغب في رؤيتها؟».

الشَّيء الوحيد الذي يثق به دنك أنه يُريد أن يهوي بقبضته على أسنان لو كس إنشفيد الصَّفراء المعوجَّة. «لقد أخبرتك بما أريده».

حَتَّ السِّتُونُ الفارس: «أوه، دعه يتكلَّم معها. ما الضَّرر في ذلك؟ السير دنكن ركبَ طريقًا طويلًا تحت هذه الشَّمس الفظيعة، فدع الرِّجل يقول ما لديه».

عادَ السير لو كس يتفرَّس في دنك، ثم قال: «سِيتُوننا رجلٌ ورع. تعال. سأشكرُك إذا تكلمت بإيجاز»، وقطع السَّاحة بخُطواتٍ واسعة، وأجبرَ دنك على الإسراع في أعقابهِ.

كانت أبواب سِيت القلعة قد انفتحت والمتعبِّدون يتدفَّقون نازلين السَّلالِم، وقد ضَمُّوا فُرسانًا ومُرافقين، ودستةً من الأطفال، وعدَّة رجالٍ مسنَّين، وثلاث سِيتوات في مسوح بيضاء مقلنسة... وسَيِّدةٌ لحِيمةٌ غَضَّةٌ رفيعة الميлад، ترتدي فُسْتانًا من الدِّمقس

الأزرق الغامق الموشى بالمخزّمات المايّريّة، طويلاً إلى حدٍّ أن حواشيه مجرورة في التراب. قدّر دنك أنها في الأربعين. تحت شبكة من الفضّة المغزولة شعرها الأصحر مكوّم عاليًا، لكن أشدّ ما فيها حمرةً وجهها.

لمّا وقفّا أمامها هي وسيتواتها قال السير لوكس: «سيّدتي، هذا الفارس الجوّال يزعم أن معه رسالةً من السير يوستس أوزجري. هل سستمعينها؟».

أجابّت: «إذا أردت أيّها السير لوكس»، وتمعّنت في دنك بشدّة حتى إنه لم يسعه إلّا أن يتذكّر كلام إيج عن الشّعوزة. لا أظنّ أنها تغتسل بالدماء لتحفظ جمالها. الأرملة ممتلئة مربّعة، لها رأس مدبّب على نحو غريب لا يُخفيه شعرها بالكامل، وأنفها كبير جدًّا وفمها صغير جدًّا. أراحه أن يرى أنّ لها عينيّن، لكن كلّ فكرة عن الكياسة هجرت دنك قبل ذلك. «السير يوستس أمرني بالكلام معكِ بشأن المتاعب الأخيرة عند سدّكِ».

حملت إليه قائلة: «ال... السّد تقول؟».

بدأ جمهورٌ يتجمّع حولهم، وشعر دنك بعيون عدوانيّة ترّمقه. «الجدول، (ماء المربّعات). حضرتكِ بنيت سدًّا عبره...».

ردّت: «أوه، أنا واثقة تمامًا بأنني لم أفعل. إنني منشغلةٌ بعباداتي منذ أوّل الصّباح أيّها السير».

سمع دنك السير لوكس يُقهِقه، وقال: «لم أعن أن أقول إنّ حضرتكِ بنيت السّد بنفسكِ، بل فقط أنّ... من غير الماء ستموت محاصيلنا كلّها... العامّة لديهم فاصوليا وشعير في

الحقول، وشَمَام...».

قالت: «حقًا؟ إنني مغرمةٌ للغاية بالشَمَام»، ورسمَ فيها الصَّغير قوسًا سعيدًا وهي تسأله: «أيُّ نوعٍ من الشَمَام هو؟».

ألقي دنك نظرةً عابرةً على حلقة الوجوه، وشعرَ بوجهه هو يَسْخُن. شيء ما على غير ما يُرام هنا. الإنش الطويل يُغفلني. «ستِي، أَيْمَكُنَّا أن نواصل نقاشنا في... مكانٍ أكثر خصوصيَّة؟».

قال أحدهم مازحًا: «أراهنُ بقطعةٍ فِصِّيَّة أن الأخرق الكبير يهدف إلى مضاجعتها!»، ليرتفع هديرٌ ضاحك من كلِّ جهة. نكصت الليدي شبه مذعورة ورفعت كلتا يديها لتسترَ وجهها، في حين تحرَّكت إحدى سِبتواتها بسرعةٍ لتقف بجانبها وتُحيط كتفِها بذراعٍ حامية.

- «وما كلُّ هذا المرح؟». شقَّ الصَّوت الضَّحك باردًا حازمًا. «ألن يُطلِعني أحدٌ على الدُّعابة؟ أيُّها السيرُ الفارس، لماذا تُزعج أختي الصَّهرة؟».

إنها الفتاة التي رآها قبل قليل عند أهداف الرِّماية. على إحدى وركنيها جعبة سهام، وفي يدها قوسٌ يُماثلها طولًا، أي إنه ليس طويلًا إلى تلك الدَّرَجَة. إذا كان دنك يَنْقُص بوصةً عن الأقدام السَّبعة فالرَّامية تَنْقُص بوصةً عن خمسة أقدام، وبإمكانه أن يُطَوِّق خصرها بكلتا يديه. شعرها الأحمر مربوطٌ في ضفيرةٍ طويلةٍ تمتدُّ حتى تمسُّ ما تحت فخذَيْها، وفي ذقنها غَمَازة، ولها أنفٌ أفطس، وعلى خَدَيْها نُشارة خفيفة من النَّمش.

- «سامِحينا أَيْتها الليدي رُوهاَن». المتكلِّم لورد شابٌ وسيم،

على دليّته تطريزٌ لقنطور عائلة كازول. «الأخرق الكبير حسب
الليدي هليست أنتِ».

نظرَ دنك من ليدي إلى أخرى، وسمعَ نفسه يقول باندفاع:
«أنتِ الأرملة الحمراء؟! لكنكِ...».

- «صغيرة السن؟». ألقت الفتاة بالقوس الطويل إلى الفتى
النحيف الذي رآه دنك يُطلق السهام معها، وتابعت: «إنني في
الخامسة والعشرين في واقع الأمر. أم إنك قصدت أن تقول صغيرة
الحجم؟».

- «... حسناء، قصدتُ حسناء». لم يدرِ من أين أتت الكلمة،
وإن سرّه أنها أتت. يُعجبه أنفها، ولون شعرها ذو شُقرة الفراولة،
والثديان الصّغيران ولكن مكسّمان تحت جركينتها الجلديّة.
«ظننتكِ ستكونين... أعني... قالوا إنكِ ترمُلتِ أربع مرّات،
ف...».

- «زوجي الأوّل ماتَ وأنا في العاشرة. كان في الثّانية عشرة،
مُرافق أبي، وقد ديسَ في (حقل العُشب الأحمر). نادراً ما
يعيش أزواجي طويلاً للأسف. الأخير ماتَ في الرّبيع».

هكذا يقولون دومًا عمّن قضوا نحبهم خلال الوفاء الرّباعي
العظيم قبل سنتين: ماتَ في الرّبيع. عشرات الألوف ماتوا في
الرّبيع، منهم ملكٌ عجوز حكيم وأميران شابّان واعدان للغاية.
«إنني... إنني آسفٌ لخسائركِ يا سِتّي». مجاملةٌ أيّها الأنوك،
وجّه إليها مجاملةً. «أريدُ أن أقول... فُستانكِ...».

ردّدت: «فُستاني؟»، ونظرت إلى حداثها وبنطالها وغلالتها

الكثَّانِ الفضفاضة وجركيتها الجلد قائلة: «لستُ أرtdي فُستَانًا».

- «قصدتُ شعركِ... إنه ناعم و...».

- «وما أدراك أيُّها السَّيرُ؟ لو لمست شعري من قبل فأظنني كنتُ سأذكُرُ».

قال دنك بيؤس: «ليس ناعمًا. قصدتُ أن أقول إنه أحمر. شعركِ أحمر جدًّا».

ردَّت: «أحمر جدًّا؟ أوهُ، آملُ أنه ليس باحمرار وجهك»، وضحكَّت ليضحك معها المتفرِّجون.

جميعهم باستثناء السَّير لوَكَّس الإنش الطَّويل، الذي تدخَّل بقوله: «سَيِّدتي، هذا الرَّجل أحد مرتزقة (ستاندفاست). لقد رافقَ بِنس صاحب الثُّرس البَنِّي عندما هاجمَ حفَّاريك عند السَّد وشقَّ وجهه ووُلِمِر. العجوز أُوْزجَري أُرسله ليتعامل معك».

- «صحيحٌ يا سَيِّ. اسمي السَّير دنكن الطَّويل».

- «السَّير دنكن البليد بالأحرى». قالها فارسٌ ملتح يرتدي صاعقة عائلة لايجود الثلاثيَّة، ليرتفع مزيدٌ من الكركرة، وحتى الليدي هليسنْت تعافَت بما يكفي لأن تُفهِقه.

- «هل مائت لياقة (الخندق البارد) مع أبي؟». ألَقَّت الفتاة السُّؤال، وفكر دنك: لا، ليست فتاة، بل امرأة بالغة. «تُرى كيف ارتكَب السَّير دنكن غلطة كهذه؟».

رشقَ دنك إنشفيد بنظرة شريرة، وقال: «الغلطة غلطتي».

- «حقًّا؟». تطلَّعت الأرملة الحمراء إلى دنك من قدميه إلى

رأسه، وإن ثبتت نظرتها أطول وقتٍ على صدره. «شجرة وشهاب. لم أرَ ذلك الشَّعار من قبل». مَسَّتْ غلاته متحسِّسةً فرعًا من دردارته بإصبعين، وقالت: «ومرسومٌ لا مخطط. الدورنيون يرسمون على حرايرهم حسبما سمعتُ، لكنك تبدو أكبر من أن تكون دورنيًا».

- «ليس كلُّ الدورنيتين صغار الحجم يا سَتِي». شعرَ دنك بإصبعيها عبر الحرير. يدها أيضًا منمَّشة. أراها أن جسدها كلُّه منمَّش. أحسَّ بفمه جافًا على نحوٍ غريب. «لقد قضيتُ سنةً في (دورن)».

سألته وإصبعها تتحسَّسان فرعًا من الشَّجرة حول قلبه: «أينمو السنديان كلُّه إلى هذا الطول هناك؟».

- «المفترض أنها دردارةٌ يا سَتِي».

قالت: «سأندكُّرُ»، وسحبت يدها برزانةً مستطردة: «حرُّ السَّاحة وغبارها لا يسمحان بالحوار. أيُّها السِّبتون، اصحب السيرِ دنكن إلى غُرفة اللِّقاءات».

- «من دواعي سروري العظيم يا أختي الصَّهرة».

- «لا بُدَّ أنَّ ضيفنا عطشان. لك أن تُرسل في طلب إبريقٍ من التَّبيذ أيضًا».

أشرق وجه الرَّجل البدين، وقال: «أواجبُ هذا؟ حسن، كما تأمرين».

قالت: «سأنضمُّ إليك حالما أبَدِّلُ ثيابي»، وحلَّت حزامها وجعلتها وناولتهما لرفيقها مضيضةً: «سأريدُ الميستر كرك أيضًا».



سير لوكس، اذهب واطلب منه أن يحضرني».

قال لوكس الإنش الطويل: «سأجلبه على الفور يا سيدي».

النظرة التي حدجت بها أمين قلعتها كانت باردة إذ قالت: «لا داعي. أعرف أن عندك واجبات عدة في أنحاء القلعة. يكفي أن ترسل الميستر كيرك إلى مسكني».

ناداها دنك: «ستي، لقد جعلوا مرافقي ينتظر عند البوابة. أيمكن أن ينضم إلينا أيضًا؟».

- «مرافقك؟». حينما تبسم تبدو كبت في الخامسة عشر لا امرأة في الخامسة والعشرين. بنت حسناء مفعمة بالعبث والضحك. «إذا شئت بالتأكيد».



- « لا تشرب النِّبذ أيُّها السَّير ». قالها له إِج همسًا وهما منتظران مع السِّيتُون في غُرْفَة لقاءات اللّيدي، حيث تُغَطِّي الأرض الحجريَّة حِصائرُ عاطرة، وتُعلِّق على الجُدُران طنائفس تُصوِّر مشاهد مبارياتٍ ومعارك.

نخرَ دنك بسخرية، وردَّ هامسًا: « لا حاجة بها إلى تسميمي. إنها تحسبني جلفًا كبيرًا بين أذنيه ثريد بازلاء بدلًا من المُخ ».

- « يتصادَف أنَّ أختي الصَّهرة يطيب

لها ثريد البازلَاء ». قالها السِّيتُون

سِفْتُون إذ عاوَدَ الظُّهور بإبريق نبيذٍ

وإبريق ماءٍ وثلاثة أكواب.

« نعم، نعم، لقد سمعتُ.

إنني بدين لا أطرش ».

ملأ السِّيتُون كوين بالنِّبذ

وواحدًا بالماء، وأعطى

الثَّالث لإِج الذي رمقَ الكوب بنظرةٍ مستريبة طويلة ووضعه جانبًا. لم يلاحظ السِّيتُون وهو يُخبر دنك: « إنه نبيذٌ معتَّق من (الكرمة). ممتازٌ حقًّا، والسُّم يُضيف إليه حرافةٌ مميَّزةٌ »، وغمز لإِج مضيفًا: « نادرًا ما أقربُ العنب عن نفسي، ولكن هكذا سمعتُ »، وناولَ دنك كوبًا.

النِّبذ سائغٌ وحلو، إلَّا أنَّ دنك رشَفَ منه بحذر، وفقط بعدما عبَّ السِّيتُون نصف كوبه على ثلاث جرعاتٍ كبيرة متلَمِّظًا، أمَّا



إج فربّع ذراعينه على صدره وظلّ يتجاهل ماءه.

قال السّيتون: «يطيب لها ثريد البازلّاء، وأنت أيضاً أيّها السيّر. إنني أعرفُ أختي الصّهرة. حين رأيتك في السّاحة أملتُ نوعاً أنك خاطبُ جاء من (كينجز لاندنج) ليطلب يد سيّدتني». عقدَ دنك حاجبيه، وسأله: «كيف عرفتُ أني من (كينجز لاندنج) أيّها السّيتون؟».

- «لأهل (كينجز لاندنج) طريقةٌ معيّنة في الكلام». جرّع السّيتون من النّبيذ ودوّره في فمه، ثم ابتلعَ متنهّداً باستمتاع، وقال: «لقد خدمتُ هناك سنينَ عدّة، في حضرة سِيتونا الأعلى بـ(سِيت بيلور الكبير)»، وتنهّد مواصلاً: «لن تعرّف على المدينة بعد الرّبيع. الحرائق غيّرتها. رُبع المنازل راح، ورُبع آخر خاو. الجرذان اختفتُ أيضاً. هذا أغرب ما في الأمر. لم يخطر ببالي قطّ أني سأرى مدينةً بلا جرذان».

دنك أيضاً سمعَ هذا. «أكنت هناك خلال الوباء الرّبيعي العظيم؟».

- «أوه، بالتأكيد. وقتٌ مربعٌ أيّها السيّر، مربعٌ رجالٌ أقوياء يستيقظون بكامل صحتهم عند مطلع الفجر ويحلّ عليهم المساء موتى. كثيرون جدّاً ماتوا سريعاً جدّاً حتى إنّ الوقت لم يُتَح أن يُدفنوا. بدلاً من ذلك كوّموهم في (جُوب التّانين)، ولَمّا صارَ عمق الجُثث عشرة أقدام أمرَ اللورد ريفرز كهنة النّار بإحراقها. سطعَ ضوء النيران من النّوافذ كما حدث في الأيام الغابرة والتّانين الحيّة بعدُ معشّشة تحت القُبّة. ليلاً أمكنَ المرء أن يرى الوهج في جميع أنحاء المدينة، وهج النّار الشّعواء الأخضر

الذّاكن. ما زال اللَّون الأخضر لا يُفارق عقلي حتى اليوم. يقولون إنَّ الرِّبيع كان سيِّئًا في (لانسپورت) وأسوأ في (البلدة القديمة)، أمّا في (كينجز لاندنج) فأودى بأربعةٍ من كلِّ عشرة. لا الصَّغير ولا الكبير جُنِبَ المرض، ولا الغني ولا الفقير، ولا العظيم ولا الوضيع. سيِّئتنا الأعلى الكريم راح في الوباء، صوت الآلهة أنفسها على الأرض، ومعه ثلث مجلس القانتين وجميع أخواتنا الصَّامات تقريبًا. صاحب الجلالة الملك ديرون، العذب ماتارس والجريء فالر، اليد... أوه، كان وقتًا مريعًا. بحلول النِّهاية كان نصف المدينة يتوجَّه بالصَّلَاة إلى الغريب». أخذ السيِّتون شربةً أخرى، ثم سأل: «وأين كنت أنت أيُّها السيِّر؟».

أجاب دنك: «في (دورن)».

- «الشُّكر للأُم على رحمتها إذا». لم يصل الوباء الرِّيعي العظيم إلى (دورن) إطلاقًا، ربَّما لأن الدورنِيِّين أغلقوا حدودهم وموانئهم مثلما فعل آل آرن سادة (الوادي) الذين تجنَّبوا المرض أيضًا. «كلُّ هذا الكلام عن الموت كفيْل بتغيير المرء من النُّبذ، لكن البهجة عزيزة المنال في الأوقات التي نحيّاها. الجفاف مستمرٌّ على الرغم من صلواتنا. (غابة الملوك) غلبت صوفان ضخمة، والحرائق مضطربة هناك ليل نهار. الفولاذ الأليم وأبناء ديمون بلا كفاير يُدبِّرون المؤامرات في (تايروش)، وكراكن داجون جرابجوي يجوبون (بحر الغروب) كالذِّئاب، متوغِّلين جنوبًا حتى (الكرمة) في غاراتهم. يُقال إنهم نهبوا نصف ثروة (الجزيرة القصية)، ومئة امرأة أيضًا. اللورد فارمان يُرمم دفاعاته، ولو أنَّ ذلك يبدو لي شبيهاً بالرَّجل الذي يُكبِّل ابنته الجبلى بحزام عَفَّة في حين أنَّ بطنها كبيرٌ كبطني. اللورد براكن يُحتَضِر بِبطء على

ضفاف (الثالث)، وابنه الأكبر قضى في الرَّبيع. معنى ذلك حتمية أن يخلفه السير أوثو. آل بلاكوود لن يهضموا أن يُجاورهم غاشم براكن أبداً. سيعني ذلك الحرب».

يعرف دنك بالعداوة العتيقة بين عائلتي بلاكوود وبراكين. «ألن يفرض عليهم سيدهم الأعلى السلام؟».



قال السيتون سفتون:

«للأسف، اللورد تلي غلام

في العاشرة مُحاط بالنساء.

(ريقرن) ستفعل قليلاً، والملك إيرس

سيفعل أقل. ما لم يكتب ميستر ما كتاباً عنها فقد تفوت المسألة كلها ملاحظته الملكية. ليس وارداً أن يسمح اللورد ريفرز لأي براكن بالدخول لرؤيته. أرجو أن تتذكر أن يدنا وُلد نصف

بلاكوود. إذا تصرف على الإطلاق فلن يحدث ذلك إلا لمعاونة أولاد خزولته على تضيق الخناق على الغاشم. الأم وضعت على اللورد ريفرز علامة يوم مولده، والفولاذ الأليم وضع عليه علامة أخرى في (حقل العشب الأحمر).

يعرف دنك أنه يقصد غداف الدم. بريندن ريفرز اسم يد الملك الحقيقي، الذي كانت أمه من آل بلاكوود وأبوه الملك إيجون الرابع.

شرب الرجل البدين نبذه واستمر في الثرثرة: «أما إيرس فجلالته يوالي أكثر بالمخطوطات القديمة والنُبوءات المغبرة ممّا يوالي باللوردات والقوانين. إنه يأبى مجرد أن يُحرّك لنفسه لينجب وريثًا. الملكة إيلنور تُصلي يوميًا في (السبت الكبير)، تتضرّع إلى الأم في الأعالي لتباركها بطفل، لكنها باقية عذراء. لايرس مسكنه الخاص، ويُقال إنه يؤثر أن يأخذ إلى الفراش كتابًا على أي امرأة»، وملاكويه ثانية متابعًا: «ثق بأن اللورد ريفرز هو الذي يحكمنا بتعاويذه وجواسيسه. لا يوجد من يعارضه. الأمير ميكا ريقع واجمًا في (بهو الصيف)، مستغرقًا في التفكير في ضيم أخيه الملوكي. الأمير ريجل خنوع بقدر ما هو مجنون، وأطفاله... أطفال. أصدقاء اللورد ريفرز ومفضلوه يشغلون كل وظيفة، ولوردات المجلس الصغير يلعبون يده، وهذا الميستر الأكبر الجديد منغمس مثله في الشعوذة. (القلعة الحمراء) حاميتها من أسنان الغداف، ولا أحد يرى الملك دون إذن».

اعتدل دنك باضطراب في جلسته. كم عينًا للورد غداف الدم؟ ألف عين وعين. أمل أن يد الملك لا يملك ألف أذن

وأذن أيضًا، فلبعض ما قاله السِّيتُون سِفْتُون وقع الخيانة. ألقى
بنظرة عابرة على إيج ليري كيف يستقبل كل هذا، ورأى الغلام
يُكافح بكامل قوّته ليُمسك لسانه.

دفع السِّيتُون نفسه إلى النُّهوض قائلاً: «أختي الصِّهرة ستأخّر
قليلاً. مثل كل اللّيديّات العظيمات، ستجد أنّ أوّل عشرة فساتين
تُجربها لا تُوائِم مزاجها. مزيدٌ من النّبيذ؟»، ودون أن ينتظر جواباً
أعاد ملء كلا الكوبنين.

قال دنك تائناً إلى الكلام في موضوعٍ آخر: «اللّيدي التي
خاطبتها بالخطأ، أهي أختك؟».

أجاب السِّيتُون: «إننا جميعاً أطفال السَّبعة أيُّها السيّر، ولكن
بعيداً عن ذلك... ويحي، لا! اللّيدي هليست أخت السيّر رُولاند
أوفرنيج، زوج اللّيدي رُوهان الرّابع الذي مات في الرّبيع. أخي كان
سلفه، السيّر سيمون ستاونتن الذي مُني بسوء حظٍّ عظيم واختنقَ
بعظمة دجاجة. (الخندق البارد) تعجُّ بالأشباح، ولا بُدّ من قول
هذا. الأزواج يموتون، لكن أقرباءهم باقون ليشربوا خمور سيّدتي
ويأكلوا حلوياتها كوبال من الجراد الوردِي السّمين المخلوق من
الحريّر والمخمل»، ومسحّ فمه مضيئاً: «وعلى الرغم من ذلك
يجب أن تتزوَّج ثانية، وقريباً».

ردّد دنك: «يجب؟».

- «وصيّة السيّد والدها تتطلّب هذا. اللورد وايمان أرادَ أحفاداً
يُحافظون على نسله. عندما مرضَ حاولَ تزويجها بالإنش الطويل
ليموت عالمًا أنّ معها رجلاً قويّاً يحميها، لكن رُوهان رفضته.
هكذا انتقمَ حضرة اللورد في وصيّته. إذا ظلّت عزباء حتى ذكرى

وفاة أبيها الثانية فستؤول (الخدق البارد) وأراضيها إلى ابن عمومته وندل. ربّما لمحتة في السّاحة. رجلٌ قصير في عُنفه دُراق، من عادته المستمرّة إطلاق الرّيح، ولو أنها حقارة مني أن أقول هذا، فأنا عن نفسي ملعونٌ بريح مفرطة. أيّا كان. السير وندل طمّاع وغبي، لكن السيّدة زوجته أخت اللورد رُوان... وخصيبة إلى درجة فظيعة، لا يُمكن إنكار ذلك. إنها تلد بقدر ما يضطر. أبناؤهما يُماثلونه سوءًا، وبناتهما أسوأ، وكلّهم بدأ يعدّ الأيّام. اللورد رُوان أقرّ الوصيّة، أي إنّ لدى حضرة الليدي وقتًا حتى القمر الجديد المقبل فقط».

تساءلَ دنك بصوتٍ عالٍ: «لماذا طالَ انتظارها هذا الوقت كلّهُ؟».

هزّ السيّتون كتفيه، وقال: «الحقُّ يُقال إنّ في الخطّاب سُحّا. أختي الصّهرة ليست ديمعة المُحيّا كما لاحظت، والقلعة القويّة والأراضي الفسيحة تُضيف إلى مفاتها. كنت لتحسب أنّ الأبناء الأصغر والفرسان عديمي الأراضي سيحتشدون حولها كالذباب، وكنت لتُخطئ. الأزواج الموتى الأربعة جعلوهم حذرين، ويوجد من سيقولون إنها عاقرٌ أيضًا... ولكن ليس على مسمع منها أبدًا ما لم يكونوا مشتاقين إلى رؤية قفص غريبان من الدّاخل. لقد حملتَ طفلين حتى الوضع، ولدًا وبتًا، غير أنّ أحدهما لم يعش ليشهد يوم ميلاد. القلائل الذين لا يُنْفِهم الكلام عن التّسميم والشّعوذة لا يُريدون التّعامل مع الإنش الطويل. اللورد وايمان كلّفه على فراش الموت بحماية ابنته من الخطّاب غير اللّائقين، وهو ما عدّه الإنش الطويل جميع الخطّاب. على أيّ رجل يُريد أن يحظى بيدها أن يُواجه سيفه أولًا». أنهى السيّتون نيّذه ووضع

الكوب جانبًا قائلاً: «لا يعني ذلك أن أحداً لم يتقدم. كليتن كازول وسيمون لا يجود أشدهم إصراراً، مع أنهما يبدوان أكثر اهتماماً بأراضيها من شخصها. لو أنني أنزع إلى الرهان لراهننت بذهبي على جيرولد لانستر. ما زال لم يظهر بنفسه بعد، لكنهم يقولون إنه ذهبي الشعر وسريع البديهة، ويبلغ أكثر من ستة أقدام طولاً...».

- «... والليدي وير مفتونة برسائله». وقفت الليدي المعنئة في المدخل بجوار ميستر شاب قبيح له أنف ضخمة معقوف. «لخسرت رهانك يا أخي الصّهر. جيرولد لن يتخلّى طواعية أبداً عن مسرات (لانسپورت) وأبهة (كاسترلي رُك) في سبيل لورديّة صغيرة. إنّ نفوذه بصفته شقيق اللورد تايبولت ومستشاره أشدّ ممّا يُمكن أن يأمل وهو زوجي. والآخرون، على السير سيمون أن يبيع نصف أرضي لئسّد دينه، والسير كليتن يرتعش كورقة شجر متى تعطف الإنش الطويل ونظر في اتجاهه. ثم إنه أجمل مني. وأنت أيّها السيّتون صاحب أكبر فم في (وستروس)».

دونما ذرّة خجل قال السيّتون سفتون: «البطن الكبير يتطلّب فمًا كبيرًا وإلا فسرعان ما سيصغر».

سألها إيج مندهشاً: «أأنتِ الأرملة الحمراء حقاً؟ إنني أناهزك طولاً!».

- «صبيّ آخر أبدى الملاحظة نفسها قبل أقل من نصف عام، فأرسلته إلى المخلعة لتجعله أطول». حين استوت الليدي روهان على المقعد العالي فوق المنصة، سحبت من فوق كتفها ضفيرتها الطويلة إلى حدّ أن طرفها استقرّ في حجرها ملتفاً كهرة نائمة.

«سير دنكن، لم ينبغ أن أعابثك في السّاحة وأنت تحاول بجهدٍ أن تتكلّم بدماثة. المشكلة أنّ وجهك تورّد بحُمْرةٍ شديدة... ألم تُوجد فتاةٌ تُعابثك في القرية التي نَموت فيها إلى هذا الطّول؟».

- «القرية هي (كينجز لاندنج)». لم يذكّر (سفع البراغيث).
«كانت فيها فتيات، ولكن...». نوع المعاينة الشائع في (سفع البراغيث) يتضمّن أحيانًا بتر إصبعٍ من القدم.

ملّست الليدي روهان على ضفيرتها قائلة: «أتوقّع أنهن خشين معايتك. لا شكّ أنّ حجمك أرهبن. لا تُسئ الظن بالليدي هليست، أناشدك. أختي الصّهرة مخلوقةٌ بسيطة، لكنها خالية من الأذيّة. على الرغم من ورعها لا تستطيع إلباس نفسها دون سيّتواتها».

- «إنها لم تفعل شيئًا. الغلطة غلطتي».

- «تكذب بمنتهى الشّهامة. أعرفُ أنه السير لوكس. إنه رجلٌ قاسي المزاج، وأنت أسأت إليه بمجرد النّظر».
قال دنك حائرًا:

«كيف؟ أنا لم أؤذِه قطّ». ابتسمت

ابتسامة جعلته يتمنّى لو أنها أقلّ جمالًا،

وقالت: «لقد رأيتك واقفًا معه. إنك

تفوقه طولًا بمقدار يدٍ أو نحوها.

مرّ وقتٌ طويل منذ قابل السير لوكس

أحدًا لا يُمكنه أن ينظر إليه من أعلى. كم سنك أيّها السير؟».





- «قُرابة العشرين، بعد إذن سَيِّتي». راقَ دنك رنين كلمة «عشرين»، مع أنه أصغر غالبًا بعام، وريِّما باثنتين. لا أحد يعلم يقينًا، بالذَّات هو. لا بُدَّ أنه وُلِدَ لأم وأب ككلِّ أحدٍ آخر، إلا أنه لم يعرفهما مطلقًا، ولا عرفَ اسميهما حتَّى، ولا أحد في (سفح البراغيث) همَّه كثيرًا متى وُلِدَ أو لَمَن.

- «أنت قويٌّ كما تبدو؟».



- «إلى أيِّ حدٍ أبدو قويًّا يا سَيِّتي؟».

- «أوه، إلى حدِّ مضايقة السير لوكس. إنه أمين قلعتي، ولكن ليس باختياري. مثل (الخندق البارد)، هو إرث من أبي. هل نلت الفروسيَّة في ميدان معركةٍ أيُّها السير دنكن؟ كلامك يُوحى بأنك لست وليد دماءٍ نبيلة، إذا سامحتني على قولِي هذا».

- «إنني وليد دماء الحوارِي». «فارسٌ جوَّال اسمه السير آرلان

ابن (شجرة البنسات) أخذني لأعمل عنده مُرافقًا وأنا بعدُ صبيٌّ صغير. لقد علّمني الشّهامة وفنون الحرب».

- «وهذا السير آرلان ذاته هو الذي أسبغَ عليك الفروسيّة؟».

جرجرَ دنك قدميه، فرأى رباط إحدى فردتيّ حذائه شبه محلول. «لم يكن أحدٌ آخر سيفعلها».

- «أين السير آرلان الآن؟».

- «ماتَ». رفعَ دنك عينيه. يُمكنه أن يربط حذاءه فيما بعدُ. «دفنته على جنبٍ تلّ».

- «هل سقطَ بجسارَةٍ في معركة؟».

- «بسببِ أمطار. أصابه برد».

- «المسنّون واهنون، أعرفُ. تعلّمتُ هذا من زوجي الثّاني. كنتُ في الثّالثة عشرة حين تزوّجنا. كان سيبلُغ الخامسة والخمسين في يوم ميلاده الثّالي لو عاشَ ليشهده. بعدما قضى نصف عام تحت الأرض أنجبتُ له ابنًا صغيرًا، لكن الغريب أتاه أيضًا. السّبتونات قالوا إنّ أباه أرادَه إلى جواره. ما رأيك أيّها السير؟».

أجابَ دنك بتردّد: «جائز يا ستي».

قالت: «هُراء. الصّبي وُلِدَ في غاية الضّعف. شيء ضئيل جدًّا. بالكاد تمتّع بالقوّة ليرضع. ولو. الآلهة أعطت أباه خمسًا وخمسين سنةً. لرُبّما حسبتها ستمنح الابن أكثر من ثلاثة أيّام».

- «لرُبّما». يعرف دنك قليلًا فأقل عن الآلهة. أحيانًا يذهب إلى السّبت ويدعو المُحارب أن يهب لذرّاعه القوّة، لكنه يدع

السَّبعة وشأنهم فيما عدا ذلك.

قالت: «يُؤسِّفني أنَّ سيِّدك السير آرلان مات، ويؤسِّفني أكثر أنك دخلت الخدمة عند السير يوستس. ليس كل المسنين سواءً أيُّها السير دنكن. خيرٌ لك أن ترجع إلى دارك في (شجرة البنسات)».

- «ليس لي دار إلَّا حيثُ أتعهَّد بسيفي». لم يرَ دنك (شجرة البنسات) قط، بل ويجهل هل هي في (المرعى).

- «تعهَّد به هنا إذا. إننا في أوقات قلق، وأنا محتاجةٌ إلى فُرسان. يبدو أنَّ لك شهيةً مفتوحةً أيُّها السير دنكن. كم دجاجةٌ يُمكنك أن تأكل؟ في (الخدق البارد) لك كلُّ ما يُشبعك من اللحم الوردي الدافئ وكعك الفواكه الحلو. مُرافقك أيضًا يبدو في حاجةٍ إلى تغذية. إنه مهزول إلى درجة أن شعره كلُّه سقط. سنجعله يُشارك صبيَّةً آخريْن في سنِّه حُجيرة، سيُعبِّه ذلك. يستطيع قِيَم سلاحِي أن يُدْرِبه على فنون الحرب جميعًا».

ردَّ دنك بلهجةٍ دفاعيَّة: «أنا أدريه».

- «ومَن أيضًا؟ ينس؟ العجوز أوزجري؟ الدَّجاج؟».

في بعض الأيَّام يأمر دنك إج بمطاردة الدَّجاج. لأن هذا يُساعد على جعله أسرع. هكذا فكر، وإن علم أنها ستضحك إذا أخبرها. إنها تُسبِّتُه بأنفها الأفتس ونمشها، واضطرَّ إلى تذكير نفسه بسبب بعث السير يوستس به إلى هنا «سيفي معهود لسَيِّدي أوزجري يا سَيِّتي، وهكذا الأمر».

- «ليكن أيُّها السير. لتكلِّم في أمورٍ أقلُّ لُطفًا»، وشدَّت

الليدي روهان ضفירתها قائلَةً: «نحن لا نسمح بالهجوم على (الخندق البارد) وأهلها، فأخبرني إذا لم لا يجدر بي أن أخيط عليك جوالاً».

ذكرها: «لقد جئتُ لأتفاوض، كما أنني شريتُ نبيذك». ما زالَ المذاق في فمه، مذاقٌ غنيٌّ وحلو. حتى الآن لم يُسمِّمه النبيذ، ولعلَّ النبيذ هو ما مدَّه بالجرأة. «وليس لديكِ جوالٌ يسعني».

أراحه أن دُعاة إاج دفعَتهَا إلى الابتسام. «لكن عندي أجولةٌ عدَّةٌ تسعُ بنس. الميستر كرك يقول إنَّ وجهه وولمر شقٌّ حتى العظم تقريباً».

- «السير بنس انفعَلْ على الرَّجل يا ستي. السير يوستس أرسلني إلى هنا لأدفع كفارة الدَّم».

ضحكت قائلَةً: «كفارة الدَّم؟ إنه عجوز، أعرف، لكني لم أدرك أنه طاعن في السِّن إلى ذلك الحدِّ. أيحسب أننا نحيا في عصر الأبطال، لمَّا لم يُحسب أن نفس الإنسان تسوى أكثر من جوالٍ من الفضة؟».

ذكرها دنك: «الحفار لم يُقتل يا ستي. لم يُقتل أحدٌ حسبما رأيتُ. وجهه جرحٌ ليس إلا».

تراقصت أصابعها بتراخ على ضفירתها، وسألته: «كم يحسب السير يوستس أن وجنة وولمر تسوى يا تُرى؟».

- «أَيُّلاً فضيًّا واحدًا، وثلاثة لك يا ستي».

- «السير يوستس يُثمِّن شرفي كما البُخلاء، ولو أن ثلاثة أيائل

فَضِيَّةُ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِ دَجَاجَاتٍ، أَقْرَبُ بِهَذَا. أَفْضَلُ لَهُ أَنْ يُسَلِّمَ
إِلَيَّ بِنَسٍ لَكِي يُؤَدِّبَ».

- «هل سيتضمَّن ذلك الجوال الذي ذكرته؟».

قالت: «مَحْتَمَلٌ»، وَلَقَّتْ ضَفِيرَتَهَا حَوْلَ يَدِهَا مَرْدِفَةً:
«فليحتفظ أَوْزَجْرِي بِفَضَّتِهِ. الدَّمُ وَحْدَهُ ثَمَنُ الدَّمِ».

- «طَيِّبٌ، قَدْ يَصُحُّ مَا تَقُولِينَهُ يَا سَتِّي، وَلَكِنْ لِمَ لَا تَسْتَدْعِينَ
ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي جَرَحَهُ بِنَسٍ وَتَسْأَلِينَهُ هَلْ يُفَضِّلُ أَيْلًا فَضِيًّا أَمْ
بِنَسٍ فِي جِوَالٍ؟».

- «أُوهِ، سَيَخْتَارُ الْفَضَّةُ إِذَا لَمْ يُمْكِنَهُ أَنْ

يُنَالَ هَذَا وَذَاكَ. لَا أَشْكُ فِي ذَلِكَ أَيُّهَا

السَّيْرُ. الْخِيَارُ لَيْسَ لَهُ. الْمَسْأَلَةُ الْآنَ مَسْأَلَةُ

الْأَسَدِ وَالْعَنْكَبُ، لَا وَجَنَةَ فَلَاحٍ

مَا. بِنَسٍ مَنْ أُرِيدُ،

وَعَلَى بِنَسٍ سَأَحْصِلُ. لَا أَحَدٌ

يَطْأُ أَرَاضِيَّ وَيُؤْذِي وَاحِدًا

مِنْ قَوْمِي وَيَهْرُبُ ضَاحِكًا

لِمَا فَعَلَهُ».



- «حَضْرَةُ اللَّيْدِي وَطَأَتْ أَرْضَ (سَتَانْدَفَاسْت) وَأَذَتْ وَاحِدًا مِنْ

قَوْمِ السَّيْرِ يَوْسْتَسَ». قَالَهَا دَنْكَ قَبْلَ أَنْ يَتَوَقَّفَ لِيُفَكِّرَ فِي قَوْلِهِ.

- «حَقًّا؟». مَجْدَّدًا شَدَّتْ ضَفِيرَتَهَا، وَقَالَتْ: «لَوْ أَنَّكَ تَعْنِي

سارق الخراف فالرَّجل كان سيئ السمعة. لقد شكوت إلى أوزجري مرتين ولم يفعل شيئاً. أنا لا أطلب شيئاً ثلاثاً. قانون الملك يمنحني سلطة الحفرة والمشقة».^{١٣} إيج هو الذي ردَّ عليها، فقال الغلام بإصرار: «على الأراضي التي تملكينها. قانون الملك يمنح اللوردات سلطة الحفرة والمشقة على الأراضي التي يملكونها».

قالت: «صبيّ ذكي. ما دُمت تعرف هذا القدر فموكّد أنك تعرف أيضاً أنّ الفرسان مُلاك الأراضي لا يتمتّعون بحق العقاب دون إذن سادتهم الأعلى. السير يوستس يتولّى (ستاندفاست) من اللورد رُوان. ينس انتَهك سلام الملك حين أراق الدّم، ويجب أن يتحمّل العاقبة»، ورمقت ذنك مُتبعَةً: «إذا سلّم السير يوستس ينس لي فأشقُّ أنفه وينتهي الأمر. إذا اضطررتُ إلى المجيء لأخذه فلا أقدمُ وعوداً».

انتاب ذنك شعورٌ مباغت بالغثيان في فم معدته إذ قال: «سأخبره، لكنه لن يُسلّم السير ينس»، وتردّد قبل أن يُواصل: «السّد سببُ المتاعب كلّها. إذا وافقتِ حضرة الليدي على هدمه...».

أعلن الميستر الشاب الواقف بجوار الليدي رُوهان: «مستحيل. (الخندق البارد) تكفل عشرين ضعف عدد العائمة الذين تكفلهم (ستاندفاست). إنّ عند حضرة الليدي حقول قمح وذرة وشعير، جميعها يموت من الجفاف، وعندها نصف دسّة من البساتين،

١٣ - حقّ الحفرة والمشقة: قانون يسمح للوردات الإقطاعيّين بتوقيع العقوبة القصوى على رعاياهم، سنّه في عالم الواقع مالكم الثّالث ملك سكوتلندا، ونصّ على إعدام النّساء بالإغراق في حفرة والزّجّال شتفاً. (المترجم).

تَفَاح ومشمش وثلاثة أنواع من الكمثرى، وعندها بقرات على
وشك وضع عجولها، وخمسمئة رأس من الخراف سوداء الأنوف،
وتستولد أجود خيول في (المرعى). إنَّ عندنا دسَّة من الأفراس
على وشك وضع مهورها».

قال دنك: «السير يوستس أيضًا عنده خراف، وعنده شَمَام في
الحقول، وفاصوليا وشعير و...».

رفع إج عقيرته قائلاً: «إنكم تأخذون الماء من أجل الخندق!».
فكر دنك: كنت سأطرقُ إلى الخندق.

ردَّ الميستر بتصميم: «الخندق ضروريٌّ لدفاعات (الخندق
البارد). أقترح أن تترك الليدي روهان نفسها عُرضَةً للهجوم في
أوقاتنا المضطربة هذه؟».

بسط قال دنك: «الخندق الجاف ما زالَ خندقًا، وعند ستي
أسوارٌ قويَّة، ووفرةٌ من الرِّجال ليدافعوا عنها».

قالت الليدي روهان: «سير دنكن، لقد كنتُ في العاشرة
عندما انتفضَ الثَّين الأسود. توسَّلتُ إلى أبي ألا يضع نفسه
في الخطر، أو على الأقل يترك زوجي. من سيحميني إذا غابَ
رجلاي كلاهما؟ هكذا أخذني فوق الأسوار وأشارَ إلى نقاط قوَّة
(الخندق البارد) قائلاً لي: حافِظي على قوَّتِها وستحافظ على
أمنكِ. إذا حرصتِ على دفاعاتكِ فلن يستطيع أحدٌ أن يؤذيكِ.
أول شيءٍ أشارَ إليه هو الخندق»، وداعبت وجنتها بذيل صغيرتها
مواصلةً: «زوجي الأوَّل مات في (حقل العُشب الأحمر). وجدَّ
لي أبي آخرين، لكن الغريب أخذهم أيضًا. إنني لم أعد أثقُ

بالرّجال مهما بدّت وفرتهم، بل أثقّ بالحجارة والفولاذ والمياه،
أثقّ بالخنادق أيّها السيّر، وخندقي لن يجفّ أبدًا».

قال دنك: «ما قاله أبوك لا بأس به، لكنه لا يُعطيك حقّ أخذ
ماء أوزجري».

شدّت ضفيريها قائلة: «أفترض أنّ السيّر يوستس قال لك إنّ
الجدول جدول».

- «منذ ألف عام. إنّ اسمه (ماء المربّعات). الأمر واضح».

- «واضح فعلاً». عادت تشدّ ضفيريها، مرّة، مرّتين، ثلاثاً.
«مثلما يُسمّى النّهر (الماندر) رغم أنّ آل ماندري طردوا من
ضفاه منذ ألف عام. (هايجاردن) ما زالت (هايجاردن) رغم
أنّ آخر آل جاردنر مات في (حقل النّيران). (كاسترلي زك) تعجّ
بالّ لانستر رغم خلوّ المكان تمامًا من آل كاسترلي. العالم يتغيّر
أيّها السيّر. (ماء المربّعات) هذا ينبع في (تلال الحدود) التي
وجدتني أملكها بالكامل حين نظرت آخر مرّة. الماء ملكي
أيضًا، ميستر كرك، أراه».

نزل الميستر من فوق المنصّة. لا يُمكن أنه يكبر دنك كثيرًا،
وإن أضفى عليه مسحه الرّمادي وطوقه السّلسلة سمّا من الحكمة
الجهيمة يُخبّي سنيه الحقيقيّة. في يد الرّجل رقّ، وفيما بسطه
قال: «انظر بنفسك أيّها السيّر»، وقدّمه لدنك.

- دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة. مرّة أخرى شعر
بوجنتيه تحتقنان. بحذر تناول الرّق من الميستر ونظر إلى
المكتوب عابسًا. ولا كلمة مفهومة، لكنه يعرف الختم الشّمعي

تحت التوقيع المنمَّق، تَتَيْن عائلة تارجارين ثلاثي الرؤوس. ختم الملك. إنه يَنْظُر إلى

مرسوم ملكي من نوع
ما. حرَّك رأسه من

جانبٍ إلى جانبٍ
ليحسبوا أنه يقرأ،

وبعد لحظةٍ غمغم:

«ثُمَّ كلمة هنا لا

أستطيعُ تمييزها. إج،

تعالِ وألقِ نظرةً. إنَّ لك عينيْن أحدَ».

اندفع الغُلام إلى جانبه سائلاً: «أيُّ كلمةٍ أُنْهيا السير؟»، فأشار
دنك. «هذه؟ أوه». قرأ إج بسرعة، ثم رفع عينيه إلى دنك وأوماً
إيماءةً خفيفةً.

- إنه جدولها. معها ورقة. شعرَ دنك كأنما لِكَم في معدته.
ختم الملك شخصيًّا. «هذا... لا بُدَّ أن في الأمر خطأ ما. لقد
ماتَ أبناءُ الشَّيخ في خدمة الملك. لماذا يسلبه صاحب الجلالة
جدوله؟».

- «لو كان الملك دِيرُون رجلاً أَقلَّ تسامُحًا لفقدَ رأسه أيضًا».

لمُدَّة نصف نبضة قلبٍ غمَرَت دنك الحيرة. «ماذا تعنين؟».

أجابَه الميستر كِرِك: «تعني أنَّ السير يوستس أوزجري متمرِّد

وخائن».

قالت الليدي روهان: «السير يوستس اختار التين الأسود فوق الأحمر على أمل أن يُعيد ملك من آل بلاكفاير الأراضي والقلاع التي خسرها آل أوزجري تحت حكم آل تارجارين. على الأخص أراد (الخندق البارد). أبناءه دفعوا ثمن خيانتهم بدمائهم. عندما عاد إلى الديار برفاتهم وسلم ابنته رهينة إلى رجال الملك، ألقت زوجته بنفسها من فوق قمة برج (ستاندفاست). هل حكى لك السير يوستس ذلك؟»، وارتسمت على شفتيها ابتسامة حزينة وهي تُضيف: «لا، لم أحسب أنه فعل».

- «التين الأسود». أعهدت خائناً سيفك أيها الأنوك. أكلت عيش خائناً ونمت تحت سقف متمرّد. باحثاً عن ردّ قال دنك: «ستيّ، التين الأسود... كل ذلك حدث منذ خمسة عشر عاماً. إننا في الحاضر، وفي جذب. حتى إن تمرّد قبلاً فما زال السير يوستس محتاجاً إلى الماء».

نهضت الأرملة الحمراء وسوّت ثورتها قائلة: «خير له إذا أن يُصلي طلباً للمطر».

عندئذٍ تذكر دنك الكلمات التي فارقه بها أوزجري في الخيمة. «ما دُمّت ترفضين منحه حصّة من الماء لأجل خطره فافعليها لأجل ابنه».

- «ابنه؟».

- «أدام. لقد خدم هنا وصيفاً ومرافقاً لأبيك».

كان وجه الليدي روهان حجراً إذ قالت: «ادن»، فلم يدر ما

العمل إلا الطاعة. تُضيف المنصّة قدمًا كاملاً إلى طولها، ومع ذلك شهقَ دنك فوقها. قالت: «اركع»، ففعلَ.

وحملتِ الصّفعة التي نالها منها قوّتها كلّها، وهي أقوى ممّا تبدو. اشتعلَ خدّه، وذاقَ في فمه دمًا من شفةٍ مشقوقة، غير أنها لم تُؤذِه حقًا. للحظةٍ لم يستطعَ دنك إلا التّفكير في الإمساك بها من تلك الضّفيرة الحمراء الطويلة وشدّها إلى حجره ليصفعها على مؤخّرتها كما يفعلون مع الأطفال المدلّين. ولكن إذا فعلتَ ذلك فستصرّخ، ويقتحم عشرون فارسًا الغرفة ليقتلونني.

قالت وقد اتّسعت طاقتا أنفها: «أتجرؤ على مناشدتي باسم أدام؟! أقصّ نفسك من (الخندق البارد) أيّها السير، فورًا». - «لم أقصد...».



- «ارحل وإلّا وجدتُ جوالاً يسعك ولو اضطررتُ إلى تفصيله بنفسي. قُل للسَّير يوستس أن يجلب إليَّ بِنس صاحب الثُّرس البَنّي غداً وإلّا أتيتُ لأجله بنفسي بالنَّار والسَّيف. هل تفهمني؟ بالنَّار والسَّيف!«.

أَمَسَكَ السَّيْتُون سِفْتُون ذراع دنك وسحبهُ مسرعاً من العُرفة، وتبعهُما إِج من كُتب. همسَ السَّيْتُون البدين وهو يقودهُما إلى السَّلام: «تصرَّف منافعٍ تاماً للحكمة أيُّها السَّير، منافعٍ تاماً للحكمة. أن تأتي على ذِكر أدام أوزجري...».

- «السَّير يوستس قال لي إنها شغفت بالولد».

رَدَّد السَّيْتُون: «شغفت؟»، ونفخَ بقوةٍ مُردِّفاً: «لقد أُحبَّت الولد، وهو أُحبُّها. لم يعدُ الأمرُ قبلةً أو اثنتين، ولكن... أدام هو من بكته بعد (حقل العُشب الأحمر)، لا الزَّوج الذي عرفته بالكاد. إنها تلوم السَّير يوستس على موته، ولها حقُّ الولد كان في الثَّانية عشرة».

يعرف دنك معني أن يحمل المرء جرحاً. متى ذكَّر أحدهم (مرج آشفرد) ففكر في الرِّجال الصَّالحين الثلاثة الذين ماتوا لإنقاذ قدمه، والذِّكرى لا تخيب أبداً في إيلامه. «قُل لستِي إنني لم أرغب قطُّ في إيلامها. استمِحها العُذر».

قال السَّيْتُون سِفْتُون: «سأفعلُ كلَّ ما بوسعي أيُّها السَّير، ولكن أخبر السَّير يوستس أن يجلب إليها بِنس، وبسرعة، وإلّا فسيتحمَّل ما لا طاقة له به، ما لا طاقة له به إطلاقاً».

فقط حين اختفت أسوار (الخدق البارد) وأبراجها وراءهما في الغرب، التفت دنك إلى إيج سائلاً: «ما الكلام المكتوب على تلك الورقة؟».

- «إنها منحة حقوق أيها السير، للورد وايمان وبَر من الملك. لقاء خدمته المخلصة في التمرّد السّابق، مُنح اللورد وايمان وذُرّيته جميع الحقوق في (ماء المربّعات)، من حيث يَبُوع في (تلال الحدود) إلى ضفاف (البُحيرة المورقة). تقول الورقة أيضاً إنَّ اللورد وايمان وذُرّيته لهم الحقُّ في صيد الغزلان الحمراء والخنازير البريّة والأرانب في (خميلة وات) متى طابَ لهم ذلك، وأن يقطعوا عشرين شجرةً من الخميّلة كلّ عام»، وتحنّخ الغلام متابعاً: «لكن المنحة كانت مؤقتة. الورقة تقول إنه إذا توفّي السير يوستس دون وريثٍ ذكر من صُلبه فستؤول (ستاندفاست) إلى التّاج وتنتهي امتيازات اللورد وبَر».

- كانوا مُشيرِي (التّخم الشّمالي) طيلة ألف عام. «كلُّ ما ترّكوه للعجوز بُرج ليموت فيه».

قال إيج: «ورأسه. صاحب الجلالة ترك له رأسه أيضاً أيّها السير، على الرغم من تمرّده».

أعطى دنك الغلام نظرةً، وسأله: «أكنت لتقطع أنت رأسه؟».

اضطرَّ إيج إلى التّفكير في الإجابة قبل أن يقول: «أحياناً في البلاط خدمتُ مجلس الملك الصّغير. اعتادوا الشّجار بشأن هذه المسألة. عمّي بيلور قال إنَّ الحِلْم هو الأفضل عند التّعامل مع خصم شريف. إذا اعتقدَ رجلٌ مهزوم أنه سينال عفواً فقد يتخلّى عن سَيْفه ويركع، أمّا خلافاً لذلك فسيواصل القتال حتى الموت

وَيَقْتُلُ مَزِيدًا مِنَ الْأَوْفِيَاءِ وَالْأَبْرِيَاءِ. لَكِنَّ اللَّوْرِدَ عُذَافَ الدَّمِّ قَالَ إِنَّهُ حِينَ يَعْفُو الْمَرْءَ عَنِ الْمَتَمَرِّدِينَ فَإِنَّهُ يَزْرَعُ بِذَوْرِ التَّمَرِّدِ الثَّالِي لَيْسَ إِلَّا». تَشَبَّعَتْ نَبْرَةُ الْغُلَامِ بِالشُّكُوكِ وَهُوَ يُرَدِّفُ: «لِمَاذَا يَنْتَفِضُ السَّيْرُ يَوْسْتَسَ ضِدَّ الْمَلِكِ دِيرُونَ؟ لَقَدْ كَانَ مَلِكًا صَالِحًا، هَكَذَا يَقُولُ الْجَمِيعُ. لَقَدْ ضَمَّ (دُورَن) إِلَى الْبِلَادِ وَأَكْسَبَنَا صَدَاقَةَ الدُّورَنِيِّينَ».

- «عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَ السَّيْرَ يَوْسْتَسَ يَا إِج». يَظُنُّ دَنْكَ أَنَّهُ يَعْرِفُ الْإِجَابَةَ، إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ إِجَابَةً يَوْدُ الْغُلَامِ أَنْ يَسْمَعَهَا. أَرَادَ قَلْعَةً بِأَسَدٍ عَلَى مَبْنَى الْبَوَّابَةِ، وَلَمْ يَنْلِ إِلَّا قَبُورًا وَسَطَ التُّوتِ الْأَسْوَدِ. عِنْدَمَا تَتَعَهَّدُ بِسَيْفِكَ لِرَجُلٍ فَإِنَّكَ تَعِدُهُ بِالْخِدْمَةِ وَالطَّاعَةِ، وَأَنْ تُقَاتِلَ لِأَجْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ، لَا أَنْ تَتَطَقَّلَ عَلَى شُؤُونِهِ وَتَرْتَابَ فِي وِلَايَاتِهِ... لَكِنَّ السَّيْرَ يَوْسْتَسَ غَفَّلَهُ. قَالَ إِنَّ أَبْنَاءَهُ مَاتُوا فِي سَبِيلِ الْمَلِكِ وَتَرَكَنِي أَصْدَقُ أَنْ الْجَدُولَ جَدُولَهُ.

جَنَّ عَلَيْهِمَا اللَّيْلُ فِي (خَمِيلَةٍ وَات).

غَلَطَ دَنْكَ هَذِهِ، إِذْ وَجَبَ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ الْعُودَةِ الْمُبَاشِرِ، الطَّرِيقَ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ، لَكِنَّهُ أَخَذَهُمَا بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ شِمَالًا لِيَلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى عَلَى السَّدِّ. رَاوَدَهُ نَصَفُ فِكْرَةٍ أَنْ يُحَاوِلَ تَقْوِيضَهُ بِيَدَيْهِ الْعَارِيَتَيْنِ، غَيْرَ أَنَّ السَّبْعَةَ وَالسَّيْرَ لَوَكَّسَ الْإِنْشَاطَ الطَّوِيلَ لَمْ يَتَلَطَّفُوا بِتَرْكِ الْفُرْصَةِ لَهُ، فَعِنْدَمَا وَصَلَا إِلَى السَّدِّ وَجَدَاهُ تَحْتَ حِرَاسَةِ اثْنَيْنِ مِنَ النَّشَاطِينَ خِيَطَتْ عَلَى جَرَكَيْتَيْهِمَا شَارَةَ الْعَنْكَبِ، وَقَدْ جَلَسَ أَحَدُهُمَا غَامَسًا قَدَمَيْهِ الْحَافِيَتَيْنِ فِي الْمِيَاهِ الْمَسْرُوقَةِ. كَانَ بِإِمْكَانِ دَنْكَ أَنْ يَخْنُقَ الرَّجُلَ بِكُلِّ سُرُورٍ لِأَجْلِ هَذَا فَحَسَبَ، لَكِنَّهُ سَمِعَهُمَا إِذْ اقْتَرَبَا وَأَسْرَعَ يَخْتَطِفُ نَشَاطِيَّتَهُ،

في حين ثَبَّتَ زميله الأسرع سَهْمًا وصَوَّبَهُ، ومن ثَمَّ فأقصى ما استطاعَه دنك أنه عبَسَ في وجهيهما مهْدَدًا.

بعد ذلك لم يَعدَ أمامهما إلَّا أن يَرتدَّا على أعقابهما. لا يعرف دنك هذه الأراضِي كما يعرفها السير بِنس، ومن المهيِّن أن يتوه في غَابَةِ صَغِيرَةٍ كـ(خَمِيلَةٍ وَاتٍ). لدى عبورهما الجدول كانت الشَّمْسُ قد انخَفَضَت في الأفق وبَاكُورَةُ النُّجُوم تَظهر مصحُوبَةً بسَحَابَاتٍ من الهوام. بين الأشجار السُّوداء الطويلة عِشْرَاجٍ على صوته من جديد، فقال: «سير؟ ذلك السِّيتُون البدين قال إنَّ أبي يقبع واجمًا في (بهُو الصَّيْف)».

- «الكلام هواء».

- «أبي لا يجم».

قال دنك: «جائزٌ أنه يجم. أنت تجم».

قَطَّبَ الغُلام وجهه قائلاً: «لستُ أَجمُ أيُّها السير. هل أفعلُ ذلك حقًّا؟».

- «أحيانًا، ليس كثيرًا جدًّا، وإلَّا للطمتك على الأذن مرَّاتٍ أكثر».

- «لقد لطمتني على أذني عند البوابة».

- «نصف لكمةٍ على الأكثر. إذا لطمتك لكمةً كاملةً يومًا فستعرف».

- «الأرملة الحمراء لطمتك أنت لكمةً كاملةً».

مَسَّ دنك شفته المتورِّمة. «لا داعي إلى قولها بكلِّ هذا السُّرور».

لكن أحداً لم يلطم أباك على الأذن قَطُّ. ربّما لهذا السَّبب أصبح الأمير ميکار الأمير ميکار. قال مذكراً إج: «عندما عيّن الملك اللورد عُداف الدّم يده، رفض السيّد والدك أن يكون جزءاً من مجلسه وغادرَ (كينجز لاندنج) إلى مقرّه. إنه في (بهو الصّيف) منذ سنة كاملة ونصف سنةٍ أخرى. ماذا تُسمّي ذلك لو أنه ليس وجوماً؟».

أعلن إج بتعال: «أسميه غيظاً. لقد وجب أن يجعل جلاله الملك أبي يداً. إنه أخوه الشَّقيق، وأرفع قائد عسكري في البلاد منذ موت عمّي بيلور. اللورد عُداف الدّم ليس لورداً بحق أصلاً، بل هي مجرد مجاملة سخيفة. إنه مشعوذ، ووضع المولد علاوةً على ذلك».



- «نغل المولد لا وضيع المولد». قد لا يُعَدُّ غُداًف الدَّم لورداً بحقٍ، لكنه نبيلٌ من كلتا النّاحيتين، فأُمّه كانت واحدةً من عشيقات الملك إيجون غير الجدير العديداً. أصبح نغول إيجون آفة (الممالك السّبع) منذ موت الملك المُسن الذي شرعَهم أجمعين على فراش الموت؛ ليس فقط النُّغول العظام كغُداًف الدَّم والفولاذ الأليم وديمون بلاكفاير الذين كانت أمّهاتهم ليديهات، بل أيضاً النُّغول الأدنى الذين أنجبهم من عاهرات وعاملات حانات وبنات تُجّار ومشخّصات وكلّ فلاحه حسناء تصادف أنها لفتت نظره. «النّار والدّم» كلمات عائلة تارجارين، لكن دنك سمع السير آرلان يقول مرّة إنّ الأحرى بكلمات إيجون أن تكون «اغسلوها واجلبوها إلى فراشي». قال يُذكر إيجون: «الملك إيجون نظّف غُداًف الدَّم من النُّغولة، تماماً كما فعل مع بقيّتهم».

قال الغلام بعناد: «السّبتون الأعلى القديم قال لأبي إنّ قوانين الملك شيء وقوانين الآلهة شيء آخر. الأولاد شرعيّو المولد نتاج فراش الزّوجيّة ويُباركهم الأب والأم، أمّا النُّغول فمولودون من الشّهوة والضعف كما قال. الملك إيجون قضى أنّ نغوله ليسوا نغولاً، إلّا أنه لم يستطع تغيير طبيعتهم. السّبتون الأعلى قال إنّ النُّغول جميعاً مولودون ليخونوا... ديمون بلاكفاير، الفولاذ الأليم، وحتى غُداًف الدّم. قال إنّ اللورد ريفرز تمتّع بدهاءٍ أشد من الاثنين الآخرين، لكنه سيُثبت في النّهاية أنه خائنٌ أيضاً. السّبتون الأعلى نصّح أبي بعدم الثّقة به أبداً، ولا بأيّ من غيره من النُّغول، كبيرهم أو صغيرهم».

فكر دنك: مولودون ليخونوا. مولودون من الشّهوة والضعف.

لا تجب الثقة بهم أبدًا، كبيرهم أو صغيرهم، ثم قال: «إج، ألم تُفكر قط في احتمال أنني نغل؟».

باغت السؤال الغلام. «أنت أيها السير؟ لست كذلك».

- «لعليّ كذلك. إنني لم أعرف أمي أو ما جرى لها قط. ربّما وُلدتُ كبيرًا جدًّا وقتلتها. في الغالب كانت عاهرة أو عاملةً بحانة. المرء لا يجد ليديها بنات أعيان في (سفع البراغيث). ولو تزوّجت أبي... طيّب، ماذا جرى له هو إذا؟». لا يحبُّ دنك أن يُذكر بحياته قبل أن يجده السير آرلان. «كان في (كينجز لاندنج) محل أكل اعتدتُ أن أبيعهُ الجرذان والقِطط والحمام من أجل أوعية البني. لطالما زعمَ الطباخ أن أبي كان لصًّا أو نشالًا، وتعوّد أن يقول لي: رأيته مشنوقًا غالبًا، ولكن ربّما اكتفوا بإرساله إلى (الجدار). وقت عملي مُرافقًا عند السير آرلان سألته أكثر من مرّة هل يُمكننا الذهاب في ذلك الاتّجاه يومًا ما، لنُدخل الخدمة في (وينترفل) أو غيرها من القلاع الشماليّة. لقد تملّكتني هذه الفكرة، أنه إذا استطعتُ بلوغ (الجدار) فحسب فقد أصادفُ رجلًا عجوزًا، رجلًا فارح الطول يُشبّهني. لكننا لم نذهب قط. السير آرلان قال إنه ليس في الشمال أسوجةٌ للفرسان الجوّالة، وإنّ الغابات كلّها مليئة بالذئاب». هزّ دنك رأسه مُردفًا: «الخلاصة أن من تُرافقه غالبًا نغل».

على غير العادة لم يجد إج شيئًا ليقوله. بدأت العتمة تستشري حولهما، وحشرات القناديل تتحرّك بيّطء بين الأشجار، أضواؤها الصّغيرة مثل عديد من النّجوم السّابحة في الهواء. وفي السّماء نجومٌ أيضًا، نجومٌ أغزر ممّا يُمكن لرجل أن يأمل أن يُحصى

أبدًا ولو بلغَ عُمر الملك جهنرس. ما على دنك إلا أن يرفع عينيه
ليجد أصدقاء مألوفين: «الفحل»

و«الخزيرة»، و«تاج الملك»

و«قنديل الملكة»،

و«القادس» و«الشَّبح»

و«عذراء القمر». على أن إلى

الشَّمال سحابًا حجبَ عنه عين

«تَيْنِ الجليد» الزَّرقاء، العين

الزَّرقاء التي تُشير شمالًا.

طلع القمر قبل وصولهما

إلى (ستاندفاست) القائمة

مظلمة عالية فوق قمة تَلْها.

رأى دنك ضوءًا أصفر شاحبًا يتدفق من

نوافذ البُرج العُليا. في معظم اللَّيالي يَخُذ السير يوستس إلى
فراشه ما إن يتعشى، ولكن ليس اللَّيلة على ما يبدو. إنه ينتظرنا.

وينس صاحب الثُّرس البني مستيقظ في انتظارهما أيضًا.
وجداه جالسًا على درجات البُرج، يلوك التَّبغ المُروّش سيفه
الطويل في ضوء القمر، لينتقل صوت الاحتكاك البطيء للحجر
بالفولاذ مسافةً طويلةً. مهما أهمل السير ينس ثيابه ونفسه فإنه
حريصٌ على العناية بأسلحته.





قال ينس: «الأنوك يعود. وأنا الذي كنتُ أسنُ فولاذي لأذهب وأنقذك من تلك الأرملة الحمراء».

- «أين الرجال؟».

- «مَنج ووات المبلول واقفان حراسةً فوق السطح، في حال أتت الأرملة لزيارتنا. الباقون زحفوا إلى الفراش متأوهين. لكم يتوجعون. لقد شغلّتهم بقسوة. أرقّت قليلاً من دم ذلك الأبله الكبير لمجرّد أن أغضبه. إنه يُقاتل أفضل وهو غاضب»، وابتسم ينس ابتسامته البنيّة والحمراء قائلاً: «تُعجّبني شفتك الدّامية. المرّة القادمة إيّاك أن تقلب الصُّخور. ماذا قالت المرأة؟».

- «تنوي الاحتفاظ بالماء. وتريدك أيضًا مقابل جرح ذلك الحفّار عند السّد».

قال بنيس: «كما حسبْتُ»، وبصقٍ متابعًا: «كثيرٌ من العناء من أجل فلاحٍ ما. حريٌّ به أن يشكرني. النساء يُحببن ذوي الندوب».

- «لن تُمانع أن تشقَّ أنفك إذا».

ردَّ الرَّجل: «تبًا لذلك. لو أردتُ أن يُشقَّ أنفي لشققته بنفسِي»، ورفعَ إبهامه بحركةٍ حادةٍ مستطرِّدًا: «ستجد السيرَ متعوس في مسكنه، يجترُّ محزونًا عظمتَه الغابرة».

تكلَّم إج فقال: «لقد قاتلَ في صفِّ التَّينِ الأسود».

كان يُمكن أن يلطم دنك الغلام، لكن الفارس البني اكتفى بالضحك قائلاً: «طبعًا. ما عليك إلا النُّظر إليه. أبدو لك من النوع الذي يختار الطرف الرَّابح؟».

قال دنك: «ليس أكثر ممَّا تختاره أنت، وإلا لما كنت معنا هنا»، والتفتَ إلى إج أمرًا: «اعتنِ بشدر وميستر ثم اصعد لتنضمَّ إلينا».

عندما صعدَ دنك داخلًا من الباب الأفقي، وجدَ الفارس الشَّيخ جالسًا بمعطف النُّوم عند المستوقد مع أنَّ نارًا ليست مشتعلةً، وفي يده كوب أبيه، كوبٌ فضيٌّ ثقيلٌ سُبِكَ لأجل واحدٍ من اللوردات أوزجري قبل الفتح، يُزيِّنه أسدٌ مربَّعاتٍ مصنوعٍ من شذور اليشم والتَّبر، ولو أنَّ بعض اليشم ضاع. لمَّا سمعَ الفارس الشَّيخ خطوات دنك رفعَ ناظره وأرمشَ كرجلٍ يستيقظ من حُلُم. «سيرَ دنكن. لقد عُدت. هل جعلَ منظركَ لو كَس إنشفيدل يتردَّد أيُّها السير؟».

- «ليس حسبما رأيتُ يا سيدي. الأرجح أنه أغاظه». روى ذلك كل شيء بقدر استطاعته، وإن حذفَ جزئيةَ الليدي هليست التي أبدته في غاية الحماسة. كان سيُغفل ذكر اللطمة أيضًا لولا أنَّ شفته المشقوقة تورّمت حتى تضاعف حجمها العادي، ولم يسع السير يوستس إلا أن يلاحظها.

وحين لاحظَ عبسَ قائلاً: «شفتك...».

لمسها ذلك بحذر، وقال: «حضرة الليدي صفعتني».

- «ضربتك؟!». انفتحَ فم الرجل وانغلق. «ضربت مبعوثي الذي أتاها تحت أسد المرَبعات؟ تجرأت ووضعت يديها على شخصك؟».

ردَّ ذلك: «بدأ واحدة فقط أيُّها السير»، وكوّر قبضته مواصلاً: «إنها تُريد السير بنس لا فضتكَ، وترفض هدم السّد. لقد أرّنتي رقاً عليه كتابة، وختم الملك ذاته. يقول إنَّ الجدول جدولها. و...». تردّد قبل أن يتابع: «تقول إنك كنت... إنك...».

- «... انتفضتُ مع التّين الأسود؟». بدا أنَّ السير يوستس غاصَّ في مقعده. «كما خشيتُ. لو أنك ترغب في ترك خدمتي فلن أمنعك»، وحملقَ الفارس الشَّيخ في كويه، وإن لم يدرِ ذلك عمَّ يبحث.

- «قلتَ لي إنَّ أبناءك ماتوا وهم يُقاتلون في سبيل الملك».

- «وهو ما حدث. الملك الشرعي، ديمون بلاكفاير، الملك الذي حملَ السَّيف»، وارتعشَ شارب الشَّيخ إذ واصلَ: «رجال التّين الأحمر يُسمُّون أنفسهم بالموالين، ولكن نحن الذين

اخترنا الأسود لم نقل موالاةً في الماضي. أمّا الآن... الرّجال الذين زحفوا بجواري لإجلال الأمير ديمون على العرش الحديدي تبخّروا كندى الصّباح. ربّما حلمتُ بهم. أو الأرجح أنّ اللورد غُداًف الدّم ورجاله أسنان الغُداًف بثّوا فيهم الخوف. لا يُمكن أنْهم ماتوا جميعاً».

لم يستطع دنك إنكار صحّة قوله. حتى اللّحظة لم يلقَ قطّ رجلاً قاتل في سبيل المدّعي. ولكن لا بُدّ أنّي التقيتُ بعضهم. لقد كانوا ألّوفاً. نصف البلاد أيّد التّنين الأحمر ونصفها أيّد الأسود. «كلا الفريقين قاتل بيسالة حسبما قال السير آرلان دومّا». خطرَ له أنّ الفارس الشّيخ سيُريد أن يسمع هذا.



احتوى السير يوستس كوب نيذه بكلتا يديه، وقال: «لو دعس ديمون جوين كوربراي... لو لم يُقتل كُرة النّار عشية المعركة... لو أعارنا هايتاور وتاربيك وأوكهارت وتّرول كامل قوّتهم بدلاً

من وضعهم قدمًا في كلا المعسكرين... لو أثبتَ مانفرد لوشتن وفاءه بدلًا من خيانتِه... لو لم تُؤخّر العواصف إبحار اللورد براكن بالنشابة المايريين... لو لم يُقبَض على الإصبع السريع ومعه بيض التّانين المسروق... افتراضات كثيرة جدًّا أيُّها السيّر... في حال اختلاف عاقبة أيّ منها لأمكن أن ينقلب كل شيء في الاتّجاه الآخر. حينئذٍ كنا سنُدعى نحن بالموالين ويُذكر التّانين الحُمر باعتبارهم رجالًا قاتلوا للإبقاء على الغاصب ديرون باطل الميلاد فوق عرشه المسروق وفشلوا».

قال دنك: «أيّا ما كان يا سيدي، لكن الأمور مضت كما مضت. كلُّ هذا حدث منذ سنين، وعُفِيَ عنكم».

- «أجل، عُفِيَ عنا. شريطة أن نركع ونُسَلِّمَ رهينةً لضمان ولائنا في المستقبل، سامح ديرون الخونة والمتمردين». تكلم الرّجل بنبرة مريرة. «لقد اشتريتُ رأسي بحياة ابنتي. أليسان كانت في السّابعة حينما أخذوها إلى (كينجز لاندنج)، وفي العشرين حينما ماتت أختًا صامتةً. في مرّةٍ ذهبْتُ إلى (كينجز لاندنج) لأراها، وأُبت أن تُكلِّمني، أنا والدها. رحمة الملك هديّةٌ مسمومة. ديرون تارجارين ترك لي الحياة، لكنه أخذ كبريائي وأحلامي وشرفي». ارتجفت يده، وانسكب النّبيذ أحمر في حجره، لكن الشّيخ لم ينتبه له. «كان يَجْدُر بي أن أذهب مع الفولاذ الأليم إلى المنفى، أو أموت بجوار أبنائي وملكي الجميل. لكنت تلك ميتةً تليق بأسد مربّعاتٍ سليل كثير من اللوردات العزاز والمُحاربين الأشاوس. رحمة ديرون صغرتني».

فكر دنك مدركًا: في قلبه لم يَمُت التّنين الأسود قطّ.

- «سَيِّدِي؟». الصَّوْتُ صَوْتُ إِجْ، إِذْ دَخَلَ الْغُلَامُ وَالسَّيْرُ
يُوسْتَسُ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَوْتِهِ. حَدِّقْ إِلَيْهِ الْفَارِسُ الشَّيْخُ كَأَنَّمَا يَرَاهُ
لِلْمَرَّةِ الْأُولَى، وَقَالَ: «نَعَمْ أَتَيْهَا الصَّبِيُّ؟ مَا الْأَمْرُ؟».

- «بَعْدَ إِذْنِكَ... الْأَرْمَلَةُ الْحَمْرَاءُ قَالَتْ إِنَّكَ تَمَرَّدْتَ لِتَحْصُلَ
عَلَى قَلْعَتِهَا. لَا صَحَّةَ لِقَوْلِهَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

- «الْقَلْعَةُ؟». بَدَأَ الرَّجُلُ مَرْتَبَكًا. «(الْخَنْدُقُ الْبَارِدُ)...
(الْخَنْدُقُ الْبَارِدُ) وَعَدَنِي بِهَا دِيْمُونُ، نَعَمْ، وَلَكِنْ... لَمْ أَفْعَلْهَا
مِنْ أَجْلِ الْمَكْسَبِ، لَا...».

سَأَلَهُ إِجْ: «لِمَاذَا إِذَا؟».

رَدَّدَ السَّيْرُ يُوسْتَسُ عَاقِدًا حَاجِبِيهِ: «لِمَاذَا؟».

- «لِمَاذَا كُنْتَ خَائِنًا مَا دَامَ السَّبَبُ لَيْسَ الْقَلْعَةُ فَقَطْ؟».

نَظَرَ السَّيْرُ يُوسْتَسُ إِلَى إِجْ طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يُجِيبَ: «أَنْتَ مُجَرَّدُ
صَبِيٍّ صَغِيرٍ. لَنْ تَفْهَمَ».

رَدَّ إِجْ: «لَعَلِّي أَفْهَمُ».

- «الْخِيَانَةُ... مَا هِيَ إِلَّا كَلِمَةٌ. عِنْدَمَا يَتَقَاتَلُ أَمِيرَانُ فِي سَبِيلِ
كُرْسِيِّ يُمْكِنُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ فَقَطْ، عَلَى اللُّورْدَاتِ الْكِبَارِ
وَالرَّجَالِ الْعَوَامِ سَوَاسِيَةً أَنْ يَخْتَارُوا. وَعِنْدَمَا تَضَعُ الْمَعْرَكَةُ أَوْزَارَهَا
يُهْتَفُّ لِلْمُنْتَصِرِينَ بِاعْتِبَارِهِمْ رِجَالًا أَوْفِيَاءَ مُخْلِصِينَ، فِيمَا يُعْرَفُ
مَنْ هُزِمُوا إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ بِاعْتِبَارِهِمْ مَتَمَرِّدِينَ وَخُونَةَ. هَكَذَا كَانَ
مَصِيرِي».

فَكَّرَ إِجْ وَقْتًا، ثُمَّ قَالَ: «نَعَمْ يَا سَيِّدِي، وَلَكِنْ... الْمَلِكُ دِيرُونُ

كان رجلاً صالحًا. ما الذي جعلك تختار ديمون؟».

- «ديرون...». لفظ السير يوستس الكلمة بطريقة أقرب إلى الهمهمة، وأدرك دنك أنه شبه سكران. «ديرون كان نحيف الأطراف مستدير الكتفين، وله بطنٌ صغير يرتجُ وهو يمشي. ديمون وقف مستقيمًا أبيًا، بطن مستو صُلب كُترس من السَنديان. ويا لبراعته في القتال! بالفأس أو الرُمح أو المِخْباط، كان من أمهر الفُرسان الذين رأيتهم على الإطلاق، أمّا بالسيف فكان المُحارب ذاته. متى أمسك الأمير ديمون «اللَّهب الأسود» لم يُوجد رجلٌ يُباريه... لا أولرك دين حاملًا «فجر»، لا، ولا حتى الفارس التَّين حاملًا «الأخت المظلمة».

«يُمكنك أن تعرف الرَّجل من أصدقائه يا إج. ديرون أحاط نفسه بالمِسترات والسِّتُونات والمُطربين، ودائمًا لازمته نساء يوسوسن له، وحفل بلاطه بالدورنيين. وكيف لا وقد أخذ امرأةً دورنيَّةً إلى فراشه وباعَ أخته الجميلة نفسها لأمير (دورن) رغم أنها أحبَّت ديمون؟ ديرون حملَ اسم التَّين الصَّغير، ولكن عندما أعطته زوجته الدورنيَّة ابناً سمَّى الطِّفل بيلور، على اسم أوهن ملكٍ جلسَ على العرش الحديدي.

«أمّا ديمون... ديمون لم يكن أشدَّ ورعًا ممَّا يلزم ملك، وفُرسان البلاد العُظماء كلُّهم توافدوا إليه. من مصلحة اللورد غُداًف الدَّم أن تُنسى أسماؤهم جميعًا، ولذا حظر علينا الغناء عنهم، لكنني أذكرُ. رُوب رين، جاريث الرَّمادي، السير أوبري أمبروز، اللورد جورمون بيك، بايرن فلاورز الأسود، النَّاب الأحمر، كُرة النَّار... الفولاذ الأليم! إنني أسألك، هل وُجدت

يومًا صُحبة بذلك النُّبل؟ مثل قائمة الأبطال تلك؟

«لماذا أئُيها الصُّبي؟ تسألني لماذا؟ لأن ديمُون كان الرَّجل الأفضل. الملك المُسن رأى هذا أيضًا، وأعطى ديمُون السَّيف، «اللَّهب الأسود»، سيف إينجون الفاتح، الحُسام الذي حملَه كلُّ ملك تارجارين منذ الفتح... وضع السَّيف في يد ديمُون يوم أسبَغ عليه الفروسيَّة وهو صبيٌّ في الثَّانية عشرة».

قال إج: «أبي يقول إنَّ السَّبب أنَّ ديمُون كان سيِّفًا وديرون لم يكن كذلك قَط. لماذا تُعطي رجلًا لا يستطيع الرُّكوب حصانًا؟ السَّيف لم يكن المملكة على حدِّ تعبيره».

رجفت يد الفارس الشَّيخ بشدَّة سكبت النَّبيذ من كوبه الفضي، وقال: «أبوك أحمق».



ردَّ الغلام: «لا، ليس كذلك».

قال أوزجري الذي التوت قسماته غضبًا: «أنت سألت سؤالاً وأنا أجبتُ عنه، لكنني لن أسمح بالوقاحة. سير دنكن، ينبغي أن تضرب هذا الولد أكثر. إنَّ عنده نقصاً عظيماً في الأدب. لو أنَّ عليَّ أن أفعلها بنفسِي فسأفعل...».

تدخَّل دنك: «لا. لن تفعل أيُّها السير». لقد حزم أمره. «الظلام سائد الآن. سنرحل مع مطلع الفجر».

شخص السير يوستس ببصره مصعوقاً، وردَّد: «ترحلان؟».

- «من (ستاندفاست)، من خدمتك». لقد كذبت علينا. سم الأمر كما تشاء، لكنه خلا من الشرف. حلَّ دنك أربطة معطفه وطواه ووضعَه في يد الشيخ.

ضاقت عينا أوزجري إذ سأله: «هل عرضت تلك المرأة أن تضمَّك إلى خدمتها؟ أتتركني إلى فراش تلك العاهرة؟».

قال دنك: «لا أدري هل هي عاهرة، أو ساحرة أو مُسَيِّمة أو ما إلى ذلك، ولكن أيُّا ما كانته لا يهمُّ. إننا راحلان إلى الأسوجة وليس إلى (الخنديق البارد)».

- «تعني إلى الأخاديد. تتركاني لتجوبا الأحرار كالذئاب، لتتربَّصا بالصالحين على الطرق». قالها الرَّجل ويده ترتجف، وسقط الكوب من أصابعه ساكباً ما فيه من نبيذ وهو يتدحرج على الأرض. «اذهباً إذا. اذهباً. لا أريدكما هنا. لم يجدر بي قط أن أستخدمكما. اذهباً!».

- «كما تقول أيُّها السير». وأشار دنك، وتبعه إج.

في تلك اللَّيلة الأخيرة أرادَ أن يبتعد عن يوستس أوزجري أطول مسافةٍ بإمكانه، وهكذا ناما في القبو بين بقية جيش (ستاندفاست) الضَّئيل. قضى دنك الليلة في تملُّل؛ لم يبيت محمَّرُ العينين كلاهما غط في نومه، الأوَّل بضجَّةٍ والثَّاني باستمرار، وأفعمت القبو أبخرة رطبة مرتفعة عبر الباب الأفقي من الأقبية الأعمق. تقلَّب دنك وتلوى على الفراش الخشن، يروح في نوم جزئي ليستيقظ فجأة في الظلمة وقد استحكته قرصات الحشرات التي أصابته في الخميلة بشدة، كما أنَّ في القشِّ براغيث. سيكون خيرًا لي أن أخلص من هذا المكان، أن أخلص من الشيخ، ومن السيرينس، ومن بقيتهم. ربَّما حان الوقت لأن يُعيد إيج إلى (بهو الصَّيف) ليرى أباه. سيسأل الغلام في الصُّباح بعد أن يُغادِرًا وبتعدا.

على أنَّ الصُّباح بدا بعيدًا. امتلأ رأس دنك بالتَّانين الحمراء والسُّوداء... امتلأ بأسود المربعات والتِّراس القديمة والأحذية البالية... امتلأ بالجداول والخنادق والسُّدود، وبالأوراق الممهورة بختم الملك العظيم الذي لا يُمكنه قراءته.

وما هي ذي حاضرة أيضًا، الأرملة الحمراء، روهان سيِّدة (الخدق البارد). رأي دنك وجهها المنمَّش، وذراعَيْها النَّاحلتين، وضفيريَّتها الحمراء الطويلة، وأشعره مرآها بالذَّنب. المفروض أن أحلم بتانسِل. بتانسِل مديدة القامة دعوها، لكنها لم تكن في نظري مديدة القامة. رسمت الفتاة على تُرسه شعارًا، وأنقذها هو من الأمير السَّاطع، إلَّا أنها اختفت قبل المحاكمة بالسَّبعة. كثيرًا ما قال لنفسه: لم تتحمَّل أن تراني أموت، ولكن أتَّى له أن يعرف؟ إنه غليظ العقل كسور قلعة. مجرَّد التَّفكير في الأرملة

الحمراء دليلٌ كافٍ على هذا. تانسِلُ ابْتَسَمَتْ لي، لكننا لم
نتعاقَ قَطُّ أو نتبادلَ قُبْلَةً ولو على الخِدِّ. رُوْهان على الأقل
لمستَه، ولديه الشَّفة المتورِّمة لثُبِتَ هذا. لا تكن سخيًّا. إنها
ليست لأمثالك. إنها أصغر حجمًا

من اللازم، وأذكى من اللازم،
وأخطر جدًّا من اللازم.

أخيرًا بعد طول انتظارٍ

أخذَه النَّعاس، وحلَمَ

دُنْكَ. كان يجري في

فسحةٍ في قلب (خميلة

وات)، يجري صوب

رُوْهان، وترشِّقه هي

بالسَّهام. كلُّ سهمٍ

أطلقتَه طارَ نحو

هدفه مباشرةً واخترقَ صدره، ومع ذلك

أحسَّ بالألم خلُوا على نحوٍ غريب. وجبَّ أن يدور ويهرَّب، لكنه

جرى نحوها بدلًا من ذلك، جرى يبطء كما يحدث دائمًا في

الأحلام، كأن الهواء نفسه استحال عسلًا. سهمٌ آخر نفَذَ، وآخر،

وبدا أن في كنانتها سهامًا بلا نهاية. لاحَت عيناها خضراوين

ورماديَّتين ومليئتين بالعبث. أرادَ أن يقول لها: قُستانك يُبرِز



لون عينيكَ، غير أنَّ فُستَانًا لم يَكْسُهَا، أو أيَّ ثيابٍ بالمرَّة. على
ثدييها الصَّغِيرَيْن رشاشٌ من النَّمش، وحلمتاها حمراوان قاسيتان
كالتُّوت الصَّغِير. جعلته السَّهام يبدو مثل شيهم ضخَم إذ كبا عند
قدميها، وإن وجدَ بوسيلةٍ ما القوَّة ليقبض على صُفيريَّتها، ويجذبه
واحدة شديدة سحبها فوقه وقبَّلها.



واستيقظَ فجأةً على إثر صيحة.

في القبو المظلم ضربَ الارتباك

أطنابه. تردَّدت الشَّائم والشَّكاوى

جينةً وذهابًا، وتعرَّ بعض الرِّجال

في بعضٍ وهُم يُحاولون التَّقاط

حرايهم أو بناطيلهم. لم يعرف

أحدٌ ماذا يَحْدث. وجدَّ إج

شمعة الشَّحم وأشعلها ليلقي

بقليلٍ من الضُّوء على المشهد،

أمَّا دنك فهو أوَّل من انطلق يرتقي

السَّلام، وكادَ يرتطم بسام المحني

المندفع إلى أسفل نافخًا كالكيَر ومهذرًا بكلام مفكَّك. اضطرَّ
دنك إلى إمساكه من كتفيه كليتهما ليحول دون سقوطة، وسأله:
«سام، ما الخطب؟».

نشجَّ العجوز مجيئًا: «السَّماء، السَّماء!». لم يُمكن استخلاص

شيء آخر مفهوم منه، فصعدوا جميعاً لإلقاء نظرة من السطح الذي سبقهم إليه السير يوستس ووقف بمعطف النوم عند الدرايا، يُحدِّق إلى بعيد.

كانت الشمس تُشرق من الغرب.

ومرّت لحظة طويلة قبل أن يُدرك ذلك ما يعنيه هذا، وبصوت مكتوم قال: «(خميلة وات) تحترق». من أسفل عند قاعدة البرج وصل صوت ينس يسبُّ منهالاً بسيل من القاذورات الشائنة الكفيلة بجعل إيجون غير الجدير نفسه يتورّد خجلاً، في حين شرع سام المحنيّ يُصلي.

حالت المسافة البعيدة دون تمييزهم اللهب، لكن الوهج الأحمر ابتلع نصف الأفق الغربي، وفوق الضوء بدأت النجوم تختفي، فتوارى «تاج الملك» جزئياً فعلاً وقد حجبه ستار من الدخان المتصاعد.

كما قالت، بالنار والسيف.

ظلّ الحريق مشتعلاً الليل بطوله، ولم ينم أحدٌ في (ستاندفاست) الليلة. لم يمض وقتٌ طويل قبل أن يشمّوا الدخان ويروا السنة اللهب تتراقص من بعيد كفتيات في تنانير قرمزية، متسائلين جميعاً هل سبتلعهن النار. وقفَ ذلك وراء الدرايا، ترتقب عيناه الملهتان وصول خيالة في الليل، ولما صعد الفارس البني

ماضِعًا تبغهُ المُرَّ بادِرَه: «بِنس، إنها تُريدك أنت. ربَّما عليك أن تذهب».

نَهَقَ بِنس: «ماذا؟ أهرب؟ على حصاني هذا؟ كأني أحاول الطَّيران راكبًا إحدى هذه الدَّجاجات اللَّعينة».

- «سَلِّمْ نفسك إذا. ستكتفي بشِقِّ أنفك».

- «أنفي يُعجِبني كما هو أيُّها الأنوك. دعها تُحاول أن تأخذني وسنرى ما الذي سيُشَقُّ». جلسَ بِنس مرَّعًا رجليه ومُسندًا ظهره إلى ثلثة، ومن قرابه أخرجَ مشحذًا ليسنَّ سيفه. وقفَ السير يوستس فوقه، وبصوتين خفيضتين ناقشا كيف سيخوضان الحرب. سمعَ دنك الفارس الشَّيخ يقول: «الإنش الطَّويل سيتوقَّعنا عند السَّد، ولذا سنُحرق محاصيلها بدلًا من ذلك. النَّار بالنَّار». ارتأى السير بِنس أنَّ تصرُّفًا كهذا عين العقل، ولكن لعلَّ عليهم أن يُضرموا النَّار في الطَّاحونة أيضًا. «إنها تقع على بُعد ستَّة فراسخ من جانب القلعة الآخر. الإنش الطَّويل لن يبحث عنا هناك. نُحرق الطَّاحونة ونَقْتُل الطَّحَّان. سيُكلِّفها هذا ثمنًا باهظًا».

إج أيضًا كان مصغيًا. سعلَ الغُلام ونظرَ إلى دنك بعينين بيضاوئِن متَّسعتين قائلًا: «سير، يجب أن نمنعهما».

سأله دنك: «كيف؟». الأرملة الحمراء ستمنعهما، هي ولوكس الإنش الطَّويل هذا. «إنهما يُجعِّعان لا أكثر يا إج. إمَّا ذلك وإمَّا أن يتبَّولا في بنطالَيْهما. ولا علاقة للأمر بنا الآن».

بزغَ الفجر بسماواتٍ سديميَّة غائمة وهواءٍ يَلهبُ العيون. انتوى

دَنكَ أَنْ يَتَحَرَّكَ مَبْكَرًا، وَلَكِنْ بَعْدَ لَيْلَتِهِمَا الْأَرْقَةَ لَمْ يَعْرِفْ كَمْ سَيَتَعَدَانِ. أَفْطَرَ هُوَ إِجَاجٌ بَيْضًا مَسْلُوقًا فِيمَا جَمَعَ بَنَسُ الْآخَرِينَ بِخَشُونَةٍ فِي الْخَارِجِ لِأَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ التَّدْرِيبِ. قَالَ دَنكَ لِنَفْسِهِ: هُمْ رَجَالٌ أَوْزَجَرِي وَنَحْنُ لَا. أَكَلْ أَرْبَعَةَ بَيْضَاتٍ؛ السَّيْرُ يَوْسِتَسْ مَدِينٌ لَهُ بِهَذَا الْقَدْرِ فِي نَظَرِهِ. أَمَّا إِجَاجٌ فَأَكَلَ اثْنَتَيْنِ، وَبَلَّعَا مَا أَكَلَاهُ بِالْمَزْرِ.

قَالَ الْغُلَامُ وَهُمَا يَجْمَعَانِ أَغْرَاضَهُمَا: «يُمْكِنُنَا الذَّهَابُ إِلَى (الْجَزِيرَةِ الْقَصِيَّةِ) أَيُّهَا السَّيْرُ. مَا دَامُوا يَتَعَرَّضُونَ لِفَارَاتِ الْحَدِيدِيِّينَ فَلَعَلَّ اللُّورْدَ فَارْمَانَ يَبْحِثُ عَنْ بَعْضِ السَّيَافَةِ». فَكْرَةٌ جَيِّدَةٌ. «هَلْ زُرْتَ (الْجَزِيرَةَ الْقَصِيَّةَ) مِنْ قَبْلِ؟».

- «لَا أَيُّهَا السَّيْرُ، لَكِنْهُمْ يَقُولُونَ إِنَّهَا جَمِيلَةٌ، وَمَقَرُّ اللُّورْدِ فَارْمَانَ جَمِيلٌ أَيْضًا. اسْمُهُ (الْقَلْعَةُ الْقَصِيَّةُ)».

ضَحَكَ دَنكَ قَائِلًا: «إِلَى (الْقَلْعَةِ الْقَصِيَّةِ) إِذَا». أَحْسَنَ كَأَنَ عَبًا عَظِيمًا رُفِعَ عَنْ كَتْفَيْهِ. عِنْدَمَا رَبطَ دَرْعَهُ فِي حِزْمَةٍ وَأَوْثَقَهَا بِحَبْلِ مِنَ الْقَنْبِ قَالَ: «سَأَتَوَلَّى الْخِيُولَ. اصْعَدْ إِلَى السَّطْحِ وَأَحْضِرْ لِفَتَيِ النَّوْمِ». آخِرَ مَا يُرِيدُهُ هَذَا الصَّبَاحُ مُوَاجَهَةً أُخْرَى مَعَ أَسَدِ الْمَرْبَعَاتِ. «إِذَا رَأَيْتَ السَّيْرَ يَوْسِتَسْ فَدَعِهِ وَشَأْنُهُ».

- «سَأَفْعَلُ أَيُّهَا السَّيْرُ».

فِي الْخَارِجِ كَانَ بَنَسٌ قَدْ صَفَّ مَجَنَّدِيهِ بِحَرَابِهِمْ وَتَرَأَسَهُمْ وَتَحَاوَلَ تَعْلِيمَهُمُ التَّقَدُّمَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يُعْرِ الْفَارَسَ الْبَنِي دَنكَ أَدْنَى انْتِبَاهٍ وَهُوَ يَعْبُرُ السَّاحَةَ. سَيَقُودُهُمْ إِلَى مَوْتِهِمْ كَافَّةً. الْأَرْمَلَةُ الْحَمْرَاءُ قَدْ تَصَلَّ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. أَتَى إِجَاجٌ مُنْدَفِعًا مِنْ بَابِ



البرج ونزل السَّلامِ بِلَقَّتِي النَّومِ الْمُخَشَّخَتَيْنِ، وأَعْلَاهُ وَقَفَ
السَّيْرُ يوسْتَسُ في الشَّرْفَةِ بِجُمُودٍ مُرِيحًا يَدَيْهِ عَلى دَرِيئَةٍ. لَمَّا
لَاقَتْ عَيْنَاهُ عَيْنِي دَنَكَ ارْتِعَاشَ شَارِبِهِ وَأَسْرَعَ يُشِيحُ بِوَجْهِهِ، وَقَدْ
أَضْفَى الدُّخَانُ الهَابُّ عَلى الهَوَاءِ غِشَاوَةً.

عَلَّقَ بِنَسِ ثُرْسِهِ عَلى ظَهْرِهِ، ثُرْسًا طَوِيلًا لَوْزِيَّ الشَّكْلِ مِنْ
الخَشَبِ غَيْرِ الْمُطْلِيِّ، غَمَّقَتْ طَبَقَاتُ مِنَ الْوَرْنِيشِ الْقَدِيمِ لَوْنَهُ
وَيُطَوِّقُهُ كَامِلًا الْحَدِيدَ. لَا يَحْمِلُ التُّرْسَ صُورَةً، فَقَطْ حَلْقَةٌ مَرَكِزِيَّةٌ
يَقْطَعُهَا شَرِيطٌ، ذَكَرْتُ دَنَكَ بَعِيْنٍ عَظِيمَةٍ مَغْلَقَةٍ عَنْ آخِرِهَا.
عَمِيَاءُ مِثْلِهِ. سَأَلَهُ دَنَكَ: «كَيْفَ تَتَوَيَّانُ قِتَالَهَا؟».

رَمَقَ السَّيْرُ بِنَسَ جَنُودِهِ وَرِيقَهُ يَجْرِي مُحْمَرًّا بِفَعْلِ التَّبَغِ الْمُرِّ،
وَأَجَابَ: «لَا يُمَكِّنُنَا الْحِفَازُ عَلى التَّلِّ بِهَذِهِ الْحِرَابِ الْقَلِيلَةِ.
يَجِبُ أَنْ نَرُكْنَ إِلَى الْبُرْجِ. سَنَكُونُ جَمِيعًا فِي الدَّاخِلِ»، وَأَشَارَ

برأسه إلى الباب متابعًا: «طريقٌ واحد فقط للدُّخول. سنَكُنُّ على تلك السَّلالِم الخشب ولن يجدوا طريقةً لبلوغنا أبدًا».

- «إلى أن يبنوا هُم سلالِم. قد يجلبون حبالًا وخطاطيف أيضًا ويُكاثِرونكم نزولًا من السَّطح، ما لم يكتفوا بالوقوف بُشائياتهم وإمطاركم بالسَّهام فيما تُحاولون إبقاء الباب مغلقًا».

استمعَ السَّمام والفاصوليا والشَّعير لكلِّ ما قالاه، وقد عُصِفَ بكلامهم الشُّجاع بُرْمته رغم خلوِّ الهواء من نسمة ريح واحدة، فوقفوا قابضين على عَصِيهِم المبرَّية ناظرين إلى دنك وينس وبعضهم بعضًا.

قال دنك بإيماءةٍ نحو جيش أوزجري المهلَّهَل: «هذه الثُّلَّة لن تنفعكما مقدار لحسة. فُرسان الأرملة الحمراء سيُمزقونهم أشلاءً إذا تركتماهم في العراء، وحرابهم لن تُجدي نفعًا داخل البُرج». ردَّ ينس: «بإمكانهم إلقاء أشياء من السَّطح. مَنج يُجيد القذف بالصُّخور».

- «بإمكانه أن يقذف بصخرةٍ أو اثنتين على ما أظنُّ، إلى أن يغرز فيه أحد رُماة الأرملة سهمًا».

وقفَ إج بجواره قائلاً: «سير؟ سير، إذا كنا ننوي الذهاب فالأفضل أن نذهب لو أنَّ العذراء قادمة».

الغلام على حق. إذا تَلَكَّأنا فسُنَحْبِس هنا. ومع ذلك تردَّد دنك. «دعهم يرحلون يا ينس».

قال ينس: «وأفقدُ فِيتينا الصَّناديد؟»، ونظرَ إلى الفلاحين وحذَّره من بهيقه الضَّاحك: «لا تُراودنَّ أحدكم أيَّة أفكار. سأبقرُ

بطن أي رجلٍ يُحاول الفرار».

- «حاول وسأبقرُ أنا بطنك». استلّ دنك سيفه مخاطبًا العوام:
«ارحلوا إلى دياركم جميعًا. عودوا إلى قراكم وانظروا هل تجنّبت
النار بيوتكم ومحاصيلكم».

لم يتحرّك أحد، وحدّق
إليه الفارس البني وفمه
يتحرّك. مرّة أخرى قال
دنك للعوام: «ارحلوا».
كأن إلها ما وضع الكلمة
في فمه. ليس المحارب
أللحمقى إله؟ «ارحلوا!»
مجدّدًا كرّرها هادرًا هذه
المرّة. «خذوا حراكم
وتراسكم، ولكن ارحلوا حالًا

وإلا فلن تعيشوا لتروا الغد. أتريدون أن تُقبلوا زوجاتكم ثانية؟
أتريدون أن تحتضنوا أطفالكم؟ عودوا إلى دياركم! هل صُمِمت
جميعًا؟».

لا، لم يُصمّوا. بين الدّجاج اندلّع تدافعٌ محموم. داس رؤب
الكبير دجاجةً إذ اندفع، وحال نصف قدم فقط دون فتح بيت
بطن وبل الفاصوليا حين تعثّر في حريته، لكنهم انطلقوا كلهم

راكضين. ذهب الشَّام في اتِّجَاه، والفاصوليا في آخِر، والشَّعير
في ثالث، فيما رآح السَّير يوستس يزعق فيهم من أعلى، بيد أنَّ
أحدًا لم يُعِره اهتمامًا. آذَانهم مصمومةٌ عنه على الأقل.

عندما خرَّجَ الفارس الشَّيخ من البُرج وهرعَ ينزل السَّلالِم، لم
يُعَد باقيا بين الدَّجاج إلا دنك وإج وينس. زعقَ السَّير يوستس
في الجيش الهارب: «ارجعوا. لستَ آذنُ لكم في الرَّحيل. لستَ
آذنُ لكم!».

قال ينس: «لا فائدة يا سيدي. لقد رحلوا».

التفتَ السَّير يوستس بحدَّةٍ إلى دنك وشاربه يرتجف حنقًا،
وصاح: «لا حقَّ لك في صرفهم،

لا حقَّ! لقد منعتهم من الرَّحيل،

حرَّجته عليهم، حرَّجْتُ عليك تحريجًا

أن تصرفهم!» خلعَ إج قُبَّعته

ليطرُد الدُّخان قائلًا:



«لم نسمعك يا سيدي. قوقاة الدجاج كانت صاحبةً جدًا».

انهار الشيخ على سُلْمَة (ستاندفاست) الدنيا، وبصوتٍ كثيب
سأل دنك: «ماذا عرضت عليك تلك المرأة لتسلمني إليها؟
كم من الذهب أعطتك لتخونني؟ لتصرف فتيتي وتتركني هنا
وحدي؟».

أغمدَ دنك سيفه، وردَّ: «لست وحدك يا سيدي. لقد نمتُ
تحت سقفك وأكلتُ ببيضك هذا الصُّباح. ما زلتُ مدينًا لك
بشيءٍ من الخدمة. لن أنسلَّ هاربًا وذيلي بين قدمي. سيفي ما
زال هنا». قالها ومسَّ المقبض.

- «سيفٌ واحد». نهضَ الفارس الشيخ ببطء قائلاً: «ما أمل
سيفٍ واحد في مواجهة تلك المرأة؟».

- «سيُحاول أن يُقصيها عن أرضك بدايةً». تمنى دنك لو أنه
واثقٌ حقًا كما أوحَت نبرته.

ارتعدَ شارب الفارس الشيخ كلما أخذَ نفسًا، وأخيرًا قال: «نعم.
خيرٌ لي أن أموت بجرأةٍ من الاختباء وراء جدران حجريّة. خيرٌ
لي أن أموت أسدًا من أرنب. لقد كنا مُشيرِي (التُخم السُّمالي)
طيلة ألف عام. يجب أن أرتدي درعي»، وشرعَ يصعد السُّلالم.
كان إيج يَنْظرُ إلى دنك، وقال الغلام: «لم أعرف قطُّ أن لك
ذيلاً أيُّها السير».

- «أتريد لطمَةً على الأذن؟».

- «لا أيُّها السير. أتريد درعك؟».

قال دنك: «أريدها، هي وشيء آخر».

قيلَ بعضُ كلامٍ عن مجيء السيرِ ينس معهم، لكن في النهاية أمره السير يوستس بالبقاء والدِّفاع عن البُرج، فسيفه لن ينفع نفعًا يُذكر ضد الاحتمالات التي سيواجهونها، ومراه سيُهيج الأرملة أكثر.

لم يتطلّب الفارس البني كثيرًا من الإقناع. ساعده دنك على خلع الأوتاد الحديدية التي تُثبت الدَّرجات العليا، ثم تسلّقها ينس وحلّ جبل القنّب الرّمادي القديم وشده بقوّته كلّها، وبصرير وأنين ارتفع السُّلم الخشبيّ تاركًا عشرة أقدام من الهواء بين أعلى الدَّرجات الحجرية ومدخل البُرج الوحيد. كان سام المحنيّ وزوجته قد دخلا، أمّا الدّجاج فعليه أن يُدبّر أموره بنفسه. قاعدًا بالأسفل فوق حصانه الرّمادي المخصي، رفع السير يوستس عقيرته قائلاً: «إذا لم نرجع بحلول الليل...».

- «... فسأركبُ إلى (هايجاردن) يا سيدي وأبلغُ اللورد تايرل أنّ تلك المرأة أحرقت خميلتك وقتلتك».

تبعَ دنك إيج وميستر في نزول التّل، وبعده الشّيخ في درعه المُصلصلة بخفوت. من باب التّغيير بدأت ريحٌ تهبّ، وسمعَ دنك معطف الرّجل يُرفرف.

حيث قامَت (خميلة وات) من قبل وجدوا قفرًا يتصاعد منه

الدُّخان. إلى حَدِّ كبيرِ خمدِ الحريقِ قبل وصولهم إلى الخميّلة، وإن ظلَّ هنا وهناك عددٌ من الرُّقع المشتعلة، جُزر ناريّة في بحرٍ من الرَّماد والجمر، وفي بقاعٍ أخرى أنشبت جذوع الشَّجر المحروق أنفُسها في السَّماء كحراَّبٍ مسوَّدة. سقطت أشجارٌ أخرى وارتمت معترضة الطَّريق الغربي بفروعٍ متفحّمة ومكسورة، تتوهَّج نيران حمراء باهتة في قلوبها الجوفاء، وعلى أرض الغابة بؤر ساخنة أيضًا، وأماكن علقَ فيها الدُّخان في الهواء كغيومٍ رماديّة ساخنة. أصابت السَّير يوستس نوبة سُعال، ولبضع لحظاتٍ خشيَ دنك أن يضطرَّ الشَّيخ أن يعود أدراجه، لكن التَّوبة مرَّت في النِّهاية.

مرُّوا بجثَّة غزالٍ أحمر، ولاحقًا بما قد يكون عُريًّا. لا حياة في شيءٍ إلَّا الذِّباب. الذِّباب قادرٌ على العيش في أيِّ ظرفٍ كما يبدو. قال السَّير يوستس: «هكذا بدا (حقْل النِّيران) لا ريب. هناك بدأت ويلاتنا قبل مثني عام. آخر الملوك الخُضر هلك في ذلك الحقْل، وحوله أبدع أزهار (المرعى). قال أبي إنَّ نيران التَّانين استعرت إلى درجة أنها صهرت سيوفهم في أيديهم. بعدها جُمعت السيوف وأخذت لعمل العرش الحديدي. انتقلت (هايجاردن) من ملوكٍ إلى وُكلاء، واضمحَلَّ آل أُوْزجري وتضاءلوا حتى لم يُعد مُشيرو (التُّخم الشَّمالي) أكثر من فُرسان مُلاكٍ أراضٍ موثقين بالولاء لآل رُوان».

لم يملك دنك تعليقًا على هذا، وهكذا ركبوا في صمتٍ وقتًا، إلى أن سعل السَّير يوستس وقال: «سَير دنكن، هل تذكُر القِصَّة التي حكيتها لك؟».

قال دنك: «ربَّما أيُّها السَّير. أيُّ واحدة؟».

- «الأسد الصَّغير».

- «أذكرُ. كان أصغر خمسة أبناء».

- «أحسنت». سعلَ الفارس الشيخ ثانيةً. «حين قتلَ لانسِلْ لانسِلْ ارتدَّ الغريُّون على أعقابهم. من غير الملك لم تَقم

حرب. أنفهم ما أقوله؟».

أجابَ دنك بتردُّد: «أجل».

أُمكنني أن أقتل امرأة؟

على غير المعتاد تمنَّى

دنك لو أنه بحقٍ غليظ

العقل كسور تلك

القلعة. يجب ألاَّ تبْلُغ

الأمر ذلك الحدَّ. يجب

ألاَّ أدعها تبْلُغه.



لم تنزل أشجارٌ قليلة واقفةٌ حيث يعبرُ الطريق الغربيُّ (ماء المربعات)، جذوعها متفحمة ومسودةٌ من ناحيةٍ واحدة، وبعدها مباشرةً يتلأأ الماء باللونِ داكنة. أزرق وأخضر، لكن الذهبي كله اختفى. أمَّا الشَّمس فطمسها الدُّخان.

حين بلغَ السيرُ يوستس حافة الماء توقَّف قائلاً: «لقد حلفتُ يمينًا مغلظةً. لن أعبر ذلك الجدول ما دامت الأرض بعده ملكها». يرتدي الفارس الشيخ حلقاتٍ وصفائح معدنيَّة تحت

معطفه المصفر، وعلى وركه سيفه.

سأل إج: «ماذا لو لم تأتِ أيُّها السير؟».

– بالنَّار والسَّيف. «ستأتي».

وقد أتت، وقبل تمام السَّاعة.

سمعوا الخيول أولاً، ثم قعقة الدُّروع المعدنيَّة الخافتة تعلو
فتعلو. صَعَب الدُّخان

المُنساق تحديدكم يبعُدون،

إلى أن اخترقَ حامل رايتها

السِّتار الرَّمادي المهترئ،

يُتَوَّج ساريتَه عنكبُ حديديٍّ

مطلبيّ بالأبيض والأحمر،

تندلَّى تحته راية آل

وَبِر السُّوداء بخمول.

لَمَّا رآهم الرُّجُل عبر الماء توقَّف

عند الضفَّة، وبعد نصف نبضة قلبٍ ظهرَ السير لوَكس

إنشيلد مدرِّعًا من رأسه إلى قدميه.

عندئذٍ فقط ظهرت الليدي روهان نفسها مقتعدةً فرسًا سوداء
كالفحم مزينةً بخيوطٍ من الحرير المفضَّض تُحاكي شباك
العناكب. معطف الأرملة أيضًا مفصَّل من تلك الخيوط، ينتفخ
متموجًا من كتفيها ومعصمَيْها خفيفًا خفَّة الهواء، كما أنها

هي الأخرى مدرّعة بِبِرّةٍ من صفائح المينا المتشابكة المنقوشة بالذهب والفضّة، تُناسِبُ قَدّها مثلما يُناسِبُ القَفّاز يدًا، وتُبدِيها كأنّما تلتحف بأوراق شجر صيفيّة، وقد تدلّت ضفيرتها الحمراء الطويلة وراءها متوثّبةً وهي تتحرّك. إلى جانبها السِّيتون سِفْتون محمّرُ الوجه فوق حصان رماديّ مخصيّ كبير، وإلى جانبها الآخر ميسرتها الشاب كِرِك رَاكِبا بغلّة.

تبَعُهم مزيدٌ من الفرسان، نصف دستةٍ منهم، يُصاحِبُهم العدد نفسه من المُرافقين، فيما تألّفت المؤخّرة من طابورٍ من النّشابين، انتشرَ على جانبي الطريق بمجرد بلوغ (ماء المربّعات) ورؤية دنكٍ منتظرًا على الضفّة الأخرى. ثلاثة وثلاثون فردًا مُقاتلًا إجمالًا، بعد استثناء السِّيتون والميسر والأرملة ذاتها. لفّت أحد الفرسان نظر دنك؛ رجلٌ أصلع قصير مكتنز كالبرميل يرتدي الحلقات المعدنيّة والجلد، له وجهٌ غاضب وفي رقبته دُرّاق قبيح. تقدّمت الأرملة الحمراء بفرسها إلى حافة الماء، وناذت عبر الجدول: «سير يوستس، سير دنكن، رأينا حريقكم مشتعلًا ليلاً».

ردّ السير يوستس زاعقًا: «رأيتموه؟ أجل، رأيتموه... بعدما أشعلتموه».

- «اتّهامٌ دنّيء هذا».

- «بفعلةٍ دنّيئة».

- «كنتُ نائمةً في فراشي البارحة، مُحاطةٌ برفيقتاتي. الصّباح من الأسوار أيقظني مثلما أيقظ كلّ أحدٍ تقريبًا. المسنون تسلّقوا

سلاالم الأبراج العالية لِيَنْظُرُوا، والرُّضْع رأوا الضُّوء الأحمر وبكوا خائفين. وهذا هو كلُّ ما أعرفه عن حريقكم أيُّها السير».

قال السير يوستس بإلحاح: «إنه حريقك يا امرأة. خميلتي راحت، راحت أقول لك!».

تنحَنح السِّبْتُون سِفْتُون، وقال بصوتٍ جهوري: «سير يوستس، إِنَّ في (غابة الملوك) حرائق، وفي (الغابة المطيرة) نفسها. القحط حوّل غاباتنا كلّها إلى هشيم».

رفعت الليدي روهان ذراعها مشيرةً، وقالت: «انظر إلى حقولي يا أوزجري. انظر كم هي جافة. لكنّ حمقاء لو أنني أشعلتُ حريقًا. لو بدّلت الرِّيح اتِّجاهها فلربّما وثبَّ اللّهب عبر الجدول وحرّق نصف محاصيلي».

زعق السير يوستس: «لربّما؟ خميلتي هي التي احترقت، وأنتِ التي أحرقتها. على الأرجح ألقيتِ تعويذةً ما من تعاويد السّاحرات لتزجي الرِّيح، تمامًا كما استخدمتِ فنونك الظّلاميّة لتقضي على أزواجك وإخوتك!».

ازداد وجه الليدي روهان قسوةً. رأى دنك هذه النّظرة من قبل في (الخدق البارد) قُبيل صفعتها. قالت الأرملة للشيخ: «هراء. لن أبَدّد عليك مزيدًا من الكلام أيُّها السير. ائتِ بينس صاحب الثّرس البني وإلا فسناطي ونأخذه».

أعلن السير يوستس بنبرة رنانة: «هذا ما لن تفعلوه. هذا ما لن تفعلوه أبدًا»، وارتعش شاربه وهو يُردف: «إياكم أن تتقدّموا. هذا الجانب من الجدول ملكي، ولستم مرغوبين هنا.

لن تنالوا مني ضيافةً، لا عيشًا وملحًا، ولا حتى ظلًا وماءً. إنكم متطفلون. أمنعكم من وطء أرض أوزجري».

سحبت الليدي روهان ضفيرتها من فوق كتفها، ولم تقل إلا: «سير لوكس»، ليشير الإنش الطويل إشارةً ترجل على إثرها الرماة وشدوا أوتار أقواسهم بواسطة الخُطاف والركاب، والتقطوا السهام من جعابهم، ولما وتكر كل قوس ورُفِعَ وجهُ نادَتِ حضرة الليدي: «والآن أيُّها السير، ممَّ منعني؟».

سمع دنك ما فيه الكفاية. «إذا عبرتم الجدول دون إذن فإنكم تنتهكون سلام الملك».

همز السيتون سفتون حصانه متقدمًا خطوةً، وصاح: «الملك لن يعلم أو يكثرث. إننا جميعًا أطفال الأم أيُّها السير. إكرامًا لها تنح جانبًا».

قطب دنك وجهه قائلاً: «لا أعرف كثيرًا عن الآلهة أيُّها السيتون... ولكن أولسنا أطفال المُحارب أيضًا؟»، وفرك مؤخره عنقه مضيفًا: «إذا حاولتم العبور فسأردعكم».

ضحك السير لوكس الإنش الطويل، وقال للأرملة الحمراء: «ها هو ذا فارسٌ جوال يشاق إلى أن يصبح قنفذًا يا سيدتي. ألقي الأمر وسنغرز فيه دسةً من السهام. من هذه المسافة ستنفذ كأن درعه مصنوعة من البصاق!».

- «لا، ليس بعدُ أيُّها السير». تفرست الليدي روهان في دنك من مكانها عبر الجدول، وقالت: «أنتم رجلان وغلّام. نحن ثلاثة وثلاثون. كيف تنوي منعنا من العبور؟».

- «سأخبرك، ولكن أنت فقط».

- «كما تشاء». ضغطت بكعبينها على جنبَي فرسها ونزلت في الجدول، وحين ارتفع الماء حتى بطن الفرس كبحتها وانتظرت. «هأنذي. ادن أيها السير. أعدك ألا أخيط عليك جوالاً».

أمسك السير يوستس دنك من ذراعه قبل أن يُجيب، وقال الفارس الشيخ: «اذهب إليها، ولكن تذكر الأسد الصغير».

- «كما تقول يا سيدي». مشى دنك بشنادر خائض الماء، وتوقف بجوارها قائلاً: «سَيّ».

- «سير دنكن». مدّت يدها واضعةً إصبعين على شفته المتورمة، وسألته: «أسببتُ أنا هذا أيها السير؟».

- «لا أحد غيرك صفعني على وجهي في الآونة الأخيرة يا سَيّ».



رَدَّت: «كان تصرُّفاً سيِّئاً مني. السِّبْتُون الكريم يُؤنِّبني منذ حينها»، ونظرت عبر الماء إلى السير يوستس قائلة: «لم أَعُد أتذكُّر أدام إلا بالكاد. لقد انقضى أكثر من نصف حياتي منذ ذلك الوقت. لكنني أذكرُ أنني أحببته. الآخرون لم أحبُّ أيًّا منهم».

- «أبوه دفنه وسط الثُّوت الأسود. كان مغرماً بالثُّوت الأسود».

- «أذكرُ. اعتادَ أن يقطفه لي لأكله في وعاءٍ من القشدة».

قال دنك: «الملك سامح العجوز على ديمون. آَن الأوان منذ زمنٍ أن تُسامِحيه على أدام».

- «أعطني ينس وسأفكرُ في الأمر».

- «ينس ليس ملكي لأعطيه لك».

تنهَّدت قائلة: «سيسعدني ألا أضطرَّ إلى قتلِكَ».

- «سيسعدني ألا أموت».

- «أعطني ينس إذا. سنقطع أنفه ونعيده وتُصبح المسألة منتهية».

- «لكنها لن تنتهي. ما زالَ علينا التَّعامل مع السَّد، ومع الحريق. هل ستُسلمين إلينا الرِّجال الذين أشعلوه؟».

- «كانت في الغابة حشرات قناديل. ربَّما أشعلت هي الحريق بقناديلها الصَّغيرة».

حذَّرها دنك: «كفى عبثاً يا ستي. الآن ليس وقته. اهدمي السَّد ودعي السير يوستس يحظى بالماء عوضاً عن الخميعة. إنه

العدل، أليس كذلك؟».

ردّت: «ربّما لو أني أحرقتُ الخميّلة، وهو ما لم أفعله. لقد كنتُ في (الخندق البارد)، آمنةً في فراشي»، وخفضتُ ناظرَها إلى الماء متابعَةً: «ما الذي يمنعنا من عبور الجدول مباشرة؟ هل بعثرتُم حُسكاً^١ بين الصُّخور؟ خبّأتُم رُماةً في الرَّماد؟ أخبرني بما تحسبه سيمنعنا».

خلعَ دنك فردةً من قُفّازه قائلاً: «أنا. في (سفع البراغيث) كنتُ دائماً أكبر وأقوى من الصّبيان الآخرين، ولذا اعتدتُ أن أضربهم حتى أدميهم وأسرق منهم. العجوز علّمني ألا أفعل ذلك. قال لي إنه خطأ، وأحياناً للصّبيان الصّغار إخوةٌ كبار ضخام. هاك، ألقي نظرةً على هذا»، ولفَّ الخاتم حتى انخلعَ من إصبعه وقَدّمه لها، لتفّلت ضفيريها رغماً عنها لكي تأخذه.

قالت حينما أحسّت بوزنه: «ذهب؟ ما هذا أيّها السيّر؟»، وقلّبتَه في يدها مُردفةً: «طابع ختم. ذهب وجزّع»، وضاقّت عيناها الخضراوان إذ أمعنتَ بهما النّظر إلى الختم، وسألته: «أين عثرت على هذا أيّها السيّر؟».

- «في حذاء، ملفوفاً بخِرْقٍ ومحشوراً في الإصبع الكبيرة».

انغلقتَ يد اللّيدي روهان حوله، وألقتَ نظرةً عابرةً نحو إيج والسيّر يوستس. «خاطرتَ مخاطرةً عظيمةً لمّا أريتني هذا الخاتم أيّها السيّر. ولكن ما نفعه لنا؟ إذا أمرتُ رجالي بالعبور...».

١٤ - الحسك Caltrops: يُعرّف أيضاً بقدَم الغُرَاب، وهو سلاحٌ دفاعيٌّ مكوّنٌ من اثنين أو أكثر من المسامير أو الأشواك الحادّة المشكّلة بحيث يُشِير أحدها دائماً إلى أعلى وينغرس في قدم من يخطو عليه. (المترجم).



- « فسيعني ذلك أن علي أن أقاتل ».

- « وتموت ».

- « غالبًا، وسيعود إجم إلى داره ويحكى ما حدث هنا ».

- « ليس إذا مات أيضًا ».

- « لا أظنك ستقتلين غلامًا عنده عشر سنوات ». قالها آملًا أنه مصيب. « ليس هذا الغلام ذي السنوات العشر تحديدًا على الأقل، لن تقتليه. إن معك ثلاثة وثلاثين رجلًا كما قلت. الرجال يتكلمون. ذلك البدين هناك بالذات. مهما غار عمق القبور التي ستحفريها فستفصح الحكاية، وحينئذ... قد تقتل لدغة

عنكبوت رقطاع أسدًا، لكن التَّين حيوانٌ من نوعٍ آخر».

- «أوثر أن أكون صديقة التَّين». جرَّبت الخاتم على إصبعها، فوجدته كبيرًا حتى على إبهامها. «بتَّين أو من غيره، يجب أن أنال ينس صاحب الثُّرس البني».

- «لا».

- «إنك سبعة أقدام من العناد».

- «ناقص بوصة».

أعادت إليه الخاتم قائلة: «لا يُمكنني العودة إلى (الخدق البارد) خاوية الوفاض. سيقولون إنَّ الأرملة الحمراء فقدت قُدرتها على اللدغ، إنها أضعف من أن تُنزل العدالة، إنها لم تقوَ على حماية رعاياها. لست تفهم أيُّها السير».

- «قد أفهم». أكثر ممَّا تحسبن. «أذكر مرَّةً ضمَّ فيها لورد صغير الشَّأن في (أراضي العواصف) السير آرلان إلى خدمته، ليُعينه على قتال لورد آخر صغير الشَّأن. لمَّا سألت العجوز علام يتقاتلان قال: لا شيء يا فتى. إنها مجرد مسابقة تبوُّل».

رَمته الليدي روهان بنظرة مصدومة، وإن لم تستطع الحفاظ عليها وقتًا أطول من نصف نبضة قلب قبل أن تستحيل إلى ابتسامة عريضة. «سمعتُ ألف مجاملة فارغة في حياتي، لكنك أوَّل فارس على الإطلاق يقول «تبوُّل» في حضوري». اكتسبَ وجهها المنمَّش جهامة إذ أتبعَت: «بمسابقات التَّبوُّل تلك يُقدَّر بعض اللوردات قوَّة بعض، وويل لأيَّ رجل يُبدي ضعفه. على المرأة أن تبذل ضعفَي الجهد في التَّبوُّل لو أنها تأمل أن تحكم. وإذا

تصادفَ أَنَّ تلكَ المرأةَ صغيرةَ الحجمِ أيضًا... اللورد ستاكهاوس يشتهي (تلال الحدود)، السير كليفرد كُونكِلِن له أحقيَّةٌ قديمة في (البحيرة المورقة)، وآل دَرُول المأفونون هؤلاء يعيشون على سرقة المواشي... وتحت سقفي ذاته الإنش الطويل. كلُّ يوم أصحو متسائلةً أهذا هو اليوم الذي سيتزوَّجني فيه قسرًا». انْقَبَضَتْ يدها بشدَّةٍ حول ضفيريها، بقوةٍ كأن الضَّفيرةَ جبلٌ وكأنَّما تتدلَّى هي من شفا هاوية. «إنه يُريد الزَّواج بي، أعرف، ولا يمتنع إلا خشية غضبتي، مثلما يتصرَّف كُونكِلِن وستاكهاوس وآل دَرُول بحرص حين يتعلَّق الأمر بالأرملة الحمراء. إذا ظنَّ أيُّ منهم لحظةً أنني صرْتُ ضعيفةً لينةً...».

وضعَ دنك الخاتم حول إصبعه من جديد، وسحبَ خنجره.

واتَّسعت عينا الأرملة لمرأى الفولاذ المجرَّد، وقالت: «ماذا تفعل؟ هل فقدت عقلك؟! إِنَّ دسَّةً من النُّشَائيَّات مصوَّبة إليك».

ردَّ: «لقد أردتِ دَمًا بدم»، ووضعَ الخنجر على وجنته متابعًا: «ما أخبروك به خطأ. ليس بِنسٍ مَن جرحَ الحفَّار، بل أنا»، وضغطَ بحدِّ الفولاذ على وجهه وشقَّه إلى أسفل. عندما نفَضَ الدَّم عن النُّصل انتشرَ بعضه على وجهها، ففكر: مزيدٌ من التَّمش. «هاك، الأرملة الحمراء نالت ما لها. وجنةٌ بوجنة».

قالت وقد ملأ الدُّخان عينيها بالدموع: «أنت مجنون حقًّا. لو أنك أليق مولدًا لتزوَّجتك».

- «أجل يا سِتِّي. ولو أنَّ للخنازير أجنحةً وحراشف ولهبًا تنفثه لكانت مثل الثَّنائين». أعادَ دنك السَّكين إلى غمده شاعرًا

بنبضات الألم الذي دبَّ في وجهه. سأل الدَّم على وجنته وتقاطرَ على عُنُقَيْتِه، وجعلَت الرَّاثحة ثندير ينخر ويُحرِّك أقدامه في الماء. «أعطيني الرِّجال الذين أحرَقوا الخميَلة».

ردَّت: «لا أحد أحرَق الخميَلة، ولكن لو فعلها رجلٌ ما من رجالي فلا بُدَّ أنه قصدَ إرضائي. كيف أعطيك رجلًا كهذا؟»، وألَقَت نظرةً إلى الورااء نحو مُصاحبِيها مضيضةً: «الأفضل أن يسحب السير يوستس اتِّهامه ليس إلا».

- «بعد أن تنفث تلك الخنازير النَّار يا سَيِّي».

قالت: «في تلك الحالة يتحمَّم أن أوكد براءتي أمام أعين الآلهة والبشر. قُل للسير يوستس إنني أطالبُ باعتذار... أو بمحاكمة الخيار له»، ودارت بفرسها لترجع إلى رجالها.

سيكون الجدول ميدان المعركة بينهما.

تقدَّم السِّبْتُون سِفْتُون متمايلاً وردَّد دُعاءً استعطفَ به الأب في الأعالي أن ينظرَ من عليائه إلى هذين الرِّجلين ويحكم عليهما بالعدل، وسأل المُحارب أن يمدَّ بقوَّته صاحب القضية العادلة الشريفة، واستجدى رحمة الأم للكاذب عسى أن تُغفر له خطاياهُ. عند تمام الدُّعاء والفروغ منه التفت السِّبْتُون إلى السير يوستس أوزجري مرَّة أخيرةً قائلاً: «سير، أتوسَّل إليك من جديد، اسحب اتِّهامك».

ردَّ العجوز وشاربه يرتجف: «لن أفعل».

التفتَ السِّيتُون إلى اللّيدي روهان، وقال لها: «أختي الصّهرة، إذا فعلتَ هذه الفعلة فاعترفي بذنبك واعرضي على السير يوستس تعويضاً عن خميلته، وإلاّ لوجب أن تُراق الدِّماء».

- «نصيري سيُثبت براءتي أمام أعين الآلهة والبشر».

قال السِّيتُون الخائض في الماء حتى الخصر: «المحاكمة بالقتال ليست السَّبل الوحيد. فلنذهب إلى (البُستان الذهبى)، أناشدكما أنتما الاثنان، ونطرح المسألة على اللورد رُوان طلباً لحُكمه».

قال السير يوستس: «مُحال»، فيما هزّت الأرملة الحمراء رأسها رفضاً.

نظرَ السير لوكس إنشفيلد إلى اللّيدي روهان بوجهٍ اربدٍّ غيظاً، وقال: «ستتزوجيني حين تنتهي هذه المهزلة، كما رغب السيّد والدك».

ردّت: «السيّد والدي لم يعرفك كما أعرفك».

جثا دنك على رُكبةٍ واحدة بجوار إيج ووضع في يد الغلام طابَع الختم: أربعة تانين ثلثيّة الرؤوس، اثنان واثنان، شعار ميكار أمير (بهو الصّيف). «أعده إلى الحذاء، ولكن إذا حدثَ ومثُّ فاذهب إلى أقرب أصدقاء أبيك واجعله يُعيدك إلى (بهو الصّيف). لا تُحاول قطع (المرعى) بأكمله بمفردك. إيّاك أن تنسى، وإلاّ فسيأتي شبحي ويلطمك على الأذن».

قال إيج: «حاضر أيّها السير، لكنني أفضلُ ألاّ تموت».

- «الطقس أشدَّ حرارةً من أن أموت».



اعتمرَ دنك خوذته، وساعده إجح على
ربطها بإحكامٍ بعُنقَيْته.
أحسَّ بلزوجة الدَّم
على وجهه رغم أن
السير يوستس مزَّق قطعة
من معطفه ليُساعد على
وقف الجرح عن التزيف.
نهضَ وذهبَ إلى ثندر،
ورأى وهو يعتلي سرجه
أنَّ أكثر الدُّخان انقشع،

وإن ظَلَّت السَّماء معتمَةً. غيوم، غيوم مظلمة. طال الوقت جدًّا
منذ غامَت السَّماء. لعلَّها بشارة، ولكن أهى بشارة له أم لي؟ لا
يُجيد دنك تفسير البشائر.

عبر الجدول ركَبَ السير لوَكْس أيضًا حصانه، وهو حصانٌ
عداء كستنائي، حيوانٌ بديع، سريعٌ وقوي، لكنه ليس كبيرًا
كثندر. على أن ما يفتقر إليه الحصان في الحجم عوّضه صاحبه
بالتدريع، فألبسه واقِي رقبَةٍ وواقِي رأسٍ وكسوةً من السَّلاسل
الخفيفة. أمَّا الإنش الطويل نفسه فارتدى صفائحَ مطلَّيةً بالميना
الأسود وزرْدًا مفضَّضًا، وقد جثمَ عنكبٌ من الجزع بخُبثٍ أعلى

خوذته، لكن تُرْسَه عرضَ شعاره الخاص، شريطًا مائلًا مرَبُّعًا بالأبيض والأسود على خلفيَّةٍ رماديَّة باهتة. شاهدَ دنك السير لوَكْس يُناول مُرافقه التُّرس، ففكر: لا ينوي استخدامه، وعندما أتاه مُرافق آخر بفأس حربيَّة علمَ السَّبب. الفأس طويلةٌ مميتة، ذات مقبض مدعَّم ورأس ثقيل وأسلَّة خبيثة المنظر على ظهرها، لكنها سلاحٌ يُمْسِك باليَدَيْن، أي إنَّ على الإنش الطويل أن يتَّكَل على درعه لتحميهِ. يجب أن أندمه على هذا الاختيار.

وضعَ دنك تُرْسَه هو على ذراعه اليُسرى، التُّرس الذي رَسَمَت عليه تانسل دردارته وشهابه. في رأسه تردَّدت أسجوعة التُّراس القديمة: السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء، وإلا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء. سحبَ سيفه الطويل من غمده، واستحسنَ وزنه في يده.

همزَ جنبِي ثندر بكعبيهِ ونزلَ بالبرذون الكبير إلى الماء، وعبرَ الجدول حذا السير لوَكْس حذوه. عمدَ دنك إلى اليمين ليواجه الإنش الطويل بجنبه الأيسر المحميُّ بتُرسه، إلا أنَّ ذلك امتيازٌ أبى السير لوَكْس أن يُخَوِّله له، فدَارَ بحصانه العداءَ سريعًا، وتلاقيا في معمةٍ من الفولاذ الرَّمادي والرُّذاذ الأخضر. ضربَ السير لوَكْس بفأسه الحربيَّة، واضطرَّ دنك إلى الالتواء فوق سرجه ليصدَّ الضربة بتُرسه، لتمرق قوَّتُها في ذراعه وتصلُّ أسنانه. هوى دنك بسيفه ردًّا في ضربةٍ جانبيَّة أصابت الفارس الآخر تحت ذراعه المرفوعة، وصرخَ الفولاذ على الفولاذ، وابتدأ القتال.

همزَ الإنش الطويل عداءه في دائرةٍ محاولًا الدَّوران إلى جنب دنك المكشوف، لكن ثندر دارَ ليقابله ناهشًا الهواء في وجه

الحصان الآخر. نزل السير لوكس بضربة عاتية تلو أخرى وهو واقف فوق ركابيه ليضع وزنه وبأسه كلهما وراء رأس الفأس، وحرك ديك ترسه ليصد كل ضربة تبلغه. شبه موقع أسفل سندان الترس، انهال بالضربات على ذراعي الإنش الطويل وجنبه وساقه، لكن صفائح المعدنيّة ردّتها جميعاً. وهكذا دارا، وثانية دارا وألسنة الماء تلعق سيقانها. هاجم الإنش الطويل، ودافع ديك مترقباً نقطة ضعف.

وأخيراً أبصرها. كلّما رفع السير لوكس فأسه توطئة لضربة أخرى ظهرت ثغرة تحت ذراعه، حيث توجد حلقات معدنيّة



وجلد وبطانة تحتهما، ولكن لا صفائح فولاذ. أبقى دنك تُرسه مرتفعًا محاولاً أن يُوقَّت هجمته. قريبًا. قريبًا. هَوَّت الفأس، وانتزعت، وارتفعت. الآن! بقوةٍ بالغة ضربَ بِمِهمازيه ثندر دانيّا به أكثر، وطعنَ بسيفه الطويل ناشدًا أن يغرز رأسه في الفتحة. غير أن الثَّغرة اختفت بسرعة ظهورها، وحكَّ رأس سيفه قُرْصًا واقبيًا، وكادَ دنك الذي مدَّ جسده أكثر من اللازم يَسْقُط من جلسته. هَوَّت الفأس مرتطمةً بحافة تُرس دنك الحديدية ومنحرفةً عنها لتصدم جنب خوذته وتُصيب ثندر بضربةٍ عابرة على طول العنق.

صرخَ البرذون وشبَّ على قائمته الخلفيتين، عيناه بيضاوان زائغان المآ فيما تُفعم رائحة الدَّم النُّحاسية النفاذة الهواء. رفس الحصان بحافريه الحديديَّين في اللَّحظة نفسها التي كَرَّ فيها الإنش الطويل، فأصابَ واحدهما السير لوكس في وجهه والآخر في كتفه، ثم سقطَ الجواد الحربيُّ الثقيل فوق عدائه.

حدثَ كلُّ شيءٍ في غضون نبضة قلب. سقطَ الحصانان متشابكين، يتراكلان ويتعاضَّان ويمخضان المياه والوحل تحتها. حاولَ دنك أن يُلقي بنفسه من فوق سرجه، لكن إحدى قدميه علقت في ركاب، وسقطَ على وجهه وهو يعبُّ جرعةً يائسةً من الهواء قبل أن يتدفقَ الجدول إلى داخل خوذته عبر فتحة الرؤية. ظلَّت قدمه عالقةً، وشعرَ بجذبةٍ ضارية إذ كادَ كفاح ثندر يخلع ساقه من تجويفها. وبالسَّريعة نفسها تحرَّر، وانقلبَ، وغاصَّ. للحظةٍ تلوَّى بعجزٍ في الماء، والعالم من حوله أزرق وأخضر وبنيّ.

سحبَه وزن درعه إلى أسفل حتى صدمت كتفه قاع الجدول. ما
 دَامَ هذا تحت فلا تَجَاهِ الآخِرَ فوق. تَلَمَّست يدا دنك المقفَّرتان
 بالفولاذ الحجارة والرَّمال، وبوسيلة ما عدلَ ساقيه تحته ونهَضَ
 يترنَّح ويَقْطُر وحلاً وينصبُ الماء من فتحتي التَّنَفُّس في خوذته
 المنبجعة، لكنه وقف ونهل الهواء نهلاً.

ظلَّ ثُرسه المحطَّم عالقاً بذراعه اليسرى، إلا أنَّ غِمدَه فارغٌ
 وسيفه اختفى، وفي داخل خوذته دمٌ علاوةً على الماء، وعندما
 حاول الارتكاز بوزنه على قدمه الأخرى طعنَ كاحله ساقه
 بطولها برُمح من الألم. رأى كلا الحصانين وقد قاما مجدداً بعد
 عناء، ودارَ برأسه مضيقاً عيناً واحدةً مفتوحةً لينفذ بها من ستار
 من الدَّم بحثاً عن خصمه، ثم فكَر: مات، غرق أو سحقَ ثندرٌ



وانبثق السير لوكس من الماء أمامه مباشرةً وسيفه في يده، وهوى على عنق دنك بضربة ضارية، ووحده سُمك عُنفِيته أبقى رأسه على كَتْفِيهِ. ليس معه سيفٌ يردُّ به، بل تُرسه فقط، وهكذا تفهقر، وتقدّم الإنش الطويل صارخًا منهالاً بالضربات. تلقت ذراع دنك المرفوعة ضربةً مخدرةً فوق المرفق، ودفعه جرح في وركه إلى الأيمن من الألم، وإذا تراجع انقلبت صخرة تحت قدمه وسقط على رُكبته ليلغ منسوب الماء صدره. رفع دنك تُرسه، لكن الضربة التي وجهها السير لوكس هذه المرة بلغت من العتو أنها شقت السنديان من المنتصف وأطاحت بالبقايا في وجه دنك، الذي رنت أذناه وامتلاً فمه بالدم، ومن مكان ما بعيد سمع إج يصرخ: «نل منه أيُّها السير، نل منه، نل منه، إنه أمامك مباشرة!».

وانقضّ دنك. كان السير لوكس قد خلّص سيفه من أجل ضربةٍ أخرى، لكن دنك ارتطم به على ارتفاع الخصر وأسقطه. من جديد ابتلعهما الجدول، لكن دنك كان مستعدًا هذه المرة، فأبقى إحدى ذراعيه حول الإنش الطويل ودفعه إكراهاً إلى القاع. تدفقت الفقايع من خلف مقدّمة خوذة إنشفيد المنبجعة الملتوية، ومع ذلك قاوم. في قاع الجدول وجد صخرةً وانهاه بها ضربًا على رأس دنك ويديه، وتلمّس دنك حزام سيفه متسائلًا: هل فقدت الخنجر أيضًا؟ لا، ها هو ذا. انغلقت يده حول المقبض، وانتزع الخنجر وغرزه بيّط عبر الماء الممخوض، عبر الحلقات الحديد والجلد المغلي تحت ذراع لوكس الإنش الطويل مدورًا إياه وهو يُغمده. انتفض السير لوكس وتلوّى،

وغادرتَه القوَّة، ودفعَه دنك وطفًا شاعرًا بحريقٍ في صدره. برقت
سمكةٌ مازةٌ أمام وجهه، بيضاء وطويلة ونحيفة، وتساءل دنك: ما
هذا؟ ما هذا؟ ما هذا؟

استعادَ وعيه في القلعة الخطأ.

حين انفتحت عيناه لم يدرك أين هو، وإن شعرَ بالجوِّ فاتر
الحرارة على نحوٍ بهيج. في فمه مذاق الدِّم، وعلى عينيه قُمَاشة،
قُمَاشة ثقيلة تعبقُ برائحة مرهمٍ ما فكر دنك أن له رائحة
القرنفل.

تلمس دنك وجهه مزيلًا القُمَاشة. أعلاه يتلاعب ضوء المشاعل
على سقفٍ مرتفع، تمشي فوق عوارضه غِدفان تُحدِّق إلى أسفل
بأعين سوداء صغيرة وتنطق له. لستُ أعمى على الأقل. إنه
في بُرجٍ ميسر. تصطفُ على الجُدران رفوفٌ من الأعشاب
والعقاقير في جرارٍ من الخزف وآنية من الزُّجاج الأخضر، وعلى
مقربةٍ تُغطِّي طاولةً طويلةً بحاملين كتب ورُقوق وأدوات غريبة من
البرنز، تُلطِّخها جميعًا فضلات الغِدفان الجاثمة فوق العوارض.
سمعها دنك يغنُّ بعضها لبعض.

حاول أن يجلس وأنضح أنه خطأ كبير. دارَ رأسه، وصرخت
ساقه اليسرى من الألم المبرِّح عندما حملها أخفَّ وزن. رأى
كاحله مربوطًا بالكُتَّان، وحول صدره وكتفيه أيضًا شرائط كُتَّانية.

- «اثبت». ظهرَ فوقه وجهه، وجهٌ شابٌّ ممصوص فيه عيان
بنيّتان داكتان على جانبي أنفٍ معقوف. يعرف دنك هذا
الوجه. ثياب الرّجل الذي يملكه رماديّة بالكامل، وحول عنقه
يرتخي طوقٌ سلسلة، سلسلة ميستر من معادن شتّى. أمسكه دنك
من رُسغه سائلًا: «أين...؟».

قال الميستر: «(الخندق البارد). جراحك كانت أبلغ من أن
ترجع إلى (ستاندفاست)، فأمرتنا الليدي روهان بالمجيء بك إلى
هنا. اشرب هذا»، ورفع كوبًا من... شيء ما... إلى شفّتي دنك.
للعقار مذاقٌ مُرٌّ كالخل، لكنه أزالَ مذاق الدّم على الأقل.

دفعَ دنك نفسه إلى شُرْبهِ كُلِّهِ، وبعد ذلك ثنى أصابع يد سيفه
وبسطها، ثم اليد الأخرى. على الأقل لا تزال يداي تعمالن،
وذراعاي. «ماذا... ماذا جرحْتُ؟».

نخرَ الميستر ساخرًا، وقال: «ما الذي لم تجرحه؟ كاحل
مكسور، رُكبة ملتوية المفاصل، ترقوة مكسورة، رضوض...
أعلى جذعك معظمه أخضر وأصفر، وذراعك اليمنى لونها أسود
ضارب إلى الأرجواني. حسبْتُ أنَّ جمجمتك متصدّعة أيضًا،
ولكن لا يبدو أنها كذلك. وفي وجهك ذلك الشّق أيّها السيّر.
ستحمل ندبةً للأسف. أوه، وكنت قد غرقت وقت أن انتشلناك
من الماء».

ردّد دنك: «غرقتُ؟».

- «لم أتصوّر قطُّ أنَّ رجلًا واحدًا يُمكنه أن يبتلع كلّ ذلك
الماء ولو كان كبيرًا مثلك أيّها السيّر. عُدّ نفسك محظوظًا أنني
حديديّ الميلاد. رُهبان الإله الغريق يعرفون كيف يُغرقون رجلًا

ويعيدونه، وقد درستُ معتقداتهم وأعرافهم».

- غرقتُ. حاولَ دنكُ ثانيةً أن يجلسَ، إلا أنه خلا من القوة. غرقتُ في ماءٍ لم يرتفع إليَّ عنقي حتى. أطلقَ ضحكةً، ثم أنينا متوجِّعًا، وسأل: «السيرُ لو كس؟».

- «ماتَ. أشككت في هذا؟».

- لا. شكَّ دنكُ في أشياء عدَّة، ولكن ليس في هذا. تذكرُ كيف فارقتُ القوةَ أطراف الإنش الطويل كلها في آنٍ واحد. أمكنه أن يلفظ: «إج. أريدُ إج».

قال الميستر: «الجوع علامةٌ مبشرة، لكنك محتاج الآن إلى النوم لا الطعام».

هزَّ دنك رأسه، وفي الحال ندمَ. «إج مُرافق...».

- «حقًا؟ صبيُّ شجاع، وأقوى ممَّا يبدو. هو الذي سحبك من الجدول، وساعدنا كذلك على خلع درعك، وركبَ معك العربة حين جلبناك إلى هنا. لقد أبى أن ينام، بل جلسَ إلى جوارك وسيفك على حجره تحسُّبًا لأن يُحاول أحدٌ أذيتك. لقد ارتابَ فيَّ أنا نفسي، وأصرَّ أن أذوق أيَّ شيءٍ أنوي أن أُطعمك إيَّاه. طفلٌ غريب الأطوار، لكنه متفان».

- «أين هو؟».

- «السير يوستس سألَ الولد أن يحضره في مأدبة الزِّفاف. لم يُوجد أحدٌ آخر بجانبه. لكانت قلة أدبٍ منه لو رفض».

- «مأدبة الزِّفاف؟». لم يفهم دنك.

- «لم يُمكنك أن تعرف طبعًا. (الخدق البارد) و(ستاندفاست) تصالحتا بعد معركتك. الليدي روهان استأذنت السير يوستس العجوز أن تعبر إلى أرضه وتزور قبر أدام، ومنحها ذلك الحق. ركعت أمام الثوت الأسود وأجهشت بالبكاء، وتأثر هو إلى درجة أنه ذهب ليواسيها. لقد أمضيا الليلة بأكملها في الكلام عن أدام الصغير ووالد سيديتي النبيل. اللورد وايمان والسير يوستس كانا صديقين صدوقين حتى تمرّد بلاكفاير. حضرة اللورد وسيديتي تزوجا هذا الصّباح على يد سبتونا الكريم سفتون. يوستس أوزجري سيّد (الخدق البارد) الآن، وأسده ذو المربعات يخفق بجوار عنكب وير على كل بُرج وجدار».

أخذ عالم دنك يدور بيّطء من حوله. ذلك العقّار. لقد أعادني إلى النّوم. أسبل جفنيه وترك ألمه كلّهُ يتسرّب منه سامعًا الغدغان ينق بعضها ويصرّخ لبعض، وصوت تنفّسه، وشيئًا آخر أيضًا... صوتًا أنعم، ثابتًا، ثقيلًا، ومريحًا بشكلٍ ما. بُعاسٍ تمتَم: «ما هذا؟ هذا الصّوت...؟».

قال الميستر: «هذا؟»، وأصغى ثم أجاب: «مجرّد مطر».

لم يرها حتى يوم رحيلهما.

- «ما تفعله طيشٌ أيّها السير». قالها السّبتون سفتون بتبرّم فيما حجل دنك بخطواتٍ ثقيلة قاطعًا السّاحة، يُورجج قدمه

المجبرة ويتكى على عُكَّاز. «الميسر كرك يقول إنك لم تُشف ولو نصفياً بعد، وهذا المطر... سيُصيبك بردٌ غالباً إذا لم تفرق ثانية. على الأقل انتظر حتى يتوقف المطر».

- «قد يطول الانتظار أعواماً». يَشْعُر دنك بالامتنان للسبتون البدين الذي زاره كل يوم تقريباً... ليُصلي من أجله في الظاهر، وإن بدا أن وقتاً أطول استغرق في الحكي والنميمة. سوف يفتقد لسانه الطليق النشط وصُحبته المرحّة، لكن ذلك لا يُغيّر شيئاً. «يجب أن أرحل».

كان المطر ينهمر حولهما، يجلده على ظهره كألف سوط رمادي بارد، وقد شَبَّع الماء معطفه بالفعل، المعطف الصُوف الأبيض الذي أعطاه له السير يوستس، بحاشيته ذات المربعات الخضراء والذهبيّة. مرّة أخرى أصرّ الفارس الشّيخ أن يأخذه هديّة وداع، وقال: «لقاء شجاعتك وخدمتك المخلصة أيّها السير». الدبّوس الذي يُثَبَّت المعطف إلى كتفه هديّة أيضاً، دبّوس عاجي بشكل عنكب بأرجل فضيّة، تُكوّن عناقيد من العقيق الأحمر المسحوق رُقْطاً على ظهره.

قال السبتون سفتون: «آمل أنه ليس مسعى مجنوناً لمطاردة ينس. إنك مكدوم ومرضوض إلى درجة أنني سأخشى عليك إذا وجدك ذلك الرّجل في هذه الحالة».

فكّر دنك بمرارة: ينس، ينس الملعون. بينما صمّد دنك على موقفه عند الجدول، قيّد ينس سام المحنّي وزوجته ونهب (ستاندفاست) من عاليها إلى سافلها، ثم ولّى هارباً بكلّ شيء ذي قيمة عثر عليه، من الشُّموع والملابس والأسلحة إلى كأس

أوزجري الفضِّيَّة القديمة وخبيئة صغيرة من المال أخفاها الشَّيخ في عُرفته الشَّمسِيَّة وراء طنفسة تنمو فيها العفونة. يأمل دنك أن يُقابل السيرِ بنس صاحب التُّرس البنيَّ ثانيةً يومًا ما، وحينما يُقابله... «فليبقَ بنس إلى وقتٍ لاحق».

- «أين سيذهب؟». كان السِّبتون يلهث بشدَّة، فحتى مع استناد دنك إلى عُكاز حَالَت بدانته المفرطة دون أن يُجاري خطوته.

أجابَ دنك: «(الجزيرة القصيَّة). (هارنهال). (الثالوث). الأسوجة في كلِّ مكان»، وهزَّ كتفيه مضيقًا: «لطالما أردتُ رؤية (الجدار)».

- «(الجدار)؟». توقَّف السِّبتون بحركةٍ حادَّة، وزعقَ وهو واقفٌ في الوحل باسطًا يديه والمطر يهطل من حوله: «لقد يثبَّت منك أيُّها السيرِ دنكن! صلِّ أيُّها السيرِ، صلِّ أن تُنير العجوز طريقك!»، إلا أنَّ دنك واصلَ المشي.

ألفاها في انتظاره داخل الإسطبلات، واقفةً عند حُزم التِّبن الصَّفراء في فُستانٍ أخضر كما الصَّيف. قالت عندما دخل مندفعًا من الباب: «سيرِ دنكن». ضفيريها الحمراء متدلّية من الأمام، يلامس طرفها فخذها. «يسرُّني أن أراك على قدميك».

- لم تريني على ظهري قطُّ. «سِتِّي. ما الذي أتى بكِ إلى الإسطبلات؟ اليوم مبتل لا يصلح للركوب».

- «يُمكنني أن أقول لك الشَّيء عينه».

- «إج أخبركِ؟». إنني مدينٌ له بلطمةٍ أخرى على الأذن.

- «فلتغبط لأنه فعل، وإلا لأرسلت في أعقابك رجالًا يجرُّونك

عودة. قسوة منك أن تُحاول المغادرة متسللاً دونما مجرد وداع». وهو في عناية الميستر كرك لم تأت لزيارته ولو مرة. قال: «هذا الأخضر لاثق بك جداً يا ستي، يُبرز لون عينيك»، ونقل وزنه بعسر على عكازه قائلاً: «إنني هنا من أجل حصاني».

- «ليس عليك أن ترحل. إن لك مكاناً هنا حالما تتعافى. قائد حرسى. ويُمكن لاج أن ينضمَّ إلى مُرافقي الآخرين. لا داعي لأن يعرف أحدٌ من هو أبداً».

- «شكراً لك يا ستي، ولكن لا». في مرتبطٍ يبعد دسنة من المواضع يقبع ثندر، وقد تقدّم دنك إليه حجلاً.

قالت ماشيةً بجواره: «أرجوك أعد النظر أيها السير. إننا في أوقات حافلة بالخطر، حتى على التّانين وأصدقائهم. ابق حتى تُشفى. سيسرُّ ذلك اللورد يوستس أيضاً. إنه مولعٌ بك للغاية».

أيدها دنك: «مولعٌ للغاية. لو لم تُمت ابنته لأرادني أن أتزوجها، وعندئذٍ لأصبحَ السيّد والدتي. لم تكن لي والدّة قط، ناهيك بـسيّد».

لمُدّة نصف نبضة قلب بدا كأنّ الليدي روهان ستصفعه ثانية. قد تكتفي بركل عكازي. على أنها قالت بدلاً من ذلك: «إنك غاضبٌ مني أيها السير. يجب أن تدعني أكفّر عن غلطتي».

قال: «حسن، يُمكنك أن تُساعديني على تسريح ثندر».

قالت: «كنتُ أفكرُ في شيءٍ آخر»، ومدّت يدها إلى يده، يدًا منمّشة أصابعها قويّة نحيلة. أراها أنّ جسدها كلّهُ منمّش. «ما قدر معرفتك بالخيل؟».



- «إني أركبُ واحدًا».

- «برذون عجوز مستولّد للمعارك، بطيء المشية ومعتلّ المزاج. ليس حصانًا يُركب من مكانٍ إلى مكانٍ».

- «إذا احتجّت إلى الذهاب من مكانٍ إلى مكانٍ فإمّا هو وإمّا هاتان». قالها دنك مشيرًا إلى قدميه.

علّقت: «لك قدمان كبيرتان، ويدان كبيرتان أيضًا. أظنّك كبيرًا في كلّ موضع لا بُدّ. أكبر من أن تتركب رهوانًا. سيدوكفرس قزم وأنت جاثمٌ على ظهره. على كلّ حال، ستنفّك مطيّةً أسرع. حصانٌ عداء كبير مهجّن بجواد رمالٍ دورني لأجل تحمّل المشاق»، وأضافت مشيرةً إلى المربط المقابل لمربط ثندر: «حصان مثلها».

فرسٌ كُفيت دمويّة هي، ذات عَيْنَيْن لامعتَيْن وعُرف ناري طويل. أخرجت اللّيدي روهان من كمّها جزرةً وملّست على رأس الفرس إذ أخذتها، وقالت لها: «الجزرة لا الأصابع»، قبل أن تلتفت إلى دنك من جديد قائلة: «أسمّيها فليم، ولكن لك أن تُسمّيها أيّ اسم تشاء. سمّيها «ترضية» إذا أردت».

للحظة عجزَ عن الكلام. استندَ إلى عُكازه ونظرَ إلى الكُفيت الدّمويّة نظرةً جديدةً. كم هي رائعة، مطيّة أفضل ممّا امتلك العجوز يومًا. ما عليك إلّا النّظر إلى هذه الأطراف الطويلة النّظيفة لترى كم هي سريعة.

- «لقد استولدتها في سبيل الجمال وفي سبيل السّرعة».

عادَ يلتفت إلى ثندر قائلاً: «لا يُمكنني أن آخذها».

- «ولمَ لا؟».

- «إنها حصان
أفضل من أن أركبه.
انظري إليها».

زحفَ التَّورْدُ على
وجه رؤْهان، وقبضَتْ
على ضفيرتها لاوِيَةً
إيَّاهَا بين أصابعها.
«لقد اضطررتُ إلى
الزَّواج، أنت تعلم
هذا. وصِيَّةُ أبي...
أوه، لا تكن أحمق
هكذا».

- «وماذا أكونُ
خلاف هذا؟ إنني
غليظ العقل كسور
قلعة، ونغل المولد
كذلك».

- «خُذ الحصان».

أرفضُ أن أدعك ترحل دون شيءٍ تذكُرني به».

- «سأذكرُ يا سَيِّ. لا تخشي ذلك».

- «خُذها!».



قبضَ دنك على ضفيرتها وشدَّ وجهها إلى وجهه، حركته خرقاء من جرّاء العُكاز وفرق الطول بينهما حتى إنه كاد يقع قبل أن يبلغ بشفتيه شفيتها. قبلها بقوة، ودارت إحدى يديها حول عنقه والأخرى حول صدره. في لحظة تعلّم عن التّقبيل أكثر ممّا عرف يوماً من المشاهدة، ولكن حين انفصلاً أخيراً سحب خنجره قائلاً: «أعرف ما أريد أن أذكرك به يا ستي».

وجدَ إيج في انتظاره عند مبنى البوّابة، يمتطي رهوانة حسناء جديدة ذات لون بني محمر ويُمسك مقود ميستر. عندما خبّ دنك إليهم على صهوة ثندر لاحت الدّهشة على الغلام، وعلّق: «قالت إنها تُريد إعطاءك حصاناً جديداً أيّها السير».

قال دنك وهما راكبان في طريق الخروج على الجسر المتحرّك: «حتى شريفات النّسب لا ينلن ما يُردنه دومًا. ليس حصانًا ما أردتُ». المياه في الخندق مرتفعة إلى درجة التّهديد بالطفوح على ضفافه. «أخذتُ شيئاً آخر أذكرها به عوضاً عن ذلك، خُصلةٌ من ذلك الشّعْر الأحمر»، ومدّ دنك يده تحت معطفه، وأخرج الضّفيرة، وابتسم.

في القفص الحديدي عند تقاطع الطّرق لا تزال الجثتان متعانقتين، تبدوان وحيدتين، مهجورتين. حتى الذّباب تخليّ عنهما، والغربان أيضًا، ولم يتبقّ على عظام الرّجلين الميتين إلا

رُفِعَ قَلِيلَةٌ مِنَ الْجِلْدِ وَالشَّعْرِ.

تَوَقَّفَ دُنْكَ مَقْطَبًا جَبِينَهُ. كَاحِلَهُ يُؤْلِمُهُ مِنَ الرُّكُوبِ، وَلَكِنْ لَا يَهْمُ، الْأَلَمَ جِزْءٌ مِنَ الْفُرُوسِيَّةِ مِثْلُهُ مِثْلَ السُّيُوفِ وَالنِّرَاسِ. سَأَلَ إِج: «أَيُّهُمَا الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنُوبِ؟». صَعِبَ أَنْ يَعْرِفَ وَالْعَالَمَ بِأَسْرِهِ مَطَرٌ وَوَحْلٌ وَالسَّمَاءُ رَمَادِيَّةٌ كَحَائِطٍ مِنَ الْجِرَانِيَتِ.

أَشَارَ إِجَ مَجِيئًا: «هَذَا هُوَ الْجَنُوبُ أَيُّهَا السَّيْرُ، وَهَذَا هُوَ الشَّمَالُ».

- «(بِهَوِّ الصَّيْفِ) فِي الْجَنُوبِ. أَبُوكَ».

- «(الْجِدَارِ) فِي الشَّمَالِ».

نَظَرَ إِلَيْهِ دُنْكَ قَائِلًا: «طَرِيقٌ طَوِيلٌ مِنَ الرُّكُوبِ هَذَا».

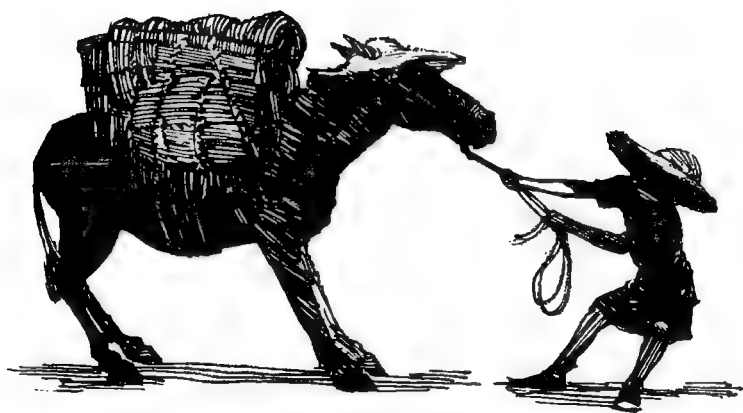
- «عِنْدِي حِصَانٌ جَدِيدٌ أَيُّهَا السَّيْرُ».

ابْتَسَمَ دُنْكَ مَرْغَمًا، وَقَالَ: «صَحِيحٌ. وَلِمَ تُرِيدُ أَنْ تَرَى (الْجِدَارَ)؟».

أَجَابَ إِج: «أَسْمَعُ أَنَّهُ طَوِيلٌ».



الفارس الغامض







كان مطرٌ صيفيٌّ خفيفٌ يسقطُ فيما انصرفَ دنك وإج من
(السبت الحجري).

ركبَ دنك جواده الحربيَّ العجوزَ ثندر، ويجواره إج على متن
الرّهوان الشاب النّشيط الذي سمّاه رين، يقود بغلّهما ميستر.
على ظهر ميستر خُزمت درع دنك وكتب إج، ومعها لفّت النّوم
وخيمتهما وثيابهما، وعدّة شرائح سمكة من اللحم البقري
المملّح القاسي، ونصف إبريق من البتع، وقربتان من الماء.
وقت قبعة إج القش القديمة - القبعة المرنة عريضة الحافة -
رأس البغل من المطر، وقد فرغ فيها الغلام فتحّتين لأذني
ميستر، أمّا قبّعته الجديدة فمستقرّة فوق رأسه. باستثناء فتحّتي
الأذنين، تبدو القبعتان لدنك بلا فرق يُذكر.

مع دنوهما من بؤابة البلدة كبَحْ إِج حصانه بحدّة. فوق المدخل رأسُ خائنٍ مخوزق على وتدٍ حديدي، يبدو من منظره أنه مقطوعٌ حديثًا، لحمه ورديٌّ أكثر منه أخضر، وإن باشرتَ غريبان الجيف شغلها عليه بالفعل. شفتا الرّجل الميت ووجنتاه ممزّقةٌ متهتكة، وعيناه ثقبان بيّان يذرّفان ببطء دموعًا حمراء إذ تمتزج قطرات المطر بقشور الدّم الجاف، وفم الرّجل الميت يرتخي مفتوحًا كأنما ليخطُب في المسافرين العابرين من البوّابة أسفله. رأى دنك مشاهد مماثلة من قبل، وهكذا أخبر إِج: «في (كينجز لاندنج)، وأنا بعدُ صبيّ، سرقتُ رأسًا عن خازوقه مرّةً». في الحقيقة، ابن مقرض هو من تسلّق السور ليختطف الرّأس بعدما قال رافي وپودنج إنه لن يجرؤ أبدًا، ولكن عندما أتى الحُرّاس مسرعين ألقي به ابن مقرض من عل، ودنك هو الذي تلقفه. «كان لورداً متمرداً ما أو فارساً لصاً، أو ربّما مجرّد قاتل عادي. الرّأس رأس. كلّها يبدو سواء بعد بضعة أيّام على الخازوق». استخدمَ دنك وأصدقاؤه الثلاثة الرّأس لإرعاب فتيات (سفع البراغيث)، فاعتادوا مطاردتهن في الأزقة وإجبارهن على تقبيل الرّأس قبل أن يُطلقوا سراحهن. قَبِلَ هذا الرّأس كثيرًا حسبما يذكُر، ففي (كينجز لاندنج) كلّها لم تُوجد فتاة استطاعت الجري بسرعة رافي. على أنه أحسن لإِج ألا يسمع ذلك الجزء. ابن مقرض ورافي وپودنج. وحوشٌ صفار أولئك الثلاثة، وأنا أسوؤهم على الإطلاق. احتفظَ وأصدقاؤه بالرّأس حتى اسودّ اللحم وبدأ ينسلخ، وهو ما أفرغَ مطاردة الفتيات من المرح، وعليه اقتحموا محلّ أكل ذات ليلة وألقوا بما تبقى في القدر. قال لإِج: «الغريبان تقصدُ العيون دوّمًا، وبعد ذلك تغور الوجنتان

ويخضرُ اللحم...»، ثم ضَيَّقَ عينيه معلقًا: «مهلاً. أعرفُ هذا الوجه».

قال إاج: «تعرفه فعلاً أيُّها السير. قبل ثلاثة أيام. السِّيتُون الأُحَدب الذي سمعناه يعظ ضد اللورد غُدا ف الدَّم».

عندها تذكَّر. كان رجلاً تَقِيًّا أعهدَ السَّبعة نفسه، وإن وعظَ بالخيانة. جاهرَ الأُحَدب للجمهور الذي اجتمعَ في ميدان السُّوق: «يداه ملطختان بالقرمزي من دم أخ ومن دماء ابني أخيه الصَّغيرين. بأمره جاء ظلٌ ليخُنق أبناء الأمير فالر الشُّجاع في رِحم أمهم. أين أميرنا الشَّاب الآن؟ أين أخوه العذب ماتارس؟ أين ذهبَ الملك الصَّالح ديرون والجسور بيلور كاسر الحراب؟ القبر حصدهم، جميعهم بلا استثناء، ومع ذلك يبقى هو، ذلك الطائر الشَّاحب ذو المنقار الدَّامي الذي يجثم على كتف الملك إيرس وينعب في أذنه. إنَّ سِمة الجحيم على وجهه وفي عينه الجوفاء، ولقد جلبَ علينا الجفاف والآفات والقتل غيلةً. انتفضوا أقولُ لكم، وتذكَّروا ملكنا الحقيقيَّ عبر الماء. سبعة آلهة لنا، وسبع ممالك، والتَّين الأسود خلَّف سبعة أبناء! انتفضوا أيا سادتي وسيّداتي، انتفضوا أيُّها الفرسان الشُّجعان والأتباع الأجلاد وأطيحوا بغُدا ف الدَّم، ذلك المشعوذ البغيض، لئلا يُلْعَن أولادكم وأولاد أولادكم إلى أبد الآبدين».

- كلُّ كلمةٍ قالها خيانة. وعلى الرغم من ذلك صدمته رؤية الرَّجل هنا بفجوتين احتلَّتْها سابقاً عيناه. قال دنك: «إنه هو، أجل، وسببٌ وجيه آخر لوضع هذه البلدة وراء ظهرنا»، ومسَّ شدر بالهماز، وخرج هو وإاج من بَوابة (السِّيت الحجري)

مستمعين لوقع المطر الخفيف.

تقول الأحجية: كم عينا للورد غُدا ف الدِّم؟ أَلِف عَيْنٍ وعَيْن. يَزْعُم بعضهم أَنَّ يد الملك تلميذ للفنون الظلامية يستطيع تبديل ملامحه؛ يلبس وجه كلب أعور، بل ويتحوّل إلى ضباب، ويقول أناسٌ إِنَّ قُطْعَانًا مِنَ الذَّنَابِ الشَّهَاءِ الضَّارِيَةِ تُطَارِدُ أعداءه حتى تقتنصهم، وإنَّ غُرْبَانَ الجيف تتجسّس لحسابه وتهمس في أذنه بالأسرار. لا يشك دنك أن معظم الحكايات إن هو إلا حكايات، لكن أحدا لا يُمكن أن يشكَّ أَنَّ لغُدا ف الدِّم مُخبرين في كلِّ مكان.

رأى دنك الرَّجل مرّةً بأمِّ عينيه في (كينجز لاندنج). أبيضُ كالعظم جلد برندن ريفرز وشعره، وعينه - عينٌ وحيدة إذ فقدَ الأخرى على يد أخيه غير الشقيق الفولاذ الأليم في (حقل العُشب الأحمر) - حمراء كالدم، وتحمل الوجنة والرّقبة الوحمة الخمرية التي أكسبته اسمه.

لَمَّا اتَّسَعَت المسافة بينهما وبين البلدة خلفهما تنحنح دنك وقال: «أمرٌ سيئٌ قطعَ رؤوس السِّتونات. كلُّ ما فعله أنه تكلم. الكلام هواء».

- «بعض الكلام هواء أيُّها السير، وبعضه خيانة». إيج نحيلُ كعصا، بارز الضُّلوع والمرفقين، لكنه طويل اللِّسان حقًا.
- «الآن تتكلَّم كأمرٍ حقيقي».

عَدَّهَا إِجْ إِهَانَةً، وَهِيَ كَذَلِكَ. «رَبِّمَا كَانَ سِبْطُونَا، لَكِنَّهُ وَعَظَّ
بِالْأَكَاذِيبِ أَيُّهَا السَّيْرُ. الْجَفَافُ لَمْ يَكُنْ ذَنْبُ اللَّورْدِ غُدَافِ
الدَّمِّ، وَلَا الْوَبَاءُ الرَّبِيعِيِّ الْعَظِيمِ».

- «وَارْدُ أَنْ هَذَا صَحِيحٌ، وَلَكِنْ إِذَا شَرَعْنَا نَقْطَعُ رَأْسَ كُلِّ أَحْمَقٍ
وَكُذَّابٍ فَسَيَفْرُغُ نَصَفُ الْبُلْدَاتِ فِي (الْمَمَالِكِ السَّبْعِ)».

بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ لَمْ يَعُدَّ الْمَطَرُ إِلَّا ذَكَرَى.

خَلَعَ دَنْكُ غِلَالَتِهِ لِيَسْتَمْتَعَ بِضَوْءِ الشَّمْسِ عَلَى جِلْدِهِ، وَعِنْدَمَا
هَبَّ قَلِيلٌ مِنَ النَّسِيمِ الْفَاتِرِ الْعَلِيلِ الْعَبِقِ كَأَنْفَاسِ عِذْرَاءٍ، تَنَهَّدَ
وَأَعْلَنَ: «مَاءٌ. هَلْ تَشْمُهُ؟ لَا بُدَّ أَنْ الْبَحِيرَةُ قَرِيبَةٌ».

قَالَ إِجْ: «لَا أَشْمُ إِلَّا مَيْسْتَرِ أَيُّهَا السَّيْرُ. رَائِحَتُهُ كَرِيهَةٌ»، وَشَدَّ
مَقُودَ الْبَغْلِ بِفِظَازَةٍ. كَانَ مَيْسْتَرٌ قَدْ تَوَقَّفَ لِيَرْعَى فِي الْكَلَاءِ عَلَى
جَانِبِ الطَّرِيقِ كَمَا يَفْعَلُ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرٍ.

- «عِنْدَ شَاطِئِ الْبَحِيرَةِ خَانٌ». تَوَقَّفَ دَنْكُ هُنَاكَ مَرَّةً وَهُوَ
يُرَافِقُ الْعَجُوزَ. «السَّيْرُ آرْلَانُ قَالَ إِنَّهُمْ يُخَمِّرُونَ مَزْرَأَ بَنِيٍّ مِمْتَازًا.
لَعَلَّ يَامَكَانَنَا أَنْ نَتَذَوِّقَهُ وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الْعَبَّارَةَ».

رَمَقَهُ إِجْ بِنَظَرَةٍ أَمَلٍ سَائِلًا: «لَنْبَلَعَ الطَّعَامُ أَيُّهَا السَّيْرُ؟».

- «أَيَّ طَعَامٍ؟».

قال الغلام. «شريحة من الشواء؟ قطعة من البط؟ وعاء من
اليخنة؟ أيّا كان ما عندهم أيّها السير».

وجبتهما الساخنة الأخيرة أكلاها قبل ثلاثة أيام، ومنذ ذلك
الحين يعيشان على سُقاط الأشجار وشرائح قديمة من اللحم
البقري المملح القاسي كالخشب. سيحسن أن نضع طعامًا حقيقيًا
في بطنينا قبل أن نتوجّه شمالًا. الطريق إلى ذلك (الجدار) طويل.
اقترح إج: «يُمكننا البيات أيضًا».

- «هل يُريد سيدي سريرًا محشوًا بالريش؟»
ردّ إج شاعرًا بالإهانة: «القشُّ سيناسبني تمامًا أيّها السير».
- «ليس معنا مال للأسرة».

- «معنا اثنان وعشرون بنسًا وثلاث نجوم وأيّل واحد، وقطعة
العقيق القديمة المكسورة أيّها السير».
حكّ ذك أذنه قائلاً: «ظننتُ أن معنا أيّلين».
- «كان معنا إلى أن اشتريتَ الخيمة. الآن معنا واحد».

- «ولن يتبقّى معنا شيء إذا بدأنا ننام في الخانات. أتريد أن
تقاسم بائعًا متجولًا ما سريرًا وتستيقظ مُعدّي براغيثه؟»، ونخرَ
ذكَ متابعًا: «أنا لا أريد. إنّ لديّ براغيثي، وهي ليست مولعةً
بالغرباء. سننام تحت النجوم».

علّق إج: «النجوم حلوة، لكن الأرض صلبة أيّها السير، ومن
اللطيف أحيانًا أن يحظى المرء بوسادة لرأسه».

- «الوسائد للأمرء». إج مُرافق صالح يُريده أيّ فارس، لكن مشاعر الأمرء تموج فيه أحياناً. الولد في عروقه دم التّنين، إيّاك أن تنسى. عن نفسه، في عروق دنك دم شحّاذين... أو هكذا اعتادوا أن يقولوا له في (سَفْحِ البراغيث) إذا لم يقولوا له إنّ الشَّنق مصيره الأكيد. «لعلّ باستطاعتنا دفع تكلفة قليل من المزور وعشاءٍ ساخن، لكنني لن أبَدّد مبلغاً فادحاً على سُرير. علينا أن ندّخر بنساتنا للنُّوتي». آخر مرّةٍ عبّرَ فيها البحيرة كلّفت العبارة قليلاً من القطع النّحاسيّة، لكن ذلك حدث قبل ستّ سنوات، أو ربّما سبع. كل شيء غلا منذ ذلك الوقت.

قال إج: «حسن، يُمكننا استخدام حذائي للعبور».

ردّ دنك: «يُمكننا، لكننا لن نفعل». استخدام الحذاء خطر. سينتشر الخبر. دائماً ينتشر الخبر. مُرافقه ليس أصلح مصادفة. إنّ لإج عينيّ (فاليريا) القديمة الأرجوانيّتين، وشعرًا يَبْرُق كما لو أنّ ذهباً مطرّقاً حُبِكَ بجداول من الفضة. كأنه يضع دُبوساً بشكل تيّين ثلاثي الرُّؤوس لو ترك ذلك الشَّعر ينمو. إنها أوقاتٌ محفوفة بالمخاطر في (وسترُوس)، و... الأفضل تجنّب المخاطرة. «كلمةٌ أخرى عن حذائك اللّعين وسألطمك على الأذن بشدّة تُطِيرك من فوق البحيرة طيراناً».

- «أوثرُ أن أصبح أيّها السير». يُجيد إج السّباحة، أمّا دنك فلا. التفت الغلام فوق سرجه، وقال: «سير؟ أحدهم قادم على الطّريق خلفنا. أسمع الخيول؟».

- «لستُ أصمّ». يرى دنك الغبار الذي يُثيرونه أيضاً. «فرقة كبيرة، ومتعجّلة».



تساءل إاج: «أتظنهم خارجين عن القانون أيها السير؟»، وقام واقفاً فوق ركابيه، متحمساً أكثر منه خائف. هكذا ديدن الغلام.

- «لو أنهم خارجون عن القانون لكانوا أهدأ». هزّ ذنك مقبض سيفه ليخلخل النّصل في غمده، وقال: «ومع ذلك سنخرج عن الطريق ونتركهم يمرّون. اللوردات أنواع». لا يضرّ أبداً أن يتحلّى المرء بشيء من الحذر، فالطرق لم تعد بأمنها السّابق والملك دِيرُون الصّالح جالس على العرش الحديدي.

أخفى هو وإاج نفسيهما وراء شجيرة شائكة، وحلّ ذنك ثُرسه وركبته على ذراعه. ثُرس قديم هو، طویل وثقیل وبشكل حَبّة لوز، مصنوع من خشب الصّنوبر ومؤطر بالحديد. ابتاعه ذنك في (السبت الحجري) عوضاً عن الثُرس الذي أحالته ضربات الإنش الطویل إلى شظايا حين تقاتلا، ولم يجد الوقت ليجعل أحدهم يرسم عليه دردارته وشهابه، ولذا ما زال يحمل شعار



مالكه الأخير: رجلاً مشنوقاً يتأرجح كتيب المنظر رمادياً أسفل شجرة شنق. ليس بالرمز الذي يُحِذُّ أن يختاره لنفسه، لكنه اشترى الثُرس بثمانٍ رخيص.

خلال لحظاتٍ مرَّ أوَّلُ الخيالة مهرولين: لوردان صغيرانٍ شابَّانِ يمتطيان زوجين من الأحصنة العداءة. يعتمر راكب الكميت خوذةً مفتوحة الوجه من الفولاذ المذهب ذات ثلاث ريشات، واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة ذهبية، تُضاهيها ريشات تُزَيِّنُ واقِي عُنق حصانه. أمَّا الفحل الأسود الذي يُجاوره فمدْرَع بالأزرق والذهبي، تتموَّج كُسوته في ريح مروره وهو ينطلق مدبِّباً كهزيم الرِّعد. جنباً إلى جنب اندفع الخيَّالان يمرَّان متصايحين متضاحكين، يسترسل معطفاهما الطويلان وراءهما.

بمزید من الرِّصانة تبعهما لورد ثالث على رأس طابورٍ طويل. في الرِّكب دستتان من الرجال، ساسة وطبَّاخون وخدم، كلهم

لُمصاحبة ثلاثة فرسان فقط، وعلاوةً على ذلك رجال مسلّحون ونشّابون راكبون، ودسته من خيول الجرّ المثقلة بدروعهم وخيامهم ومؤنهم. من سرج اللورد يتدلّى ترسه البرتقاليّ الغامق المرسومة عليه ثلاث قلاع سوداء.

يعرف دنك هذا الشّعار، ولكن من أين؟ اللورد الذي يحمله رجلٌ أكبر سنّاً، قاسي الفم ومتجهّم، له لحية قصيرة القصّة بلونَي الملح والفلفل. ففكر دنك: ربّما كان في (مرج آشفرد)، أو جائز أنّنا خدمنا في قلّعتي في أثناء مرافقتي السير آرلان. على مرّ السنين أدّى الفارس الجوّال العجوز خدماتٍ في حصونٍ وقلاعٍ كثيرة إلى درجة أنّ دنك لا يتذكّر نصفها.

كبح اللورد حصانه فجأةً رامقاً شجيرة الشّوك بعبوس، وقال: «أنت، في الدّغل، أظهر نفسك». خلفه ثبّت اثنان من الرّماة سهمين إلى قوسيهما، فيما استمرّ الباقيون في طريقهم.

تحرّك دنك وسط العُشب الطّويل واضعاً ترسه على ذراعه ومربحاً يُمناه على قبعة سيفه الطّويل، وقد تحوّل وجهه إلى قناع بنيّ محمر من الغبار الذي أثّارته الخيول، إضافةً إلى عُريه فوق الخصر. عرف أنه يبدو قدر الهيئة، لكن الرّاجح أنّ حجمه هو ما جعل الآخر يتوقّف. قال دنك: «لسنا نريد شجاراً يا سيدي. لا يوجد إلّانا، أنا ومرافقي»، وأشار لإيج بالتّقدّم.

- «مرافق؟ أتدّعي أنك فارس؟».

لم ترق دنك طريقة نظر الرّجل إليه. من شأن هاتين العينين أن تسلخا رجلاً. بدا له تصرّفًا سديداً أن يرفع يده عن سيفه. «أنا فارسٌ جوّال أبحث عن خدمة».

- «كلُّ فارس لصّ شنفته قال الشّيء نفسه. لعلّ رمزك نبوءة أيُّها السّير... لو أنّك «سِير» بحق. مشنقةٌ ورجل مشنوق. هذا شعارك؟».

- «لا يا سيدي. عليّ أن أعيد طلاء الثُّرس».

- «لماذا؟ هل سرقته من جثة؟».

- «بل اشتريته، وبشمن كبير». ثلاث قلاع، أسود على برتقالي... أين رأيتها من قبل؟ «لستُ لصّاً».

سأله اللورد وعيناه باديتان كشظيّتين من الصوّان: «كيف حصلت على تلك النّدبة على خديك؟ جرحٌ من كُرباج؟».

- «خنجر، لكن وجهي ليس من شأنك يا سيدي».

- «سأحكمُ أنا على ما هو من شأنِي».

عندئذٍ كان الفارسان الأصغر سنّاً قد عادا يخبّان ليريا ما عطل الرّكب. «هأنّذا يا جورمي». صاح بها خيَال الحصان الأسود، شابٌّ نحيف رشيق صاحب وجهٍ وسيم حليق وملامح متناسقة، ينسدل شعرٌ أسود لامع حتى ياقته. دبليّته مفصّلة من الحرير الأزرق القاتم المحفّف بالسّاتان الذهبي، وعلى صدره صليبٌ مشرّش مطرّزٌ بخيطٍ ذهبي، في رُبعيه الأوّل والثّالث كمنجّة ذهب، وفي الثّاني والرّابع سيفٌ ذهب. انعكس في عينيه أزرق دبليّته العميق وتلألأ فيهما الاستطراف إذ قال: «ألن خشي أنّك سقطت من فوق حصانك. عُذر ملموس كما يبدو لي. كنتُ على وشك أن أسبقه».

سأل راكب الكُميت: «مَن قاطعا الطّريق هذان؟».

استشاطَ إِجْ غضبًا من الإهانة، وردَّ: «لا يُوجَد ما يدعو إلى وصفنا بقاطعي الطريق يا سيدي. عندما رأينا عُباركم حسبناكم أنتم خارجين عن القانون. إنه السَّبب الوحيد لاختبائنا. هذا السير دنكن الطويل، وأنا مُرافقه».

لم يُعر اللوردان الصَّغيران كلامه انتباهًا أكثر من انتباههم لنقيق ضفدعة، بل أعلنَ فارس الرِّيشات الثلاث: «أعتقدُ أنَّ هذا أكبر أخرق رأيته على الإطلاق». للرَّجل وجه مكتنز تحت شعر مجعَّد بلون العسل الغامق. «سبعة أقدام طولًا على أقل تقدير، أراهنُ. يا للدَّوي العظيم الذي سيُصدِّره حينما يسقط أرضًا!». شعرَ دنك بوجهه يحتقن، وفكَّر: ستخسر رهانك. آخر مرَّة أخذت فيها مقاساته، أعلنَ إيْمون أخو إِج أنَّ بينه وبين بلوغ الأقدام السَّبعة بوصة.

قال اللورد الصَّغير المرَّش: «أهذا جوادك الحربيُّ أيُّها السير عملاق؟ يُمكننا أن نذبحه لأجل لحمه في ظني». قال الفارس أسود الشَّعر: «كثيرًا ما ينسى اللورد آلن كياسته. أرجو أن تُسامحه على فظاظة كلامه أيُّها السير. آلن، ستسأل السير دنكن عفوهُ».

- «إذا كان ولا بُدَّ. هلاً سامحتني أيُّها السير؟». قالها ولم ينتظر ردًا، بل أدارَ كُميته وخبَّ على الطريق مبتعدًا.

أمَّا الآخر فمكثَ وسأل: «أأنت متَّجه إلى الرِّفاف أيُّها السير؟». شيء ما في نبرته جعلَ دنك يُريد أن يتملَّقه، إلَّا أنه قاوم الرَّغبة المبالغتة قائلًا: «نقصد العبَّارة يا سيدي».



- «ونحن أيضًا... لكن لا سادة في هذا الجوار إلا جُورمي وذلك السَّفيه الذي تركنا، أكن كوكشؤ. أنا فارسُ جَوَّال متشرِّدٍ مثلك. أدعى بالسيرِ جُون الكمنجي».

اسمٌ من النَّوع الوارد أن يختاره فارسُ جَوَّال، لكن دنك لم يرَ قَطُّ فارسًا جَوَّالًا مكسَّوًا أو مسلَّحًا أو راكبًا بهذه الفخامة. فارس السِّياج الذَّهبي. «تعرف اسمي. مُرافقي يُدعى بياج».

- «لقاء سعيد أيُّها السير. تعال، اركب معنا إلى (الجدران البيضاء) واكسر بعض الرِّماح لمساعدة اللورد بَتْرول على الاحتفال بزيجته الجديدة. أراهن أنك ستُثبت امتياز أدائك».

لم يَخْض دنك أيَّة مثاقفات منذ (مرج آشفرد). فكَّر: إذا أمكنني الفوز ببعض الفديات فسأُكل طعامًا طيِّبًا في الطريق شمالًا، لكن اللورد ذا القلاع الثلاث على تُرسه قال: «السير دنكن محتاج إلى مواصلة رحلته، ونحن كذلك».

لم ينتبه جُون الكمنجي للرَّجل الأكبر سنًا، وقال: «سأحبُّ حقًّا أن يتقارع سيفانا أيُّها السير. لقد جرَّبتُ رجالًا من شَتَّى الأراضي والأعراق، لكن أحدهم لم يكن بحجمك إطلاقًا. أكان أبوك كبيرًا أيضًا؟».

- «لم أعرف أبي قَطُّ أيُّها السير».

ردَّ الكمنجي: «يُحزنني أن أسمع هذا. لقد أُخِذَ والدي مني مبكرًا جدًّا»، ثم التفت إلى اللورد ذي القلاع الثلاث قائلاً: «ينبغي أن نطلُب من السير دنكن الانضمام إلى صُحبتنا المرحة».

- «نوعه لا يلزمنا».

عجزَ دنك عن الكلام. الفرسان الجوّالة المفلسون لا يُطلَب منهم في أغلب الأحيان الرُّكوب مع لُوردات عُلّة المقام. سأجدُ أشياءً مشتركة أكثر بيني وبين خدمه. حسبما قدّر من طول الطّابور، جلبَ اللُورد كوكشُو والكمنجي معهما ساسةً للعناية بخيولهما، وطبّاخين لإطعامهما، ومُرافقين لتنظيف دروعهما، وحرّساً للدِّفاع عنهما. دنك معه إج.

ضحك الكمنجي قائلاً: «نوعه؟ أيُّ نوع هذا؟ النّوع الكبير؟ انظر إلى حجمه! تُريد رجالاً أقوياء. السيّافة الشُّبان قيمتهم أعلى من الأسماء القديمة كما سمعتُ كثيراً».

- «سمعتُ من حمقى. إنك تعرف قليلاً فأقلّ عن هذا الرّجل. قد يكون قاطع طريق، أو أحد جواسيس اللُورد عُداف الدّم».

قال دنك: «لستُ جاسوساً لأحد. ولا يُوجد ما يدعو سيدي إلى الكلام عني كأني أصمُّ أو ميت أو في (دورن)».

تفرّست فيه هاتان العينان الصّوّائيتان، وقال الرّجل: «(دورن) مكانٌ يليق بك أيّها السير. لك إذني في الدّهَاب إلى هناك».

قال الكمنجي: «لا تُعره اهتماماً. إنه عجوزٌ قاسي الحسّ يرتاب في الجميع. جورمي، يُراودني شعورٌ طيّب بشأن هذا الشّخص. سير دنكن، هلاًّ أتيت معنا إلى (الجُدران البيضاء)؟».

- «سَيدي، إِنني...». كيف يُشارِك أُمثال هؤلاء مَخيمًا؟
 خدَمهم سَيَنصبون سُرادقاتهم، وساسَتهم سَيُمشِطون أَحصنَتهم،
 وطَبّاخوهم سَيُقَدِّمون لِكُلِّ منهم دِيكا مَسْمَنًا أو قِطْعَةً كَبِيرَةً مِن
 لَحْم البَقَر، فَيَما يَقضِمُ دَنكَ وإِج مِن شِرائِح اللَّحْم المَمْلَح
 القاسي. «لا أَسْتَطيع».

عَلَّق اللُّورد ذُو القِلاع الثَّلَاث: «كَما تَرى، إِنَّه يَعرِف مَقامه،
 ومَقامه لَيس مَعنا»، وعادَ يَدور بِحصانَه نَحو الطَّرِيق مُضيقًا:
 «الآن يَسبِقنا اللُّورد كُوكَشُو بَنصَف فرسَخ».

- «أُظنُّ أَنَّ عَلَيَّ مِطارِدَتَه ثانِيَةً»، وابْتَسَم الكَمنجي لَدَنكَ
 مَعتَذِرًا، وَقال: «قَد نَلتَقِي مَرَّةً أُخَرى يَومًا ما. آمَلُ هَذا. سَأحِبُّ
 حَقًّا أَن أَجَرِّبَ فِيك رُمحي».

لَم يَدِرْ دَنكَ بِمَ يَرُدُّ، وأَخيراً اسْتَطاعَ أَن يَقول: «حَظًّا سَعِيدًا
 فِي المِضمارِ أَتُها السَّير»، غَيرَ أَنَّ السَّيرَ چُون كانَ قَد دارَ لِملاحِقَةِ
 الرُّكَب بِالفِعل، وَرَكَبَ اللُّورد الأَكبَر سَنًا وَراءَه. سَرَّ دَنكَ أَن يَراهِ
 يَرحل، فَلَم تُعجِبَه عَيناه الصَّوائِتان، وَلا غَطرَسَةُ اللُّوردِ الْكَن.
 الكَمنجي تَحَدَّثَ بِدِماثَةٍ كافِيَةٍ، لَكن فِيهِ شَيًّا غَريبًا كَذلك. قالَ
 لِإِج وَهما يُشاهِدانِ غُبارَ رَحيَلِهما: «كَمنجَتانِ وَسِيفانِ فِي صَليبِ
 مِشرَشَر. أَيُّ عائِلَةٍ هَذه؟».



- «ليست عائلةً أيُّها السير. لم أرَ ذلك الثَّرسَ قَطُّ في أيِّ لائحةٍ شعاراتٍ».

- لعلَّه فارسٌ جَوَّالٌ رغمَ كلِّ شيءٍ. ابتكرَ دنكَ شعاره في (مرج أشفرد)، عندما سأَلتهَ محرَّكةُ دُمي اسمها تانسل مديدة القامة ماذا يُريد أن يرسم على ثُرسه. «هل اللورد الأكبر سنًّا قريبٌ ما لعائلةٍ فراي؟». يحمل آل فراي قلاعًا على تراسهم، وأملاكهم ليست بعيدةً عن هنا.

دوَّر إيج عينيه في محجرتيهما، وردَّ: «رمز فراي بُرجان أزرقان لا قلعتان، يربط بينهما جسر على خلفيَّة رماديَّة. أمَّا تلك فثلاث قلاعٍ لا أبراج، أسود على برتقالي أيُّها السير. هل رأيت جسرًا؟».

- «لا». يفعل هذا ليضايقني فحسب. «والمرةُ التَّالية التي تُدوِّر فيها عينيك لي سأُطمك على الأذن بشدَّةٍ تغرسهما في رأسك للأبد».

أبدى إيج حُسن الأدب إذ قال: «لم أقصد...».

- «دعك ممَّا قصدته. أخبرني مَنْ هو فحسب».

- «جورمُون بيك، سيِّد (ستاربايك)».

- «إنها في (المرعى)، أليس كذلك؟ أيملك ثلاث قلاعٍ حقًّا؟».

- «على ثُرسه فقط أيُّها السير. عائلة بيك امتلكت ثلاث قلاعٍ سابقًا فعلاً، لكن اثنتين منهما ضاعتا».

- «كيف يُضيِّع المرء قلعتين؟».

- «بقتاله في صفوف التّين الأسود أيّها السّير».

- «أوه». شعرَ دنك بالغباء. تلك المسألة مجدّداً.

طوال مُتَيّ عام حكمَ البلاد أخلاف إيجون الفاتح وأختيه الذين وُحِدوا (الممالك السّبع) وصاغوا العرش الحديدي، وتحمل راياتهم الملكيّة تَينَ عائلة تارجارين ثلاثي الرُّؤوس، أحمر على أسود. قبل ستّة عشر عامًا انتفض ابنُ نغل للملك إيجون الرّابع اسمه ديمون بلاكفاير متمردًا ضد أخيه شرعي المولد، واستخدم ديمون التّين ثلاثي الرُّؤوس على راياته بدوره، بيد أنه عكس اللّوتين مثلما يفعل كثيرٌ من النّغول. انتهى انتفاض ديمون في معركة (حقل العُشب الأحمر)، حيث ماتَ وابناه التّوأمين تحت وابل من سهام اللّورد غُداث الدّم، والمتمردون الذين نجوا وركعوا نالوا عفواً، لكن بعضهم فقدَ أراضي، وبعضهم ألقاباً، وبعضهم ذهباً، وسلّموا جميعاً رهائن لضمان ولائهم مستقبلاً.

- ثلاث قلاع، أسود على برتقالي. «الآن أذكرُ. السّير آرلان لم يحبّ قطّ أن يتكلّم عن (حقل العُشب الأحمر)، ولكن في مرّةٍ وهو سكران حكى لي كيف ماتَ ابنُ أخته». يكاد يسمع صوت العجوز من جديدٍ ويشمُّ النّبيذ في أنفاسه. «رؤجر ابن (شجرة البنسات)، كان هذا اسمه. حطّمت رأسه مقمعةً حملها لورد على ثُرسه ثلاث قلاع». اللّورد جورمون بيك. العجوز لم يعرف اسمه قطّ، أو إنه لم يرغب في معرفته قطّ. الآن لا يعدو اللّورد بيك وچون الكمنجي وركبهما سحابةً بعيدةً من الغبار الأحمر. وقعَ ذلك منذ ستّة عشر عامًا. المدّعي ماتَ، ومن تبعوه نُفوا أو صُفِحَ عنهم. على كلّ حال، الأمر لا يمتُّ لي بصلّة.

لفترةً واصلاً الرُّكوب دونما كلام، يُصغيان إلى صياح الطَّير الشَّجي. بعد نصف فرسخٍ تنحنحُ دنك وقال: «بَتَرُول، أراضيه قربة؟».

- «على ضَفَّة البحيرة الأخرى أَيْهَا السَّير. اللورد بَتَرُول كان قِيم النَّقد والملك إِيْجُون بعدُ على العرش الحديدي. الملك دِيرُون عَيْنه يَدًا، ولكن ليس لوقتٍ طويل. شعاره شرائط خضراء وصفراء وبيضاء متموجة أَيْهَا السَّير». يحبُّ إِج استعراض إمامه برموز النَّبالة.

- «أهو صديقٌ لأبيك؟».

لوى إِج قسماته استهجانًا، وقال: «أبي لم يحبَّه قَطُّ. خلال التَّمَرْد قاتلَ ابن اللورد بَتَرُول الثَّاني في سبيل المدَّعي وابنه الأكبر في سبيل الملك. بهذه الطَّريقة ضَمَنَ أَنه مع الطرف الرَّابح. اللورد بَتَرُول لم يُقاتِل في سبيل أيِّ أحد».

- «قد يصف بعضهم ذلك بالحصافة».

- «أبي يصفه بالجُبْن».

- أجل، معقول. الأمير ميْكار رجلٌ قاس، ذو كبرياء ومفعمٌ بالازدراء. «علينا أن نمُرَّ على (الجُدران البيضاء) لنَبْلُغ (طريق الملوك). لِمَ لا نملاً بطنيشاً؟». مجرَّد الفكرة جعلَ بطنه يُقرقر. «قد يحتاج أحد ضيوف الرِّفاف إلى حراسةٍ في طريق العودة إلى مقرِّه».

- «قلتُ إننا ذاهبان شمالاً».

- «(الجدار) قائم منذ ثمانية آلاف سنة. سيبقى وقتًا أطول. بين هنا وهناك ألف فرسخ، وسينفعنا مزيدٌ من الفضة في كيس نقودنا». قالها دنك متخيلاً نفسه على متن ثندر، يدعس ذلك اللورد العجوز عابس الوجه ذا القلاع الثلاث على ترسه. لكم سيكون ذلك حُلواً. حينما يأتي ليدفع فدية سلاحه ودرعه يُمكنني أن أخبره: «مُرافق العجوز السير آرلان هو الذي هزمك، الصّبي الذي حل محل الصّبي الذي قتلته». سيُعجب العجوز ذلك.

- «لستُ تُفكّر في دخول مضمار النّزال، أليس كذلك أيّها السير؟».

- «ربّما حانَ الوقت».

- «لم يحنَ أيّها السير».

- «ربّما حانَ الوقت لأن أعطيك لطمّة موجعةً على الأذن». لن يلزمني إلّا الفوز في مُثاقفتين. إذا أمكنني أن أجني فديتين وأدفع واحدةً فقط فسأكل كالملوك عامّا كاملاً. «إذا أقاموا التحامًا جماعيًا فقد أشرتُ فيه». حجم دنك وبأسه سيُجديانه في التحامٍ جماعي نفعا أكثر من المضمار.

- «لم تجرِ العادة على إقامة التحامٍ جماعيٍّ في زفافٍ أيّها السير».

- «لكن العادة جرّت على إقامة مأدبة. إنّ أماننا طريقًا طويلًا. لمَ لا نطلق ببطنين ممثلّين من باب التّغيير؟».



كانت الشمس منخفضة في الغرب عندما رأيا البحيرة المتألقة
مياهها حمراء وذهبية، لامعة مثل رقيقة من النحاس المطرق.
حين لمحا بُرجات الخان فوق بعض أشجار الصفصاف، عاد
دنك يرتدي غلاته الملوثة بالعرق وتوقف ليرش وجهه بقليل
من الماء، فغسل غبار الطريق قدر الإمكان، ومرر أصابع مبتلة
في ثنايا شعره الكثيف الذي فتحت لونه الشمس. ليس بإمكانه
أن يفعل شيئاً حيال حجمه أو الندبة التي تسم خده، لكنه يريد
أن يخفف من مظهره الشبيه بفارس لصّ جامع.

تبين أن الخان أكبر مما توقع، عبارة عن مكان رمادي عظيم
يمتد مبنياً بالخشب ومزوداً بـبرجات، نصفه مقام على ركائز
فوق الماء، وقد فرش طريق من ألواح الخشب المقطعة بغير
انتظام فوق شطّ البحيرة الموحد حتى مرسى العبارة، ولكن
لا العبارة ولا النواتي باديان للعيان. عبر الطريق يرتفع إسطبل
مسقوف بالقش، وتحيط سور من الأحجار الجافة الساحة، لكن
البوابة مفتوحة. في الداخل وجدا بئراً ومسقاة، فقال دنك لاج:
«اعتن بالحيوانات، ولكن احرص ألا تشرب أكثر من اللازم.

سأسأل عن طعام».

وجدَ صاحبة الخان تَكُنْس السَّلام، وخاطبته المرأة: «هل أتيت من أجل العبارة؟ وصلت متأخرًا. الشَّمْس تغيب، وند لا يحبُّ العبور ليلاً إلاَّ والبدر تامُّ. سيرجع في الصَّباح الباكر».

- «أتعرفين كم يَطْلُب؟».

- «ثلاثة بنسات لكل فرد، وعشرة للحصان».

- «معنا حصانان وبغل».

- «عشرة للبغل أيضًا».

أجرى دنك الحسبة في رأسه، فتوصَّل إلى أنَّ النَّتيجة ستَّة وثلاثين، أكثر ممَّا أملَ أن يُنفق. «آخر مرَّة جئتُ فيها إلى هذه الأنحاء كلَّف العبور بنسِن فقط، وستَّة للأحصنة».

- «كَلِمَ ند في ذلك. الأمر لا يعنيني. لو أنك تبحث عن سرير فليس عندي. اللورد شاووني واللورد كوستين جلبا حاشيتيهما. المكان ممثلي حدَّ الانفجار».

- «هل اللورد بيك هنا أيضًا؟». لقد قتلَ مرافق السَّير آرلان. «كان مع اللورد كوكشُو وجُون الكمنجي».

أجابَت: «ند عبَّر بهم في رحلته الأخيرة»، ونظرت إلى دنك من أعلى إلى أسفل سائلة: «أكنتما ضمن صُحبتهم؟».

- «قابلناهم على الطَّريق لا أكثر». من نوافذ الخان تتسرَّب رائحة طيِّبة، رائحة أسالت لُعاب دنك. «قد نوذُّ أن نتناول قليلاً ممَّا تشوين، لو أنَّ التَّكلفة ليست فوق قُدرتنا».

قالت المرأة: «إنه خنزيرٌ برِّي، متبلٌ بكثيرٍ من الفلفل ويُقدَّم مع البصل وعيش الغراب والسَّلجم المهروس».

- «يُمكننا الاستغناء عن السَّلجم. بضع شرائح من الخنزير

وكوز من مزركِ البني الممتاز كفايةً لنا. كم تَطْلُبِينَ ثمنًا لذلك؟ وهل لنا بمكانٍ على أرضيةِ إسطبلِكِ لنبيت اللبلة؟».

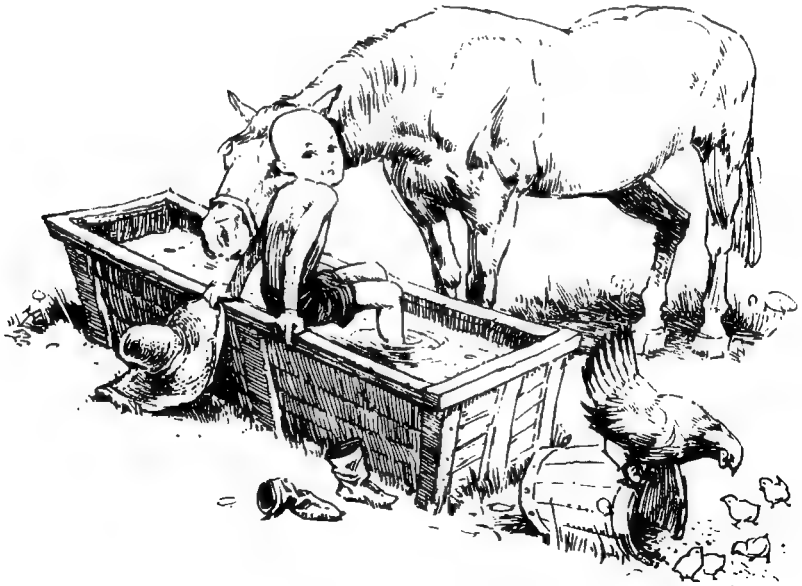
أخطأ دنك لما قال هذا، إذ ردَّت المرأة: «الإسطبلات للخيول. لهذا نُسَمِّيها إسطبلات. إنك كبيرٌ كحصان، أقرُّ بهذا، لكنني لا أرى إلا ساقين»، ولوحت بمكنستها في اتجاهه لتطرده. «لا يمكن أن يُرجى مني أن أطعم (الممالك السبع) بأكملها. الخنزير لضيوفي، وكذلك مزري. لن أدع اللوردات يقولون إنَّ عندي نقصًا في الطعام والشراب قبل أن يُتخَموا بطونهم. البحيرة مليئة بالأسماك، وستجد بعضًا من الأشقياء الآخرين مخيمًا عند الأرومات. فُرسان جَوَّالة لو صدَّقتهم». أوضحت لهجتها تمامًا أنها لا تُصدِّقهم. «لعلَّ معهم طعامًا يقتسمونه. الأمر لا يعنيني. فلتنصرف الآن. عندي عمل». انغلق الباب بخبطةٍ قويَّةٍ وراءها قبل أن يُفكِّر دنك في مجرَّد الاستفسار أين يجد تلك الأرومات. وجدَّ إيج جالسًا فوق مسقاة الخيول، يغمس قدميه في الماء ويُهَوِّي وجهه بقبَّعته المرنة الكبيرة. «هل يشوون خنزيرًا أيُّها السير؟ أشمُّ رائحته».

أجاب دنك بنبرةٍ كثيفة: «خنزيرٌ بريّ، ولكن من يُريد لحم خنزير بريّ ونحن معنا لحمٌ بقريٌّ مملح ممتاز؟».

أبدى إيج تفكُّره، وقال: «أيمكنني من فضلك أن آكل حذائي بدلًا من ذلك أيُّها السير؟ سأفصل زوجين جديدين من اللحم المملح. إنه أقسى».

قال دنك محاولاً ألا يبتسم: «لا، لا يُمكنك أن تأكل حذاءك، ولكن كلمة واحدة أخرى وستأكل قبضتي. ارفع قدميك من هذه المسقاة»، ثم وجدَ خوذته العظيمة على ظهر البغل وقذفَ بها من تحت ذراعه لإج قائلًا: «اسحب ماءً من البئر وانقع اللحم». ما لم تنقعه وقتاً طويلاً، فغالبًا سيكسر اللحم المملح أسنانك. أفضل مذاقٍ له وهو منقوعٌ في المزر، لكن الماء سيصلح. «ولا تستخدم المسقاة، فلا أريدُ أن أذوق قدميك».

لوى إج أصابع قدميه قائلًا: «قدماي ستُحسنان المذاق ليس إلا أيُّها السير»، لكنه نفَّذ الأمر.



اتَّضح أَنَّ العُثُورَ عَلَى الْفُرْسَانِ الْجَوَّالَةِ لَيْسَ صَعْبًا. لَمَحَ إِجْ نَارَهُمْ تَوَمُّضٌ فِي الْغَابَةِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى شَطِّ الْبَحِيرَةِ، وَهَكَذَا اتَّجَهَا إِلَيْهَا قَانِدَيْنِ حَيَوَانَاتُهُمَا خَلْفَهُمَا. تَحْتَ ذِرَاعِهِ حَمَلُ الْغُلَامِ خَوْذَةُ دَنْكِ الَّتِي رَاحَ الْمَاءُ يَتَلَاطَمُ فِيهَا مَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ. حِينَئِذٍ لَمْ تَعُدِ الشَّمْسُ إِلَّا ذَكَرَى حَمْرَاءَ فِي الْغَرْبِ. لَمْ يَمُضْ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى انْفَتَحَتْ الْأَشْجَارُ، وَوَجَدَا نَفْسَيْهِمَا فِي مَكَانٍ لَا بُدَّ أَنْ غِيضَةً وَيُرْوَدُ احْتَلَّتْهُ فِي الْمَاضِي. لَمْ يَتَبَقَّ إِلَّا حَلَقَةٌ مِنَ الْأُرُومَاتِ الْبَيْضَاءِ وَشَبَكَةٌ مِنَ الْجُذُورِ الْبَيْضَاءِ كَالْعَظْمِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْبَقَاعِ الَّتِي ارْتَفَعَتْ فِيهَا الْأَشْجَارُ مِنْ قَبْلِ، لَمَّا كَانَ الْحُكْمُ لِأَطْفَالِ الْغَابَةِ فِي (وَسْتَرُوس).

وَسَطَ أُرُومَاتِ الْوَيُرُودِ وَجَدَا رَجُلَيْنِ يَجْلِسَانِ الْقَرْفَصَاءَ قُرْبَ نَارِ طَبَخٍ، يَتَبَادَلَانِ الشُّرْبَ مِنْ قَرِيبَةٍ نَبِذَ فِيمَا يَرَعَى حَصَانَاهُمَا فِي الْكَلَأِ وَرَاءَ الْغِيضَةِ، وَقَدْ رَصًّا أَسْلِحَتَهُمَا وَدَرُوعَهُمَا فِي كَوْمَتَيْنِ مَنْظُمَتَيْنِ، وَعَلَى مَسَافَةٍ مِنْهُمَا يَجْلِسُ رَجُلٌ أَصْغَرَ سِنًّا مُسْنَدًا ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ كَسْتَاءٍ. نَادَى دَنْكٌ بِصَوْتٍ بِشَوْشٍ: «لِقَاءٌ سَعِيدٌ أَتِيهَا الْفُرْسَانُ». لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَبَدًا أَنْ تَأْتِيَ رَجَالًا مُسَلَّحِينَ عَلَى حِينِ غَرَّةٍ. «أَدْعَى بِالسَّيْرِ دَنْكُنَ الطَّوِيلِ. الْوَلَدُ اسْمُهُ إِجْ. أَلْنَا أَنْ نُشَارِكَكُمْ نَارَكُمْ؟».

نَهَضَ لِتَحِيَّتِهِمَا رَجُلٌ مَمْتَلئٌ فِي مَتْنِصِفِ الْعُمُرِ، يَرْتَدِي أَسْمَالَ ثِيَابٍ فَاخِرَةٍ، وَيُؤَطِّرُ وَجْهَهُ شَعْرٌ أَصْهَبُ صَارِخٍ. «لِقَاءٌ سَعِيدٌ يَا سَيِّرُ دَنْكُنَ. كَبِيرُ الْحَجْمِ أَنْتَ... وَعَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ بِالتَّأَكِيدِ، وَصَبَّيْكَ كَذَلِكَ. أَهْوَ إِجْ؟ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ هَذَا إِذَا سَمَحْتَ؟».

- «اسم قصير أيها السير». إج أعقل من أن يقرَّ بأن «إج» اختصار «إيجون»، بخاصة لمن لا يعرفهم.
- «حقاً. ماذا جرى لشعرك؟».

فكر دنك: دود الجذور، أخبره أن دود الجذور السبب يا ولد. تلك أكثر قصّة مأمونة، الحكاية التي يحكيانها في أغلب الأوقات... غير أن إج يعنُّ له أحياناً أن يلعب لعبة طفوليّة ما.
- «حلقته أيها السير. أنوي أن أبقى حليق الرأس إلى أن أستحقّ فروسيّتي». مكتبة سرّ من قرأ

- «نذر نبيل. أنا السير كايل، قِطُ (البراح الغائم). تحت شجرة الكستناء هناك يجلس السير جلنّدن، آه، بول. وهنا عندك رجلنا الكريم السير ماينارد پلم».
أصاخ إج السّمع إذ ذكّر الاسم، وسأل: «پلم... أننت قريب للورد فسيرس پلم أيها السير؟».

اعترف السير ماينارد: «من بعيد». رجلّ فارع نحيل محدودب الكتفين هو، له شعرٌ طويل مستوكتّاني اللون. «ولو أني أشك في أن حضرة اللورد سيقرّ بذلك. قد يقول المرء إنه من فرع آل پلم الحلو، في حين أنني من الفرع الحامض». معطف پلم أرجوانيّ كاسمه البرقوقي، غير أنه مهترئ الحواف ورديء الصبّاعة، وثبّته إلى الكتف دبّوس حجر قمر كبير كبيضة دجاجة، ولكن باستثناء ذلك يرتدي الرّجل الخيش البني الرّمادي والجلد البني المبّع.

قال دنك: «معنا لحم بقر مملّح».



قال كايل القُط: «السير ماينارد معه كيس من التُّفاح، وأنا معي مخلل بيض وبصل. إذا لدينا معًا مقومات وليمة! تفضّل بالجلوس أيُّها السير. عندنا خيارات ممتازة من أرومات الشَّجر لكي تستريح. سنبقي هنا حتى منتصف الصُّباح ما لم يخب تخميني. لا يُوجد إلا عبّارة وحيدة، وليست كبيرة بما يكفي لاستيعابنا جميعًا. يجب أن يعبر اللوردات وأتباعهم أولًا».

- «ساعدني مع الخيول». قالها دنك لإج، ومعًا خلعا سرجي ثندر ورين وبردعة ميستر.

فقط بعدما أطعمت الدّواب وسقيت وشكّلت لتستقرّ اللّيلة، قبل دنك قربة النّبذ التي قدّماها له السير ماينارد. قال كايل القُط:

«حتى التَّبِيدُ الحامض أفضل من لا شيء. سنشرب أصنافاً معْتَقَةً أجود في (الجُدران البيضاء). يُقال إنَّ عند اللورد بَتْرُول أفضل خمورٍ شمال (الكرمة). لقد كان يد الملك، مثل والد والده من قبله، ويُقال إنه فضلاً عن ذلك رجلٌ تقيٌّ، وغنيٌّ جداً». قال ماينارد بَلَم: «ثروته كلها من البقر. يَجْدُرُ به أن يتَّخذ ضرعاً منتفخاً شعاراً. آل بَتْرُول هؤلاء يجري في عروقهم حليب، وآل فراي ليسوا أحسن. ستكون هذه زيجةٌ بين لصوص بقر وجُباة رسوم، زُمرة من مُشخِشي النُّقود تنضمُّ إلى أخرى. عندما انتفض التَّين الأسود، أرسل سيّد البقر هذا ابنًا إلى ديمون وآخر إلى ديرُون ليتيقَّن أنَّ على الجانب الرَّابح واحدًا من آل بَتْرُول. كلاهما هلك في (حقل العُشب الأحمر)، والأصغر مات في الرَّبيع. لهذا يعقد هذه الزَّيجة الجديدة. ما لم تمنحه زوجته الجديدة ابنًا فسيموت اسم بَتْرُول معه».

قال السير جلنْدُن بُول: «وهو الواجب»، ومرَّر المشحذ على سيفه مرَّةً أخرى مضيِّفاً: «المُحارب يكره الجُبناء».

دفع الاحتقار في صوته دنك إلى النُّظر إلى الشاب بمزيدٍ من التَّدقيق. ملابس السير جلنْدُن من قُماشٍ جيّد، لكنها بالية ومتنافرة، يبدو عليها سابق استعمال. من تحت خوذته القصيرة الحديد تبرزُ خُصل من الشَّعر البني الدَّاكن، والفتى نفسه قصيرٌ مكتنز، عيناه صغيرتان متقاربتان، وكتفاه غليظتان، وذراعااه مفتولتا العضلات، وله حاجبان أشعثان يبدوان مثل يُسروعين بعد ربيعٍ بليل، وأنفٌ بصليٌّ وذقن ناتئ. كما أنه صغير السن. عنده ستَّة عشر عامًا ربَّما. لا، أكثر من ثمانية عشر. لرَبَّما عدَّه دنك مُرافقًا لو لم يدَّعه السير كايل بـ«السير». على وجنَّتِي الفتى

بثور بدلاً من الشعر.
سأله دنك: «منذ متى وأنت فارس؟».

- «منذ وقت طويل كفاية. نصف عام عندما يدور القمر. أسبغ عليّ الفروسيّة السير مؤرجن دنستيل أبن (شلالات الحاوي)، وشهدت هذا دستان من الناس، لكنني أتدرب على الفروسيّة منذ ميلادي. لقد ركبْتُ الخيل قبل أن أمشي، وخلعت ضربتي سنّ رجل بالغ من رأسه قبل أن يسقط أيّ من أسناني. أنوي أن أحقق صيتي في (الجدران البيضاء) وأظفر ببيضة التين».

- «بيضة التين؟ أهلك جائزة البطل؟ حقاً؟». التينة الأخيرة نفقت قبل نصف قرن، على أن السير آرلان رأى مجموعة من بيضاتها ذات مرّة، وأخبر العجوز دنك: كانت صلبة كالحجر، ولكن جميلة المرأى. «أنتي للورد بترول ببيضة تين؟».

أجاب السير ماينارد پلم: «الملك إيجون قدّم البيضة لوالد والده بعد نزوله ضيفاً ليلة في قلعة القديمة».
سأل دنك: «أهي مكافأة على فعل شجاع ما؟».

قهقه السير كايل مجيباً: «قد يصفه بعضهم بذلك. يُفترض أنه كانت للورد بترول القديم ثلاث بنات عذراوات حين جاء صاحب الجلالة للزيارة. بحلول الصّباح حملت ثلاثهن نغولاً ملكيين في بطونهن الصّغيرة. عمل ليلة ساخنة ذاك».

سبق أن سمع دنك كلاماً مشابهاً. لقد ضاع إيجون غير الجدّير نصف عذارى البلاد، ويُفترض أنه أنجبَ منهن جميعاً نغولاً. الأدهى أن الملك المُسن شرّعهم جميعاً وهو على فراش الموت، وُضعاء المولد الذين خلفتهم عاملات الحانات والعاشرات وراعيات المواشي، والنغول العظام أولاد الأمّهات شريفات النّسب. «لكننا كلنا أبناء نغولاً للملك إيجون المُسن لو صحّ نصف تلك الحكايات».

قال السير ماينارد مازحًا: «ومَن يقول إننا لسنا كذلك؟». حثَّ السير كايل دنك قائلًا: «حرِّي بك أن تأتي معنا إلى (الجُدران البيضاء) يا سير دنكن. مؤكد أنَّ حجمك سيلفت انتباه أحد صغار اللوردات. قد تجد خدمةً جيِّدةً هناك. أعرفُ أنني سأفعلُ عن نفسي. جوفري كازول سيحضر هذا الزَّفاف، سيَد (جسر العلقم). وهو في الثَّالثة من عُمره صنعتُ له سيفه الأوَّل، نحته من خشب الصَّنوبر لِيُناسب يده. وأنا بعدُ أكثر اخضرارًا أعهدتُ أباه سيفي».

سأله السير ماينارد: «أكان منحوتًا من خشب الصَّنوبر أيضًا؟». تحلَّى كايل القط بالأريحيَّة ليضحك، وقال: «ذلك السَّيف كان من الفولاذ الممتاز، أوكدُ لك. سيسرُّني حقًا أن أستعمله مجددًا في خدمة القنطور. سير دنكن، حتى إن لم تختَر أن تُثاقف فانضمَّ إلينا في مأدبة الزَّفاف. سنجد هناك مُطربين وموسيقيين، وبهلوانات وحِوَّاء، وفرقة من الأقزام الهزليين».

عقدَ دنك حاجبيه قائلًا: «أنا وِاج أمانا رحلةً طويلة. إننا متَّجهان شمالًا إلى (وينترفل). اللورد بيرون ستارك يجمع سيَّافة لطرِد الكراكن من سواحله بلا رجعة».

قال السير ماينارد: «الطقس هناك باردٌ جدًّا عليَّ. إذا أردت قتل الكراكن فاذهب غربًا. آل لإنستريبنون سُفناً ليردُّوا على الحديديَّين عُدوانهم في جُزرهم الام. هكذا تضع نهايةً لداجون جرايچوي. لا طائل من قتاله على اليابسة، لأنَّه يتملص عائداً إلى البحر لا أكثر. يجب أن تهزمه في الماء».

لقوله رنين الحقيقة، إلا أنَّ إمكانيَّة قتال الحديديَّين في البحر ليست شيئاً يستسيغه دنك. لقد ذاقَ ذلك على متن «الليدي البيضاء» في أثناء إبحاره من (دورن) إلى (البلدة القديمة)، عندما لبسَ درعه لمساعدة الطاقم على درء بعض المُغيرين. كانت المعركة يائسةً داميةً، وفي مرَّةٍ كادَ يَسْقُط في الماء،

ولأصبحت تلك نهايته.

أعلن السير كايل القُط: «على الأقل يُقاتلون. ما الذي يفعله آل تارجارين؟ الملك إيرس مختبئ بين كُتبه، والأمير ريجل يتبخر عاريًا في أروقة (القلعة الحمراء)، والأمير ميكار يقبع واجمًا في (بهو الصَّيف)».

كان إيج يُذكي النَّار بعصا باعًا شرارًا يطفو في هواء الليل. سرَّ دنك لرؤيته يتجاهل ذكر اسم والده. ربَّما تعلم أخيرًا أن يُمسك لسانه هذا.



تابع السير كايل: «عن نفسي ألوم غداف الدّم. إنه يد الملك، ومع ذلك لا يُحرّك ساكنًا فيما ينشر الكراكن اللهب والهلع في أقصى (بحر الغروب) وأدناه».

هزّ السير ماينارد كتفيه، وقال: «عينه شاخصةً إلى (تايروش) حيث يجلس الفولاذ الأليم في المنفى يتأمر مع أبناء ديمون بلاكفاير، ولذا يُبقي سفن الملك في متناول اليد خشية أن يسعوا للعبور».

ردّ السير كايل: «أجل، لعلّ في ذلك صحّة، لكن كثيرين سيُرجّون بعودة الفولاذ الأليم. غداف الدّم أصل ويلاتنا كلّها، الدّودة البيضاء التي تلتهم قلب البلاد».

عبسّ دنك متذكّرًا السّبتون الأحذب في (السّبت الحجري)، وقال: «من شأن كلام كهذا أن يُكلّف المرء رأسه. قد يقول البعض إنك تتحدّث بالخيانة».

قال كايل القُط: «كيف يُمكن أن تكون الحقيقة خيانة؟ في أيّام الملك ديرون لم يُفرض على الرّجل أن يخاف أن يُصرّح بما في نفسه، أمّا الآن؟»، وأطلق صوتًا بذيئًا مواصلاً: «غداف الدّم وضع الملك إيرس على العرش الحديدي، ولكن إلى متى؟ إيرس ضعيف، ولمّا يموت ستندلع حربٌ دامية بين اللورد ريفرز والأمير ميكار على التّاج، اليد ضد الوريث».

احتجّ السير ماينارد بلهجة رفيقة: «نسيّت الأمير ريجل يا صديقي. إنه هو التّالي في الدّور بعد إيرس وليس ميكار، ومن بعده أولاده».

- «ريجل واهي العقل. إنني لا أضمرُ له أيَّ عداوة، غير أنَّ الرَّجل في حُكم الميت، وتوأماء هذان أيضًا، ولكن سواء أَماتوا بِمِقْمعة ميْكار أو تعاوِذ غُدا فالدَّم...».

- لَيَقِنَا السَّبعة. قالها دنك في نفسه إذ تدخَّل إِج متكلِّمًا بصوت عالٍ حاد: «الأمير ميْكار شقيق الأمير ريجل. إنه يحبُّه حُبًا جَمًّا، ولا يُمكن أبدًا أن يؤذيه هو أو آله».

زمرَ فيه دنك: «صمًا يا ولد. هؤلاء الفرسان لا يُريدون أيًّا من آرائك».

- «أستطيع الكلام إذا أردت».

ردَّ دنك: «لا، لا تستطيع». فمك هذا سيتسبَّب في مقتلِك يومًا ما، وأنا أيضًا على الأرجح. «اللَّحم المملَّح نُقِعَ بما فيه الكفاية على ما أظنُّ. شريحة لكلِّ من أصدقائنا، وأسرع».

احمرَّ وجه إِج، ولتصف نبضة قلب خشي دنك أن يردَّ الغُلام، لكنه اكتفى بدلًا من ذلك بنظرةٍ واجمة والغليان في أعماقه كما يُمكن لُغلام في الحادية عشرة فقط أن يغلي. «حاضر أيُّها السيّر». قالها إِج مفتشًا في قاع خوذة دنك وقد التمعَّ رأسه المحلوق بالحُمرة في ضوء النَّار وهو يُناولهم شرائح اللحم المملَّح.

أخذَ دنك قطعته ونهشَها. النَّقع حوَّل اللحم من خشب إلى جلد، لكن هذا كلُّ شيء. راح يعضُّ أحد الأطراف متذوِّقًا المِلح ومحاوِّلاً ألا يفكِّر في الخنزير البرِّي المشوي في الخان، يُطقطق على سيخه ويَقطر منه الدُّهن.

مع توغل الغسق أتى الذباب والبعوض الصَّغير القارص في أسرابٍ غفيرة من البَحيرة. فضَّل الذباب ابتلاء خيولهم، أمَّا البعوض فيحبُّ طعم اللحم البشري، والوسيلة الوحيدة لتجنُّب القرص أن يجلسوا قريبًا من النَّار متنفِّسين الدُّخان. فكَّر دنك بكآبة: نَظَّهَى أَو نَلْتَهَم. خياران أحلاهما مُرٌّ، وحكَّ ذراعَيْه ودنا يُبْطِء من النَّار.

سرعان ما دارَت القرية دورتها. ما فيها من نبِيذٍ لاذِعٍ وقويٍّ، وقد أخذَ دنك جرعةً كبيرةً ثم ناولَ القرية، فيما بدأ قِط (البراح الغائم) يحكي كيف أنقَذ حياة سيِّد (جسر العلقم) خلال تمرُّد بلاكفاير. «حين سقطَ حامل راية اللورد آرموند وثبَّت من فوق حصاني والخونة حولنا من كلِّ جهة...».

قاطعه جلنْدُن بول: «سير، مَن هؤلاء الخونة؟».

- «عنيَّ رجال بلاكفاير».

لمع ضوء النَّار على الفولاذ في يد السير جلنْدُن، لتلتهب البشور في وجهه حمراء كالقروح المفتوحة، ويبدو كل وتر من أوتاره مشدودًا عن آخره كما النُّشَابِيَّة. «أبي قاتلَ في سبيل التَّيْنِ الأسود».

- تلك المسألة مجدِّدًا. أطلقَ دنك نخيرًا. «أحمر أم أسود؟»
ليس سؤالًا تلقَّيه على رجل، ذلك أنه يُؤدِّي دائمًا إلى متاعب.
«أنا واثقٌ بأن السير كايل لم يقصد أن يهين أباك».

مكتبة

t.me/soramnqraa

أيّده السير كايل: «على الإطلاق. إنها حكاية قديمة، التّين الأحمر والتّين الأسود. ليس من العقل أن نتشاجر بشأنها الآن يا فتى. جميعنا هنا إخوان الأسوجة».

بدا أنَّ السير جلنْدُن يزن كلمات القِطِّ ليرى هل يتعرّض للسُّخرية، قبل أن يقول: «ديمون بلاكفاير لم يكن خائنًا. الملك المُسن أعطاه هو السِّيف. لقد رأى جدارة ديمون على الرغم من ميلاده نغلاً. لأيّ سبب غير ذلك وضع «اللّهب الأسود» في يده بدلًا من يد ديرون؟ لقد أرادَه أن يحظى بالمملكة أيضًا. ديمون كان الرّجل الأفضل». رانَ عليهم السُّكوت. سمعَ دنك طقطقة النّار الخافتة، وأحسَّ بالبعوض يزحف على قفاه، فهوى عليه بكفّه وهو يراقب إيج موصيًا إيّاه في سريره أن يبقى ساكنًا. لمّا بدا أنَّ أحدًا آخر لن يتكلّم قال: «كنتُ صبيًّا صغيرًا حين خاضوا معركة (حقل العُشب الأحمر)،

لكنني رافقتُ فارسًا قاتلَ في سبيل التّين الأحمر، ولاحقًا خدمتُ آخرَ قاتلٍ في سبيل الأسود. كان على كلا الجانبين رجالٌ شُجعان».

ردّد كايل القِطُّ بشيءٍ من الضّعف: «رجالٌ شُجعان».

- «أبطال». أدارَ جلنْدُن بولَ ثُرسٍ

ليروا جميعهم الرّمز المرسوم عليه: كُرة نارِيّة مضطربة بالأحمر والأصفر على خلفيّةٍ بسواد اللّيل. «إنني متحدّرٌ من دمٍ بطل». قال إيج: «أنت ابن كُرة النّار».



وهذه أول مرة رأوا فيها السير جلنُدن يبتسم.
تفرّس السير كايل القط في الفتى، وتساءل: «كيف يُمكن ذلك؟ كم سنُك؟ كونتن بُول مات...».
أكمل السير جلنُدن: «... قبل أن أُولّد. لكنه يحيا فيّ من جديد»،
وعادَ يدسُ سيفه في غِمدِه بحركةٍ حادّة، وأردف: «سأريكم جميعًا في (الجُدران البيضاء) حين أظفرُ ببيضة التّنين».

أثبتَ اليوم التالي صحّة نبوءة السير كايل، فعبّارة نِد لا تتّسع البتّة لكلِّ الرّاغبين في العبور، ولذا فلا بُدَّ أن يعبُر اللوردان كُوستين وشاوني أوّلًا ومعهما أتباعهما. تطلّب ذلك رحلاتٍ عدّة استغرقَ كلٌّ منها ما يربو على ساعة، إذ يجب التّعامل مع المسطّحات الطّينيّة صعبة الاجتياز، ونقل الخيول والعربات على الألواح الخشبيّة، وتحميل القارب بها، ثم تفريغه منها على ضفّة البحيرة الأخرى. كما أن اللوردين عوّقا الأمور أكثر بانخراطهما في مباراة زعيق بشأن الأسبقيّة؛ شاووني أكبرهما سنًا، لكن كُوستين يعتبر نفسه أرقى نسبًا.

لم يوجَد ما يُمكن أن يفعله دنك غير الانتظار والتّصبّب عرقًا. قال إج: «يُمكننا الذّهاب أوّلًا إذا تركتني أستخدمُ حذائي».

ردّ دنك: «يُمكننا، لكننا لن نفعل. اللورد كُوستين واللورد شاووني هنا من قبلنا، ثم إنهما لوردان».

قلّب إج سحتته قائلاً: «لوردان متمرّدان».

رمقه ذلك مقطّبًا جبينه، وسأله: «ماذا تعني؟».

- «لقد ناصرا التّين الأسود. اللورد شاووني فعل، وأبو اللورد كوستين. أنا وإيمون اعتدنا خوض المعركة على طاولة الميستر ملاكوين الخضراء بجنودٍ مطلّيين وراياتٍ صغيرة. شعار كوستين مقسّم إلى أربعة مربّعات، في اثنتين كأشٍ فضيّة على خلفيّة سوداء وفي اثنتين زهرة سوداء على خلفيّة ذهبيّة. تلك الرّاية كانت في ميسرة جيش ديمون. شاووني كان مع الفولاذ الأليم في الميمة، وكاد يموت متأثرًا بجراحه».

- «تاريخٌ قديم زائل. إنهما هنا الآن، أليس كذلك؟ أيّ إنهما ركعا وعفا عنهما الملك ديرون».

- «نعم، ولكن...».

أغلقَ ذلك شفتيّ الغلام بأنامله قائلاً: «أمسك لسانك».

فأمسكَ إيج لسانه.

لم تكد الحمولة الأخيرة من رجال شاووني تتحرّك حتى ظهرَ اللورد والليدي سمولوود بأتباعهما عند المرسى، وهكذا عليهما الانتظار ثانيةً.

واضحٌ للعيان أنّ رفقة الأسوجة لم تصُمد اللّيل بطوله. انفردَ السير جلنْدُن بنفسه في نكدٍ ووجوم، في حين قدّر كايل القِطُّ أنّ النّهار سوف ينتصف قبل أن يُسمَحَ لهم بركوب العبّارة، ففصلَ نفسه عن الآخرين ليُحاول ضمَّ نفسه تزلّفًا إلى حاشية اللورد سمولوود الذي تجمعه به معرفةٌ طفيفة، أمّا السير ماينارد فقضى وقته في التّيمة مع صاحبة الخان.

حَذَّرْ دَنْكَ إِيَّاج: «أَبَقَ بَعِيدًا تَمَامًا عَنْ هَذَا الشَّخْصِ». فِي بَلَم شَيْءٍ مَا يُزَعِّجُهُ. «قَدْ يَكُونُ فَارِسًا لَصًّا عَلَى حَدِّ عِلْمِنَا».

بَدَأَ أَنَّ التَّحْذِيرَ لَمْ يُؤَدِّ إِلَّا إِلَى زِيَادَةِ اهْتِمَامِ إِيَّاجِ بِالسَّيْرِ مَا يَنَارِدُ. قَالِ الْغَلَامُ: «لَمْ أَعْرِفْ أَيَّ فُرْسَانٍ لَصُوصَ قَطُّ. أَتُظَنُّهُ يَنْوِي سَرَقَةَ بَيْضَةِ التَّيْنِ؟».

رَدَّ دَنْكَ: «الْلُّورْدُ بَتَّرُولُ سِيضَعِ الْبَيْضَةِ تَحْتَ حِرَاسَةِ مُشَدَّدَةٍ، أَنَا وَاثِقٌ»، وَحَكَ رَقَبَتَهُ حَيْثُ قَرَصَهُ الْبَعُوضُ قَائِلًا: «أَتَحْسَبُ أَنَّهُ سَيَعْرِضُهَا خِلَالِ الْمَادِبَةِ؟ أَوَدُّ أَنْ أَلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى وَاحِدَةٍ».

- «لَرُبَّمَا أُرَيْتَكَ بِيضَتِي أَيُّهَا السَّيْرُ، لَكِنِّهَا فِي (بِهَوِ الصَّيْفِ)».

- «بِيضَتِكَ؟ بِيضَتِكَ بَيْضَةُ التَّيْنِ؟». حَدَّجَ دَنْكَ الْغَلَامَ بِنَظَرَةٍ عَاسِيَةٍ مُتَسَائِلًا أَهَذِهِ دُعَابَةٌ. «مَنْ أَيْنَ أَتَتْ؟».

- «مَنْ تَيْنِ أَيُّهَا السَّيْرُ. لَقَدْ وَضَعُوهَا فِي مَهْدِي»

- «أَتُرِيدُ لَطْمَةً عَلَى الْأُذُنِ؟ لَا تُوجَدُ

تَنَانِينَ».

- «نَعَمْ، وَلَكِنْ يُوجَدُ بِيضٌ.

التَّيْنَةُ الْآخِرَةُ تَرَكَتْ مَجْمُوعَةً

مِنْ خَمْسٍ، وَعِنْدَهُمْ مَزِيدٌ فِي

(دِرَاجَنَسْتُونِ)، بِيضَاتٌ قَدِيمَةٌ

مِنْ قَبْلِ الرَّقْصَةِ. إِخْوَتِي كُلُّهُمْ



لديهم بيض أيضًا. بيضة إيريون تبدو كما لو أنها من الذهب والفضة، وتسري فيها عروق من النار. بيضتي أنا بيضاء وخضراء، مليئة بالدوامات».

- «بيضتك بيضة التين». وضعوها في مهده. اعتادَ دنك إج إلى درجة نسيانه أحيانًا أن إيجون أمير. طبعًا وضعوا بيضة تين في مهده. «طيب، احرص ألا تذكر تلك البيضة حيث يمكن أن يسمعك أحد».

قال إج: «لست بذلك الغباء أيها السير»، وخفضَ صوته متابعًا: «يومًا ما سترجع التانين. أخي ديرون حلم بهذا، والملك إيرس قرأه في نبوءة. قد تفقس بيضتي أنا. لكم سيكون ذلك رائعًا!».



- «أسيكون كذلك حقاً؟». راودت دنك في ذلك الشكوك.

أمّا إيج فلا. «أنا وإيمون اعتدنا التّظاهر بأن بيضتنا هما اللتان ستفقسان. إذا حدث ذلك فسنُحلّق في السّماء على متنيّ تيّبيننا مثل أوّل إنجّون وأختيه».

- «أجل، وإذا مات كلّ فارس آخر في البلاد فسأصبح اللورد قائد الحرس الملكي. لو أنّ تلك البيضات قيّمة إلى ذلك الحدّ فلم يتخلّى اللورد بترول عن بيضته؟».

- «ليّري البلاد قدر ثرائه؟».

- «على ما أظنّ». عادَ دنك يحكّ رقبتَه وألقى بنظرةٍ عابرة على السير جلنْدُن بول الذي يُحكّم أحزمة سرجه فيما ينتظر العبّارة. لن يصلح ذلك الحصان أبداً. مطيّة السير جلنْدُن حصانٌ معيب أقعس، عجوز وأصغر من اللاّزم. «ماذا تعرف عن والده؟ لماذا دعوه بكرة النّار؟».

- «لطباعه الحامية وشعره الأحمر. السير كونتين بول عملَ قيّم سلاح في (القلعة الحمراء)، وقد علّم أبي وأعمامي القتال، والنّغول العظام أيضاً. الملك إنجّون وعدّ بترقيته إلى الحرس الملكي، فجعل كُرة النّار زوجته تلتحق بالأخوات الصّامات، ولكن لما شغَرَ مكانَ كان الملك إنجّون قد مات، وعيّن الملك ديرون السير ولم يولد بدلاً منه. أبي يقول إنّ كُرة النّار أقنعَ ديمون بلاكفاير بالمطالبة بالتّاج بقدر ما أقنعه الفولاذ الأليم، وإنه أنقذه عندما أرسلَ ديرون الحرس الملكي للقبض عليه. لاحقاً قتل كُرة النّار اللورد لفورد عند بوابة (لانسپورت) ودفع الأسد الأشيب إلى الهرب منسحباً ليختبئ داخل (الصّخرة).

عند معبر (الماندر) فتك بأبناء الليدي بنروز واحدًا تلو آخر.
يقولون إنه أبقى على حياة أصغرهم رفقًا بأمه».
أقرّ دنك رغما عنه: «شهامة منه»، ثم سأل: «هل مات السير
كونتن في (حقل العُشب الأحمر)؟».

أجاب إج: «قبل ذلك أيُّها السير. رام ما غرز سهمًا في حلقه
وهو يترجّل عند جدولٍ ليشرب. مجرد رجلٍ تقليدي، لا أحد
يعرف من».

- «من شأن هؤلاء الرجال التقليديين أن يصيروا خطرين
حينما يعنُّ لهم الشروع في قتل اللوردات والأبطال». رأى دنك
العُبرة ترحف مقترنة ببطء عبر البحيرة، فقال: «ها هي ذي
قادمة».

- «إنها بطيئة. هل سنذهب إلى (الجدران البيضاء) أيُّها
السير؟».

قال دنك: «ولمَ لا؟ أريدُ أن أرى بيضة التين هذه»، وابتسم
مُردفًا: «إذا فزتُ بالدَّورة فسيملك كلانا بيضة تين».
رمقه إج بشكٍ.

- «ماذا؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟».

أجاب الغلام برزانة: «يُمكنني أن أخبرك أيُّها السير، ولكن
عليّ أن أتعلّم أن أمسك لساني».

أَجَلَسُوا الْفُرْسَانَ الْجَوَّالَةَ أَسْفَلَ الْمَلْحَ بِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، أَقْرَبَ إِلَى
البَابِ مِنَ الْمَنْصَةِ.

(الجُدْرَانِ الْبَيْضَاءِ) شَبَهَ جَدِيدَةً بِالْقِيَاسِ إِلَى الْقِفْلَاعِ عَمُومًا،
إِذْ شَيْدَهَا مِنْذَ أَرْبَعِينَ عَامًا فَحَسَبَ جَدُّ سَيِّدِهَا الْحَالِي. فِي هَذِهِ
الْأَنْحَاءِ يُسَمِّيهَا الْعَامَّةُ (دَارَ الْحَلِيبِ)، ذَلِكَ أَنَّ أَسْوَارَهَا وَحُصُونَهَا
وَأَبْرَاجَهَا مِنْ أَحْجَارٍ بَيْضَاءٍ مَقْطَعَةً يَاتِقَانِ، قُلِّعَتْ فِي (الْوَادِي)
وَجُلِبَتْ عِبْرَ الْجِبَالِ بِكُلْفَةٍ بَاهِظَةٍ. فِي الدَّخْلِ أَرْضِيَّاتٌ وَأَعْمَدَةٌ
مِنَ الرُّخَامِ الْأَبْيَضِ اللَّبْنِيِّ الْمَجْزَعِ بِالذَّهَبِيِّ، وَالْعَوَارِضُ بِالْأَعْلَى
مَنْحُوتَةٌ مِنْ جَنْدُوعِ شَجَرِ الْوَيْرُودِ الشَّاحِبَةِ كَالْعَظْمِ. لَمْ يَسْتَطِعْ
دَنْكُ أَنْ يَتَصَوَّرَ مَجْرَدَ تَصَوُّرٍ كَمْ كَلَّفَ هَذَا كُلَّهُ.

عَلَى أَنَّ الْقَاعَةَ الْكُبْرَى لَيْسَتْ وَاسِعَةً كَقَاعَاتٍ أُخْرَى عَرَفَهَا.
عَلَى الْأَقْلِ سُمِّحَ لَنَا بِالْدُّخُولِ تَحْتَ السَّقْفِ. قَالَهَا دَنْكُ سِرًّا
إِذْ اتَّخَذَ مَوْضِعَهُ عَلَى الدَّكَّةِ بَيْنَ السَّيْرِ مَإْنِيَارِدِ بَلَمَ وَكَايِلِ الْقِطِّ.
عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حُضُورِهِمْ غَيْرِ مَدْعَوَيْنِ، رُحِبَ بَثَلَاتِهِمْ فِي
الْمَأْدَبَةِ بِسُرْعَةٍ كَافِيَةٍ، فَمَّا يَجْلِبُ سَوَاءُ الطَّالِعِ أَنْ تَأْبَى عَلَى
فَارِسِ الضِّيَافَةِ يَوْمَ زَفَافِكَ.

لَكِنْ الْأَمْرُ تَعَسَّرَ عَلَى السَّيْرِ جَلْنَدُنِ الشَّابِّ. سَمِعَ دَنْكُ وَكَيْلَ
الْلُورْدِ بَتْرُولَ يَقُولُ لَهُ بِصَوْتٍ عَالٍ: «كُرَّةُ النَّارِ لَمْ يُنْجِبْ ابْنًا
قَطُّ»، فَرَدَّ الْفَتَى الْمَرَاهِقَ بِحَرَارَةٍ، وَذَكَرَ اسْمَ السَّيْرِ مُورَجِنَ
دَنْسْتِيلَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، لَكِنْ الْوَكِيلُ ثَبَتَ عَلَى مَوْقِفِهِ. عِنْدَمَا لَمَسَ
السَّيْرُ جَلْنَدُنَ مَقْبُضَ سَيْفِهِ ظَهَرَتْ دَسْتَةٌ مِنَ الرِّجَالِ الْمُسَلَّحِينَ
الْحَامِلِينَ حُرَابِهِمْ، وَلِلْحِظَةِ بَدَأَ أَنَّ دِمَاءً قَدْ تَرَأَّقَ. وَحَدَهُ تَدَخَّلَ
فَارِسُ أَشْقَرِ كَبِيرِ اسْمِهِ كِرْبِي بِمِ أَنْقَذَ الْمَوْقِفَ. حَالَ جُلُوسِ



دنك بعيداً دون أن يسمع، وإن رأى يَمْ يَطْوِقُ كَتْفِي الوكيل بذراعه
ويُغْمِغِم في أذنه ضاحكاً، لِيَقْطَب الوكيل ويقول للسَّيرِ جَلْدُنْ
شيئاً ما ضَرَج وجه الفتى بالأحمر القاني. فكر دنك وهو يُشَاهِد:
يبدو كأنه على وشك البكاء. إمَّا ذلك وإمَّا أن يَقْتُل أحداً. بعد
ذلك كُلِّهِ سَمِعَ أخيراً للفارس الشَّاب بدخول قاعة القلعة.

أَمَّا إِب المسكين فلم يُحَالِفْه الحِظُّ نفسه، فحين حاولَ دنك
الدُّخُول بالْغُلام أبلغَهما وكيلٌ مساعد بعجرفة: «القاعة الكُبرى
للورُدادات والفُرسان. لقد نصبنا طاولاتٍ في السَّاحة الدَّاخِلِيَّة



للمُرافقين والسَّاسة والرِّجال المسلَّحين».

- لو أنَّ لديك فكرةً عن هويَّته لأجلسته فوق المنصَّة على عرشٍ موهَّد. لم يُعجب دنك كثيرًا منظر المُرافقين الآخرين. قليلون منهم غلمانٌ في سنِّ إيج، غير أنَّ معظمهم أكبر، مُقاتلون متمرسون اختار كل منهم قبل زمن طويل أن يخدم فارسًا بدل أن يُصبح واحدًا. هل امتلكوا خيارًا أصلاً؟ الفروسيَّة تتطلَّب ما هو أكثر من الشَّهامة والمهارة في السِّلاح، تتطلَّب حصانًا وسيفًا ودرعًا أيضًا، وكل هذا مكلف. قال لإيج قبل أن يتركه مع تلك

الصُّحبة: «صُن لسانك. هؤلاء رجالٌ بالغون ولن يتقبَّلوا وقاحتك
بسماحة. اجلس وكل وأصغ، فقد تتعلَّم بضعة أشياء».

من ناحيته، سُرَّ دنك لمجرَّد أن يستتر من الشَّمس الحامية،
أمامه كوب نبِيذٍ وفرصة لأن يملأ معدته. حتى الفُرسان الجَوَّالة
يتعبون من قضاء نصف ساعةٍ في مضغ كلِّ لُقمةٍ من الطَّعام. هنا
أسفل الملح ستكون الوجبة بسيطةً أكثر من فآخرة، ولكن بلا
نقصان. أسفل الملح يُناسِب دنك كفايةً.

إلا أنَّ الكبرياء عند الوضع عارٌ عند الرُّفيع، كما اعتادَ العجوز
القول. بانفعالٍ قال السيرُ جلنْدُن بُول للوكيل المساعد: «لا
يُمكن أن هذا مكاني اللائق». ارتدى الفتى دُبْلِيَّةً نظيفةً من أجل
المأدبة، ثوبًا أنيقًا قديمًا مزِينًا بمخرَّماتٍ ذهبيةٍ عند الكفَّتين
والياقة، ومخيطه على صدره شِفرونه عائِلة بُول وصفائحها
البيضاء. «أتعرف مَنْ كان أبي؟».

أجاب الوكيل المساعد: «فارسًا نبيلًا ولوردًا قديرًا لا شكَّ،
لكن الشَّيء نفسه ينطبق على كثيرين هنا. تفضَّل بالجلوس أو
تفضَّل بالانصراف أيُّها السير. لا فرق عندي».

في النِّهاية اتَّخذ الفتى موضعه أسفل الملح مع بقيَّتْهم وقد أَطبقَ
فمه بوجوم. بدأت القاعة البيضاء الطويلة تمتلئ إذ تزاخم مزيدٌ
من الفُرسان على الدَّكك. الحشد أكبر ممَّا توقَّع دنك، ويبدو
من منظره أنَّ بعض الضُّيوف قطعَ طريقًا طويلًا جدًّا. لم يحضر
هو وإِج بين كلِّ هذا العدد من اللوردات والفُرسان منذ (مرج
آشفرد)، ولا سبيل إلى تخمين الشَّخص التَّالي الذي سيظهر. كان
ينبغي أن نبقي بالخارج بين الأسوجة وننام تحت الأشجار. إذا

تعرّف عليّ أحد...

حين وضع خادمٌ رغيّفاً من الخُبز الأسمر على المفرش أمام كلّ منهم، شعرَ دنك بالامتنان لهذا الإلهاء. شقَّ الرّغيف بالطول، ثمّ فرّغ النّصف السفلي ليستخدمه طبّقاً وأكل النّصف العلوي. وجدّه باثئاً، ولكن مقارنةً بلحمه المملّح فهو كسّزُد. على الأقل لا يجب أن يُنقَع في مزرٍ أو حليبٍ أو ماءٍ ليطرى بما يكفي للمضغ.

- «سير دنكن، يبدو أنك تلفت قدراً كبيراً من الانتباه». ألقى السير ماينارد بلمّ بالملاحظة فيما مرّ بهم اللورد فيرول وفوجه متبخرتين في طريقهم إلى مواضع الشرف السامي عند رأس القاعة. «يبدو أنّ الفتيات فوق المنصّة لا يستطعن رفع أعينهن عنك. أراهن أنهن لم يرين رجلاً بحجمك قطّ. حتى وأنت جالس تفوق أيّ رجلٍ في القاعة طويلاً بنصف رأس».

حنى دنك كتفيه. لقد تعودّ حملقة الآخرين، لكن ذلك لا يعني أنها تُعجبه. «فليَنظُرُن».

قال السير ماينارد: «هو ذا الثور العجوز هناك أسفل المنصّة. ينعتنه بالضخامة، ولكن يبدو لي أنّ أكبر ما فيه بطنه. إنك عملاقٌ مقارنةً به».

- «بالتأكيد أيها السير». قالها أحد رفاقهم على الدكة، رجلٌ صاحب كئيب الهيئة يرتدي الرَّمادي والأخضر، عيناه صغيرتان ثابتان متقاربتان تحت حاجبين رفيعين مقوّسَيْن، وتُوطِر لحيّة سوداء مشدّبة بعناية فمه عوضاً عن شعره المنحسر. «في ميدان كهذا يُفترض أن يجعلك حجمك وحده واحداً من أشد المتنافسين مهابةً».

قال رجل آخر يجلس على مسافة أبعد: «سمعتُ أن غاشم براكن قد يأتي».

ردّ مرتدي الأخضر والرَّمادي: «لا أظنّ. ليس هذا إلا قليلاً من النّزال للاحتفال بعرس حضرة اللورد، مُثاقفة في السّاحة تماشي مع المُثاقفة بين الملاءات. بالكاد يستحقُّ الأمر الجهد عند أمثال أوثو براكن».

شرب السير كايل القطّ من الثّيبذ، وقال: «أراهنُ أن سيّدي اللورد بتّروِل لن ينزل هو الآخر إلى الميدان. سيُشجّع أنصاره من مقصورة اللورد في الظّل».

قال السير جلنْدُن بول بزهو: «سيرى أنصاره يسقطون إذا، وفي النّهاية سيُسَلِّم إليّ بيضته».

شرح السير كايل للرّجل الجديد: «السير جلنْدُن ابن كُرة النّار. ألنا أن تُشْرِفنا باسمك أيّها السير؟».

- «السير أوثور أندرليف. لستُ ابن أحدٍ ذي أهميّة».

ملا بس أندرليف من قماش جيد، نظيفة ومعتنى بها، لكنها بسيطة التفصيل، ويثبت معطفه مشبك فضي بشكل حلزون. «لو أنّ رُمحك مكافئ للسانك يا سير جلندُن فقد يُمكنك أن تُنافس رفيقنا الكبير هذا».

ألقى السير جلندُن بنظرة سريعة على دنك فيما صُبَّ الثيبد، وردّ: «إذا تلاقينا فسيسقط. لا يهمني حجمه».

قال دنك وهو يُشاهد خادمًا يملأ كوبه: «إنني أفضل بالسيف من الرُمح فعلاً، وأفضل من هذا بالفأس الحربيّة. هل سيُقام التحامّ جماعيّ هنا؟». سيمنحه حجمه وقوّته أفضليّة في التحام جماعي، ويعلم أنّ بإمكانه أن يردّ الصّاع بالصّاع. أمّا المُثاقفة فمسألة أخرى.

- «التحامّ جماعيّ؟ في زفاف؟». بدا السير كايل مصدومًا. «لن يليق ذلك».

قهقه السير ماينارد قائلاً: «الزّواج ذاته التحام، وهو ما يُمكن أن يقوله لك أيّ رجلٍ متزوّج».

بدوره قهقه السير أوثرور، وقال: «ثمّة مُثاقفة فقط للأسف، ولكن بجانب بيضة الثّين وعدّ اللورد بتروِل بثلاثين تَينًا ذهبيًا للخاسر في النّزال الأخير، وبعشرة لكلٍ من الفُرسان المهزومين في الجولة السّابقة».

- عشرة تنانين ليست مبلّغًا سيّئًا. عشرة تنانين تكفي لشراء رهوان لكيلا يضطرّ دنك إلى ركوب ثندر في غير المعمارك. عشرة تنانين تكفي لشراء بَزّة من الصّفائح المعدنيّة لإج، وسُرادق فارس لائق تُخاط عليه شجرة دنك ونجمته الهاوية. عشرة تنانين ستعني إوزًا مشويًا وأفخاذ خنازير وفطائر حمام. أضافَ السير أوثر وهو يُفرّغ رغيّفه: «وتوجّد فديات أيضًا للفائزين بمبارياتهم، وسمعتُ شائعةً تقول إنّ بعض الرّجال يُراهن على المُثاقفات. اللورد بَتْرول ليس مغرمًا بالمجازفة، ولكن بين ضيوفه من يُراهنون بمبالغ طائلة».

ما كاد يتكلّم حتى دخلَ آمبروز بَتْرول مصحوبًا بجوقةٍ من الأبواق من شُرقة الموسيقيّين. دفعَ دنك

نفسه إلى النهوض مع البقيّة إذا

صطحبَ بَتْرول عروسه الجديدة

المتأبّطة ذراعه فوق بساط

مايري مزخرف إلى المنصّة

. الفتاة في الخامسة عشرة

وحديثة الإزهار، والسيد

زوجها في الخمسين

وحديث التّرمل،

هي ورديّة وهو رمادي.

تحركت مجرّرة وراءها معطف العروس



المفصل بشرائط خضراء وبيضاء وصفراء متموجة، وقد بدا
ساخناً وثقيلاً حتى إنَّ دنك تساءل كيف تحتمل ارتدائه. اللورد
بَترول أيضاً بدا ساخناً وثقيلاً بألغاده الغليظة وشعره الكثاني
الذي يزحف عليه الصِّلَع.

تبع أبو العروس ابنته من كُثب ويده في يد ابنه الصَّغير. اللورد
فراي سيِّد (المعبر) رجلٌ نحيف تبدو عليه الأناقة بالأزرق
والرَّمادي، ووريثه صبيٌّ ضامر الذَّقن في الرَّابعة يتساقط من أنفه
المُخاط. بعد ذلك أتى اللوردان كُوستين وريزلي مع السيِّدتين
زوجتيهما، وهما ابنتان للورد بَترول من زوجته الأولى. تبعتهما
بنات فراي مع أزواجهن، ثم أتى اللورد جورمُون بيك واللوردان
سمولود وشاوني وعدَّة من اللوردات الأدنى شأنًا والفرسان مُلَّاك
الأراضي. بينهم لِمَح دنك كلاً من چُون الكمنجي وآلِن كوكشُو،
وقد بدا اللورد آلِن مخموراً رغم أنَّ المأدبة لم تبدأ فعلياً بعدُ.
بحلول الوقت الذي مشوا فيه جميعاً الهويني إلى المنصَّة، كانت
المائدة العالية قد ازدحمت مثلها مثل الدِّكك. جلسَ اللورد
بَترول وعروسه فوق وسائل منتفخة محشوة بالريش على عرش
مزدوج من السِّنديان المذهب، فيما زرع الباقيون أنفسهم في
مقاعد طويلة ذات أذرع فخمة النُّحت. على الحائط خلفهم
عُلِّقت من عوارض السَّقْف رايتان ضخمتان: بُرجا عائلة فراي
التَّوَّامان، أزرق على رمادي، وشرائط آل بَترول الخضراء والبيضاء
والصَّفراء.

وقع على عاتق اللورد فراي أن يقود الأنخاب، فبدأ ببساطة:
«الملك!».



رفع السير جلنْدُن كوب نبيذه فوق حوض الماء، ليقرعه دنك بكوبه، وكذا كوب السير أوْتور والبقية أيضاً، ثم شربوا.

فيما يلي هتفَ فراي: «اللورد بَتْرول، مُضيفنا الأنيس، عسى أن يمنحه الأب طول العمر وكثرة الأبناء».

وشربوا ثانيةً.

- «الليدي بَتْرول، العروس العذراء، ابنتي الحبيبة، عسى أن تمنحها الام الخصوبة»، وأعطى فراي الفتاة ابتسامة مضيئاً: «سأريدُ حفيداً قبل نهاية العام. سيطيب لي أكثر أن تُنجبي توأمين، فأحسني مخض الزبدة الليلة يا حلوتي».

دوى الضحك بين عوارض السَّقْف، وشرب الضيوف مرةً

أخرى من التَّيِّدِ الأحمر الغني الحلو.

ثم قال اللورد فراي: «نخب يد الملك، بريندن ريشرز، عسى أن يُنير قنديل العجوز سبيله إلى الحكمة»، ورفع كأسه عاليًا وشرب مع اللورد بَتْرُول وعروسه والآخريْن فوق المنصّة، أمّا أسفل الملح فقد قلبَ السير جلنْدُن كوبه لِيَسْكَب محتوياته على الأرض.

علق ماينارد پَلَم: «مضيعةٌ محزنة لنبِيذٍ ممتاز».

ردَّ السير جلنْدُن: «لا أشربُ نخب قتلة الأقربين. اللورد غُداَف الدَّم مشعوذ ونغل».

أيّده السير أوثرور برفق: «وُلِدَ نغلًا»، ثم أتبع: «لكن والده الملوكي شرعنه وهو راقِدٌ يُحتَضَر»، وشربَ بعمق مثلما فعل السير ماينارد وكُثِر آخرون في القاعة، في حين خفضَ العدد نفسه تقريبًا الأكواب أو قلبها على غرار بُول. أمّا دنك فأحسَّ بكوبه ثقيلًا في يده. تقول الأحجية: كم عينا للورد غُداَف الدَّم؟ ألف عَيْنٍ وعَيْن.

تبع النَّخبُ النَّخبَ، بعضها قدّمه اللورد فراي وبعضها آخرون. شربوا على شرف اللورد تلي، سيّد اللورد بَتْرُول الأعلى الذي اعتذَرَ عن حضور الزّفاف، وشربوا في صحّة ليؤ الشّوكة الطويلة، سيّد (هايجاردن) الذي يُشاع أنه مريض، وشربوا في ذكرى أمواتهم البواسل. فكّر دنك متذكّرًا: أجل، يسرّني أن أشرب نخبهم.



قدّم السير جون الكمنجي النّخب الأخير: «إلى أخويّ الشّجاعين! أعلم أنكما تبتمان اللّيلة!».

لم ينوِ ذلك أن يُسرف في الشّرب بسبب المثاقفات التي ستقام غداً، لكنّ الأكواب ملئت من جديد بعد كلّ نخب، ووجد أنه عطشان. ذات مرّة قال له السير آرلان: «إياك أن ترفّض كوب نبيذ أو قرن مزر، فقد ينقضي عامٌ قبل أن ترى واحداً آخر». قال ذلك لنفسه: من قلة الأدب ألاّ أشرب نخب العروس والعريس، ومن الخطر ألاّ أشرب نخب الملك ويده في وجود كلّ هؤلاء الأغراب.

من الرَّحمة أَنَّ الكمنجي اختتمَّ الأنخاب، ثم نهَض اللورد
بَتَرُول بثقل لِيشكرهم على حضورهم ويعدّهم بِمُثاقِفَاتٍ مثيرة
غداً. «فلتبداُ المأدبة!».

قَدِّمَتْ للمائدة العالية خنازير رُضيعة، وطاووس مشويّ بريشه،
وسمكة كراكي ضخمة مغلّفة باللّوز المسحوق. ولا لُقيمة واحدة
من ذلك كُلّه وصلت إلى أسفل الملح، فبدلاً من الخنازير الرُضيعة
قدّموا لهم لحم خنزير مملّحاً منقوعاً في حليب اللّوز ومفلفلأ
على نحوٍ سار، وبدلاً من الطاووس وُضعت لهم ديوك مسنّنة
حُمِرت حتى قرمشت وصارت بِنِيَّةً، وحُشيت بالبصل والأعشاب
والفطر والكستناء المحمّص، وبدلاً من الكراكي أكلوا قطعاً



مفتّنة من سمك القُد الأبيض في لفائف معجنات، مع نوع ما
من الصّلصة البِنِيَّة اللّذيذة لم يستطع دنك تحديده. بالإضافة إلى
ذلك قَدِّمَ ثريد بارزلاءً، ولفّت بالزُبدة، وجزر مرشوش بالعلس،
وجُبنة بيضاء قديمة رائحتها قويّة كرائحة بِنِس صاحب الثُّرس
البَنِي. أكلَ دنك بشهيّة، وإن تساءل طوال الوقت عمّا يُعطونه
لإِج في السّاحة، وعلى سبيل الاحتياط دسّ نصف ديكٍ في جيب

معطفه مع بعض كُتل الخبز وقليل من الجُبنة خبيثة الرائحة. وفيما أكلوا ملأت المزامير والكُمَنجات الهواء بأنغام طروب، وتحوّل الكلام إلى مُثاقفات غد. «السير فرانكلن فرأى يتمنّع بمقدار وافر من الاحترام على طول (الفرع الأخضر)». قالها أوثر أندرليف الذي يبدو أنه يعرف أولئك الأبطال المحليين جيّدًا. «هو ذا فوق المنصّة، عمّ العروس. لو كَسَ نايلانْد جاء من (مستنقع هاج) ولا يجب أن يُنتَقَص قدره، أو قدر السير مؤرتمر بوجز ابن (رأس المخالب). بخلاف ذلك ستكون غالبًا دورة لفرسان أهالي البيوت وأبطال القرى. كِربي يم وجالتري الأخضر أفضل هؤلاء، ولو أن لا هذا ولا ذاك ندّ لابن اللورد بَترول الصّهر، تؤم هِدِل الأسود. شخصٌ مقيت. يُقال إنه فازَ بيد ابنة حضرة اللورد الكُبرى بقتل ثلاثة من حُطّابها الآخرين، وفي مرّة أسقط سيّد (كاسترلي رُك) من فوق حصانه».

سأله السير ماينارد: «مَن؟ اللورد تايبُولت الشاب؟».

- «لا، الأسد الأشيب الرّاحل، الذي ماتَ في الرّبيع».

هكذا يتكلّم النّاس عمّن قضوا نحبهم في الوباء الرّبيعي العظيم: ماتَ في الرّبيع. عشرات الألوف ماتوا في الرّبيع، منهم ملكٌ وأميران وشابّان.

قال كايل القُطّ: «لا تستخفّ بالسير بوفرد بولور. الثّور العجوز قتلَ أربعين رجلًا في (حقْل العُشب الأحمر)».

علّق السير ماينارد: «وكلّ عام يزداد العدد. أيّام بولور ولّت. انظر إليه. تجاوزَ السّتين، وسمينٌ وخرع، وعينه اليمنى في حُكم العمياء».

أتى صوتٌ من خلف دنك يقول: «لا تتعبوا أنفسكم بالبحث في القاعة عن البطل. هأنذا أيتها الفُرسان. متّعوا أبصاركم».

التفتَ دنك ليجد السيرَ جُؤن الكمنجي مرتفعًا فوقه وعلى شفّتيه نصف ابتسامة. لدبليّته الحرير البيضاء كُمان مُسرّطًا الحافات مبطنان بالسّاتان الأحمر، طويلان إلى درجة أنّ طرفيهما يتدلّيان متجاوزين رُكبتيه، وقد التفتَ سلسلةً ثقيلة على صدره مطعّمةً بأحجار جمشت داكنة ضخمة ينسجم لونها مع لون عينيه. فكر دنك: قيمة هذه السلسلة تُعادل كل ما أملك.

قال السير جلنْدُن الذي صبغَ الثَّيِّد وجنتيه وألهبَ بشوره: «مَنْ أنت لتتبجّح هكذا؟».

- «يدعونني بجُؤن الكمنجي».

- «أنت موسيقيٌّ أم مُحارب؟».

- «يتصادفُ أنني أستطيعُ تأليفَ أغاني عذبة بالرُّمَح أو بقوس كمنجة مصقول بالزّاتنج. كل زفافٍ يلزمه مغنّ، وكل دورة مبارياتٍ يلزمها فارسٌ غامض. ألي أن أنضمَّ إليكم؟ بترول تكرم وأجلسني فوق المنصّة، لكنني أفضلُ صُحبة زملائي الفُرسان الجوّالة على صُحبة السيّدات العجائز المتورّدات والرّجال المسنين»، ثم ربّت الكمنجي على كتف دنك بقوةٍ قائلًا: «كُن رفيقًا طيِّبًا وانزح أيتها السير دنكن».

انزاح دنكن معلّقًا: «تأخّرت على الطّعام أيتها السير».

- «لا يهْمُ. إنني أعرفُ مكانَ مطابخِ بَترُول. ما زالَ لديكم نبيذ على ما آملُ، أليس كذلك؟». تفوح من الكمنجي رائحة البرتقال والبنزهير، وتحتهما لمحةٌ من تابل شرقيّ غريب. جوز الطيب ربّما. لا يدري دنك، فما الذي يعرفه عن جوز الطيب؟
خاطَبَ السير جلنْدُن الكمنجي: «تبجّحك لا يليق».

- «حقًا؟ عليّ إذا أن أتوسّل مغفرتك أيّها السير. لا يُمكن أن أرغب أبدًا في الإساءة لأيّ ابنٍ لكُرة النار».
أدهشَ هذا الشاب، وقال: «تعرف من أنا؟».
- «ابن أهلك على ما آمل».

قال السير كايل القط: «انظروا، فطيرة الزّفاف».

دفعها ستّة صبيان مطبخ من الباب فوق عربة عريضة ذات عجلات. الفطيرة بيّنة وقشريّة وهائلة الحجم، ومن داخلها تصدّر ضوضاء، صرير وصياح وخطّات مكتومة. هبط اللورد والليدي بَترُول من فوق المنصّة للقائهما ممسكين سيفًا، ولمّا شقّاها انبثق منها نصفمئة من الطيور التي طارت في أرجاء القاعة. في مآدب زفافٍ أخرى حضرها دنك حُشيت الفطائر باليمام أو الطيور المغرّدة، أمّا هذه ففي داخلها طيور زرياب أزرق وقُبرة ومُحاك، وحمّام ويمام وعنادل، وعصافير بيّنة صغيرة وبيغاء أحمر ضخّم.
قال السير كايل: «واحد وعشرون صنفًا من الطيور».

قال السير ماينارد: «واحد وعشرون صنفًا من زرق الطيور».

- «أنت صاحب قلبٍ خالٍ من الشاعريّة أيّها السير».

- «أنت على كتفك خراء».

تنشق السير كايل منظرًا غلاته، وقال: «هذه هي الطريقة السليمة لحشو الفطائر. الفطيرة ترمز إلى الزواج، والزواج الحقيقي فيه شتى الأشياء، الفرح والحزن، الألم والمسرّة، الحب والشهوة والإخلاص. من اللائق إذا أن في هذه طيورًا من أصناف عدّة. لا أحد يعرف حقًا ما ستجلبه له زوجة جديدة».

قال يلم: «فرجها، وإلا فما الجدوى؟».

دفع دنك نفسه لينهض عن المائدة قائلاً: «أحتاج إلى نسمة هواء». ما يحتاج إليه هو التبول في الحقيقة، ولكن في ضجة ممتازة كهذه من الأحسن أدبًا أن يتكلّم عن الهواء. «أرجو أن تعذروني».

قال الكمنجي: «أسرع بالعودة أيّها السير. يُوجد عرض حواة، ولست تُريد أن يفوتك الإضجاع».

في الخارج راحت ريح الليل تلعق دنك كآلسنة وحش عظيم، وبدأ أن أرض السّاحة الترابيّة الصّلبة تتحرّك تحت قدميه... أو يجوز أنه هو الذي يترنّج.

نُصِبَ مضمار النِّزال في مركز السَّاحة الخارجيّة، وُئِنِّيت مدرّجات مشاهدة خشبيّة من ثلاثة صفوفٍ أسفل الأسوار، لكي يجلس اللّورد بَتْرُول وضيوفه النُّبلاء محتمين بالظِّل فوق مقاعدهم الموضّدة. عند طرفي المضمار خيامٌ سيرتدي فيها الفرسان دروعهم، ورفوف من رماح المباريات الجاهزة. عندما رفعت الرِّيح الرّايات لحظةً تناهت إلى أنف دنك رائحة الجير المطلي به حاجز النِّزال. انطلقَ يبحث عن السَّاحة الدَّاخليّة. عليه أن يُفَتِّش عن إج ويبعث بالغلّام إلى قيّم المباريات ليُدْرِج اسمه في قوائم النِّزال، فهذا واجب المرافق.

على أن (الجُدران البيضاء) غريبةٌ عليه، وبطريقةٍ ما ضلَّ دنك طريقه. ألقى نفسه خارج الأوجرة، حيث اشتمّت كلاب الصَّيد رائحته وبدأت تنبح وتعوي. تُريد تمزيق حلقي، أو إنها تُريد الدَّيك الذي في معطفي. عادَ أدراجه من حيث أتى ماراً بالسَّيت، ومرّت به امرأةٌ تجري متقطّعة الأنفاس ضحكاً، يُطاردها فارسٌ أصلع بحماسة. ظلَّ الرّجل يسقطُ إلى أن عادت المرأة مضطّرةً في النِّهاية وساعدته على القيام. فكر دنك: حربي بي أن أنسل إلى داخل السَّيت وأدعو السَّبعة أن يجعلوا هذا الفارس خصمي الأوّل، لكن سؤالاً كذلك كان سيخلو من الورع. ما يلزمني حقاً بيت خلاء لا بيت دُعاء. على مقربةٍ منه رأى بعض الشَّجيرات تحت سلالم حجريّة باهتة. ستصلّح. تلمّس طريقه خلفها وحلَّ أربطة بنطاله. كانت مئانته ممتلئةٌ إلى حدِّ الانفجار، ودرّ البول ودرّ.

في مكانٍ ما فوقه انفتحَ باب. سمعَ دنكَ خطواتٍ أقدام على الدَّرَجَاتِ واحتكاكَ أحذيةٍ بالحجر. «... مآدبة الشَّحَازِينَ التي فرشتها أماننا. من غير الفولاذ الأليم...».

قال صوتٌ مألوفٌ بإصرار: «فليَنكَ الفولاذُ الأليم. لا نغلُ أهلٌ للثِّقة، حتى هو. ستجلبه بضعة انتصاراتٍ عبر الماء بالسُّرعة المنشودة».

- اللُّوردُ پيك. حبسَ دنكَ أنفاسه... وبوله.

- «الكلام عن الانتصارات أسهل من إحرازها». للمتحدِّث صوتٌ أعمق من صوت پيك؛ قعقعةٌ جهيَّرة لها سمٌّ غاضِب. «صاحب الدَّم اللَّبَنِي العجوز توفَّع أنه مع الفتى، وكذا سيتوفَّع الباقيون كلُّهم. الكلام المزوَّق والظرافة لا يُعوِّضان ذلك».

- «من شأن تَيْنٍ أن يُعوِّضه. الأمير مصرٌّ أنَّ البيضة ستفقس. لقد حلَّم بهذا، تمامًا كما حلَّم من قبل بموت أخوته. سيجني لنا تَيْنٌ حيٌّ كلَّ السُّيوف التي نريدها».

- «التَيْن شيء والحلم شيء آخر. أوكدُ لك أنَّ عُداف الدَّم ليس مستغرقًا في الأحلام. يلزمنا مُحارب لا حالم. هل الفتى ابن أبيه؟».

- «ما عليك إلا أن تُؤدِّي دورك كما وعدت ودعني أنا أقلقُ بهذا الشأن. بمجرد أن نحظى بذهب بَتْرُول وسيوف عائلة فراي ستبعمهما (هارنهال)، ثم آك براكن. أوثو يعلم أنَّ لا أمل له في الوقوف...».



خَفَتِ الصَّوْتَانِ إِذْ ابْتَعَدَ الْمُتَكَلِّمَانِ، وَعَادَ الْبَوْلُ يَدْرُ. نَفَضَ
دَنْكَ قَضِيهِ ثُمَّ عَادَ يَعْقِدُ أَرْبُطَةَ بَنْطَالِهِ مَتَمِّمًا: «ابْنَ أَبِيهِ. عَمَّنْ
يَتَكَلَّمَانِ؟ ابْنَ كُرَّةِ النَّارِ؟».

عند خروجه من تحت السَّلالِم كان اللُّوردان قد عبرا السَّاحة
إِلَى جَانِبِهَا الْآخَرِ. كَادَ دَنْكَ يُنَادِيهِمَا لِجَعْلِهِمَا يُظْهِرَانِ وَجْهَهُمَا،
إِلَّا أَنَّهُ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ. إِنَّهُ بِمُفْرَدِهِ وَأَعَزَلْ، وَنَصَفَ سَكْرَانِ عِلَاوَةً
عَلَى ذَلِكَ. أَكْثَرَ مِنْ نَصْفٍ رُبَّمَا. وَقَفَ فِي مَكَانِهِ مَقْطَبًا هُنِيهَةً،
ثُمَّ اسْتَدَارَ عَائِدًا إِلَى الْقَاعَةِ.

فِي الدَّاخلِ قُدِّمَ الطَّبَقُ الْآخِرُ وَبَدَأَ اللَّهُو. عَزَفَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ
بَنَاتِ اللُّوردِ فِرَايِ «قَلْبَانِ يَنْبُضَانِ كَوَاحِدٍ» عَلَى الْقِيثَارَةِ السَّامِيَةِ
بِمُنْتَهَى الرَّدَاءَةِ، وَتَبَادَلَ بَعْضُ الْحَوَاةِ قَذْفَ مِشَاعِلٍ مَوْقِدَةٍ لِبَعْضِ
وَقْتًا، وَأَدَّى بَعْضُ الْبَهْلَوَانَاتِ الْعَجَلَةَ الدَّوَّارَةَ فِي الْهَوَاءِ. بَدَأَ
ابْنُ شَقِيقِ اللُّوردِ فِرَايِ يُغَنِّي «الدُّبَّ، الدُّبَّ، وَالْفَتَاةَ الْحَسَنَاءَ»
فِيمَا دَقَّ السِّرِ كَرَبِي بِمِ الْإِيْقَاعِ عَلَى الْمَائِدَةِ بِمَلْعَقَةٍ خَشَبِيَّةٍ،
وَانْضَمَّ إِلَيْهِمَا آخَرُونَ إِلَى أَنْ صَارَتِ الْقَاعَةُ كُلُّهَا تَهْدُرُ: «دُبُّ!
دُبُّ! كُلُّهُ أَسْوَدَ وَبَنِي وَتُغَطِّيهِ شَعْرٌ أَرْبُ!». غَابَ اللُّوردُ كَازُولُ عَنْ
الْوَعْيِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى الْمَائِدَةِ لِيَسْقُطَ وَجْهَهُ فِي بَرَكَةٍ مِنَ النَّبِيذِ،
وَأَجْهَشَتِ اللَّيْدِي فِيرُولُ بِالْبُكَاءِ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُدْرِكْ بِالضُّبْطِ
سَبَبَ غَمِّهَا.

وَطَوَالَ الْوَقْتُ مَا انْفَكَ النَّبِيذُ يَتَدَفَّقُ. أَفْسَحَتْ خُمُورُ (الْكُرْمَةِ)
الْحُمْرَاءِ الْغَنِيَّةِ الطَّرِيقَ لِأَصْنَافٍ مَحَلِّيَّةٍ، أَوْ هَكَذَا قَالَ الْكَمْجِي،
فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ دَنْكَ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّمْيِيزَ. وَقُدِّمَ هَبْقِرَاطُ^{١٥} أَيْضًا،

١٥- الهبقراط Hippocras: شراب من النبيذ المحلى والمثلل، ابتكره أبو الطب أبقراط وسمي باسمه.
(المترجم).

ووجب أن يُجرب منه كوبًا. قد يتقضي عامٌ قبل أن أشرب واحدًا آخر. بدأ الفُرسان الجِوالة الآخرون - وجميعهم أشخاصٌ لطاف - يتكلمون عن النساء اللاتي عرفوهن، فوجدَ دنك نفسه يتساءل أين تانسِل الليلة. أمَّا اللّيدي رُوْهان فيعلم يقينًا أين هي... في الفراش بـ (قلعة الخندق البارد) وبجانبها السير يوستس الشّيخ، وهكذا حاول ألا يفكر فيها. هل تفكران فيّ أبدًا؟

قُوطعت تأملاته المحزونة بوقاحة عندما انبثقت من بطن خنزير خشبيّ بعجلاتٍ فرقةً من الأقزام المطليّين بالألوان أخذوا يُطارِدُون مهرَج اللورد بَتَرول حول الموائد ويوسعون ضربًا بمئات خنازير منفوخة تُصدر أصواتًا فجّةً كلّما أصابت ضربة هدفها، وهو أطرف شيء رآه دنك منذ سنوات، وقد ضحك مع الآخرين كلّهم. أخذ ابن اللورد فراي بهذه الطرائف إلى درجة أنه اشترك فيها وراح يضرب ضيوف الزفاف بمئاته استعارها من أحد الأقزام. للطفل أشدُّ ضحكة مزعجة سمعها دنك على الإطلاق، ضحكة عالية حادة شبيهة بالفواق جعلته يُريد أن يأخذ الصّبي على رُكبته ليصفعه على مؤخرته أو يرميه في بشر. إذا ضربني بتلك المئات فقد أفعّلها. فيما مرّ بهم الطفل السّخيف ضامر الذّفن صارخًا، قال السير ماينارد: «ها هو ذا الصّغير الذي أدّى إلى حدوث هذه الزّيجة».

- «كيف؟». ألقى الكمنجي السُّؤال رافعًا كوبه الخالي، فملأه خادمٌ مار.

نظرَ السيرَ مايناردَ نظرةً عابرةً نحو المنصّة حيث تُطعم العروس زوجها كرزاً، وأجاب: «حضرة اللورد لن يكون أوّل من يدهن تلك البسكويتة بالزبدة. عروسه قطفَ زهرتها عامل مطبخ في (التّوأمتين) حسبما يقولون. اعتادت أن تتسلّل إلى المطابخ لتُقابله، وللأسف في ليلة تسلّل أخوها الصّغير هذا في أعقابها، ولَمَّا رآهما متلاحمين أطلقَ صرخةً، فهرعَ الطّهاة والحرس مقبلين ليجدوا سَيّ وصبيّها غسّال القدور يتجمعان فوق لوح الرّخام الذي يفرد عليه الطّباخ العجيب، كلاهما عارٍ كيوم ميلاده ويُغَطّيه بالدّقيق من رأسه إلى قدميه».

فكّر دنك: لا يُمكن أن ذلك صحيح. اللورد بَتَرول يملك أراضي شاسعة وقدوراً من الذهب الأصفر، فلم يتزوَّج فتاةً لوّث شرفها عامل مطبخ ويتخلّى عن بيضة التّين التي يملكها احتفالاً بالقران؟ آل فرّاي سادة (المعبر) ليسوا أنبل من آل بَتَرول. إنهم يملكون جسراً بدلاً من البقر، وهذا هو الفرق الوحيد. يا للوردات! من يقدر على فهمهم أبداً؟ أكلَ دنك قليلاً من المكسّرات وتفكّر في ما سمعه وهو يتبوّل. دنك السّكران، ماذا تحسب نفسك سمعت؟ شربَ كوباً آخر من الهبقرات بما أنّ طعم الأوّل راقه جداً، ثم وضعَ رأسه فوق ذراعيه المطويّتين وأغلقَ عينيه لحظةً فقط ليريحهما من الدُّخان.

حين فتَحهما ثانيةً ألقى نصف ضيوف الزفاف على أقدامهم يصيحون: «أُضْجِعُوهُمَا! أُضْجِعُوهُمَا!»، يُصْدِرُونَ جلبةً عظيمةً أيقَظتْ دنك من حُلُم بهيَج تَضُمَّنْ تانسل مديدة القامة والأرملة الحمراء. دَوَّى الهتاف: «أُضْجِعُوهُمَا! أُضْجِعُوهُمَا!»، واعتدل دنك جالسًا وفرك عينيه.

كان السير فرانكلن فراي يُطَوِّق العروس بذراعيه ويحملها على الممشى مُحاطًا بجمهرة من الرِّجال والصِّبية، في حين حاصرت ليدِيَّهات المائدة العالية اللورد بَتْرول، وقد بدا أَنَّ اللّيدي فيرول تعافَت من كربها وتُحاول جذب حضرة اللورد من فوق مقعده، فيما تحلُّ إحدى بناته أربطة حذائه وتخلع امرأةً ما من آل فراي غلالته. أخذَ بَتْرول يُلوِّح بذراعيه لهن بلا جدوى ويضحك، ورأى دنك أنه سكران، وَأَنَّ السير فرانكلن أشدُّ سُكْرًا... سكران إلى درجة أنه كاذ يُوقع العروس. قبل أن يُدرك دنك ما يَحْدُث بالضَّبْط، سحبَه جُون الكمنجي حتى وقف، وصاح: «هنا! دعوا العملاق يحملها!».

وإذا به يصعد سلالم بُرج والعروس تتلوَّى بين ذراعيه. كيف استطاع البقاء على قدميه فهذا شيء يتعدَّى قُدْرته على الاستيعاب. الفتاة لم تَسْكُن لحظةً، والرِّجال تحلَّقوا حوله من كلِّ جانبٍ مُلقين بدُعاباتٍ مقذعة عن تغطيتها بالدَّقِيق وعجنها جيّدًا قبل أن ينزعوا ثيابها. وانضمَّ إليهم الأقرام أيضًا، فاحتشدوا حول ساقَي دنك صائحين ضاحكين ضارِبين رِبتَيه بمثاناتهم، لِيَبْذُلَ غاية جهده لكيلا يتعثَّر فيهم.

لم يملك فكرةً عن موقعِ غُرْفَةِ نوم اللورد بَتْرُول، لكن الرِّجال الآخرين دفعوه وحشَّوه إلى أن بلغَهَا، وعندئذٍ كانتِ العروس محمَّرةً الوجه وتُكرِّر عاريةً إلا من فردة الجورب الطويل على ساقها اليسرى، التي نَجَتْ بوسيلةٍ ما من رحلة الصُّعود. دنك أيضًا اصطَبَغ وجهه بالقرمزي، وليس من المجهود.

لأتَّضح تهيجُه لو أنَّ أحدًا نظرَ إليه، إلا أنَّ العيون كُلَّها ركَّزت لحسن الحظِّ على العروس. لا تُشبهِ الليدي بَتْرُول تانسل إطلاقًا، لكن وجود إحداهما تتلوَّى شبه عارية بين ذراعَيْه حدا بدنك إلى التَّفكير في الأخرى. تانسل مديدة القامة اسمها، لكنها لم تكن في نظري مديدة القامة. تساءَل هل سيعُثر عليها يومًا. لقد مرَّت عليه ليالٍ حسبَ فيها أنها بالتَّأكيد ليست إلا من بنات أحلامه. لا أُنْهَها الآنوك، لقد حلمت فقط أنك أعجبتَها.

لَمَّا وجدَ غُرْفَةَ نوم اللورد بَتْرُول وجدَّها واسعةً باذخةً. تُغَطِّي الأرضيَّة بُسْط مايريَّة، وتشتعل مئة شمعةٍ معطِّرة في الزَّوايا والأركان، وتقف بجوار الباب بِزَّة مدرَّعة مطعَّمة بالذهب والجواهر، وللغُرْفَةِ أيضًا مرحاضها الخاص المبني في تجويفٍ حجريٍّ صغيرٍ في الجِدَار الخارجي.

عندما رمى دنك العروس فوق فراش الزَّوجيَّة أخيرًا، قفزَ قزَمٌ إلى جوارها وأطبَقَ على أحد ثدييها لأجل قليل من المداعبة الشَّهوانية، فأطلقت الفتاة صرخةً حادةً، وانفجَرَ الرِّجال يضحكون، وقبَضَ دنك على القزَم من ياقته ورفعَه عن سِتِّي ورجلاه تَرَكُلان. حملَ دنك الرِّجل الصَّغير عبر الغُرْفَةِ لِيُلْقِي به من الباب، وعندئذٍ رأى بيضة التَّينين.



وضَعَهَا اللُّورد بَثْرُول على وسادةٍ مخمليةٍ سوداء فوق قاعدة عمودٍ من الرُّخام. أكبرُ هي كثيرًا من بيضة دجاجة، ولكن ليس إلى الحدِّ الذي تخيِّله، وتُغَطِّي سطحها حراشف حمراء ناعمة تلتصق كالجواهر في ضوء المصابيح والشموع. أسقطَ دنك القزم والتقطَ البيضة ليتحسَّسها لحظةً فقط، فألفاها أثقل ممَّا توقَّع. يُمكنك أن تُحطِّمَ بها رأس رجلٍ من غير أن تنكسر القشرة نهائيًّا. الحراشف ملساء تحت أصابعه، والأحمر الغني العميق بدا كأنَّما يتوهَّج إذ أدارَ البيضة بين يديه. فكَر: دَمٌ ولهب، غير أنَّ فيها أيضًا شذراتٍ من الذهبي، ودَوَامَاتٍ من أسود منتصف اللَّيل.



- «أنت يا هذا! ماذا تحسب نفسك فاعلاً أيُّها السير؟». كان فارسٌ لم يتعرَّف عليه يرميه بنظراتٍ ناريَّة، رجلٌ كبير الحجم ذو لحيَّة فاحمة ودمامل، لكن الصَّوت هو ما جعله يُحدِّق، صوتٌ عميقٌ غلَّظه الغضب. إنه هو، الرَّجل الذي كان مع بيك. أدرك ذلك هذا والرَّجل يقول: «ضعها في مكانها. سأشكرك إذا أبعدت أصابعك الملوَّثة بالدهن عن كنوز حضرة اللورد، وإلا فأقسمُ بالسَّبعة أن تتمنَّى لو أنك فعلت».

لا يُقارب الفارس دنك في السُّكر، ولذا بدا من الحكمة أن يفعل كما قال، فعادَ يضع البيضة على وسادتها بمنتهى الحرص، ومسحَ أصابعه على كُمِّه. «لم أقصد أذى أيُّها السير». دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة. ثم إنه اندفع متجاوزاً ذا اللحيَّة السوداء وخرجَ من الباب.



سمعَ ضوضاء في بثر السُّلم، صياحاً مرحاً وضحكاتٍ بناتيَّة. النِّساء يجلبن اللورد بترول إلى عروسه. لم يرغب دنك في لقائهم، وبدلاً من التَّزول صعدَ ليجد نفسه فوق سطح التَّبرج تحت النُّجوم، والقلعة الشَّاحبة تَبْرُق من حوله في نور القمر.

دَوَّرَ النَّبِيذَ رَأْسَهُ، فَاسْتَدَّ إِلَى دَرِيئَةٍ مَتَسَائِلًا: هَلْ سَأْتَقِي؟ لِمَاذَا لِمَسَ بِيضَةُ التَّيْنِ؟ تَذَكَّرْ عَرَّاسَ تَانَسْلَ وَالتَّيْنِ الْخَشْبِيَّ الَّذِي بَدَأَ الْمَتَاعِبَ كَافَّةً هُنَاكَ فِي (أَشْفَرَدَ)، وَأَشْعَرْتَهُ الذِّكْرَى بِالذَّنْبِ كَمَا يَحْدُثُ عَلَى الدَّوَامِ. ثَلَاثَةُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مَاتُوا فِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ قَدَمِ فَارَسِ جَوَّالٍ. شَيْءٌ لَا يُعْقَلُ، وَلَمْ يُعْقَلْ قَطُّ. تَعَلَّمْ دَرْسًا مِنْ هَذَا أَتِيهَا الْأَنْوَكُ. لَيْسَ لَأَمْثَالِكَ أَنْ يَعْشُوا مَعَ الثَّنَانِينَ وَبِيضِهَا.

- «تَكَادُ تَبْدُو مَبْنِيَّةً بِالثَّلْجِ».

التَّفَتَ دُنْكَ لِيَرَى جَوْنَ الْكَمْنَجِي وَاقْفًا وَرَاءَهُ، يَبْتَسمُ مَرْتَدِيًا الْحَرِيرَ وَقُمَاشَ الذَّهَبِ. «مَا الْمَبْنِيُّ بِالثَّلْجِ؟».

- «الْقَلْعَةُ. كُلُّ هَذِهِ الْأَحْجَارِ الْبِيضَاءِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ. هَلْ ذَهَبْتَ شِمَالَ (الْعُنُقِ) مِنْ قَبْلِ يَا سِيرَ دُنْكَ؟ يُقَالُ لِي إِنَّ الثَّلُوجَ نَسَقَطَ هُنَاكَ حَتَّى فِي الصَّيْفِ. هَلْ رَأَيْتَ (الْجِدَارَ) يَوْمًا؟».

- «لَا يَا سَيِّدِي». لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ عَنْ (الْجِدَارِ)؟ «كَانَتْ تَلْكَ وَجْهَتُنَا أُنَا وَاجٍ، شِمَالًا إِلَى (وَيَنْتَرِفِلْ)».

- «لَبِيتِي أَسْتَطِيعُ الْإِنْضِمَامَ إِلَيْكُمْ. يُمَكِّنْكَ أَنْ تُرْنِي الطَّرِيقَ».

قَطَّبَ دُنْكَ جَبِينَهُ قَائِلًا: «الطَّرِيقُ؟ إِنَّهَا عَلَى (طَرِيقِ الْمُلُوكِ) مُبَاشَرَةً. إِذَا ظَلَلْتَ عَلَى الطَّرِيقِ وَوَاصَلْتَ التَّقَدُّمَ شِمَالًا فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفُوتَكَ».

ضحك الكمنجي وقال: «أظن... ولو أن الأشياء التي تفوت بعض الناس قد تدهشك»، وتقدم إلى الدريئة جائسًا يبصره في أنحاء القلعة. «يقولون إن أولئك الشماليين قومٌ همجيون، وغاباتهم ملأى بالذئاب».

- «سيدي؟ لماذا صعدت إلى هنا؟».

- «آلن كان يبحث عني ولم أريد أن يُعثر عليّ. إنه مضجرٌ عندما يشرب، هكذا آلن. رأيتك تنسل من غرفة نوم الأهوال تلك وانسللت وراءك. لقد شربت كثيرًا جدًا من النبيذ، أقرُّ لك، ولكن ليس ما يكفي لمواجهة بترول وهو عارٍ». أعطى الكمنجي دنك ابتسامة غامضة مُردفًا: «لقد حلمت بك يا سير دنكن، من قبل أن ألقاك حتى. حين رأيتك على الطريق تعرّفتُ على وجهك من فوري. كأننا صديقان قديمان».

راودَ دنك عندئذٍ إحساسٌ في غاية الغرابة، كأنه عاشَ هذا الموقفَ كلَّه من قبل. حلمتُ بك، قال. أحلامي ليست كأحلامك أيُّها السير دنكن. أحلامي أنا صحيحة. قال بصوتٍ أثقله النبيذ: «حلمت بي؟! أي نوعٍ من الأحلام؟».

أجابَ الكمنجي: «حلمتُ أنك تلبس أبيض على أبيض من رأسك إلى قدميك، ومن فوق هاتين الكتفين العريضتين يسترسل معطفٌ باهت طويل. كنتَ سيفًا أبيض أيُّها السير، أخًا محلّفًا في الحرس الملكي، أعظمُ فرسان في (الممالك السبع) بأسرها، ولم تعيش لغايةٍ إلا حراسة مليكك وخدمته وإرضاءه»، ووضع يده على كتف دنك مضيفًا: «أنت حلمت الحلم نفسه، أعلم أنك فعلت».

ولقد فعل، صحيح. لَمَّا تَرَكْنِي العجوز أمسك سيفه للمرّة الأولى. «كل صبيّ يحلم بالخدمة في الحرس الملكي».

- «غير أنّ سبعة صبية فقط يكبرون ليرتدوا المعطف الأبيض. هل سيسرّك أن تكون واحدًا منهم؟».

- «أنا؟». بهزّة من كتفه أزاح دنك يد اللورد الصّغير التي بدأت تدلّكها. «يجوز. أو لا يجوز». فرسان الحرس الملكي يخدمون مدى الحياة ويُقسّمون ألا يتّخذوا زوجة أو يملكوا أراضٍ. قد أعرّ على تانسَل يومًا ما. لِمَ لا تكون لي زوجة وأبناء؟ «لا يهمّ ما أحلم به. ملك فقط من يستطيع أن يرفع فارسًا إلى الحرس الملكي».

- «معنى ذلك إذا في ظنّي أنه يجب أن آخذ العرش. أوثر أن أعلمك العزف على الكمنجة».

- «أنت سكران». وفي مرّة غير الغراب الغداف بسواده.

- «سكران أروع سكر. النّبذ يجعل الأشياء كلّها ممكنة يا سيّر دنكن. ستبدو كإله بالأبيض على ما أظنّ، ولكن إذا لم يُناسِبك اللون فلعلّك تُفضّل أن تكون لوردًا؟».

ضحك دنك في وجهه، وردّ: «لا، أفضّل أن ينبت لي جناحان أزرقان كبيران وأطير. هذا سيّ ذاك».

- «الآن تسخر مني. الفارس الحقيقي لا يسخر من مليكه أبدًا». حمل صوت الكمنجي وقعًا جريحًا. «آمل أن تضع مزيدًا من الإيمان في ما أخبرك به حينما ترى التّين يخرُج من البيضة».



- «هل سَيُخْرَجُ تَيْنٌ؟ تَيْنٌ حَيٌّ؟ هنا؟».

- «هكذا حلمتُ. هذه القلعة البيضاء الباهتة، أنت، تَيْنٌ ينبثق من بيضة، حلمتُ بهذا كُلِّه، تمامًا كما حلمتُ من قبل بموت أخوي. كانا في الثانية عشرة وأنا في السابعة فقط، ولذا ضحكا مني، وماتا. إنني في الثانية والعشرين الآن، وأثقُ بأحلامي».

كان دنك يتذكّر دورة مبارياتٍ أخرى، يتذكّر سيره تحت الأمطار الرّبيعيّة الخفيفة مع أميرٍ صغيرٍ آخر. يومها قال له ديرون أخو إيج: حلمتُ بك وتَيْنينِ ميت، وحشٍ عظيم، هائل، جناحاه كبيران إلى درجة تغطية هذا المرج. سقطَ التَيْنينِ فوقك، لكنك ظللتَ حيًّا وماتَ التَيْنينِ. وقد ماتَ فعلاً، بيلور المسكين. الأحلام أرضٌ لا تُؤمّنُ للبناء. قال للكمنجي: «كما تقول يا سيدي. أرجو أن تعذّرني».

- «أين ستذهب أيُّها السير؟».

- «إلى فراشي لأنام. إنني سكران كالكلاب».

- «كُن كلبِي أيُّها السير. اللَّيلةُ زاخرةٌ بالوعود. يُمكننا أن نعوي معًا ونوقِظَ الآلهة أنفسها».

- «ماذا تُريد مني؟».



- «سيفك. أريدُ أن أجعلك رجلي وأرفعك عاليًا. أحلامي لا تكذب يا سير دنكن. سوف تحظى بذلك المعطف الأبيض، ويجب أن أحظى أنا ببيضة التَّين، يجب! أحلامي جعلت هذا بيِّنًا. قد تفقس البيضة، والأ....».

من ورائهما انفتح الباب بخبطةٍ عنيفة. «ها هو ذا يا سيدي». خطا زوجان من الرِّجال المسلَّحين على السَّطح، وخلفهما مباشرةً اللورد جورمون بيك.

- «جورمي!». قالها الكمنجي متشدِّقًا بالكلمة. «ماذا تفعل في غرفة نومي يا سيدي؟».



ردّ اللورد جورمون: «إنه سطح أيّها السير، وأنت أفرطت في شرب النّبذ»، ثم أشار بحدّة ليتقدّم الحارسان. «اسمح لنا بمساعدتك على الذهاب إلى فراشك. ستخوض مُثاقفات غداً، تذكر من فضلك. من شأن كِربي يم أن يُثبت أنه خصمٌ خطير». - «أملتُ أن أتاقت السير دنكن الكريم».

حدّج بيك دنك بنظرة خالية من التّعاطف قائلاً: «لاحقاً ربّما. في مُثاقفتك الأولى رست قُرعتك على السير كِربي يم».

- «إِذَا يَجِبُ أَنْ يَسْقُطَ بِمِ! وَكَذَا جَمِيعُهُم! الْفَارِسُ الْغَامِضُ يَغْلِبُ الْمُتَحَدِّينَ كُلَّهُم، وَفِي أَثَرِهِ تَرْقُصُ الْأَعَاجِيبُ». أَمْسَكَ أَحَدُ الْحَارِسَيْنِ الْكَمَنْجِي مِنْ ذِرَاعِهِ، وَنَادَى الرَّجُلَ وَالْآخِثَانِ يُسَاعِدَانِهِ عَلَى نَزُولِ السَّلَالِمِ: «سِيرْ دَنْكَنْ، يَبْدُو أَنَّ فِرَاقَنَا لَازِمٌ».

وَحَدَّهُ اللَّوْرَدُ جُورْمُونُ بَقِيَ فَوْقَ السَّطْحِ مَعَ دَنْكِ، وَقَدْ دَمَدَمَ: «أَيُّهَا الْفَارِسُ الْجَوَّالُ، أَلَمْ تُعَلِّمَكَ أُمُّكَ قَطُّ أَلَّا تَمُدَّ يَدَكَ فِي فَمِ التَّنِينِ؟».

- «لَمْ أَعْرِفْ أُمِّي قَطُّ يَا سَيِّدِي».

- «وَهُوَ مَا يُفَسِّرُ الْأَمْرَ بِمِ وَعَدَكَ؟».

- «لُورْدِيَّةٌ. مَعْطَفٌ أَبْيَضٌ. جَنَاحَيْنِ أَزْرَقَيْنِ كَبِيرَيْنِ».

- «إِلَيْكَ وَعَدِي أَنَا: ثَلَاثَةُ أَقْدَامٍ مِنَ الْفُولَاذِ الْبَارِدِ مَغْرُوزَةٌ فِي بَطْنِكَ إِذَا ذَكَرْتَ كَلِمَةً عَمَّا حَدَثَ الْآنَ».

هَزَّ دَنْكُ رَأْسَهُ لِيُصَفِّي عَقْلَهُ، وَلَمْ يَبْدُ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَاهُ نَفْعًا. انْحَنَى حَتَّى خَصَرَهُ، وَأَفْرَغَ مَعْدَتَهُ.

تَنَاشَرَ شَيْءٌ مِنَ الْقِيءِ عَلَى قَدَمِ بِيكٍ، وَأَطْلَقَ اللَّوْرَدُ سَبَّةً وَزَعَقَ بِاشْمَتَازَ: «يَا لِلْفُرْسَانِ الْجَوَّالَةِ. لَا مَكَانَ لَكَ هُنَا. لَا فَارِسَ حَقِيقِيًّا يَنْقُصُهُ الْأَدَبُ إِلَى دَرَجَةٍ مَجِيئِهِ بِلا دَعْوَةٍ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ يَا مَخْلُوقَاتِ الْأَسُوجَةِ...».

- «لَيْسَ مَرْغُوبًا فِينَا فِي أَيِّ مَكَانٍ وَنَظْهَرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ». مَدَّ النَّبِيذُ دَنْكًا بِالْجَرَاءِ، وَإِلَّا لَأَمْسَكَ لِسَانَهُ. مَسَحَ فَمَهُ بِظَهْرِ يَدِهِ.

- «حاول أن تتذكّر ما أخبرتك به أيّها السير. سيحدّث لك ما لا تُحمّد عُقباه إذا لم تفعل». نفّض اللورد بيك القبيّ عن حدائه، ثم رحل.

عادَ دنك يستند إلى الدّريئة متسائلاً مَنْ أشدُّهما جنوناً، اللورد جورمون أم الكمنجي.

لدى عودته إلى القاعة وجدَ ماينارد ولمَ فحسب باقياً من أصحابه، وقد أرادَ الرّجل أن يعرف: «أرأيتم على ثديها أيّ دقيّ عندما خلعتهم ثيابها التّحتيّة؟».

هزّ دنك رأسه نفياً، وصبّ لنفسه كوب نبيذٍ آخر وتذوّقه، ثم قرّر أنه شربَ ما يكفي.

وجدَ وُكلاء بترول غُرفاً في الحصن للوردات والليديّهات، وأفرشة في الثكنات لحشمتهم، أمّا بقيّة الضيوف فلهم اختيار سرير قش في القبو أو بُقعة من الأرض تحت الأسوار الشماليّة لنصب سُرادقاتهم. الخيمة المفصّلة من قُماش الأشرعة التي حصلَ عليها دنك في (السّبت الحجري) لا تُعدُّ سُرادقاً، لكنها تقي من المطر والشمس.

ما زال بعض جيرانه مستيقظًا، تتوهج حوائط سُرادقاتهم
 الحرير كقناديل ملوّنة في سواد الليل. من داخل سُرادق أزرق
 مغطى بعبّاد الشمس تصدّر ضحكات، ومن واحد مخطّط
 بالأبيض والأرجواني أصوات الحب. كان إيج قد ضرب خيمتهما
 بعيدًا بعض الشيء عن الأخريات، وقد شكّل ميستر والحصانان
 على مقربة، وكوّمت أسلحة دنك ودرعه بعناية قبالة سور القلعة.
 عندما انسل إلى داخل الخيمة وجد مرافقه يجلس مرتعًا ساقيه
 بجوار شمعة، يلمع رأسه وهو يُدقق النظر إلى صفحات كتاب.



- «القراءة على ضوء الشُّموع ستُعَمِّيك». تظلُّ القراءة عند
دُنياكَ لَغْزًا رَغْمَ أَنَّ الولدَ حاولَ تعلِيمه.

- «أحتاجُ إلى ضوءِ شموعٍ لأرى الكلمات أَيْها السَّير».

- «أتريد لطمَةً على الأذن؟ ما هذا الكتاب؟». رأى دُنياكَ ألوانًا
زاهيةً في الصَّفحة، ترأسًا صغيرةً مرسومةً تخبئُ وسطَ الحروف.

- «لائحةُ شعاراتِ أَيْها السَّير».

- «تبحثُ عن الكمنجى؟ لن تجده. إنهم لا يضعون فُرسانًا
جِوَالَةً في تلك اللُّوائح، بل اللُّوردات والأبطال فقط».

- «لم أكن أبحتُ عنه. لقد رأيتُ بعض الرُّموز الأخرى في
السَّاحة... اللُّورد سندرلاند هنا أَيْها السَّير. إنه يحمل رؤوس
ثلاث سَيِّداتٍ شاحباتٍ على شرائط خضراء وزرقاء متموجة».

- «رجلٌ من (الأخوات)؟ حقًّا؟». (الثلاث أخوات) جُزر
في (الخليج النَّاهش)، وقد سمعَ دُنياكَ سِبتونات يقولون إنَّ
تلك الجُزر جُحورٌ للخطيئة والجشع. (بلدة الأخوات) أسوأ
وكر للمهزَّبين سُمعةً في (وستروس) بأكملها. «لقد سافرَ مسافةً
طويلةً. لا بُدَّ أنه قريبٌ لعروس بَترول الجديدة».

- «ليس كذلك أَيْها السَّير».

قال دُنياكَ: «إذا فقد جاءَ من أجل المأدبة. إنهم يأكلون السَّمك
في (الثلاث أخوات)، أليس كذلك؟ المرء يملِ السَّمك. هل
أكلتَ ما يكفي؟ جلبتُ لك نصف ديكٍ وقليلًا من الجُبنة»،
ومدَّ يده يُنقِب في جيب معطفه.

- «أطعمونا ضلوعًا أيُّها السَّير». قالها إِج وأنفه مدفونٌ في الكتاب. «اللورد سندرلاند قاتَلَ في سبيل التَّينِ الأسود أيُّها السَّير».

- «مثل السَّير يوستس العجوز؟ إنه لم يكن بذلك السُّوء، أليس كذلك؟».

قال إِج: «نعم أيُّها السَّير، ولكن...».

بينما يَذْخُر دَنك الطَّعام مع خُبْزِهما الجامد ولحمهما المملَّح قال: «لقد رأيتُ بيضة التَّينِ. معظمها أحمر. هل يملك اللورد عُداف الدَّم بيضة تَينٍ أيضًا؟».

خَفَضَ إِج كتابه قائلاً: «ولِمَ؟ إنه وضع المولد».

- «نغل المولد لا وضع المولد». عُداف الدَّم وليد سِفاح، لكنه نبيلٌ من كلتا الجهتين. أوشكَ دَنك أن يحكي لإِج عن الرَّجلين اللذين سمعَهما، لكنه لاحظَ حينئذٍ وجه الغُلام. «ماذا جرى لشفتك؟».

- «شجار أيُّها السَّير».

- «دعني أراها».

- «لم تنزف إلا قليلاً. مسحتها بقليلٍ من النَّيذ».

- «مع مَنْ تشاجرت؟».

- «بعض المُرَافقين الآخرين. قالوا...».

- «دعك ممَّا قالوه. بِمَ أخبرتك؟».

قال الغلام: «أن أمسك لساني ولا أسبّب متاعب»، ومسّ شفته المشقوقة مُردّفاً: «لكنهم نعتوا أبي بقاتل الأقربين».

- هو كذلك أيّها الصّبي، ولو أنني لا أظنّه تعمّد أن يفعلها. قال دنك لإج نصفمئة مرّة ألا يأخذ كلاماً من ذلك النّوع على محمل الجدّ. أنت تعلم الحقيقة. ارض بهذا. سبق أن سمعنا كلاماً مشابهاً في الخمارات والحانات الوضيعة وحول نيران المخيمات في الغابات. البلاد كلّها تعرف أنّ مقمعة الأمير ميکار جندلت أخاه بيلور كاسر الحراب في (مرج آشفرد)، أي إنّ الكلام عن المؤامرات متوقّع بطبيعة الحال. «لو دروا أنّ الأمير ميکار أبوك لما قالوا مثل هذه الأشياء قطّ». وراء ظهرك نعم، ولكن ليس في وجهك أبداً. «وماذا قلت أنت لهؤلاء المُرافقين الآخرين بدلاً من أن تمسك لسانك؟».

بدا على إيج الخجل، وأجاب: «إنّ موت الأمير بيلور كان مجردّ حادثة، ولكن عندما قلت إنّ الأمير ميکار أحبّ أخاه بيلور، قال مُرافق السير أدام إنه أحبّه حتى الموت، وقال مُرافق السير مالور إنه ينوي أن يحبّ أخاه إيرس بالطريقة نفسها. عندئذٍ ضربته، ضربته بشدّة».

- «حريّ بي أنا أن أضربك بشدّة. أذنّ متورّمة تتماشى مع هذه الشّفة المتورّمة. لفعل أبوك المثل لو أنه هنا. أنتظنّ أنّ الأمير ميکار يلزمه أن يُدافع عنه ولدٌ صغير؟ ماذا قال لك عندما أرسلك معي؟».

- «أن أخدمك بإخلاصٍ بصفتي مُرافقك، وألاً أحجم عن أيّ تكليفٍ أو مشقّة».

- «وماذا أيضًا؟».

- «أن أطيع قوانين الملك وقواعد الشَّهامة وأطيعك».

- «وماذا أيضًا؟».

أجاب الغلام بتردّد واضح: «أن أبقى شعري مخلوقًا أو مصبوغًا، وألا أخبر أحدًا باسمي الحقيقي».

أوماً دنك برأسه، وسأله: «كم شربَ هذا الصَّبِي من النِّبذ؟».

- «كان يشرب بيرة الشَّعير».

- «أترى؟ بيرة الشَّعير هي التي تكَلَّمْتَ. الكلام هواء يا إج. دعه يهبُّ ويتجاوزك».

- «بعض الكلام فقط هواء». أكثر ما يتَّسم به الصَّبِي هو العناد. «بعض الكلام خيانة. هذه دورة مبارياتٍ للخونة أيُّها السَّير».

قال دنك: «ماذا؟ جميعهم؟»، وهزَّ رأسه مُتابعًا: «لو صَحَّ ذلك فقد حدث منذ زمنٍ طويل. التَّين الأسود مات، ومَن قاتلوا معه هربوا أو نالوا عفوًا. وما تقوله ليس صحيحًا. ابنا اللورد بَتْرول قاتلا على كلا الجانبين».

- «وهو ما يجعله نصف خائن أيُّها السَّير».

- «قبل ستة عشر عامًا». انقشعت عن دنك غشاوة النّبيذ اللّطيفة وشعرَ بالغضب، ويكاد يُفَيّق. «وكيل اللّورد بَتْرول هو قِيَم المباريات، رجلٌ اسمه كُوزجروُف. اعثر عليه وأدرج اسمي ضمن المتنازِلين. لا، انتظر... احجب اسمي». في وجود كل هؤلاء اللّوردات قد يتذكّر أحدهم السّير دنكن الطّويل من (مرج آشفرد). «أدرجني باسم فارس المشنقة». يحبّ العوام أن يظهر فارسٌ غامض في دورة مباريات.

داعبَ إيج شفته المتورّمة بإصبعه سائلًا: «فارس المشنقة أيّها السّير؟».

- «نسبةً إلى الثّرس».

- «نعم، ولكن...».

قاطعَه دنك: «اذهب وافعل كما قلتُ. لقد قرأت كفايةً اللّيلة»، وأطفأ الشّمعَة بقرصةٍ من سبّابته وإبهامه.



أشْرَقَتِ الشَّمْسُ سَاخِئَةً قَاسِيَةً، لَا تَرَحِمُ.

ارْتَفَعَتِ مَوَاجِدُ الْحَرَارَةِ مَتْرَأُرْثَةً مِنْ أَحْجَارِ الْقَلْعَةِ الْبَيْضَاءِ،
وَحَمَلَ الْهَوَاءُ رَائِحَةَ التُّرْبَةِ الْمَخْبُوزَةِ وَالْعُشْبِ الْمَمْرُوقِ، وَلَمْ تَهَبْ
نَسَمَةُ رِيحٍ وَاحِدَةً لِتُحَرِّكَ الرَّاياتِ الْمَتَدَلِّيَةَ فَوْقَ الْحَصْنِ وَمَبْنَى
الْبَوَّابَةِ بِخُضْرَتِهَا وَصُفْرَتِهَا وَبَيَاضِهَا.

بَدَأَ ثَنْدَرُ مَضْطَرِبًا عَلَى نَحْوِ قَلَمًا رَأَى دَنْكَ مِنْ قَبْلِ طَوْحِ
الْفَحْلِ رَأْسَهُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ فِيمَا أَحْكَمَ إِجْ رِبْطِ حَزَامِ
السَّرِجِ، بَلْ وَكَشَّرَ عَنْ أَسْنَانِهِ الْمُرْبِيعَةِ الْكَبِيرَةِ فِي وَجْهِ الْغُلَامِ.
فَكَرَ دَنْكُ: الْحَرُّ شَدِيدٌ، أَشَدُّ مِنْ احْتِمَالِ إِنْسَانٍ أَوْ دَابَّةٍ. الْجِيَادُ
الْحَرِيَّةُ لَيْسَتْ مَطْوَاعَةً وَلَوْ فِي أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ. الْإِمَامُ ذَاتَهَا كَانَ
مَزَاجُهَا سَيَتَعَكَّرُ فِي هَذَا الْقَيْظِ.

في مركز السّاحة بدأ المُتأقّفان جولةً أخرى. يركب السير هاربرت حصاناً عدّاءً ذهبياً مكسوّاً بالأسود مزيّناً بأفعيّي عائلة پيچ، واحدة حمراء وواحدة بيضاء، والسير فرانكلن كميّتا تحمل كسوته الحرير الرّماديّة بُرجيّ فراي التّوأمن. حين التقيا انقصم الرّمح الأحمر والأبيض شقين وانفجر الأزرق إلى شظايا، لكن أيّاً من الرّجلين لم يسقط. ارتفع هتافٌ من مدرّجات المشاهدة والحُرّاس فوق أسوار القلعة، إلّا أنّه هتافٌ قصير وهزيل وأجوف. الحرُّ أشدُّ من أن يهتف أحد. جفّف دنك جبهته من العرق. الحرُّ أشدُّ من أن يتأقّف أحد. راح رأسه يدقُّ كالطّبلّة. فلا تُزفي هذا النّزال ثم في واحدٍ آخر وسأرضى.

دارَ الفارسان بحصانئهما عند طرفي المضمار وتخلّصا من بقايا رُمحينهما المحزّزة، رابع زوجين يكسرانهما. أزيد من اللازم بثلاثة. أرجأ دنك ارتداء درعه أطول فترةٍ يجرؤ عليها، ومع ذلك بدأ بالفعل يحسُّ بشيابه التّحتيّة تلتصق بجلده تحت الفولاذ. ثمة أشياء أسوأ من الفرق في العرق. قالها لنفسه متذكّراً القتال على متن «الليدي البيضاء»، عندما انصبّت حشود الحديديّين من فوق جنبها. انتهى ذلك اليوم وهو غارق في الدّماء.

برُمحين جديدين في يديهما عادَ پيچ وفراي يهميزان مطيّئتهما، لتنتشر كتل من التّربة الجافّة المتشقّقة وراءهما من تحت حوافر حصانئهما المهروّلين مع كلّ خُطوةٍ يخطوانها. أجفّلت دنك طقطقة الرّمحين إذ انكسرا. فرطٌ من النّبيذ البارحة، وفرطٌ من الطّعام. في عقله ذكرى مبهمة عن حمل العروس على السّلام ولقاء جون الكمنجي واللورد پيك فوق سطح. ماذا كنتُ أفعل فوق سطح؟ يذكّر كلاماً عن التّانين، أو عن بيض التّانين، أو

شيء ما، ولكن...

اخترق ضحيح حلمه اليقظ، جزء منه هدير وجزء أنين. رأى دنك الحصان الذهبي يخبُّ بلا راكب إلى طرف المضمار فيما تدحرج السير هاربرت بينج بوهن على الأرض. مثاقفتان أخريان قبل دوري. إسقاطه السير أوثرور من فوق حصانه في أقرب وقت معناه أن يخلع درعه في أقرب وقت ويتناول شرابًا باردًا ويستريح. المفترض أن يحظى بساعة على الأقل قبل أن يُنادوا اسمه ثانية. تسلق حاجب اللورد بترول الممتلئ إلى قمة المنصة ليستدعي الزوجين التاليين من المثاقفين، وصاح: «السير أرجريف المتحدِّي، فارس من (نني) في خدمة اللورد بترول سيد (الجدران البيضاء). السير جلندن فلاورز، فارس (صفصاف القِطط). تقدِّما وأثبتا بسالتكما». عندئذٍ ماجت المدرجات بعاصفة من الضحك.

السير أرجريف رجلٌ أهيف متين، فارس أهل بيتٍ مخضرم يرتدي درعًا رماديَّةً منبعجةً ويمتطي حصانًا بلا كسوة. لدنك خبرةٌ سابقة بنوعه؛ مثل هؤلاء الرجال قاس كالجذور القديمة ويعرف عمله. خصمه السير جلندن الشاب، الذي يركب حصانه المعيب البائس ويدرع نفسه بزرٍ ثقيل وخوذةٍ حديدٍ قصيرة مفتوحة الوجه، وعلى ذراعه يعرض ثُرسه رمز أبيه النَّاري. فكر دنك: تلزمه صدريةٌ وخوذةٌ لاثقة. من شأن ضربةٍ على الرأس أو الصدر أن تقتله بملبسه هذا.



واضحٌ أنَّ تقديم السير جلنْدُنْ أثارَ حفيظته، إذ أدارَ مطيَّته في دائرةٍ غاضبةٍ زاعقًا: «أنا جلنْدُنْ بُول لا جلنْدُنْ فلاورز. اسخر مني على مسؤوليتك أيُّها الحاجب. دعني أحذرك، إن فيَّ دماء بطل». لم يكلِّف الحاجب نفسه الرَّدَّ، لكن اعتراض الفارس الشاب استقبلَ بمزيدٍ من الضحك.

تساءلَ دنك بصوتٍ مسموعٍ: «لماذا يضحكون منه؟ أهو نغلٌّ إذا؟». «فلاورز» هو اللقب الذي يُطلق على النُّغول المولودين للآباء النبلاء في (المرعى). «وما معنى ذلك الكلام عن صفصاف القطط؟».

قال إيج: «يُمكّني أن أستعلم أيُّها السير».

- « لا. ليس ذلك من شأننا. أمعك خودتي؟ ».

خفضَ السيرَ آرجريثَ والسيرَ جلنْدُنَ رُمحَيهما أمامَ اللوردِ والليدي بَتْرولَ، ورأى دنك بَتْرولَ يميلُ هامسًا في أذن عروسه بشيءٍ جعلَ الفتاة تُقهقه.

- « نعم أيُّها السيرُ ». يعتمرُ إيجُ قَبْعَتَه المرنة لِيَسْتُرَ عينيه وَيُبْعِدَ الشَّمْسَ عن رأسه المَحْلُوقِ. يَحِبُّ دنكُ معابِثَ الغُلامِ بشأنَ تلكَ القَبْعَةِ، غيرَ أنه تَمَنَّى الآنَ تحديداً لو أنَّ لديه واحدةً مثلها. قَبْعَةٌ قشٍ خيِّرٌ من واحدةٍ حديدٍ تحتَ هذه الشَّمْسِ. أزاخُ شعره عن عينيه، وبهدوءٍ أنزلَ الخوذةَ العظيمةَ في مكانها بكلتا يديه وربطَها إلى عُنْقِيَّتِهِ. فاحتَ من البطانةِ رائحةَ العرقِ القديمِ الكريهةِ، وشعرَ دنكُ بوزنِ كلِّ هذا الحديدِ على رقبته وكتفيه، وقد أخذَ رأسه ينبضُ من جرَّاءِ نبِيذِ البارحةِ.

قال إيجُ: « سيرُ، أوانِ الانسحابِ لم يَفُتْ. إذا خسرتَ ثندرَ ودرعك... ».

- فهي نهايةُ فروسيَّتي. سأله دنكُ: « ولمَ أخسرُ؟ ». كان السيرُ آرجريثَ والسيرَ جلنْدُنَ قد ركبا إلى طرفي المَضمارِ. « ليس الأمرُ كأنني سأواجهُ العاصفةَ الضَّاحكةَ. أُوْجَدُ هنا فارسٌ يرجحُ أن يَتعبِنِي؟ ».

- « كلُّهم تقريباً أيُّها السيرُ ».

- « أدينُ لك بلطمةً على الأذن لقاء قولك هذا. السيرُ أوْثورُ يكبِّرُنِي بعشرِ سنواتٍ وحجمه نصفُ حجمي ».

أَنْزَلَ السَّيْرَ آرْجَرِيْفَ مَقْدَمَةً خَوْذَتَهُ، أَمَّا السَّيْرُ جَلَنْدُنَ فَلَيْسَتْ لَخَوْذَتِهِ مَقْدَمَةً لِيُنْزِلَهَا.

- «إِنَّكَ لَمْ تَرْكَبْ فِي نِزَالٍ مِنْذُ (مَرْجَ أَشْفَرْدَ) أَيُّهَا السَّيْرُ».

- وَلَدُّ صَفِيْقَى. «لَقَدْ تَمَرَّنْتُ». لَيْسَ بِالذَّأْبِ الْوَاجِبِ طَبْعًا، فَمَتَى اسْتَطَاعَ يَأْخُذُ دَوْرَهُ فِي التَّدْرِيبِ عَلَى الطَّوَاوِيْسِ أَوْ الْحَلَقَاتِ حَيْثُمَا تَوَفَّرَتْ، وَأَحْيَانًا يَأْمُرُ إِجَ بِتَسْلُقِ شَجَرَةٍ وَتَعْلِيْقِ ثُرسٍ أَوْ ضَلْعِ بَرْمِيلٍ تَحْتَ فَرْعٍ مَنَاسِبٍ الْمَوْضِعَ لِيُضْرِبَاهُ بِالرِّمَاحِ.

قَالَ إِجَ: «إِنَّكَ أَفْضَلُ بِالسَّيْفِ مِنَ الرُّمَحِ. بِفَأْسٍ أَوْ مِقْمَعَةٍ فِي يَدِكَ، قَلَائِلَ يُمَكِّنُهُمْ مَبَارَاتُكَ فِي الْقُوَّةِ».

حَمَلَ الْقَوْلَ مَا يَكْفِي مِنْ حَقِيقَةِ لِمَضَايِقَةِ دَنْكَ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ. «لَا تُوجَدُ مَسَابِقَةٌ لِلسُّيُوفِ أَوْ الْمَقَامِعِ». أَلْقَى بِالْإِشَارَةِ فِيمَا بَدَأَ ابْنُ كُرَّةِ النَّارِ وَالسَّيْرَ آرْجَرِيْفَ الْمُتَحَدِّي كَرَّتَهُمَا. «أَذْهَبْ وَأَحْضِرْ ثُرسِي».

لَوَى إِجَ قِسْمَاتِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَجْلِبَ الثُّرسَ.

عَبَرَ السَّاحَةَ ضَرْبَ رُمَحِ السَّيْرِ آرْجَرِيْفَ ثُرسِ السَّيْرِ جَلَنْدُنَ وَانْزَلَقَ مَخْلَفًا شَقًّا غَائِرًا فِي الْمَذْنَبِ الْمَرْسُومِ، إِلَّا أَنَّ سَنَانِ رُمَحِ بُولِ الْمُثَلَّمِ أَصَابَ مَرْكَزَ صَدْرِيَّةِ خَصْمِهِ بِقُوَّةٍ عَاتِيَةٍ مَزَّقَتْ حِزَامَ سَرَجِهِ، لِيَهْوِيَ الْفَارَسَ وَالسَّرَجَ مَعًا فِي الثُّرَابِ. شَعَرَ دَنْكَ بِالْإِعْجَابِ رَغْمًا عَنْهُ. الْفَتَى يُجِيدُ الْمُتَاقِفَةَ بِقَدْرِ إِجَادَتِهِ الْكَلَامَ تَقْرِيْبًا. تَسَاءَلَ هَلْ سَيَمْنَعُهُمْ هَذَا مِنَ الضَّحْكَ مِنْهُ.

دَوَى بوقٌ بصخبٍ أجفلَ دنك، ومرةً أخرى تسلَّق الحاجب
منصَّته. «السيرُ جوفري سليل عائلة كازول، سيد (جسر العلقم)
وحافظ المخاضات. السير كايل، قِط (البراح الغائم). تقدَّما
وأثبتا بسالتكما».

لا بأس بجودة درع السير كايل، لكنها قديمة وبالية، فيها كثيرٌ
من الانبعاجات والخدوش. في طريقه إلى المضممار قال الرَّجل
لدنك وإج: «الأم منَّت عليَّ بالرحمة يا سير دنكن. لقد أرسلتُ
ضد اللورد كازول، الرَّجل عينه الذي جئتُ لأراه».

لو أنَّ أيَّ رجلٍ في الميدان في حالٍ أسوأ من دنك هذا الصَّباح
فلا بُدَّ أنه اللورد كازول الذي شربَ خلال المأدبة حتى غابَ عن
الوعي. قال دنك: «إنها لأعجوبةٌ أن يستطيع ركوب حصانٍ بعد
ليلة أمس. النَّصر لك أيُّها السير».

ابتسم السير كايل ابتسامةً حريئةً قائلاً: «أوه، لا. على القِطِ
الذي يُريد وعاء القشدة أن يعرف متى يُخرخر ومتى يُبرز مخالبه
يا سير دنكن. إذا حكَّ رُمع حضرة اللورد تُرسي مجرد حكمةٍ
فسأسقط أرضاً. بعد ذلك، حين آخذُ إليه حصاني ودرعي،
سأجاملُ حضرته على شوكته التي قوت منذ صنعتُ له سيفه
الأوَّل. سيُذكِّره ذلك بي، وقبل انتهاء اليوم سأعودُ من رجال
كازول، فارساً لـ (جسر العلقم)».

كَادَ دنك يقول: لا شرف في ذلك، غير أنه امتنع عن الرَّد. لن
يكون السير كايل أوَّل فارس جوَّال يُبادل بشرفه موضعاً دافئاً
عند النَّار. غمغم: «حظاً سعيداً لك. أو تعيساً إذا فضَّلت».

اللورد چؤفري كازول شاب مهزول في العشرين، وإن وجب الإقرار بأنه يبدو أشد إثارة للإعجاب بدرعه ممًا بدا ليلة أمس ووجهه في بركة من النّبيذ. على ترسه رُسم قنطور أصفر يسحب وتر قوس طويل، ويُزيّن القنطور نفسه كسوة حصانه الحريريّة البيضاء، ويلتمع على قمة خوذته بالذهب الأصفر. المفترض أن يُحسن رجل رمزه قنطور الرّكوب أكثر. لا يدري دنك إلى أي حد يُجيد السير كإيل استخدام الرّماح، ولكن من الطّريقة التي جلس بها اللورد كازول فوق حصانه بدا كما لو أن سعالًا مرتفعًا كفيلاً بإسقاطه. ما على القِط إلا أن يتجاوزَه بسرعة فائقة.

أمسك إاج رسن ثندر فيما وثب دنك بحركة خرقاء بطيئة ليعتلي السّرج اليابس المرتفع، وإذ جلس هناك منتظرًا شعرًا بالأعين المحملقة إليه. يتساءلون هل يتمتّع الفارس الجوّال الكبير بأي براعة. لدى دنك التّساؤل نفسه، وعمًا قريب سيُدرِك الجواب.

أوفى قِط (البراح الغائم) بكلمته. ظلّ رُمح اللورد كازول يتقلقل طوال الطّريق عبر الميدان، والسير كإيل لم يُحسن تصويب رُمحه، ولم يتعدّ أيّ من الرّجلين بحصانه الخبب، وعلى الرغم من ذلك سقط القِط لَمّا خبط سنان رُمح اللورد چؤفري كتفه مصادفةً. بينما تدحرج الفارس الجوّال في التّراب فكر دنك: ظننتُ أن القِط طكلها تحط برشاقة على أقدامها. بقي رُمح اللورد كازول سليمًا، وإذ دارَ بحصانه رفعه عاليًا وطعن به الهواء مرّة تلو مرّة كأنه أسقط لتوّه ليؤ الشوكة الطويلة أو العاصفة الضّاحكة، أمّا القِط فخلع خوذته وذهب ليقبض على حصانه.

قال دنك لإج: «تُرسی»، فناولَه الغلام التُّرس، ودسَّ دنك ذراعه اليُسرى من تحت الحزام وأغلقَ يده حول المقبض. أحسَّ بوزن التُّرس لوزي الشَّكل مطمئنًا، ولو أنَّ طوله يُصعِّب التَّحكم فيه، كما أنَّ رؤية الرِّجل المشنوق ثانيةً بثَّت فيه شعورًا بالاضطراب. شعارُ مشؤوم هذا. عزمَ على رسم صورةٍ أخرى على التُّرس في أقرب وقتٍ ممكن. عسى المُحارب أن يمنحني سبيلًا سلسًا ونصرًا سريعًا. ردَّد دنك الدُّعاء في سريره فيما عادَ حاجب بَتْرول يرتقي الدَّرجات بجهد، لِيُدوي صوته: «السير أوثور أندرليف. فارس المشنقة. تقدِّما وأثبتا بسالتكما».



- «توخّ الحذر أيّها السّير». ألقي إجح بالتّبيه وهو يُناول
دنك رُمح مباريات، قنّاة خشبيّة يتناقص قطرها تدريجيّاً ويبلغ
طولها اثني عشر قدماً، تنتهي برأس حديديّ مدوّر بشكل قبضة
مضمومة. «المُرافقون الآخرون يقولون إنّ السّير أوثور يتمتّع
بالثّبات فوق حصانه، كما أنه سريع».

قال دنك ساخرًا: «سريع؟ إنّ على ثُرسه حلزونًا! كم يُمكن أن
يبلغ من السّرعة؟»، وهمزَ جنبَي ثندر
بكعبيه وتحرك بالحصان في مشية بطيئة
رافعًا رُمحه. نصرّ واحد ولن أصبح أسوأ
حالًا ممّا أنا حاليّ. اثنان سيُعلاننا تتقدّم
بشوطٍ طويل. الأمل في اثنين ليس أبعد
من أن يتحقّق وسط هذه الصّحبة.
على الأقلّ حالفه الحظّ في
الاقتراع،

فبالسهولة نفسها
يسحب اسم
كان يُمكن أن
الثور العجوز أو السّير كربيّهم
أو أيّ بطل محليّ آخر. تساءل
دنك هل يتعمّد قيم المباريات
وضع بعض الفرسان الجوّالة في
مواجهة بعض كي لا يُكابّد أيّ لورد
صغير هوان الهزيمة أمام أحدهم في
ال الجولة الأولى. لا يهمّ. خصمّ واحد في
المرّة، هكذا قال العجوز دومّا. يجب ألا
أشغل نفسي الآن بغير السّير أوثور.

التقيا أسفل المدرجات حيث يجلس اللورد والليدي بترول على وسائدهما في ظُلة أسوار القلعة، ويُجاورهما اللورد فراي الذي يُهدد على ركبته ابنه ذا الأنف المتسخ بالمخاط. وقف صف من الخادومات لتهويتهم، ومع ذلك تلوّثت غلالة اللورد بترول تحت الإبطين، وتهدّل شعر السيّدة زوجته من التعرّق، وقد بدّت حرّانة وضجرة ويعوزها الارتياح، ولكن لما رأت دنك أبرزت ثدييها بطريقة احمرّ لها وجهه تحت خوذته. خفض رُمحه لها وللسيّد زوجها، وفعل السير أوثر المثل، فتمنّى لهما بترول نزلاً موفقاً، في حين أخرجت زوجته لسانها.

حان الوقت. خبّ دنك إلى طرف المضمار الجنوبي، وعلى بُعد ثمانين قدماً اتخذ منافسه موقعه أيضاً. فحله الرّمادي أصغر حجماً من ثندر، لكنه أصغر سنّاً وأنشط. يرتدي السير أوثر صفائح معدنيّة مطليّة بالمينا الأخضر وزرّداً مفضّضاً، وتُرفرف شرائط من الحرير الأخضر والرّمادي من خوذته الحوضيّة المدوّرة، ويحمل تُرسه الأخضر حلزوناً فضيّاً. الدرع الجيّدة والحصان الجيّد معاً هما فديّة جيّدة إذا أسقطته. دوى بوق.

بدأ ثندر يتقدّم بخبب وثيد، وميّل دنك رُمحه إلى اليسار وخفضه ليستقرّ بزاوية فوق رأس الحصان. الحائل الخشبي بينه وبين خصمه، ويحمي تُرسه جنب جسده الأيسر. انحنى دنك إلى الأمام وساقاه تنشّدان إذ انطلق ثندر قاطعاً المضمار. إننا واحد. الرّجل، الحصان، الرّمح، نحن كائنٌ واحد من دمٍ وخشبٍ وحديد.

انقضَّ السير أو ثور بقوة، تُثير حوافر حصانه الرَّمادي سحابات من الغبار. حينما صارت المسافة بينهما أربعين ياردةً همزٌ دنكٌ ثندر ليُهرول، وسدَّ رأس رُمحه مباشرةً إلى الحلزون الفضي. الشمس المكفهرة، والغبار، والحرارة، والقلعة، واللورد بترول وعروسه، والكمنجي والسير ماينارد، والفرسان، والمرافقون، والساسة، والعامّة، كل هذا اختفى. وحده الخصم بقي. المهماز مجدّدًا، وانطلق ثندر يدحو.

الحلزون يندفع نحوهما، يتعاظم حجمه مع كلّ خطوةٍ من أرجل الفحل الرَّمادي الطويلة... ولكن يسبقه رُمح السير أو ثور بقبضته الحديد. تُرسي قوي، تُرسي سيحتمل الضربة. المهم الحلزون فحسب. اضرب الحلزون والمباراة لي.

حين لم يتبقَّ بينهما إلّا ياردات عشر حرّك السير أو ثور رأس رُمحه إلى أعلى.

ورنّت في أذن دنك طقطقةً إذ ضرب رُمحه ضربته، وأحسّ بالصّدمة في ذراعه وكتفه، لكنه لم ير الضربة تُصيب هدفها إطلاقًا. أمّا قبضة أو ثور الحديد فأصابته بين العينين مباشرةً ووراءها قوّة الرّجل والحصان كاملةً.

استيقظَ على ظهره، يُحدِّقُ إلى قناطر سقْفٍ معقود. لوهلةٍ لم يعرف أين هو أو كيف وصل إلى هناك. تردَّدت في رأسه أصدااءُ أصواتٍ تتكلَّم، ومرَّت أمامه وجوهٌ سابحة في الهواء: السير آرلان العجوز، تانسل مديدة القامة، بنس صاحب الثُّرس البني، الأرملة الحمراء، بيلور كاسر الحراب، إيريون الأمير السَّاطع، الليدي قيث المجنونة المحزونة. ثم إذا بالنِّزال يعود إلى ذاكرته دُفعةً واحدةً: الحرُّ، الحلزون، القبضة الحديد المتَّجهة إلى وجهه. تأوَّه وانقلبَ مستندًا إلى مرفقه، لتجعل الحركة رأسه يدق كطبله حربٍ فظيعة.

يبدو أنَّ عينيَّه كليتهما صالحتان على الأقل، كما أنه لا يحسُّ بثقبٍ في رأسه، وهذا خيرٌ حقًّا. رأى أنه في قبو ما، على كلِّ جانبٍ فيه براميل نبيذٍ ومزر، ففكر: على الأقل الحرارة فاترةٌ ها هنا، والشُّراب في متناول اليد. ذاقَ دنك في فمه طعم الدَّم، وشعرَ بطعنةٍ من الخوف. إذا قضمَ لسانه فهو الآن أخرس علاوةً على أنه غليظ العقل. «طاب صباحك». قالها بيحةٍ لمجرَّد أن يسمع صوته، وتردَّد صدى الكلمتين على السَّقْف. حاولَ دنك أن يدفع نفسه إلى الثُّهوض، إلَّا أنَّ المجهود دوَّر القبو من حوله.

- «على مهلك، على مهلك». قالها صوتٌ متهدِّج قريب، وظهرَ بجوار الفراش رجلٌ عجوز محنِّي الظهر يلبس مسحًا رماديًا كشعره الطويل. حول عنقه سلسلةٌ ميستر من معادن عدَّة، ووجهه مسنٌّ متغضِّن، وعلى جانبي أنفٍ ضخمٍ شبيه بالمنقار تجاعيد عميقة. «اثبت ودعني أرى عينيَّك». دقَّ الرجلُ النَّظر إلى عين دنك اليُسرى ثم اليمنى وقد فتحهما بسبَّابته وإبهامه.

- «رَأْسِي يُوجِعُنِي».

نَخَرَ الْمَيْسِرَ بِسُخْرِيَةٍ، وَقَالَ: «فَلْتَمَتَنَّ لِأَنَّهُ مَا زَالَ مُسْتَقَرًّا عَلَى كَتِفِكَ أَيُّهَا السَّيْرُ. هَاكَ، قَدْ يُسَاعِدُ هَذَا بَعْضَ الشَّيْءِ. اشْرَبْ». أَجْبَرَ دَنكَ نَفْسَهُ عَلَى ابْتِلَاعِ كُلِّ قَطْرَةٍ مِنَ الْعَقَّارِ كَرِيهِ الْمَذَاقِ وَأَمَكَّنَهُ إِلَّا يَبْصُقُهَا، ثُمَّ قَالَ مَاسَحًا فَمَهُ بِظَهْرِ يَدِهِ: «الدَّوْرَةُ. أَخْبِرْنِي. مَاذَا حَدَثَ؟».

- «الْحِمَاقَةُ ذَاتَهَا الَّتِي تَحْدُثُ دَائِمًا فِي هَذِهِ الْمَشَاجِرَاتِ. رَجَالٌ يُسْقِطُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا مِنْ فَوْقِ أَحْصَنَةٍ بِوَاسِطَةِ عِصِيٍّ. ابْنُ أُخْتِ اللَّوْرَدِ سَمُولُوودَ كَسَرَ مَعْصَمَهُ، وَسَاقَ السَّيْرَ إِيدَنَ رِيْزْلِي سَحَقَتْ تَحْتَ حِصَانِهِ، لَكِنْ أَحَدًا لَمْ يُقَتَّلْ حَتَّى الْآنَ، وَلَوْ أَنَّنِي خَشِيتُ عَلَيْكَ أَيُّهَا السَّيْرُ».

- «هَلْ أُسْقِطْتُ مِنْ فَوْقِ حِصَانِي؟». لَمْ يَزَلْ يَحْسُ كَأَن رَأْسَهُ مَحْشُوٌّ عَنْ آخِرِهِ بِالصُّوفِ، وَإِلَّا لَمَا طَرَحَ سَوْالًا غِيْبًا كَهَذَا. نَدِمَ دَنكَ عَلَى السُّؤَالِ حَالَمَا خَرَجَتْ الْكَلِمَاتُ مِنْ فَمِهِ.

- «بَارْتِطَامَ زَلْزَلٍ أَعْلَى الْمَتَارِيْسِ. مَن رَاهَنُوا عَلَيْكَ بِمِبَالِغٍ فَادِحَةٍ أَصَابَهُمْ ذَهَوْلٌ عَظِيمٌ، وَمُرَافَقُكَ كَادَ صَوَابِهِ يَطِيرُ فَرَقًا. لَكَانَ جَالِسًا مَعَكَ الْآنَ لَوْ أَنَّنِي لَمْ أَزْجِرْهُ. لَا يَلْزَمُنِي أَطْفَالٌ تَحْتَ قَدَمِي. لَقَدْ ذَكَرْتَهُ بِوَاجِبِهِ».

وَجَدَ دَنكَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى تَذْكَرَةٍ عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَ: «أَيُّ وَاجِبٍ؟».

- «مَطِيَّتُكَ أَيُّهَا السَّيْرُ، أَسْلَحَتُكَ وَدَرَعُكَ».

قال دنك متذكّرًا: «نعم». الغلام مُرافق صالح، يعلم المطلوب منه. خسرت سيف العجوز والدِرْع التي صاغها لي بيت الفولاذي.

- «صديقك عازف الكمنجة أيضًا سأل عنك. قال لي أن تتلقّى أفضل رعاية. هو أيضًا طرده».

- «منذ متى تعتني بي؟». ثنى دنك أصابع يد سيفه وبسطها، فبدأ أنها جميعًا تعمل. دماغي فقط يُوجعني، والسير آرلان اعتاد أن يقول إنني لا أستخدمه على كلِّ حال.

- «أربع ساعاتٍ حسب المِزولة الشَّمسيّة».

أربع ساعاتٍ ليست بذلك السُّوء. لقد سمعَ مرّةً حكايةً عن فارس ضُربَ بُعْغِفٍ أفضى إلى نومه أربعين عامًا واستيقظَ ليجد نفسه عجوزًا ذاويًا. «أتعرف هل انتصرَ السير أوثور في نزاله الثَّاني؟». قد يفوز الحلزون بالدُّورة؛ سيخفُّ شيءٌ من وخز الهزيمة إذا استطاعَ دنك أن يقول لنفسه إنه خسرَ أمام أفضل فارسٍ في الميدان.

- «هو؟ بالتأكيد انتصرَ، على السير أدام فراي، ابن عمومة العروس ورّمّاح شابٍّ واعد. حضرة الليدي أغميَ عليها حين سقطَ السير أدام، ووجبت مساعدتها على العودة إلى مسكنها».

أرغمَ دنك نفسه على القيام فترنّح وهو ينهض، لكن الميستر أعانته على الثَّبات. «أين ملابسِي؟ يجب أن أذهب. عليّ... يجب...».

قال الميستر: «ما دُمت لا تَذْكُر فلا يُمكن أنها مسألة في غاية العجلة»، ولَوَّح بيده بضيقٍ مُردِّفًا: «لربَّما اقترحْتُ أن تتجنَّب الأَطعمة الدَّسِمة والمشروبات القويَّة ومزِيدًا من الضَّربات بين عينيك... لكنني تعلَّمتُ منذ زمنٍ طويل أنَّ الفُرسان يصمُّون آذانهم عن صوت العقل. اذهب، اذهب. عندي حمقى آخرون عليَّ الاعتناء بهم».

مكتبة

t.me/soramnqraa

في الخارج أبصرَ دنكَ بازًا يُحَلِّقُ في دوائرٍ واسعةٍ عبر سماءٍ زرقاء صافية، ولكم غبطه. كان قليلٌ من السَّحاب يحتشد إلى الشَّرق مدلهُمًا كمزاجه. بينما وجدَ طريقَ العودة إلى أرض النِّزال انهالتِ الشَّمس بضرباتها على رأسه كمطرقة على سندان، وبدأ أنَّ الأرض تتحرَّك تحت قدميه... أو لعلَّه هو الذي يتمايل. وهو يرتقي سلالِم القبو كادَ يَسْقُط مرَّتين. كان عليَّ أن أصغي إلى إيج. شقَّ طريقه البطيء في السَّاحة الخارجِيَّة حول حافات المتفرِّجين. في المضمَار يعرج اللُّورد آلن كوكشُو اللِّحيم إلى الخارج بين مُرافقين، آخر غزوةٍ للشَّاب جلندُن بُول، وقد حمل مُرافق ثالث خوذته التي انكسرت ريشاتها الشَّامخة الثلاث. صاحَ الحاجب: «السَّير چُون الكمنجي. السَّير فرانكلن سليل عائلة فراي، فارسٌ من (التَّوأمَتين)، مُقسم لسَيِّد (المعبر). تقدُّما وأثبَّتا بسالتكما».

لم يسع دنك إلا الوقوف والمشاهدة فيما خبَّ فحل
الكمنجي الأسود الكبير داخلًا المضمار في دوامة من الحرير
الأزرق والسُّيوف والكمنجات الذهبية. صدرتَه مطليّة بالمينا
الأزرق أيضًا، وكذا واقيا رُكبته وواقيا مرفقيه وكلسته وعُنقَيْته،
والحلقات المعدنية تحت درعه مذهبة. أما السير فرانكلن
فيركب حصانًا رماديًا أرقط ذا عُرف فضيٍّ مسترسل، يتماشى
مع الرّمادي في ثياب صاحبه الحرير والفضي في درعه، وعلى
الترس والمعطف وكسوة الحصان يحمل السير فرانكلن بُرجي
فراي التّوأمين. كرّ الفارسان وكرّا ثانية، ووقف دنك يُشاهد لكنه
لم ير شيئًا من نزالهما. قال لنفسه موبّخًا: دنك الأنوك، غليظ
العقل كسور قلعة. كان على ترسه حلزون. كيف تخسر أمام رجلٍ
على ترسه حلزون؟

ارتفع تهليلٌ من كلّ مكان حوله، ولمّا رفع دنك عينيه رأى
أنّ فرانكلن فراي سقط، وقد ترجّل الكمنجي ليُساعد خصمه
السّاقط على النّهوض. فكر دنك: ذنا خطوة أخرى من بيضة
التّنين التي يرغب فيها، أمّا أنا فأين؟

مع اقترابه من البوّابة الخلفيّة لاقى دنك جماعة الأقزام من
مأدبة البارحة وهم يستعدّون للرّحيل؛ يربطون أفراسًا قزمة إلى
خنزيرهم الخشبيّ المزوّد بعجلات، وإلى عربة ثانية ذات تصميم
أكثر اعتيادًا. ستّة هم حسبما رأى، كلّ منهم أصغر حجمًا وأشدّ
تشوُّها من سابقه. قد يكون بعضهم أطفالًا، لكن قصر قاماتهم
الشّديد جميعًا يُصعّب التّمييز. في وضح النّهار وقد ارتدوا
بناطيل من جلد الخيل ومعاطف مقلّنة من الخيش، يبدوون
أقلّ جدلًا ممّا بدوا بشياهم المرقّعة بشتّى الألوان. قال دنك من
باب الكياسة: «طاب صباحكم. أنتم متجهون إلى الطريق؟ إلى
الشّرق سحاب، قد يعني هذا المطر».



الرُّدُّ الوحيد الذي نالَه نظرةُ ناريَّة من القزم الأقبَح. أهو الذي سحَبته من فوق اللِّيدي بِتَرُول اللَّيلةِ العَاصِيَةِ؟ من قَريبِ رَاحِةِ الرَّجُلِ الصَّغِيرِ كالمَرَحاضِ. نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ تَكْفُلُتُ بِأَن يَحُثَّ دَنكَ الخُطَى.

بدا كَأَن المَسيَرةَ عَبرَ (دار الحَليب) اسْتَغْرَقَتْ من دَنكَ الوَقْتِ الذي اسْتَغْرَقَه قِطْعُ رَمالٍ (دُورن) مَعَ إِج. حَرِصَّ عَلى المَشي بِمَحَاذَاةِ جِدَارٍ، وَمِن وَقْتٍ إِلَى آخِرِ رُكْنٍ إِلَيهِ. كُلَّمَا أَدَارَ رَأْسَهُ مَادَ العَالَمِ. شَراب. أَحتَاجُ إِلَى شَرِبَةِ مَاءٍ وَإِلَّا فَسَأَسْقُطُ.

أخْبَرَهُ سائِسٌ مَارًّا أَيْنَ يَجِدُ أَقْرَبَ بَثْرٍ، وَهَنَاكَ اكْتَشَفَ كَايِلَ القِطِّ يَتَحَدَّثُ بِخَفْوٍ مَعَ مَينَارْدَ بَلَم. كَانَتْ كَتَفَا السَّيْرِ كَايِلَ مَتَهَدِّلَتَيْنِ اغْتِمَامًا، لَكِنَّهُ رَفَعَ نَظْرِيَّه مَعَ اقْتِرَابِ دَنكَ. «سَيَر دَنكَن؟ سَمَعْنَا أَنَّكَ مُتٌّ أَوْ تَمُوتُ».

فَرَكَ دَنكَ صُدْغِيَه قَائِلًا: «لِيتَنِي كَذَلِكَ».

زَفَرَ السَّيْرُ كَايِلَ، وَقَالَ: «أَعْرِفُ ذَلِكَ الشُّعُورَ جَيِّدًا. الِلُورْد كَازُول لَمْ يَعْرِفَنِي. عِنْدَمَا قُلْتُ لَهُ إِنَّنِي نَحْتُ سَيْفَهُ الْأَوَّلَ حَدَّقَ إِلَيَّ كَأَنَّنِي فَقَدْتُ عَقْلِي. قَالَ إِنَّهُ لَا مَكَانَ فِي (جَسْرِ العَلْقَمِ) لِلْفَرَسَانِ الْوَاهِنَيْنِ الَّذِينَ أَظْهَرْتُ أَنِّي مِنْهُمْ»، وَأَطْلَقَ القِطَّ ضَحْكَةً مَرِيرةً مُضِيْفًا: «لَكِنَّهُ أَخَذَ أَسْلِحَتِي وَدَرْعِي، وَمَطِيَّتِي أَيْضًا. مَاذَا أَفْعَلُ؟».

لَمْ يَحِرْ دَنكَ لَهُ جَوَابًا. حَتَّى الْمُحَارَبِ غَيْرِ النِّظَامِي يَلْزِمُهُ حِصَانٌ لِيَرْكَبَهُ، وَيَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ المَرْتَزِقَةَ سَيُوقًا لِيَرْتَقُوا بِهَا. قَالَ دَنكَ وَهُوَ يَسْحَبُ الدَّلُّو: «سَتَجِدُ حِصَانًا آخَرَ. (المَمَالِك السَّبْع) حَافِلَةٌ بِالْخِيُولِ. سَتَجِدُ لُورْدًا آخَرَ يُسَلِّحُكَ»، ثُمَّ ضَمَّ يَدَيْهِ

وملأهما بالماء وشرب.

- «لورد آخِر. أجل. هل تعرف واحدًا؟ أنا لستُ شابًا وقويًا
مثلك، ولا كبيرًا كذلك. كبار الحجم مطلوبون دومًا. اللورد بترول
مثلًا يحبُّ فرسانه كبارًا. انظر إلى توم هيدل هذا. هل رأيته في
مُثاقفة؟ لقد أطاح بكلِّ رجلٍ واجهه. على أنَّ ولد كُرة النار فعل
المثل، والكمنجي أيضًا. ليتَه هو الذي أسقطني. إنه يرفض أخذ
فدية. يقول إنه لا يُريد أكثر من بيضة التَّين... وإضافةً إلى ذلك
صداقة خصومه السَّاقطين. زهرة الشَّهامة ذلك الشَّاب».

ضحك ماينارد ولمْ قائلاً: «تعني كمنجة الشَّهامة. الفتى يعزف
لحن عاصفةٍ مقبلة، وخيرٌ لنا جميعًا أن نرحل من هنا قبل أن
تهبَّ».

قال دنك: «لا يأخذ فدية؟ لفئةٌ نبيلة».

قال السير ماينارد: «اللَّفَات النُّبيلة سهلةٌ وكيس نقودك منتفخ
بالذهب. يُوجد درسٌ هنا إذا تحلَّيت بما يكفي من عقلٍ لتعلِّمه
أيُّها السير دنكن. لم يَفُت أوان رحيلك».

- «رحيلي؟ رحيلي إلى أين؟».

هزَّ السير ماينارد كتفيه، وأجاب: «إلى أيِّ مكان. (ويسترفل)،
(بهو الصَّيف)، (آشاي عند الظِّل). لا يهْمُ ما دام المكان
ليس هنا. خُذ حصانك ودرعك وانسلَّ من البوابة الخلفيَّة. لن
يفتقدك أحد. الحلزون مشغول بالتَّفكير في نزاله التَّالي، والباقون
أعيْنهم لا ترى إلَّا المُثاقفات».

لنصف نبضة قلب أغوت دنك الفكرة. ما دام يحمل سلاحاً ويمتطي حصاناً فسيبقى فارساً بشكل أو بآخر، ومن غيرهما فإنه ليس أكثر من شحاذ. شحاذ كبير، لكنه شحاذ. لكن أسلحته ودرعه تنتمي إلى السير أو ثور الآن، وكذلك ثندر. شحاذ أفضل من لصر. لقد كان هذا وذاك في (سفع البراغيث) إبان مصاحبته ابن مقرض ورافي وپودنج، بيد أن العجوز أنقذه من تلك العيشة. يعلم ما كان السير آرلان ابن (شجرة البنسات) سيرد به على اقتراحات پلم، وبما أن السير آرلان ميت فقد ردّ دنك نيابة عنه: «حتى الفارس الجوّال له شرفه».

- «أتحبذ أن تموت بشرف مصون أم تعيش به مدنساً؟ لا، أعفني، أعلم ماذا ستقول. خذ غلامك واهرب يا فارس المشنقة قبل أن يصبح شعارك مصيرك».

مغضباً ردّ دنك: «أنتى لك بمعرفة مصيري؟ هل رأيت حلماً مثل چون الكمنجي؟ ماذا تعرف عن إچ؟».

قال پلم: «أعرف أنه خير للبيض أن يبقى خارج المقلاة. (الجدران البيضاء) ليست مكاناً صحياً للغلام».

سأله دنك: «كيف أبليت في نزالك أيها السير؟».

- «أوه، لم أغامر بدخول المضمار. النذر لم تبشّر بخير. من تتخيله سيظفر ببيضة التين يا ترى؟».

- ليس أنا. «السبعة يعلمون. أنا لا أعلم».

- «أقدم على تخمين أيها السير. إن لك عينين».

فكر دنك لحظة. «الكمنجي؟».

- «ممتاز. هل تؤدُّ أن تشرح ما قادكَ إلى هذا الاستنتاج؟».

- «إنَّ... لديَّ شعورًا فقط».

قال ماينارد پَلَم: «وأنا أيضًا. شعورٌ سيِّئٌ تجاه أيِّ رجلٍ أو صبيٍّ تعوزه الحكمة إلى درجة أن يعترض طريق كمنجينا».

كان إيج يُمشط شعر ثندر خارج خيمتهما، وإن شردت عيناه. سقطتِي أَلَمَت الولد بشدَّة. نادى دنك: «كفى. مزيدٌ من التمشيط وسيُصبح ثندر أصلع مثلك».



أَفَلَتِ إِجُ الْفُرْشَةَ صَائِحًا: «سِير؟ كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ لَا حِلْزُونَ سَخِيفًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْتُلَكَ أَيُّهَا السَّيْرُ»، وَطَوَّقَ دَنكَ بِذِرَاعَيْهِ. اخْتِطَفَ دَنكَ الْقَبْعَةَ الْقَشَّ الْمَرْنَةَ مِنَ الْغَلَامِ لِيَضَعَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ، وَقَالَ: «الْمَيْسْتَرُ قَالَ إِنَّكَ هَرَيْتَ بِدِرْعِي».

انْتَزَعَ إِجُ قَبْعَتَهُ بِسَخِطٍ قَائِلًا: «لَقَدْ جَلَوْتُ زَرْدَكَ وَلَمَعْتُ كَلَسْتِكَ وَغَفَقَيْتِكَ وَصَدَرْتُكَ أَيُّهَا السَّيْرُ، لَكِنْ خَوَذْتُكَ مَشْرُوحَةً وَمَنْبَعَجَةً حَيْثُ أَصَابَهَا رَأْسُ رُمَحِ السَّيْرِ أَوْثُور. عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذَهَا إِلَى صَانِعِ سِلَاحٍ لِيُسَوِّيَهَا».

- «دَعِ السَّيْرَ أَوْثُورَ يُسَوِّيَهَا. إِنَّهَا مَلَكُهُ الْآنَ». لَا حِصَانًا، لَا سَيْفًا، لَا دِرْعًا. قَدْ يَدْعُنِي أَوْلَئِكَ الْأَقْزَامُ أَنْضُمَ إِلَى فِرْقَتِهِمْ. سَيَكُونُ مِنْظَرًا طَرِيفًا؛ سَتُهُ أَقْزَامُ يَضْرِبُونَ عَمَلَقًا بِمِثَانَاتِ خَنَازِيرٍ. «تَنْدُرُ أَيْضًا مَلَكُهُ. تَعَالَ. سَنَأْخُذُ إِلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَنَتَمَنَّى لَهُ التَّوْفِيقَ فِي بَقِيَّةِ نَزَالَاتِهِ».

- «الآن أَيُّهَا السَّيْرُ؟ أَلَنْ تَدْفَعُ فِدْيَةَ تَنْدُرٍ؟».

- «بِمَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ؟ بِالْحَصَى وَفَضْلَاتِ الْخَرْفَانِ؟».

- «لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ أَيُّهَا السَّيْرُ. إِذَا اقْتَرَضْنَا...».

قَاطَعَهُ دَنكَ: «لَا أَحَدٌ سَيُقْرِضُنِي ذَلِكَ الْمَبْلَغَ الْكَبِيرَ يَا إِجُ. مَا الدَّفَاعُ؟ مَاذَا أَنَا إِلَّا أَخْرَقَ عَظِيمَ دَعَا نَفْسِهِ بِالْفَارَسِ حَتَّى كَادَ حِلْزُونَ بَعْصًا يُهَشِّمُ رَأْسَهُ؟».

قال إج: «طَيِّب، يُمكنك أن تأخذ رَيْنَ أَيْهَا السَّيْرِ. سأعودُ أركبُ مَيْسْتِر. سنذهب إلى (بهُو الصَّيْف). بإمكانك أن تلتحق بخدمة أهل بيت أبي. الخيول تملأُ إسْطِلاته. لك أن تأخذ بِرْذُونًا ورهوانًا أيضًا».

نَيْةُ إج صافية، إلَّا أنَّ دنك لا يستطيع الذهاب ذليلاً إلى (بهُو الصَّيْف)، لا يستطيع على هذه الحال، مفلسًا مغلوياً يروم الخدمة دونما مجرَّد سيف. قال: «أَيْهَا الصَّبِي، لُطف منك أن تقترح ذلك، لكنني لا أريدُ قُتَاتًا من مائِدة السَّيِّد والدك، أو من إسْطِلاته. ربَّما حانَ الوقتُ ليذهب كلُّ منا في حال سبيله». باستِطاعة دنك دائماً أن ينسلَّ خلسةً ليلتحق بحرس المدينة في (لانسپُورت) أو (البلدة القديمة)، إذ يروقههم الرِّجال كبار الحجم لأجل ذلك العمل. لقد خبطتُ برأسي كلَّ عارضةٍ في كلِّ خانٍ من (لانسپُورت) إلى (كينجز لاندنج). ربَّما آنَ الأوانُ ليُكسِبني حجمي قليلاً من المال بدلاً من مجرَّد رأس متورِّم. على أنَّ الحُرَّاس لا مُرافقين لهم. «لقد علَّمتك ما أقدرُ عليه، وهو قليل. ستبلي بلاءً أحسن مع قِيَم سلاح لائق يُشرف على تدريبك، فارس عجوز شديد يعرف بأيِّ طرفي الرُّمح يُمسِك».

قال إج: «لا أريدُ قِيَم سلاحٍ لائقًا. أريدك أنت. ماذا إذا استخدمنا...».

- «لا. انسَ ذلك تمامًا، لن أسمع كلمةً عنه. اذهب واجمع أسلحتي ودرعي. سنقدِّمها للسَّيْرِ أو تُور مع تحيَّاتي. المصاعب لا تزداد إلا صعوبةً إذا سوِّفتها».

رفس إج الأرض وقد تهدّل وجهه مثل قبّعة القش الكبيرة، وقال: «حاضر أيّها السير، كما تقول».

من الخارج بدّت خيمة السير أو ثور تقليديّة جدًّا؛ غلبة مربّعة كبيرة من قماش الأشرطة البني الرّمادي، موتّدة في الأرض بحبال من القنب، ويحلّي حلزون فضّي قائمتها المركزيّة فوق راية مثلثيّة رماديّة طويلة، لكن هذه هي الزينة الوحيدة.

قال دنك لإج: «انتظر هنا». يمسك الغلام مقود ثندر، والبرذون البني الكبير محمّل بأسلحة دنك ودرعه، بما فيها ترسه القديم الجديد. فارس المشنقة. ها قد أثبت أنه ما أتعسني فارسًا غامضًا. «لن أتأخّر». قالها وخفض رأسه وحنى كتفيه داخلًا من سديلة الخيمة.

لم يهتبه ظاهر الخيمة لوسائل الراحة التي ألفاها في الداخل. الأرضيّة تحت قدميه مفروشة بالبسط المايريّة الغنيّة بالألوان، وتستقرّ طاولة مزخرفة محاطة بكراسي المعسكرات، والفرش المحشو بالريش مغطى بوسائد طريّة، وفي مجمرة حديدية يحترق بخور معطر.

كان السير أو ثور جالسًا إلى الطاولة، أمامه كومة من الذهب والفضة وعند مرفقه إبريق من النِّبذ، يعدُّ قطع العملة مع مُرافقه، وهو شخصٌ تعوزه الرِّشاقة يبدو قريبًا من ذلك في السن. بين فينة وفينة عضّ الحلزون عملةً أو نحَّاهَا جانبًا، وسمعه ذلك يقول: «ما زال عليّ أن أعلمك أشياء كثيرة يا ويل. هذه العملة مقصوفة، والأخرى مكشوفة. وهذه؟». على أصابعه رقصت قطعة ذهبية. «انظر بعينيك إلى العملات قبل أن تأخذها. هاك، أخبرني ماذا ترى». دار التَّين في الهواء، وحاولَ ويل تلقُّفه، لكنه ارتدَّ عن أصابعه وسقط أرضًا. اضطرَّ الفتى إلى التَّزول على ركبتيه ليجده، ولمَّا فعلَ أداره مرَّتين قبل قوله: «إنها قطعة جيِّدة يا سيدي. على أحد الوجهين تين وعلى الآخر ملك...».

نظرَ أندريلف نظرةً سريعةً نحو ذلك، وقال: «الرَّجل المشنوق. يسرُّني أن أراك تتحرَّك أيُّها السير. خشيْتُ أني قتلتك. هلاً أسديت إليّ معروفًا وأرشدت مُرافقي في طبيعة التَّنانين؟ ويل، أعطِ السير دنكن العملة».

لم يملك ذلك خيارًا إلا أخذها. لقد أسقطني. أوجب أن يتَّخذني مُرأةً أيضًا؟ عابسًا، رفعَ العملة في راحة يده وفحصَ كلا جانبيها وذاقها، ثم قال: «ذهب، ليس مكشوفًا أو مقصوفًا. الوزن يبدو سليمًا. كنتُ لآخذها أيضًا يا سيدي. ما عيبها؟».

- «الملك».

أمعنْ دنك النَّظْر. الوجه على العُملَة شاب، حليق، وسيم. الملك إيرس ملتح على عُمَلته، مثله مثل الملك المُسن إيجون، أمَّا الملك دِيرُون الَّذِي أتى بينهما فكان حليقًا، لكن هذا ليس هو. لا تبدو العُملَة باليةً كفايةً لتكون من قبل عهد إيجون غير الجدير. زَرَّ دنك عينيه رامقًا الكلمة تحت الرأس. خمسة حروف. تبدو مثلما رأى على التَّانين الأخرى. الحروف تقول «دِيرُون»، إلا أنه يعرف وجه دِيرُون الصَّالح، وليس هذا هو. عندما أعاد النَّظْر لمحَ شيئًا غريبًا في شكل الحرف الثالث، فليس... اندفع يقول: «دِيمُون! تقول «دِيمُون». ولكن لم يُوجد قَطُّ ملكُ اسمه دِيمُون، باستثناء...».

- «... المدَّعي. دِيمُون بلا كفاير سكَّ لنفسه عُملةً في أثناء تمرُّده».

حاجَّه ويل: «لكنها ذهب. ما دامت ذهبيَّةً فيفتَرَض أن قيمتها كتلك التَّانين الأخرى يا سيدي».

لطمه الحلزون على جنب رأسه، وقال: «معتوه! أجل، إنها ذهب، ذهب متمرِّدين، ذهب خونة. خيانة أن يحوز المرء عُملةً كهذه، وخيانة مضاعفة أن يتداولها. عليَّ أن أصهرها»، وعاد يضرب الرَّجل قائلًا: «غُر من وجهي. أنا وهذا الفارس الكريم عندنا أمورٌ نناقشها».

لم يُضَيِّع ويل وقتًا في فراره من الخيمة، في حين قال السير أوثور لذنك بتهذيب: «تفضَّل بالجلوس. هل تشرب نبيذًا؟». هنا في خيمته يبدو أندرليف رجلًا مختلفًا عمَّا بدا في المأدبة.

حدّث دنك نفسه متذكّرًا: الحلزون يختبئ في قوقعته. «شكرًا، لا». نفرّ العملة الذهبية معيدًا إيّاها إلى السير أوثور. ذهب خونة، ذهب بلا كفاير. إيج قال إنّ هذه دورة مباريات للخونة، لكنني أبيت الإصغاء. إنه مدينٌ للغلام باعتذار.

أصرّ أندريليف: «نصف كوب. يبدو من صوتك أنك محتاج إليه»، وملاً كويين بالنبيذ وناولَ دنك واحدًا. خارج درعه يبدو الرّجل أقرب إلى تاجرٍ منه إلى فارس. «أفترض أنك أبيت بخصوص الغرامة».

- «أجل». أخذَ دنك النبيذ. قد يُساعد على وقف الدّق في رأسه. «لقد أحضرتُ مطيّي، وأسلحتي ودرعي. خُذها مصحوبةً بحياتي».

ابتسم السير أوثور قائلاً: «وعند هذه

النّقطة أقولُ لك إنك ركبت في المضمار بهمة».

تساءلَ دنك إن كانت «همة» طريقة شهمة لقول «خرق».

«لطف منك أن تقول هذا، ولكن..»

- «أظنك أسأت سمعي أيّها السير.

هل سأتجاوزُ حدودي إذا سألتك

كيف نلت الفروسيّة أيّها السير؟».



- «السَّيْرُ آرلَان ابن (شجرة البنسات) وجدني في (سَفْحِ البراغيث) أَطَارِدُ الخنازير. مُرافقه القديم قُتِلَ في (حقل العُشب الأحمر)، فلزَمَهُ أَحَدٌ يعتني بمطَيَّته ويُنظِّف زرده. وعدَّ بتعليمي السَّيف والرُّمَحَ وركوب الخيل إذا ذهبْتُ معه لأُخدمه، ففعلتُ».

- «حكايةٌ بدِيعَة... ولكن لو أَنِي في مكانك لتجاوزت جزئية الخنازير. أَخبرني إذا سمحت، أين سيَدُك السَّيْرُ آرلَان الآن؟».

- «مات. دفنته بنفسِي».

- «مفهوم. هل أَخذته إلى دياره في (شجرة البنسات)؟».

- «لم أعرف مكانها». لم يَرِ دُنكَ قَطُّ قرية العجوز (شجرة البنسات)، ونادراً ما تكَلَّم السَّيْرُ آرلَان عنها أَكْثَر مِمَّا تَعوَّدُ دُنكَ الكلام عن (سَفْحِ البراغيث). «لقد دفنته على جنب تلٍّ يُواجه الغرب ليرى الشَّمْسُ تَغيب». صرَّ كُرْسِي المعسكرات بِطريقةٍ مُقلقة تحت وزنه.

عادَ السَّيْرُ أوْثور يجلس، وقال: «إِنَّ عِنْدِي درعي، وحصاناً أَفضل من حصانك. ماذا أريدُ من ركوبةٍ عجوزٍ مستترَفةٍ وجوالٍ من الصَّفائح المنبجعة والحلقات الصَّدئة؟».

ردَّ دُنكَ بلمسةٍ من الغضب: «بيت الفولاذي صنعَ تلك الدَّرع، وإِج اعتنى بها خير عناية. لا تُوجَد بُقعةٌ واحدة من الصَّدأ على زردي، والفولاذ ممتاز وقوي».

تبرّم السير أوثرور: «قويّ وثقيل، وكبيرٌ للغاية على أيّ رجل من الحجم العادي. إنك كبيرٌ على نحو خارق للعادة يا دنكن الطويل. أمّا حصانك فهو أكبر سنًا من أن يُركب، ولحمه أفسى من أن يُؤكل».

- «تندر لم يعد بشبابه السّابق فعلاً، ودرعي كبيرة كما تقول، ولكن يُمكنك بيعها. في (لانسهورت) و(كينجز لاندنج) حدّادون كثير سيُخلّصونك منها».

قال السير أوثرور: «لقاء عشر قيمتها ربّما، ولتصهر من أجل المعدن فحسب. لا. إنّ الفضة الحلوة هي ما أقتضيه، لا الحديد القديم. عملة البلاد. والآن، هل ترغب في دفع فدية أسلحتك أم لا؟».

دور دنك كوب النّبيذ بين يديه متجهّما. الكوب من الفضة الخالصة، وحول الفوهة صف من الحلزونات الذهبية المنقوشة. النّبيذ أيضًا ذهبيّ، وله مذاقٌ مُسكر على اللسان. «لو أنّ المطالب تُلبّي بالتّمني، أجل، كنتُ سأدفع، وبسرور، لكنني...».

- «... لا تملك أيّ اثنين ليتناطحا بقرونهما».

- «إذا قبلت... قبلت أن تُعيرني حصاني ودرعي فيمكنني أن أدفع الفدية لاحقًا، حالما أجدُ المبلغ».

بدا أنّ الحلزون استطرفَ الطّلب، وقال: «وأين ستجده يا ثري؟».

- «بإمكانني أن ألتحق بالخدمة عند لُورد ما، أو...». تعسّر عليه لفظ الكلام الذي أشعره أنه متسوّل. «قد يستغرق الأمر بضعة سنوات، لكنني سأدفعُ لك، أقسمُ على هذا».

- «بشرفك باعتبارك فارساً؟».

احتقنَ وجهه دنك، وقال: «يُمكّني أن أضع علامتي على رق».

دَوّر السير أوثور عينيه في محجرتيهما قائلاً: «شخبطة فارس جوّال على قِصاصَةٍ من الورق؟ تَصْلُحُ لأن أُمسح بها مؤخّرتي ليس إلّا».

- «أنت أيضًا فارسُ جوّال».

- «الآن تُهينني. إنني أركبُ حيثما شئتُ ولا أخدمُ أحداً إلّا نفسي، صحيح... لكن أعوامًا طويلةً مرّت منذ نمّتُ أسفل سياج. أجدُ الخانات أكثر راحةً بكثير. أنا فارس مباريات، غالبًا الأفضل بين مَنْ ستلتقيهم يومًا».

- «الأفضل؟». أحنقَ غروره دنك. «قد يُخالفك العاصفة الضّاحكة الرّأي أيُّها السير، وكذا ليؤ الشُّوكة الطّويلة، وكذا غاشم براكن. في (مرج آشفرد) لم يتكلّم أحد عن الحلزونات، فما السّبب لو أنك بطل مباريات طبّق صيته الآفاق؟».

ردّ أندريلف: «هل سمعتي أسْمِي نفسي بطلاً؟ في ذلك الطّريق تقع الشُّهرة، وأنا أوشّرُ أن يُصيّني الجُدري. شكراً، ولكن لا. سأفوزُ في مُناقفتي التّالية، أجل، ولكن في التّزال الأخير سأسقطُ. بَترول سيَقْدِم ثلاثين تَينًا للفارس صاحب المركز الثّاني، وذلك يكفيني... بجانب بعض الفديات الكبيرة وأرباحي من

الرَّهانات»، وأشارَ إلى كومة الأياثل الفضة والتنانين الذهب على الطاولة متابعًا: «تبدو شخصًا صحيح البدن، وضخمًا. الحجم يُثير إعجاب الحمقى دائمًا مع أنه يعني قليلًا فأقل في المثاقفة. ويل تمكن من الحصول على أرجحية ثلاثة إلى واحد ضدي. اللورد شاووني راهنَ بخمسة إلى واحد، الأحمق»، والتقطَ أيلًا فضيًا وبدأ يُدوِّره بنقرة من أصابعه الطويلة، وواصل: «الثور العجوز سيَسْقُط في الجولة التالية، ثم فارس (صفصاف القِطط) إذا نجا حتى ذلك الحين. في ظل المزاج السائد، يُفترض أن أحصل على أرجحية لا بأس بها ضد الاثنين. العموم يحبُّون أبطال القُرى».

اندفع دنك يقول: «السير جلنْدُن في عروقه دم بطل».

- «أوه، آملُ هذا حقًا. دماء الأبطال مناسبة لأرجحية اثنين إلى واحد، أمّا دماء العاهرات فأرجحيّتها أزهد. السير جلنْدُن يتكلّم عن والده المزعوم كلّمًا وجدّ فرصة، ولكن هل لاحظت أنه لا يذكُر أمّه أبدًا؟ السَّبب وجيه. لقد ولدته تابعة معسكرات. كان اسمها چني، چني أم بني كما دعوها حتى (حقل العُشب الأحمر). عشية المعركة ضاجعت من الرّجال كثرة جعلتها تُعرَف منذ ذلك الحين بچني العُشب الأحمر. كرة النّار وطّنها قبل ذلك، لا شكّ عندي، لكن مئة رجل آخر فعلوا المثل. صديقنا جلنْدُن يُغالي في افتراضاته على ما يبدو لي. إنّ شعره ليس أحمر أصلًا».

- دم بطل. «يقول إنه فارس».

- «أوه، ذلك الجزء حقيقي. الولد وأخته نشأ في ماخوِر اسمه

(صفصاف القِطط). بعد موت چني أم بني رَعْتِهما العاهرات الأخريات وأوهَمَن الصَّبِي بحكاية اختَلَقَها أمُه عن كونه من صُلب كُرة النَّار. على مقربة عاش مُرافق عجوز مدَّ الصَّبِي بتدريبه المحدود مقابل المزر والفروج، ولكن لأنه مجرد مُرافق فلم يستطع إسباغ الفروسيَّة على الثَّعل الصَّغير. على أنه قبل نصف عام تصادف أن زارت مجموعة فُرسان الماخور، وحدث أنَّ رجلاً معيَّناً اسمه السير مؤرجن دنستيل استهوتَه أخت السير جلندُن وهو سكران. بالصدفة كانت الأخت لا تزال عذراء، ولم يملك دنستيل ثمن بكارتها، وهكذا عُقدت صفقة. السير مؤرجن أسبغ على أخيها الفروسيَّة هناك في (صفصاف القِطط) أمام عشرين من الشُّهود، وبعدها أخذته الأخت الصَّغيرة إلى الطابق العلوي وتركتَه يقطف زهرتها. وهي ذي الحكاية».

لأي فارس أن يُسبغ الفروسيَّة. وقت عمله مُرافقاً عند السير آرلان، سمعَ دنك حكاياتٍ عن رجالٍ آخرين اشتروا فروسيَّتهم بمعروفٍ أو بتهديدٍ أو بكيْسٍ من العُمَلات الفضة، أمَّا ببكارة أختٍ فهذا ما لم يسمعه قَط. سمعَ نفسه يقول: «تلك مجرد حكاية، لا يُمكن أنها حقيقة».

قال السير أوثر: «لقد سمعتها من كِربي بِم الذي يدَّعي أنه كان حاضراً وشاهدًا على التَّنصيب»، وهزَّ كَتفيه وأردف: «ابن بطل، ابن عاهرة، أو كلاهما، حين يُواجهني الصَّبِي سيَسْقُط». - «قد تُعطيك القرعة خصمًا آخر».

قوَّس السير أوثر حاجبه، وقال: «كوزجروُف مغرم بالفضة



كغيره من الرّجال. أعدك بأن الثّور العجوز

سيقع من نصيبي في النّزال التّالي،

ثم الصّبي. أتودّ أن تُراهن؟».

– «لم يتبقّ لي ما أراهنُ به».

لم يدرك دنك ما كدّره

أكثر: معرفته بأن

الحلزون يرشو

قيّم المباريات

ليُحصّل على

المزاوجات التي يرغب فيها،

أم إدراكه أنّ الرّجل رغّب فيه هو. قال وهو يقوم: «لقد قلتُ ما أتيتُ لأقوله. حصّاني وسيفي ملكك، وكذا درعي كلّها».

شبّك الحلزون أصابعه قائلاً: «لعلّ لدينا سيلاً آخر. أنت لست معدوم المواهب بالكامل. إنك تَسْقُط بطريقةٍ في غاية الرّوعة»، والتمعت شفتا السير أوثور باللّعباب عندما ابتسم مُكملاً: «سأعيرك جوادك ودرعك... إذا التحقت بخدمتي».

– «خدمتك؟». لم يفهم دنك. «أيّ نوع من الخدمة؟ إنّ لك مرافقاً. أيلزمك أن تُزوّد قلعةً ما بحامية؟».

- «رَبِّمَا لَوْ أَنَّ عِنْدِي قَلْعَةً. لَأَقُولُ الْحَقَّ، إِنِّي أَفْضَلُ الْخَانَاتِ المَرِيحَةِ. صَيَانَةُ الْقَلَاعِ بَاهِظَةُ التَّكَالِيفِ. لَا، الْخِدْمَةُ الَّتِي سَأُطْلِبُهَا مِنْكَ هِيَ أَنْ تُوَاجِهَنِي فِي مَزِيدٍ مِنَ الدَّوَرَاتِ. عَشْرُونَ تَكْفِي فِي تَقْدِيرِي. بِإِمْكَانِكَ ذَلِكَ بِالتَّأَكِيدِ، صَح؟ سَتَحْصُلُ عَلَى عَشْرِ أَرْبَاحِي، وَأَعِدُّ بِأَنْ أَضْرِبَكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ عَلَى صَدْرِكَ الْعَرِيضِ هَذَا، وَلَيْسَ عَلَى رَأْسِكَ».

- «تُرِيدُنِي أَنْ أَتَقَلَّ مَعَكَ لِمَجَرَّدِ أَنْ أَسْقُطَ عَنْ حِصَانِي؟».

فَهَقَّةُ السَّيْرِ أَوْثَرُ بِبِشَاشَةٍ قَائِلًا: «إِنَّكَ عَيْنَةٌ قَوِيَّةٌ ضَخْمَةٌ مِنَ الرِّجَالِ، وَلَنْ يُصَدِّقَ أَحَدٌ أَبَدًا أَنَّ عَجُوزًا مُسْتَدِيرَ الْكَتِفَيْنِ يَضَعُ حُلُوزَنَا عَلَى تُرْسِهِ يَقْوَى عَلَى غَلْبَتِكَ»، وَفَرَكَ ذَقْنَهُ مُوَاصِلًا: «يَلْزِمُكَ عَنْ نَفْسِكَ شِعَارٌ جَدِيدٌ بِالْمُنَاسَبَةِ. ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمَشْنُوقُ مُقْبِضٌ بِمَا يَكْفِي، أَقْرَبُ بِهِذَا، وَلَكِنْ... إِنَّهُ مَشْنُوقٌ شَنْقًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ مَيِّتٌ وَمَهْزُومٌ. مَطْلُوبُ شَيْءٍ أَشَدُّ. رَأْسُ دُبِّ رَبِّمَا. جَمْعَةٌ، أَوْ ثَلَاثُ جَمَاجِمَ، أَفْضَلُ وَأَفْضَلُ. رَضِيعٌ مَخُوزَقٌ عَلَى حَرِيَةٍ. وَعَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَ شَعْرَكَ يَطُولُ وَتُطْلِقَ لَحِيَّتَكَ، وَأَفْضَلُ كُلَّمَا صَارَتْ مَتَشَعِّبَةً شَعْنَاءَ. مِثْلُ هَذِهِ الدَّوَرَاتِ الصَّغِيرَةِ أَكْثَرَ مِمَّا تُدْرِكُ. بِالْأَرْجَحِيَّةِ الَّتِي سَأُنَالُهَا سَنَكْسِبُ مَا يَكْفِي لَشِرَاءِ بِيضَةٍ تَبِينُ قَبْلَ...».

- «... أَنْ يَنْتَشِرَ خَبْرُ أَنِّي يَائِسٌ؟ لَقَدْ خَسِرْتُ دَرْعِي لَا شَرَفِي. سَتَأْخُذُ ثُنْدَرُ وَأَسْلَحَتِي فَحَسْبُ».

- «الْكَبْرِيَاءُ لَا تَلِيقُ بِشَحَازِ أَيُّهَا السَّيْرِ. ثَمَّةُ أَشْيَاءَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَفْعَلَهَا أَسْوَأَ كَثِيرًا مِنَ الرُّكُوبِ مَعِي. عَلَى الْأَقْلِ بِإِمْكَانِي أَنْ أَعْلِمَكَ شَيْئًا أَوْ اثْنَيْنِ عَنِ الْمُتَاقِفَةِ الَّتِي تَجْهَلُهَا فِي الْوَقْتِ الْحَالِي جَهْلُ الْخَنَازِيرِ».

- «تريد أن تُبديني كالحمقى».

- «لقد فعلت ذلك قبل قليل، والحمقى أنفُسهم يجب أن يأكلوا».

أرادَ دنك أن ينزع هذه الابتسامة عن وجهه بلكمة. «أرى سبب وضعك حلزونًا على تُرسك. إنك لست فارسًا حقًا».

ردَّ السير أوثور: «تقولها كساذج حقيقي. أنت أعمى إلى درجة أنك لا ترى الخطر المحدق بك؟»، ووضع كوبه جانبًا سائلًا: «أتعرف لِمَ أصبتك حيث أصبتك أيُّها السير؟». نهَضَ الحلزون ولمسَ دنك بخفة في وسط صدره مجيبًا: «كان حدُّ رُمح يضربك هنا سيرميك أرضًا بالسرعة ذاتها. الرأس هدفٌ أصغر، إصابة الضربة هدفها أصعب... ولو أنَّ قابليتها للقتل أرجح. لقد نُقدت مألًا لأضربك هناك».

تراجعَ عنه دنك. «نُقدت مألًا؟ ماذا تعني؟».

- «سنةٌ تتانين مدفوعة مقدَّمًا، أربعة أخرى موعودة عند موتك. مبلغٌ زهيد مقابل حياة فارس. فلتمتَنُ لذلك. لو عُرضَ أكثر فلربَّما غرستُ رأس رُمحي عبر فتحة الرؤية في خوذتك». عادَ دنك يحسُّ بالدُّوار. لماذا يدفع أحدهم مألًا لكي أُقتل؟ إنني لم أودِ أحدًا في (الجُدران البيضاء). مؤكد أنَّ أحدًا لا ييغضه إلى ذلك الحدِّ غير إيريون شقيق إج، لكن الأمير الساطع في المنفى وراء (البحر الضيق). «مَن دفعَ لك؟».

- «جلبَ الذهب خادِمٌ عند الشُّروق، ليس بعد فترة طويلة من تعليق قِيَم المباريات لائحة المزاجات. كان وجهه مخفيًا تحت قلنسوة، ولم يذكر اسم سيِّده».

- «لكن لماذا؟».

- «لم أسأل». أعاد السير أوثور ملء الكوب قائلاً: «أظنُّ أنَّ لك أعداء أكثر ممَّا تُدرك أيُّها السير دنكن. وكيف لا؟ يُوجد من يقولون إنك السَّببُ في ويلاتنا جميعًا». شعرَ دنك بيدٍ باردة تقبض على قلبه. «قُل ما تعنيه».

هزَّ الحلزون كتفيه، وقال: «ربَّما لم أكن حاضراً في (مرج آشفرد)، لكن المُثاقفات عيشي وملحي. إنني أتابع المباريات من بُعد مثلما يتابع الميُسترات النُجوم، وأعرف كيف أصبح فارسُ جِوَالٍ معيَّن سبب محاكمةٍ بالسَّبعة في (مرج آشفرد)، أفضت إلى موت بيلُور كاسِر الحراب على يد أخيه ميكار». جلسَ السير أوثور ومدَّ ساقيه متابعاً: «الأمير بيلُور كان محبوباً حبًّا جُمًّا. الأمير السَّاطع كان له أصدقاء أيضاً، أصدقاء لن يزالوا يذكرون سبب نفيه. فكَّر في عرضي أيُّها السير. قد يُخلف الحلزون أثراً من المُخاط، لكن قليلاً من المُخاط لا يضرُّ أحداً... أمَّا إذا رقصت مع التَّانين فعليك أن تتوقَّع أن تحترق».

بدا النَّهار أقتم حين خرجَ دنك من خيمة الحلزون؛ السُّحب في الشَّرق تعاطمت وحلَّت لونها، والشَّمس تغوص نحو الغرب ملقيةً بظلال طويلة على السَّاحة. وجدَ المُرافق ويل يفحص أقدام ثندر، فسأله: «أين إيج؟».

- «الغلام الأصلع؟ وما أدراني؟ هربَ إلى مكانٍ ما».

قرّر دنك في داخله: لم يُطَقْ أَنْ يُودَعَ ثندر. سيكون في الخيمة مع كتبه. على أنه لم يجده هناك. الكتب موجودة، مربوطة بعناية في كومة بجوار لفّة نوم إج، لكن الغلام نفسه لا أثر له. شيء ما على غير ما يُرام هنا، شيء شعر به دنك. ليس من عادة إج أن يسرح دون إذنه.

كان زوجان أشيبان من الرجال المسلّحين يشربان بيرة الشعير خارج سُرادق مقلّم يبعد بضعة أقدام، ويهمهم أحدهما: «... طيّب، سحَقاً لذلك، مرّة واحدة تكفيني. العُشب كان أخضر لمّا طلعت الشمس، أجل...». بتر عبارته إذ لكزه الرجل الآخر، وعندئذٍ فقط لحظَ دنك. «سير؟».

- «هل رأيتما مُرافقِي؟ اسمه إج».

حكَّ الرجلُ الشعرَ الشائب الخشن تحت إحدى أذنيه قائلاً: «أذكره. شعرٌ أقلّ من شعري، وفمٌ أكبر من حجمه ثلاث مرّات. بعض الفتيّة الآخرين خشنٌ عليه قليلاً، لكن ذلك حدث البارحة. لم أَرِه منذ حينها أيُّها السير».

قال رفيقه: «أخافوه».

رماه دنك بنظرة قاسية، وقال: «إذا عادَ فقولاً له أن ينتظرني هنا».

- «حاضر أيُّها السير، سنفعل ذلك».

- لعلّه ذهبَ لِيُشَاهِدَ المُتَاقِفَات. عادَ دنك يتّجه إلى أرض المجاولات، وفيما مرّاً بالأسطبلات صادفَ السيرَ جلنَدُن بُول الذي يُمَشِّطُ كَرَّارَةً جميلةً ذات لونٍ أسمر محمر، فسأله: «هل

رأيت إجح؟».

أجابَه السير جلندُن: «جری مارًا من هنا قبل دقائق قليلة»، وأخرج من كُمه جزرةً أطعمَهَا للكرَّارة قائلاً: «هل تروقك فرسي الجديدة؟ اللورد كوستين أرسلَ مرافقه ليدفع فديتها، لكنني قلتُ له أن يذخر ذهبه. أنوي الاحتفاظ بها لنفسي».

- «حضرتَه لن يحبَّ ذلك».

- «حضرتَه قال إنني لا أملك الحقَّ في وضع كُرة نارٍ على تُرسي، قال لي إنَّ شعاري ينبغي أن يكون أجمةً من صفصاف القِطط. لحضرتَه أن يذهب وينكح نفسه».

لم يسعَ دنك إلا أن يبتسم. لقد تعشَّى عن نفسه على تلك المائدة عینها، وابتلعَ رغم أنفه الأصناف المريبة ذاتها التي قدَّمها أمثال الأمير السَّاطع والسير ستفون فوسزوإاي، وهو ما أشعرَه بأن بينه وبين الفارس الشاب شائك الطِّباع آصرة قرابة معيَّنة. على حدِّ علمي، ربَّما كانت أُمِّي عاهرةً أيضًا. «كم حصانًا ربحت؟».

هزَّ السير جلندُن كتفيه مجيبًا: «لم يُعد يُمكنني العدُّ. مؤرتمر بوجز ما زالَ مدينًا لي. يقول إنه يُفضِّل أن يأكل فرسه على أن يتركها لنغل عاهرةٍ ليركبها، كما أنه أتلَفَ درعه بمطرقةٍ قبل أن يُرسلها إليَّ. إنها مليئة بالثقوب. بإمكانني أن أحصل على شيءٍ مقابل المعدن على ما أظنُّ». حملَ صوته أكثر من الغضب حُزنًا. «كان يُوجد إسطل عند الـ... عند الخان الذي رُبِّيتُ فيه. عملتُ هناك في صِباي، واعتدتُ متى استطعتُ أن أتسلَّل بالخيول وأصحابها مشغولون. لطالما برعتُ في ركوب الخيل. خيل رديئة، خيل شُغل، رهوانات، خيل جبرٍ، خيل حرث، خيل

حرب، ركبها جميعاً، بل وجواد رمالٍ دورني أيضاً. عرفتُ رجلاً عجوزاً علّمني كيف أصنعُ رماحي بنفسي. فكرتُ أنه إذا أريتهم جميعاً مبلغ مهارتي فلن يجدوا خياراً إلا الاعتراف بأنني ابن أبي. لكنهم لن يعترفوا. حتى الآن. يرفضون أن يعترفوا».

قال له دنك: «بعضهم لن يفعل أبداً. لا يهم ما تفعله. أمّا بعض الآخرين... ليس جميعهم سواء. لقد قابلتُ بعض الصّالحين»، وفكر لحظةً قبل أن يُردف: «عندما تنتهي الدّورة أنوي وإج أن نذهب شمالاً لنلتحق بالخدمة في (وينترفل) ونُقاتل في سبيل آل ستارك ضد الحديديّين. يُمكنك أن تأتي معنا». الشّمال عالمٌ مستقلٌ بذاته كما قال السيّر آرلان دومًا. على الأرجح لن يعرف أحدٌ هناك بحكاية جني أم بني وفارس (صفصاف القطط). لا أحد سيضحك منك هناك. سيرفونك بسيفك فقط ويُقدّرونك وفق جدارتك.

حدّجه السيّر جلنّدن بنظرة مرتابة سائلاً: «ولِمَ أريدُ أن أفعل ذلك؟ أتقول لي إنّ عليّ أن أهرب وأختبئ؟».

- «لا. خطرٌ لي فقط... سيفان بدلاً من واحد. الطّرق ليست آمنة كما كانت».

قال الفتى على مضض: «صحيحٌ بما فيه الكفاية، لكن أبي وُعدَ يوماً بموضع بين الحرس الملكي، وأنوي أن أظفر بالمعطف الأبيض الذي لم ينل فرصة ارتدائه قط».

أوشكَ دنك أن يقول: «فرصتك في ارتداء معطف أبيض تُساوي فرصتي. إنك وليد تابعة معسكرات، وأنا زحفٌ خارجاً من حوارِي (سفع البراغيث). الملوك لا يُقدّرون بالتكريم على

أشباهك وأشباهي. على أن الفتى ما كان ليتقبل تلك الحقيقة برحابة صدر، ولذا قال دنك بدلاً من ذلك: «القوة لذراعك إذا».

لم يكذب بعد إلا أقدامًا قليلة حتى ناداه السير جلنذن: «سير دنكن، انتظر. لم... لم يجب أن أتحدث بهذه الحدة. على الفارس أن يتحلى بالكياسة كما تعودت أمي أن تقول». بدا أن الفتى يكافح ليجد الكلام. «اللورد بيك أتى ليراني بعد مثاقفتي الأخيرة. لقد عرض عليّ مكانًا في (ستاربايك). قال إن في الطريق عاصفة لم تشهد (وستروس) مثلها منذ جيل كامل، إنه سيحتاج إلى سيوف ورجال يحملونها، رجال أوفياء يعرفون كيف يطيعون الأوامر».

استعصى على دنك تصديق ذلك. جورمون بيك جاهرَ باحتقاره الفرسان الجوّالة، على الطريق وعلى السطح، إلا أن العرض سخّي. بحذر قال: «بيك لورد كبير، لكنه... لكنه ليس رجلًا يمكنني الثقة به على ما أظن».

تورّد وجه الفتى، وقال: «نعم. لقد طلبتُ ثمنًا. سيضئني إلى خدمته، قال... ولكن عليّ أولاً أن أثبت إخلاصي. سيحرص أن أواجه صديقه الكمنجي في النزال التالي، وأرادني أن أقسم أن أنهزم».

صدّقه دنك عالمًا أن المفترض أن يصدمه هذا، غير أنه بطريقة ما لم يُصدم. «ماذا قلت؟».

- «قلتُ إنني قد لا أتمكن من الانهزام أمام الكمنجي ولو حاولتُ، إنني أسقطتُ بالفعل رجالًا أبرع منه مرارًا، إن بيضة

التَّيْنِ ستكون لي قبل ختام اليوم»، وابتسم بول بخفوتٍ مُردفًا: «ليست الإجابة التي أَرَادَها. نَعَتَنِي بالحماقة حينها، وقال إنه خيرٌ لي أن أتوَخَّى الحذر. للكمنجي أصدقاء كُثر كما قال، وأنا بلا أصدقاء».

وضعَ دنك يَدًا على كتفه واعتصرَها قائلاً: «بل لك صديقُ أيُّها السير. اثنان بمجرَّد أن أعثر على إج».

نظرَ إليه الفتى في عينه مومًا برأسه، وقال: «يسرُّني أن أعرف أنه ما زالَ في العالمُ فرسان حقيقيُّون».

ألقي دنك بنظرته الأولى من كُثبٍ على السيرِ تُوَماردِ هِدِل وهو يُفَتِّش عن إج في الزِّحامِ حولَ مضمارِ النِّزال. ابن اللُّورد بَثْرول الصَّهر متين البنية عريض الصُّدر كالبرميل، ويرتدي صفائح سوداء فوق الجلد المغلي، ويعتمر خوذةً منمَّقةً مشكَّلةً لُثحاكي شيطانًا ما حرشفيًا سائل اللُّعاب. حصانه أطول من ثندر بثلاثة أشبار وأثقل منه بحجرَين، حيوانٌ وحش مدرَّع بحلقات المعدن، لكن وزن كلِّ هذا الحديد أبطأه، فلم يتعدَّ هِدِل الخُيْب وقت انطلاقه في المضمار، غير أنَّ ذلك لم يُعِقه عن التَّغلب سريعًا على السيرِ كلارنس تشارلتن، وفيما حُمِلَ تشارلتن من المضمار على محفَّة، خلَعَ هِدِل خوذته الشَّيطانيَّة. رأسه عريض أصلع، ولحيته سوداء ومربَّعة، وعلى خَدِهِ ورقبته تتقيَّح دما مل

حمراء غاضبة.

يعرف دنك هذا الوجه. إنه الفارس الذي زمجرَ فيه في عُرفة النُوم عندما لمسَ بيضة التَّين، الرَّجل صاحب الصُّوت العميق الذي سمعَه يتكلَّم مع اللُّورد بيك.

اندفعَ خليطٌ من الكلمات إلى ذاكرته... مأدبة الشَّحَّاذين التي فرشتها أماننا... هل الفتى ابن أبيه... الفولاذ الأليم... يحتاج إلى السَّيف... صاحب الدَّم اللَّبني العجوز يتوقَّع... هل الفتى ابن أبيه... أوكدُ لك أنَّ غُداًف الدَّم ليس مستغرَقاً في الأحلام... هل الفتى ابن أبيه؟

حدَّق إلى مدرَّجات المشاهدة متسائلاً هل وجدَ إج وسيلةً ما ليأخذ موضعه المستحقَّ بين الأعيان، لكنه لم يرَ أثرًا للغلام. بَترول وفراي أيضًا غائبان، مع أنَّ زوجة بَترول لا تزال على مقعدها، يبدو عليها الملل والتَّمَلُّل. فكر دنك: غريبٌ هذا. هذه قلعة بَترول، وهذا زفافه، وفراي أبو العروس. هذه المُثاقفات على شرفهما، فأين عساهما ذهبا؟

جهورُ الحاجب: «السير أوثر أندرليف. السير ثيومور سليل عائلة بولور، الثَّور العجوز، من قُرسان (التَّاج الأسود). تقدِّما وأثبتا بسالتكما».

بدا منظر الثَّور العجوز مخيفاً بدرعه الحمراء القانية وخوذته التي يرتفع منها قرنا ثورٍ أسودان، ولو أنه احتاجَ إلى مساعدة مُرافق مفتول العضلات ليستطيع ركوب حصانه، والطريقة التي ظلَّ رأسه يتلفَّت بها أَوْحَت بأن السير ماينارد أصابَ في قوله عن عينه، ومع ذلك تلقَّى الرَّجل هتافاً حماسياً إذ دخل المضمَار.

أما الحلزون فلا، وهو ما فضّله لا ريب. في الجولة الأولى ضرب كلا الفارسين ضربةً عابرةً، وفي الثانية كسر الثور العجوز رُمحه على تُرس السير أوثور، فيما أخطأت ضربة الحلزون هدفها بالكامل. الشَّيء نفسه حدث في الجولة الثالثة، وهذه المرّة تمايل السير أوثور كأنه على شفا السُّقوط. أدرك ذلك: إنه يتصنّع، يُعاطِل لتطول المسابقة لكي تتضاعف الأرجحية في المرّة التالية. لم يكن عليه إلا أن يُلقي نظرةً سريعةً حوله ليرى ويل منهمكا في العمل، يجمع الرّهانات من أجل سيّده. عندها فقط خطر له أنه كان بإمكانه أن يُضيف عملةً أو اثنتين إلى كيس نقوده بالرّهان على الحلزون. ذلك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة.

سقط الثور العجوز في الجولة الخامسة، أطيح به جانبًا برأس رُمح انزلق بحذقٍ عن ترسه ليصيبه في صدره. اشتبكت قدمه بركابه إذ سقط، وجرّه حصانه أربعين ياردةً عبر المضمار قبل أن يتمكن رجال بولور من كبح جماحه. ومرةً أخرى خرجت المحفة لتحمله إلى الميستر. بدأت قطرات قليلة من المطر تسقط فيما حُمِل بولور، جاعلة البقاع التي سقطت عليها في معطفه أغمق. شاهد ذلك بلا تعبير وهو يُفكر في إج. ماذا إذا وضع عدوّي السري هذا يده عليه؟ الاحتمال معقول كأَي احتمال آخر. الغلام ليس ملومًا. لو أن عند أحدهم خلأفاً معي فيجب ألا يتحمّل هو عاقبته.

وجدَ دنك السَّيرِ چُونِ الكمنجى وهو يُسَلِّحُ لِلزَّالِ التَّالِى، يخدمه مُرافِقون لا يَقلُّ عددهم عن ثلاثة، يربطون أحزمة درعه ويعتنون بكسوة حصانه، فيما يجلس اللورد أَلِنْ كُوكْشُو على مقربةٍ يشرب نبيذًا مخفَّفًا بالماء ويبدو مرضوضًا شكسًا. عندما أبصرَ دنك تكلَّم اللورد أَلِنْ بسرعةٍ غاضبةٍ رَئِيتِ النَّبِذَ على صدره: «كيف يُمكن أنكَ ما زلتِ تمشي؟ الحِلزون هُشَمٌ وجهك».

- «بَيتِ الفولاذى صنعَ لي خوذةً قويَّةً ممتازةً يا سيدي، ورأسى صُلبَ كالحجر كما اعتادَ السَّيرِ آرلان القول».

ضحكَ الكمنجى قائلاً: «لا تُعِرِ أَلِنْ اهتمامًا. نغل كُرةَ النَّارِ أسقطه من فوق حصانه على عجيزته الممتلئة، وهكذا قرَّر أنه يكره الفُرسان الجَوَّالة كافَّةً».

أصرَّ أَلِنْ كُوكْشُو: «ذلك المخلوق التَّعَسِ المبْشُر ليس ابنًا لكوئتين بُول. لم يجب إطلاقًا أن يُسَمَّحَ له بالمنافسة. لو أنَّ هذا زفافي لأمرت بجلده لقاء اجترائه».

قال السَّيرِ چُون: «وأيُّ فتاةٍ يُمكن أن تتزوَّجك؟ واجتراء بُول أقلُّ إزعاجًا بكثير من عبوسك. سَيرِ دنكن، أيتصادفُ أنك صديقٌ لجالتري الأخضر؟ عليَّ بعد قليلٍ أن أفرِّقَ بينه وبين حصانه».

لم يشكَّ دنك في هذا. «لا أعرفُ الرَّجلِ يا سيدي».

- «هل تتناول كوبًا من النَّبِذِ؟ قليلًا من الخُبْزِ والزَّيتون؟».

- «أريدُ كلمةً فقط يا سيدي».

قال الكمنجى: «لك كلُّ الكلمات التي ترغب فيها. فلنتنقل

إلى سُرادقي»، ورفعَ له السَّديلة مضيئًا: «ليس أنت يا آلن. عليك أن تُقلِّل من أكل الزَّيتون إذا أردت الحقَّ».

في الدَّاخل التفتَ الكمنجي إلى دنك، وقال: «كنتُ أعلمُ أنَّ السيرَ أوثرَ لم يَقْتُلْك. أحلامي لا تُخطئُ أبدًا. وعلى الحلزون أن يُواجهني قريبًا. بمجرد إسقاطه سأطالبُ باستعادة أسلحتك ودرعك، وبرذونك أيضًا، مع أنك تستحقُّ مطيَّةً أفضل. هلاً أخذت واحدًا هديَّةً مني؟».

- «أنا... لا... لا يُمكنني ذلك». أزعجتَ الفكرة دنك. «لا أقصدُ أن أكون جاحدًا، ولكن...».

ردَّ السيرُ چون: «لو أنَّ الدَّين ما يُقلِّقك فاطرد تلك الفكرة من ذهنك. لستُ محتاجًا إلى فضَّتكَ أيُّها السيرُ، بل إلى صداقتك فحسب. كيف يُمكنك أن تُصبحَ واحدًا من فرساني بلا حصان؟»، ووضعَ قُفَّازيه المصنوعين من الفولاذ المشبَّك وثني أصابعه وبسطها.

- «مُرافقٍ مفقود».

- «هربَ مع فتاةٍ ربَّما؟».

- «إج صغِيرٌ جدًّا على الفتيات يا سيدي. لا يُمكن أبدًا أن يترُكني بإرادته. حتى إن كنتُ أموتُ فسيبقى حتى تَبْرُدَ جثَّتِي. ما زالَ حصانه هنا، وكذلك بغلنا».

- «إذا أردت، أستطيعُ أن أطلبَ من رجالي البحثَ عنه».

- رجالي. لم يَرُقْ دنك وقع الكلمة. دورة مباريات للخونة. «لستُ فارسًا جَوًّا».

- «نعم». امتلأت ابتسامة الكمنجي بالجادبيّة الصّبيانيّة. «لكنك عرفت ذلك من البداية. إنك تدعوني بـ«سيدي» منذ التقينا على الطّريق، فلم؟».

- «الطّريقة التي تتكلّم بها. الطّريقة التي تبدو بها. الطّريقة التي تتصرّف بها». دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة. «فوق السّطح ليلة أمس قلت أشياء...».

- «النّبيذ يجعلني أكثر من الكلام، لكنني عنيث كلّ كلمة. إنّ مكاننا معاً أنت وأنا. أحلامي لا تكذب».

ردّ دنك: «أحلامك لا تكذب، لكنك تكذب. جؤن ليس اسمك الحقيقي، صح؟».

- «بلى». تلالأت في عيني الكمنجي العفرتة.

- إنّ له عيني إيج.

- «اسمه الحقيقي سيُكشف في القريب العاجل لمن تلزمهم المعرفة». كان اللورد جورمون بيك قد انسلّ إلى داخل السّرادق مقطّبا. «أيّها الفارس الجوّال، إنني أحذّرك...».

قاطعه الكمنجي: «أوه، كفاك يا جورمي. السير دنكن معنا، أو إنه سيُصبح كذلك قريباً. كما أخبرتك، لقد حلمتُ به». في الخارج دوى بوق الحاجب، فقال الكمنجي: «إنهم يستدعونني إلى المضمّار. أرجو أن تعذّرني أيّها السير دنكن. يُمكننا استئناف حديثنا بعدما أتخلّص من السير جالتري الأخضر».

قال دنك: «القوّة لذراعك». من الكياسة أن يقول هذا.

مكث اللورد جورمون بعد ذهاب السير چون، وقال: «أحلامه ستجلب علينا الموت جميعًا».

سمعَ دنك نفسه يسأل: «كم كلف شراء السير جاليري؟ هل كفت الفضة أم إن الذهب ما يلزمه؟».

علقَ بيك: «أحدهم ثرثر لك حسبما أرى»، وأجلسَ نفسه على كرسي معسكراتٍ قائلاً: «إنَّ معي دسَّة من الرِّجال في الخارج. حرِّي بي أن أناديهم وآمرهم بنحرك أيُّها السير».

- «ولمَ لا تفعل؟».

- «صاحب الجلالة لن يرضى عن ذلك».

- صاحب الجلالة. شعرَ دنك

كأنما لُكِمَ في بطنه، وفكَّر:

تَينِ أسود آخر. تمرُّد بلا كفاير

آخر. وقريبًا حقل عُشب أحمر آخر.

العُشب لم يكن أحمر عندما طلعت الشمس. «لماذا هذا



- «اللورد بَتْرول أرادَ زوجةً شابةً جديدةً لتُدْفِئَ فراشه، واللورد فراي عنده ابنةٌ ملوثةٌ نوعًا. قرانهما زوّد بعض اللوردات مشتركي الميول بحُجّةٍ مقبولة للاجتماع. معظم المدعوّين هنا قاتل في سبيل التّين الأسود ذات يوم، والبقية عندهم أسباب للسُّخط على حُكم غُداف الدّم، أو يكتنون شكاوى أو طموحات تخصّهم. كثيرون منا أخذ منهم أبناء وبنات إلى (كينجز لاندنج) لضمان ولائنا مستقبلًا، لكن أغلب الرّهائن قضى خلال الوباء الرّبيعي العظيم. أيا دينا لم تُعدّ مقيّدة. لقد حانَ وقتنا. إيرس ضعيف، رجلٌ محبٌ للكتب وليس بمُحارب. العموم بالكاد يعرفونه، وما يعرفونه لا يُعجِبهم، ومحبّته عند لورداته أقل. أبوه أيضًا كان ضعيفًا، صحيح هذا، ولكن عندما هُدّدَ عرشه كان عنده ابنان ينزلان إلى ميدان القتال نيابةً عنه. بيلور وميكار، المطرقة والسندان... غير أن بيلور كاسر الحراب راح، والأمير ميكار يقبع واجمًا في (بهو الصّيف)، في خصام مع الملك ويده».

فكّر دنك: أجل، والآن سلّم فارسٌ جوّال أحرق ابنه المفضّل إلى أيدي أعدائه. هل من وسيلةٍ أفضل تكفل ألا يتحرّك الأمير من (بهو الصّيف) أبدًا؟ قال: «غُداف الدّم موجود. إنه ليس ضعيفًا».

قال اللورد بيك: «نعم، لكن أحدًا لا يحبّ المشعوذين، وقتلة الأقربين ملعونون في أنظار الآلهة والبشر. عند أوّل بادرة ضعف أو هزيمة سيدوب رجال غُداف الدّم كثلوج الصّيف. وإذا تحقّق الحلم الذي حلمه الأمير وظهرت تين حيّ ها هنا في (الجدران

البيضاء)...».

أَتَمَّ دَنكَ جُمْلَتِهِ: «... فَالْعَرْشُ لَكَ».

قال اللورد جورمون بيك: «له. ما أنا إلا خادم متواضع»، وقَامَ مُتَبَعًا: «لَا تُحَاوِلْ مَغَادِرَةَ الْقَلْعَةِ أَيُّهَا السَّيْرُ. إِذَا حَاوَلْتَ فَسَأَعِدُّهُ دَلِيلًا عَلَى الْغَدْرِ، وَسَتَدْفَعُ الثَّمَنَ بِحَيَاتِكَ. لَقَدْ قَطَعْنَا شَوْطًا أَطْوَلَ مِنْ أَنْ نَعُودَ أَدْرَاجَنَا».

فِيمَا بَصَقَتِ السَّمَاءُ الرِّصَاصِيَّةَ مَطَرًا مَدْرَارًا، التَّقَطَّ جَوْنُ الْكَمْنَجِيِّ وَالسَّيْرِ جَالْتَرِي الْأَخْضَرَ رُمَحَيْنِ جَدِيدَيْنِ عِنْدَ طَرَفِي الْمَضْمَارِ الْمُتَقَابِلَيْنِ، وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ ضِيَوفِ الزَّفَافِ يَتَدَفَّقُ نَحْوَ الْقَاعَةِ الْكُبْرَى مِنْحِنًا تَحْتَ الْمَعَاطِفِ.

يَمْتَطِي السَّيْرُ جَالْتَرِي فَحْلًا أَبْيَضَ، وَتُرْزَيْنَ رِيشَةً خَضِرَاءَ مَرْتَخِيَّةَ خُوذَتِهِ وَوَاحِدَةً مِمَّاثِلَةً وَاقِي عُنُقِ حِصَانِهِ. مِعْطَفُهُ مَرْقَعٌ مِنْ مَرَبَّعَاتٍ قُمَاشٍ مُتَعَدِّدَةٍ، لِكُلِّ مِنْهَا دَرَجَةٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الْأَخْضَرِ، وَتَبْرُقُ كُلُّسَتُهُ وَقُفَّازُهُ بِرِصَائِعٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَيَعْرِضُ ثُرْسُهُ تِسْعَ نَجْمَاتٍ بِخُضْرَةِ الْيَشْمِ عَلَى خَلْفِيَّةٍ بِخُضْرَةِ الْكَرَّاثِ. حَتَّى لَحِيَّتِهِ مَصْبُوغَةٌ بِالْأَخْضَرِ عَلَى نَهْجِ رِجَالِ (تَايْرُوش) وَرَاءَ (الْبَحْرِ الضِّيْقِ).

تِسْعَ مَرَّاتٍ كَرَّرَ هُوَ وَالْكَمْنَجِيُّ بِرِمَاحٍ مَسْدَدَةٍ، فَارَسَ الرُّقْعَ الْخَضِرَاءَ وَاللُّوردُ الشَّابَّ صَاحِبَ السُّيُوفِ وَالْكَمْنَجَاتِ الذَّهَبِيَّةِ،

وتسع مرَّات تحطَّمت رماحهما. بحلول الجولة الثامنة كانت الأرض قد بدأت تطرى، فخاضَ البرذونان الكبيران في برك من ماء المطر، وفي التاسعة كادَ الكمنجي يسقط، لكنه استعادَ توازنه قبل أن يحدث ذلك، ونادى ضاحكا: «أحسنَت الضربة. كدتُ ترديني أيُّها السير».

صاحَ الفارس الأخضر عبر المطر: «في القريب العاجل».

- «لا، لا أظنُّ». رمى الكمنجي رُمحه المتشظي، وناولَه مُرافق واحدًا جديدًا.

كانت جولتهما التَّالية الأخيرة. احتكَّ رُمح السير جالتري بلا تأثير بترس الكمنجي، فيما أصابَ السير جُون الفارس الأخضر في منتصف صدره مباشرةً وطرحه من فوق سرجه ليحطَّ أرضًا في فوضى بنية عارمة. في الشرق رأى دنك وميض برقٍ بعيد.

بدأت منصَّات المشاهدة تشغُر سريعًا إذ هرعَ العوام واللوردات على حدٍّ سواءٍ ليحتموا من البللي. «انظُر كيف يركضون». غمغم آلن كوكشُو بالتعليق وهو ينسل ليقف بجوار دنك. «قطرات قليلة من المطر ويذهب اللوردات العظام جميعًا مصوتين طلبًا للمأوى. ماذا سيفعلون حينما تثور العاصفة الحقيقيَّة يا تُرى؟».

- العاصفة الحقيقيَّة. علمَ دنك أنَّ اللورد آلن لا يتكلَّم عن الطَّقس. ماذا يُريد هذا الرَّجل؟ هل قرَّر فجأةً أن يُصادقني؟

من جديد اعتلى الحاجب المنصَّة، وصاحَ فيما هزم الرَّعد من بعيد: «السير تومارد هيدل، من فُرسان (الجُدران البيضاء)، في خدمة اللورد بترول. السير أوثر أندرليف. تقدِّما وأثبتا

بسالتكما».

ألقي دنك بنظرة نحو السير أوثر في الوقت المناسب ليرى ابتسامة الحلزون تستحيل عبوسًا. ليس النزال الذي دفع ليخوضه. قِيم المباريات خدعه، ولكن لِمَ؟ شخص آخر تدخل، شخص يُقدِّره كوزجرؤف أكثر من أوثر أندرليف. تفكر دنك في الأمر قليلًا، ودفعة واحدة أدرك: إنهم يجهلون أن أوثر لا ينوي الفوز، يرونه تهديدًا، ولذا يستهدفون أن يُزيحه توم الأسود من طريق الكمنجي. هدل نفسه جزء من مؤامرة بيك، ويُمكن الاعتماد عليه في الخسارة عندما تدعو الحاجة. هكذا لا يتبقى إلا...

وإذا باللورد بيك نفسه يقتحم المضمار الموحد لتسلق السلال إلى منصّة الحاجب ومعطفه يُرفرف وراءه، ويصيح: «خيانة! لُعُدا ف الدَّم جاسوس بيننا. بيضة التّين سُرقَت!».



دار السير جون الكمنجي بمطيّته قائلاً: «بيضتي؟ كيف يُمكن ذلك؟ اللورد بترول يضع حرسًا خارج غرفة نومه ليلاً ونهارًا». أعلن اللورد بيك: «قُتلوا، لكن رجلاً منهم ذكر اسم قاتله قبل أن يموت».

تساءَلَ دنك: أَيْنَوي أَن يَتَّهمني؟ لقد رَأته دسْتةً من الرِّجال
يلمس بيضة التَّيْنِ البارحة عندما حملَ اللّيدي بَتْرُولَ إلى سُرير
السَّيدِ زوجها.

طعَنَت إصبع اللُّورد جُورمُونِ الهواءِ اتِّهامًا إذ قال: «ها هو ذا.
ابن العاهرة. اقبضوا عليه».

عند طرف المضمَارِ القصِيّ نظَرَ السَّيرِ جِلْدُنْ بُولَ بارتباك.
للحظةٍ لم يَبْدُ أَنه يفهم ما يَحْدُثُ، إلى أَن رأى الرِّجال يندفعون
نحوه من كُلِّ اتِّجاه. ثم تحرَّكَ الفتى بسرعةٍ جاوزَتْ قُدرةَ دنك
على التَّصديق، فأخرجَ نصف سيفه من غِمدِه فيما طَوَّقَ الرِّجل
الأوَّلَ حلقةَ بذراعِه، وانتزعَ بُولَ نفسه من قبضتِه، ولكن عندئذٍ
انقضَّ عليه اثنان آخِران فارتطَمَا به وجَرَّاهُ إلى الوحل، واحتشدَ
حوله رجالٌ غيرهم يزعمون فيه ويركِّلونَه. فكَرَ دنك مدرِّكًا: كان
يُمْكِنُ أَن يكونَ هذا أَنَا، وقد شَعَرَ بالعجز الذي تملِّكه في (مرج
أشْفرد) يومَ أَخْبَرُوهُ بوجوب فقدانِه يَدًا وقَدَمًا.

سحبَه آلِن كُوكْشُو إلى الخلفِ قائلاً: «لا تتدخَّلْ إذا أردت
العُثورَ على مُرافِقك ذاك».

التفتَ إليه دنك بحركةٍ حادَّةٍ ليسأله: «ماذا تعني؟».

- «قد أعرفُ أين تجد الغلام».

- «أين؟». ليس دنك في مزاجٍ للألعاب.

عند طرفِ المضمَارِ القصِيّ شَدَّ السَّيرِ جِلْدُنْ بخشونةٍ ليقف
مجدِّدًا، وكَبَّلَ بين رجلَيْنِ مسلَّحَيْنِ يرتدي كلاهما زردًا ويعتمر
خوذةً قصيرةً. اصطبغَ الفتى بالبُنيِّ من الخصرِ إلى الكاحلَيْنِ،

وانهمز الدَّم والمطر على وجنته. دُم بطل. قالها دنك لنفسه فيما
ترجّل توم الأسود أمام الأسير وسأله: «أين البيضة؟».

قطر الدَّم من فم بول. «لِمَ أسرق البيضة؟ لقد كنتُ على
وشك الفوز بها».

فكر دنك: أجل، وذلك شيء ما كان يُمكن أن يسمحوا به.

ضرب توم الأسود بول على وجهه بقبضة مغلقة بحلقات
المعدن، وقال اللورد بيك آمراً: «فتشوا خراج سرجه. سنجد
بيضة التّين ملفوفة مخبأة، أراها».

خفض اللورد آلن صوته قائلاً: «وسيجدونها. تعال معي
إذا أردت العثور على مُرافقتك. لا وقت أنسب من الآن وكلّهم
مشغول»، ولم ينتظر جواباً.

تبعه دنك مضطراً، وحادثته ثلاث خطوات طويلة واسعة باللورد
الصغير. «إذا أذيت إج بأي شكل...».

- «الغلمان ليسوا ذوقي. من هنا. خف خطاك».

عبر رواق مقنطر، ونزولاً على درجات موحلة، وحول زاوية،
تبعه دنك خائضاً في برك الماء فيما يسقط المطر حولهما. لزموا
الحركة قرب الجدران ملتحفين بالظلال، ليتوقفاً أخيراً في فناء
مغلق، أرضه المرصوفة بالحجارة ملساء زلقة. المباني هناك
متراصة على كلّ جانب، وبالأعلى نوافذ مغلقة مسدلة الستائر،
وفي منتصف الفناء بئرٌ محوطة بسورٍ حجري واطئ.

فكر دنك: بقعة منعزلة. لم يُعجبه إحساسه بالمكان، وحشته
الغريزة القديمة على مديده إلى مقبض سيفه قبل أن يتذكر أن

الحلزون فازَ بسيفه، وبينما تحسَّس وركه حيث

يُفترَض أن يُعلّق غمده، أحسَّ برأس سِكِّينٍ

يخزه في أسفل ظهره. «دُر لُتْها جَمَني

وسأستأصلُ كُلِّيتك وأعطِها

لطبَّاخٍ بَتَرولٍ لِيَحْمِرَها

من أجل المأدبة».

انغرسَ السِكِّين في ظهر

جركينة دنك بإصرار.

«إلى البئر. لا حركات

مباغثة أيُّها السَّير».

- إذا رمى إِج في

هذه البئر فسيحتاج

إلى ما هو أكثر من

سِكِّينٍ لَعَبَة صغيرٍ لِيَنقِذَ

نفسه. تقدِّم دنك بتؤدّة

شاعرًا بالغضب يتنامى

في بطنه.

اختفى التَّصلُّ الملتصق

بظهره، وقال كوكشُو: «لك أن تلتفت وتواجهني الآن أيُّها

الفارس الجوّال».

فالتفتَ دنك. «سَيدي. أَلهَذَا صَلَّةٌ بِيضَةُ التَّيْنِ؟».

أجابَ السَّيرَ الْكِنَ: «لا، بَلْ لَه صَلَّةٌ بِالتَّيْنِ. أَظَنَنْتَنِي سَاقِفٌ بَلَا حَرَائِكٍ وَأَدْعَكَ تَسْرِقَهُ؟»، وَتَجَهَّم مُرَدِّفًا: «لَقَدْ وَجِبَ أَنْ أَكُونَ أَعْقَلَ مَنْ أَنْ آتَمِنَ ذَلِكَ الْحَلْزُونَ الْبَائِسَ عَلَى قَتْلِكَ. سَأَسْتَرِدُّ ذَهَبِي، كُلَّ قِطْعَةٍ مِنْهُ».

- هُو؟ هَذَا اللَّوْرَدُ الصَّغِيرُ

المعطر الممتلئ ذو

الوجه الممتقع هو

عدوي السري؟ لم

يعرف دنك هل

يضحك أم يبكي.

«السَّيرُ أَوْثُورٌ اسْتَحَقَّ ذَهَبَهُ».

كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ لِي رَأْسًا صُلْبًا».

- «عَلَى مَا يَبْدُو. تَرَاجَعْ».

فَأَخَذَ دَنكَ خُطْوَةً إِلَى الْوَرَاءِ.

- «ثَانِيَةً، ثَانِيَةً، مَرَّةً أُخْرَى».

خُطْوَةً أُخْرَى وَالتَّصَقَّ بِالْبِشْرِ لَتَضْغُطَ أَحْجَارُهَا عَلَى أَسْفَلِ

ظَهْرِهِ.

- «اجْلِسْ عَلَى الْحَافَةِ. لَسْتُ تَخْشَى حِمَامًا صَغِيرًا، أَلَيْسَ



كذلك؟ لا يُمكن أن تزداد بللاً».

- «لا أَسْتَطِيعُ السَّباحة». أراحَ دنك يَدًا على البئر فأحسَّ بالأحجار مبتلةً، وتحركَ أحدها تحت ضغطِ كِفِّه.

- «يا للأسف. هل ستقفز أم عليَّ أن أخزك؟».

ألقي دنك نظرةً إلى أسفل، فرأى قطرات المطر تُشكِّلُ غَمَازَاتٍ في ماء البئر على انخفاض عشرين قدمًا كاملةً، والجدران مغطاةً بلزوجة الطحالب. «أنا لم أُوذِك قط».

- «ولن تفعل أبدًا. ديمُون لي. سأقودُ حرسه الملكي. أنت لست جديرًا بمعطفٍ أبيض».

- «لم أدع ذلك إطلاقًا». ديمُون. رنَّ الاسم في رأس دنك. ليس جُون. ديمُون، على اسم أبيه. دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة. «ديمُون بلاكفاير أنجبَ سبعة أبناء، اثنان ماتا في (حقل العُشب الأحمر)، توأمان...».

- «إيمُون وإيجُون. بلطجَيَّان أبلهان مأفونان، مثلك تمامًا. في صِغَرنا تلذَّذا بتعذيبي أنا وديمُون. لقد بكيْتُ عندما حملَه الفولاذ الأليم إلى المنفى، وبكيْتُ ثانيةً عندما أبلغني اللورد بيك أنه عائدٌ إلى الوطن. ثم إنه رآكَ أنت على الطريق ونسيَ أنني موجود». لَوَّحَ كوكشُو بخنجره مهدِّدًا إذ أردف: «لك أن تغطس في الماء كما أنت، أو لك أن تغطس فيه وأنت تنزف. أيُّهما تختار؟».

أغلقَ دنك يده حول الحجر المخلخل، فاتَّضح أنه أقلُّ خلخلةً ممَّا أملَ، وقبل أن يستطيع انتزاعه انقضَّ السيرُ الكن. التوى

دَنكَ جَانِبًا، فَشَقَّ رَأْسَ السَّكِينِ لَحْمَ ذِرَاعِ ثُرْسِهِ، وَعِنْدَئِذٍ انْخَلَعَ الْحَجَرُ. أَطْعَمَهُ دَنَكَ لِحْضَرَةَ اللُّوردِ، وَشَعَرَ بِالْأَسْنَانِ تَتَهَشَّمُ مِنَ الضَّرْبَةِ. «البُثْرُ تُرِيدُ؟». ثَانِيَةً ضَرَبَ اللُّوردُ الصَّغِيرَ فِي فَمِهِ، ثُمَّ أَفْلَتَ الْحَجَرُ وَأَطْبَقَ عَلَى مَعْصَمِ كُوكَشُو وَلَوَاهُ حَتَّى انْكَسَرَتِ عِظْمَةٌ وَسَقَطَ الْخَنْجَرُ فَوْقَ الْحِجَارَةِ. «بَعْدَكَ يَا سَيِّدِي». بِخُطْوَةٍ إِلَى الْجَانِبِ شَدَّ دَنَكَ ذِرَاعَ اللُّوردِ الصَّغِيرِ وَزَرَعَ رَكْلَةً فِي ظَهْرِهِ مِنْ أَسْفَلٍ، لِيَنْقَلِبَ اللُّوردُ آكِنَ رَأْسًا فِي الْبُثْرِ وَيَرْتَفِعَ صَوْتُ مَاءٍ يَتَنَازَرُ.

- «أَحْسَنْتِ أَيْهَا السَّيْرُ».

أَسْرَعَ دَنَكَ يَدَوْرَ عَلَى عَقْبَيْهِ. فِي الْمَطَرِ لَمْ يُمَيِّزْ غَيْرَ جِسْمٍ مَقْلَنْسٍ وَعَيْنَ بِيضَاءٍ شَاحِبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَفَقَطَ حِينَ تَقَدَّمَ الرَّجُلَ اتَّخَذَ الْوَجْهَ الْمَظْلَّلَ تَحْتَ الْقَلَنْسُوءِ مَلَامِحَ السَّيْرِ مَا يَنَارِدُ بَلَمْ الْمَأْلُوفَةِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ الْعَيْنَ الشَّاحِبَةَ لَيْسَتْ إِلَّا دُبُّوسُ حَجَرِ الْقَمَرِ الَّذِي يُثَبِّتُ مَعْطَفَهُ إِلَى كَتْفِهِ.

فِي الْبُثْرِ بِالْأَسْفَلِ كَانَ اللُّوردُ آكِنَ يَتَخَبَّطُ وَيَنْشُرُ الْمَاءَ وَيُنَادِي طَالِبًا النُّجْدَةَ. «جَرِيمَةُ قَتْلِ! فَلْيُسَاعِدْنِي أَحَدًا!».

قَالَ دَنَكَ: «حَاوِلْ أَنْ يَقْتُلَنِي».

- «وَهُوَ مَا يُفْسِرُ كُلَّ هَذَا الدَّمِ».

- «دَمٌ؟». نَظَرَ فَرَأَى ذِرَاعَهُ الْيُسْرَى حَمْرَاءَ مِنَ الْكَتْفِ إِلَى الْمَرْفُقِ، وَغِلَالَتِهِ تُلَاصِقُ جِلْدَهُ. «أُوْهُ».

لَا يَذْكُرُ دَنَكَ أَنَّهُ سَقَطَ، وَلَكِنْ إِذَا بِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَقَطْرَاتُ الْمَطَرِ تَجْرِي عَلَى وَجْهِهِ. تَنَاهَى إِلَى سَمْعِهِ نَحِيبَ اللُّوردِ آكِنَ مِنْ

البئر، لكن تخبّطه صارَ أوهى. قال السير ماينارد: «علينا أن نربط هذه الذراع»، ودسّ ذراعه هو تحت دنك قائلاً: «هلمّ، انهض. لا أستطيع حملك وحدي. استخدم قدميك».

فاستخدم دنك قدميه. «اللورد آكن. سيغرق».

- «لن يفقده أحد، بخاصّة الكمنجي».

شهِقَ دنك ممتعاً من الألم، وقال: «إنه ليس كمنجياً».

- «نعم. إنه ديمون سليل عائلة بلاكفاير، الثاني من اسمه. أو هكذا سيدعو نفسه إذا ظفّر بالعرش الحديدي يوماً. سيدهشك أن تعرف عدد اللوردات الذين يُفضّلون ملوكهم شُجعان وأغبياء. ديمون شابٌ وجذاب ويبدو حسن المظهر فوق حصان».

الأصوات من البئر تكاد تُصبح أخفت من أن تُسمع. «ألا يجب أن نُلقي لحضرته حبلاً؟».

- «نُنقذه الآن لنُعديه لاحقاً؟ لا أظنّ. دعه يأكل الوجبة التي انتوى أن يُقدّمها لك. هيّا، اتّكئ عليّ». قادَه پَلَم عبر الفناء. من هذا القُرب يبدو في سبكة ملامح السير ماينارد شيء غريب؛ كلّما أطال دنك النّظر بدا أنّ ما يراه أقل. «لقد حضضتك على الهرب كما تذكّر، لكنك قدّرت شرفك أكثر من حياتك. الميتة الشّريفة شيء طيّب حسن، ولكن لو أنّ المعرّض للخطر ليس حياتك أنت فماذا إذا؟ هل ستبقى إجابتك كما هي أيّها السير؟».

- «حياة مَنْ؟». من البئر أتى صوت الماء يتناثر مرّة أخيرة. «إج؟ أتعني إج؟». قبضَ دنك على ذراع پَلَم سائلاً بشراسة: «أين هو؟».

- «مع الآلهة. وستعرف أنت السّبب على ما أظنّ».

الألم الذي تلوَّى في داخل دنك لحظتها أنساه ذراعاه، وأنَّ قائلًا: «حاول استخدام الحذاء».

- «هكذا تقديري. لقد أرى الخاتم للميستر لوثار، الذي أخذ الغُلام إلى بَتْرول، الذي لا شك أنه بال في بنطاله لمرأى الخاتم وبدأ يتساءل هل اختارَ الطرفَ الخطأَ وكم يعلم عُذاف الدَّم عن هذه المؤامرة. الإجابة عن الشَّق الأخير: كثيرًا جدًّا». قالها بَلَمَ وقهقهة.

- «مَن أنت حقًّا؟».

قال ماینارد بَلَمَ: «صديق، صديقٌ ظلَّ يُراقبك ويتعجب من وجودك في جُحر الأفاعي هذا. والآن الزم الصَّمَت إلى أن نعالجك».

باقِيَيْن في الظِّل، شقَّ كلاهما طريقَ العودة إلى خيمة دنك، وما إن دخلا حتى أشعل السير ماینارد نارًا وملأ وعاءً بالنَّبيذ ووضعه فوق اللهب ليغلي. «جرحٌ نظيف، وعلى الأقل ليست ذراع سيفك». قالها وهو يشقُّ كَمَّ غلالة دنك الملطَّخ بالدم. «يبدو أنَّ الطَّعنة أخطأت العظم. ولو، علينا أن نغسل الجرح وإلا فقد تفقد ذراعك».

- «لا يهْمُ». كانت معدة دنك جائشةً، وأحسَّ أنه قد يتقيأ في أيَّة لحظة. «إذا ماتَ إج...».

- «... فاللَّوم عليك. لقد وجبَ أن تُجنِّبه الاقتراب من هنا تمامًا. على أنني لم أقل إنَّ الغُلام ماتَ. قلتُ إنه مع الآلهة. هل عندك كَتَّان نظيف؟ أو حرير؟».

- «غلالتى، الغلالة الفاخرة التي اشتريتها في (دورن). ماذا

تعني بأنه مع الآلهة؟».

- «في الوقت المناسب. ذراعك أولاً».

سرعان ما بدأ النّبيذ يَبْخُر. وجدَ السير ماينارد غلالة دنك الحرير الفاخرة وتشمّمها بشك، ثم استلّ خنجرًا وشرع يقطعها. ابتلع دنك احتجاجه، وقال السير ماينارد وهو يَكُور ثلاث شرائط من الحرير ويلقي بها في النّبيذ: «أمبروز بترول لم يكن قط بالرجل الذي يُمكنك وصفه بالحاسم. لقد خامرته الشكوك بصدد هذه المكيدة من البداية، شكوك ألهمتْها معرفته أنّ الفتى لا يحمل السّيف. وهذا الصّباح اختفت بيضته بيضة التّين، ومعها ثمالة شجاعته».

قال دنك: «السير جلنْدُن لم يسرق البيضة. لقد قضى النّهار كلّهُ في السّاحة، يُثاقِف أو يُشاهد الآخرين يتأقّفون».

- «بيك سيجد البيضة في خراج سرجه رغم ذلك». غلى النّبيذ، فوضعَ پَلَم قُفْازًا جلدِيًّا قائلًا: «حاول ألا تصرّخ»، ثم أخذ شريطًا من الحرير من النّبيذ المغلي وبدأ يغسل الجرح. ولم يصرّخ دنك؛ كرز على أسنانه وعَضَّ لسانه وهوى بقبضته على فخذه بعنف قمين بتخليف رضوض، لكنه لم يصرّخ. استخدم السير ماينارد بقيّة غلالته الفاخرة لعمل ضمادة وربطها حول ذراعه، ولمّا فرغ سأل: «ما شعورك الآن؟».

مرتعشًا أجاب دنك: «شنيع حقًا»، ثم سأل بتصميم: «أين إج؟».

- «مع الآلهة، لقد أخبرتك».

مدّ دنك يده السّليمة ولفّها حول عنق پَلَم. «تكلم بوضوح.

لقد سئمتُ الغمز واللَّمز. أخبرني أين أجِدُ الغَلام وإلَّا كسرتُ
رَقبتك سواء أَكنتَ صديقًا أم لم تكن.»

قال السَّير ماينارد: «السَّيت. خيرٌ لك أن تذهب مسلَّحًا،
وابتسم مَضيفًا: «أوضح هذا كفايةً لك يا دنك؟».

محطَّته الأولى سُرّادق السَّير أو ثور أندرليف.

عندما خطا دنك إلى الدَّاخل لم يجد إلَّا المُرافق ويل منحنيًا
فوق حوض استحمام لِيَنظِف ثياب سيِّده التَّحتيَّة. «أنت ثانية؟
السَّير أو ثور في المأدبة. ماذا تُريد؟».

- «سيفي وثرسي».

- «هل أحضرت الفدية؟».

- «لا».

- «لماذا أدعك تأخذ أسلحتك إذا؟».

- «إنني محتاجٌ إليها».

- «ليس ذلك سببًا وجيهاً».

- «ما رأيك في هذا؟ حاول أن تمنعني وسأقتلك».

حدَّق ويل فاغراً فاه، وقال: «إنها في ذلك الرُّكن».



توقّف دنك خارج سِبت القلعة. فلتوقّني الآلهة لئلا أصل
بعد فوات الأوان. عادَ نِجاده إلى موضعه المعتاد موثقاً حول
خصر، وثبّت تُرس المشنقة إلى ذراعه الجريحة، ليعث وزنه
نبضات ألم تنفذ فيه مع كلّ خطوة، حتى إنه خشي أنه قد يصرخ
إذا لمسَه أحدٌ أخفّ لمسة. بدفعةٍ من يده السليمة فتح الباب
على مصراعيه.

في الدّاخل وجدَ السِبت معتمًا ساكنًا، لا يُضيؤه إلا الشُّموع
المتألّثة على مذابح السّبعة. يحظى المُحارب بأكثر الشُّموع
الموقدة مثلما هو متوقّع خلال دورة مباريات،

فمؤكّد أنّ فرسانًا كثيرًا أتوا ليُصلّوا

ابتغاء القوّة والشّجاعة قبل

أن يُغامِروا بدخول مضمار

النّزال، ومذبح الغريب محفوفٌ

بالظلال ولا يشتعل عليه إلا

شمعة وحيدة، فيما تحترق عشرات

الشّمعات على مذبحي الأم والأب،

وعدّد أقلّ نوعًا عند الحدّاد والعذراء، أمّا تحت

قنديل العجوز السّاطع فيركع اللورد آمبروز بترول مُطرقًا، يُصلي
بصمتٍ ناشدًا الحكمة.

وليس بمفرده. لم يكد دنك يتقدّم نحوه حتى تحرّك رجلان
مسلّحان ليقطعا عليه الطريق، وجهاهما صارمان تحت خوذتيهما



القصيرتين. يرتدي كلا الرجلين زردًا تحت معطفه المخطط بشرائط عائلة بَتَرُول الخضراء والبيضاء والصَّفرَاء. قال أحدهما: «توقَّف أَيْهَا السَّيْر. ليس لك شأنٌ هنا».

- «بل له. لقد أُنذرتكم أنه سَيَعُثُر عليَّ».

الصَّوْت صوت إِج.

حين خطا من الظَّلَال أسفل الأب ورأسه المحلوق يلمع في ضوء الشُّموع، كادَ ذلك يندفع إلى الغُلام ليختطفه بصيحةٍ فرحة ويسحقه بين ذراعيه. على أنَّ شيئًا ما في لهجة إِج جعله يتردَّد. صوته غاضبٌ أكثر منه خائف، ولم أره من قبل قط بادياً بهذه الصَّرامة. وبَتَرُول على رُكبتيه. شيء ما غريب هنا.

دفع اللُّورد بَتَرُول نفسه إلى التَّهْوِض، وحتى في إضاءة الشُّموع المعتمة بدَّت بشرته شاحبةً رطبةً. قال للحارسين: «دعاه يمرُّ»، وعندما تراجعَا أشارَ لذلك بالاقتراب. «لم أُوذِ الغُلام. لقد عرفتُ أباه حقَّ معرفةٍ وأنا يد الملك. على الأمير ميكَار أن يعلم أنَّ شيئًا من هذا ليس فكريتي».

وعده ذلك: «سيعلم». ما الذي يجري هنا؟

قال اللُّورد بَتَرُول: «بيك. كلُّ هذا من صنعه، أقسمُ بالسَّبعة»، ووضع يَدًا على المذبح متابعًا: «عسى الآلهة أن تهلكني لو أني كاذب. لقد أُملى عليَّ مَنْ يجب أن أدعو ومَنْ يجب أن يُستبَعَدوا، وجاءَ بهذا الفتى المدَّعي إلى هنا. لم أشأ قط أن أكون جزءًا من أيِّ خيانة، يجب أن تُصدِّقني. أمَّا توم هِدِل، لقد حرَّضني، لن أنكر هذا. إنه ابني الصَّهر، متزوِّج بابنتي الكبرى، لكنني لن

أكذب، إنه ضالّع في هذا».

قال إج: «إنه نصيرك. إذا كان ضالّعاً في هذا فأنت أيضاً ضالّع».

أرادَ دنك أن يهدر: صمّتا. لسانك السّليط هذا سيتسبّب في مقتلنا. ومع ذلك بدا أنّ بترول انكمشَ خوفاً، وقال: «سيدي، لست تفهم. هِدِل يقود حاميتي».

قال إج: «مؤكّد أنّ لديك بعض حرسٍ مخلصين على الأقل».

- «هذان الرّجلان هنا. قلائل زيادة. لقد تهاونتُ جدّاً، أقرُّ بهذا، لكنني لم أكن خائئاً قط. أنا وفراي ساورتنا الشُّكوك بشأن مدّعي اللّورد بيك من البداية. إنه لا يحمل السّيف! لو أنه ابن أبيه لسلّحه الفولاذ الأليم بـ«اللّهب الأسود». وكلّ هذا الكلام عن تيّين... جنون، جنون وحماقة». جفّف حضرته العرق عن وجهه بكّيه، وواصل: «والآن أخذوا البيضة، بيضة التّيين التي جناها جدّي من الملك نفسه مكافأةً على خدمته الوفيّة. كانت في مكانها عندما استيقظتُ هذا الصّباح، وحُرّاسي يُقسِمون أنّ أحداً لم يدخل غرفة النّوم أو يُغادرها. يجوز أنّ اللّورد بيك اشتراهم، لا يُمكنني الجزم، لكن البيضة اختفت! مؤكّد أنها معهم، أو إنّ...».

- أو إنها انفلقت عن التّيين. إذا ظهرَ تيّين حيٌّ من جديد في (وستروُس) فسيتوافد اللّوردات والعموم على حدّ سواءٍ إلى أيّما أميرٍ يستطيع إثبات أحقيّته فيه. قال دنك: «سيدي، أريدُ كلمةً مع... مع مرافقي إذا تفضّلت».

- « كما ترغب أيُّها السيّر ». عادَ اللورد بَتْرول يركع ليُصَلِّي، فيما سحبَ دنك إِج جانبًا وجثا على رُكبةٍ واحدةٍ ليُكَلِّمه وجهًا لوجه. « سألطمك على الأذن بقوةٍ تُدير رأسك بالعكس، وستقضي بقيَّة حياتك تَنظُر إلى حيث كنت ».

- « جديرٌ بك أن تفعل أيُّها السيّر ». تحلَّى إِج بالكياسة ليدو عليه الخجل. « آسفٌ. لم أقصد إلا إرسال عُذافٍ إلى أبي ».

- لكي أبقى فارسًا. الغلام تصرَّف بحسن نيَّة. ألقي دنك نظرةً عابرةً إلى حيث يُصَلِّي اللورد بَتْرول، وسأل: « ماذا فعلت به؟ ».

- « أخفته أيُّها السيّر ».

- « أجل، أرى ذلك. ستُغَطِّي رُكبتيه الجُلب قبل انقضاء اللَّيل ».

- « لم أدر ما العمل غير ذلك أيُّها السيّر. الميسر جلبني إليهم بمجرد أن رأى خاتم أبي ».

- « إليهم؟ ».

- « اللورد بَتْرول واللورد فراي أيُّها السيّر. بعض الحرس كان حاضراً أيضًا. كلهم بدا مستاءً. أحدهم سرق بيضة التَّين ».

- « آملُ أنه ليس أنت ».

هزَّ إِج رأسه نفيًا، وقال: « نعم أيُّها السيّر. لقد عرفتُ أنني في مشكلةٍ حين أرى الميسر اللورد بَتْرول خاتمي. فكبرتُ أن أقول إنني سرقته، لكنني لم أحسب أنه سيُصدِّقني. ثم تذكرتُ تلك المرَّة التي سمعتُ فيها أبي يتكلَّم عن شيءٍ قاله اللورد عُذاف ».

الدَّم، عن أنه أفضل أن تُخيف من أن تخاف، ولذا قلتُ لهم إنَّ
أبي أرسلنا لتتجسَّس له، إنه في الطريق إلى هنا بجيش، إنه خيرٌ
لحاضرة اللورد أن يُطلق سراحي ويتخلَّى عن خيانتِه وإلا عني
الأمر رأسه»، وابتسم ابتسامة خجلي مُردفًا: «ونجحت الحيلة
أكثر ممَّا ظننتُ أيُّها السير».



أَرَادَ دَنكَ أَنْ يُمَسِكَ الْغُلَامَ مِنْ كَتِفَيْهِ وَيَرْجِّهَ إِلَى أَنْ تَصْطَلِكَ
أَسْنَانُهُ، وَلَرُبَّمَا جَارًا: لَيْسَتْ هَذِهِ لُعْبَةً. إِنَّهَا مَسْأَلَةُ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ.
«هَلْ سَمِعَ اللُّورْدُ فِرَايَ أَيْضًا كُلَّ هَذَا؟».

- «نَعَمْ. لَقَدْ تَمَنَّى لِلُّورْدِ بَتْرُولُ السَّعَادَةِ فِي زَيْجَتِهِ وَأَعْلَنَ أَنَّهُ
عَائِدٌ إِلَى (التَّوَأْمَتَيْنِ) تَوًّا. عِنْدئِذٍ جَلَبْنَا حَضْرَةَ اللُّورْدِ إِلَى هُنَا
لِلصَّلَاةِ».

فَكَّرَ دَنكَ: فِرَايَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْرُبَ، أَمَّا بَتْرُولُ فَلَا يَمْلِكُ ذَلِكَ
الْخِيَارَ، وَعَاجِلًا أَوْ آجَلًا سَيَبْدَأُ يَتَسَاءَلُ لِمَ لَمْ يَظْهَرِ الْأَمِيرُ مِيكَارَ
وَجَيْشُهُ. «إِذَا بَلَغَ اللُّورْدُ پِيكَ أَنْتَ فِي الْقَلْعَةِ...».

انْفَتَحَ بَابُ السِّبْتِ الْخَارِجِيِّ بِعُنْفٍ مَدَوٍّ، وَالتَفَتَ دَنكَ لِيَرَى
تَوْمَ هِدِلَ الْأَسْوَدَ يُحَدِّقُ بِسَحْنَةٍ مَرْبُودَةٍ، يَرْتَدِي حَلَقَاتِ الْمَعْدِنِ
وَصَفَائِحِهِ وَيَتَقَاطَرُ مِنْ مَعْطَفِهِ الْغَارِقِ مَاءُ الْمَطَرِ لِيَتَجَمَّعَ فِي بَرَكَةٍ
عِنْدَ قَدَمَيْهِ. وَرَاءَهُ وَقَفَتِ دَسْتَةٌ مِنَ الْمَسْلُحِينَ بِالْحِرَابِ وَالْفُؤُوسِ،
وَوَرَاءَهُمْ وَمَضَ الْبَرْقُ أَزْرَقَ وَأَبْيَضَ فِي السَّمَاءِ نَاقِشًا ظِلَالًا مَفَاجِئَةً
عَلَى الْأَرْضِ الْحَجَرِيَّةِ الْبَاهِتَةِ، فِيمَا دَفَعَتْ هُبَّةٌ رِيحٍ بَلِيلَةً كُلُّ مَا
فِي السِّبْتِ مِنْ شَمُوعٍ إِلَى الرَّقْصِ.

- أُوْهِ، بِحَقِّ الْجَحَائِمِ السَّبْعِ اللَّعِينَةِ. لَمْ يَجِدْ دَنكَ وَقْتًا لِيُفَكِّرَ
إِلَّا فِي هَذَا قَبْلَ أَنْ يَقُولَ هِدِلُ: «هَا هُوَ ذَا الْغُلَامِ. خُذُوهُ».

قَالَ اللُّورْدُ بَتْرُولَ الَّذِي قَامَ: «لَا. تَوَقَّفُوا. لَا يَتَعَرَّضَنَّ أَحَدُكُمْ
لِلْغُلَامِ. تَوَمَّارِدْ، مَا مَعْنَى هَذَا؟».

التَوَّتْ قِسْمَاتُ هِدِلَ اَزْدِرَاءَ، وَرَدَّ: «اللَّبَنُ لَا يَجْرِي فِي عُرُوقِنَا
جَمِيعًا يَا حَضْرَةَ اللُّورْدِ. سَاخِذُ الْغُلَامِ».

- «لست تفهم». استحَالَ صوت بَثْرُولِ إلى رعدةٍ عاليةٍ رفيعة. «أمرنا انتهى. اللورد فِرَاي رحل، وسيتبعه آخرون. الأمير مينكار قادمٌ بجيش».

- «وهو سبَّبَ أدعى لأخذ الغلام رهينة».

قال بَثْرُول: «لا، لا. لم أعد أريدُ دورًا مع اللورد بيك أو مدَّعيه. لن أقاتل».

رمقَ توم الأسود سيِّده بيرود، وبصقَ قائلاً: «جبان. قُل ما تُريد. ستُقاتِل أو تموت يا سيِّدي»، وأشارَ إلى إيج وقال: «أَيْلُ لأوّل رجلٍ يُريق الدَّم».

- «لا، لا». التفتَ اللورد بَثْرُولُ إلى حارسه صائحاً: «امنعاهم، أسمعاني؟ إنني آمركما. امنعاهم»، إلّا أنَّ الحرس كافَّةً توقَّفوا في ارتباك، متحيّرين في مَنْ عليهم أن يُطيعوا.

- «أيجب أن أفعلها بنفسِي إذا؟». قالها توم الأسود واستلَّ سيفه.

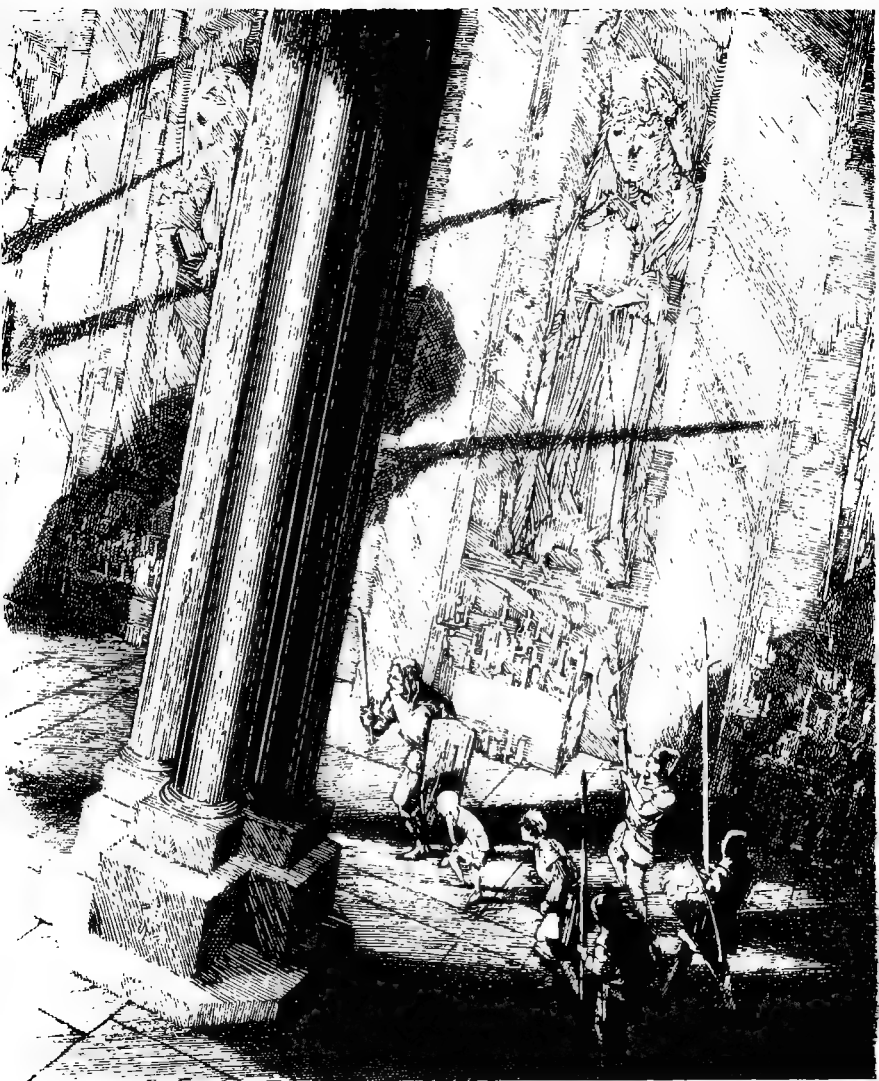
وفعلَ دنك المثل قائلاً: «ورائي يا إيج».

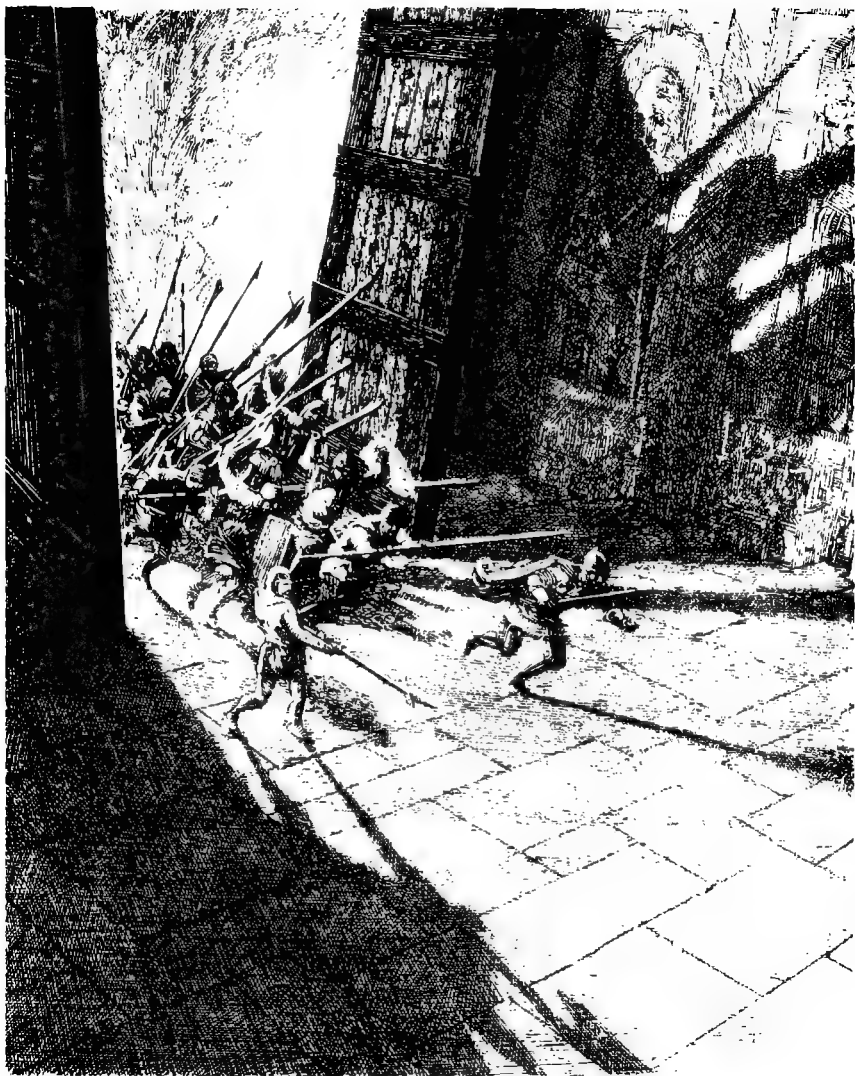
صرخَ بَثْرُول: «أعْمِدا فولاذكما كلاكما! لن أسمح بسفك الدِّماء في السِّت! سير تومارد، هذا الرَّجل تُرس الأمير المحلَّف. سيَقْتُلُك!».

- «فقط إذا سقطَ فوقِي». أبرزَ توم الأسود أسنانه بابتسامةٍ عريضة قاسية. «لقد رأيته يُحاول أن يُثاقِف».

حذَّره دنك: «إنني أفضل بالسِّيف».







نَحَىٰ دَنكَ إِيَّاجَ إِلَى الْخَلْفِ بِخَشُونَةٍ وَدَارَ لِوِجَاهِهِ سَيْفُ هِدِلَ.
 الضَّرْبَةُ الْأُولَى صَدَّهَا عَلَى نَحْوِ لَا بَأْسَ بِهِ، لَكِنْ صَدْمَةٌ تَوَمَّ
 الْأَسْوَدَ عَلَى ثَرَسِهِ وَالْجَرْحُ الْمَضْمُودُ وَرَاءَهُ بَعَثَتْ فِي ذِرَاعِهِ صَاعِقَةً
 مِنْ الْأَلَمِ طَقَقَتْ بِطَوْلِهَا. حَاوَلَ أَنْ يَهْوِيَ بِضَرْبَةٍ عَلَى رَأْسِ هِدِلَ
 رَدًّا، غَيْرَ أَنَّ تَوَمَّ الْأَسْوَدَ تَمَلَّصَ مِنْهَا وَنَزَلَ عَلَيْهِ بِسَيْفِهِ ثَانِيَةً. بِالْكَادِ
 أَدَارَ دَنكَ دِرْعَهُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، وَتَطَايَرَتْ شُدُفُ الصَّنُوبَرِ
 وَضَحَكَ هِدِلَ ضَاغِطًا فِي هَجُومِهِ، يَضْرِبُ إِلَى أَسْفَلٍ وَإِلَى أَعْلَى
 وَإِلَى أَسْفَلٍ مَرَّةً أُخْرَى. تَلَقَّى دَنكَ كُلَّ ضَرْبَةٍ عَلَى ثَرَسِهِ، لَكِنْ كُلُّ
 وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَذَابٌ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ يَتَقَهَّرُ.

سَمِعَ إِيَّاجُ يُنَادِي: «عَلَيْكَ بِهِ أَيُّهَا السَّيْرُ، عَلَيْكَ بِهِ،
 عَلَيْكَ بِهِ، إِنَّهُ أَمَامَكَ مَبَاشَرَةً!». ذَاقَ دَنكَ دَمًا فِي
 فَمِهِ، وَالْأَدْمَى أَنْ جَرَحَهُ انْفَتَحَ مَجْدَدًا.

غَمَرَتْهُ مَوْجَةٌ مِنَ الدُّوَارِ. كَانَ نَصْلُ
 تَوَمَّ الْأَسْوَدَ يُحِيلُ الثَّرَسَ اللَّوْزِيَّ
 إِلَى شِطَايَا، وَفَكَرَ دَنكَ:

السِّنْدِيَانِ وَالْحَدِيدِ يَقْيَانِي
 خَيْرَ وَقَاءٍ، وَإِلَّا فَأَنَا مَيِّتٌ وَإِلَى
 الْجَحِيمِ الْإِنْتِهَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ
 أَنَّ ثَرَسَهُ مِنْ خَشَبِ الصَّنُوبَرِ.

عِنْدَمَا ارْتَطَمَ ظَهْرُهُ بِقُوَّةٍ بِأَحَدِ الْمَدَابِيحِ،

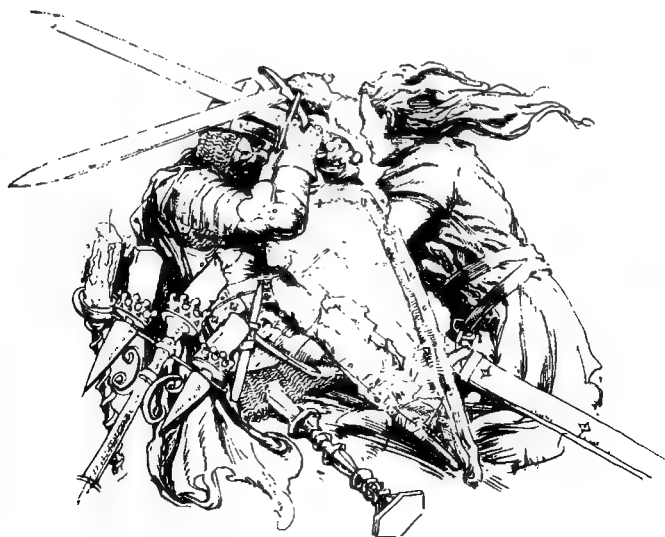


زَلَّ سَاقِطًا عَلَى رُكْبَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَدْرَكَ أَنَّ مَجَالَ لَا يَبْقَى لِلتَّهْقُرِ.

قال توم الأسود: «لست فارسًا. أهذه دموعٌ في عينيك أيُّها الآخرق؟».

- دموع ألم. دفعَ دنك نفسه مرتكزًا على رُكبته، وقامَ صادمًا نفسه من وراء ثُرسه بغريمه.

تعثَّر توم الأسود إلى الخلف، ومع ذلك احتفظَ بوسيلة ما بتوازنه. أقبلَ عليه دنك بعُنف هائِلٍ عليه بالثُرس مرَّةً تلو مرَّةً، يستغلُّ قوَّته لِيَسْقِطَ هِدِلَ في منتصفِ الطُّريقِ عبر السِّت، ثم إنه أزاخَ ثُرسه جانبًا وضربَ بسيفه الطويل، وصرخَ هِدِلُ إذ نفذَ الفولاذُ من الصُّوفِ إلى عُمقِ العضلاتِ في فخذه. لَوَّحَ بسيفه بضراوة، لكن ضربته يائسة خرقاء، وتركَ دنك ثُرسه يتلقاها مرَّةً أخيرةً، ووضعَ وزنه كُلَّهُ في الرِّدِّ.



وترنَّحَ التَّوَمُ الْأَسْوَدُ مَتَرًا جَعَا خُطْوَةً وَحَمَلَقَ بَرُعَبَ إِلَى سَاعِدِهِ
الَّذِي يَتَلَوَّى عَلَى الْأَرْضِ أَسْفَلَ مَذْبَحِ الْغَرِيبِ، وَشَهَقَ مَتَمَتَمًا:
«أَنْتَ، أَنْتَ، أَنْتَ...».

قَالَ دَنْكُ: «لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ»، وَطَعَنَهُ فِي حَلْقِهِ مُكْمَلًا: «إِنِّي
أَفْضَلُ بِالسَّيْفِ».

فَرَّ اثْنَانِ مِنَ الرِّجَالِ الْمَسْلُوحِينَ إِلَى الْمَطَرِ فِيمَا اتَّسَعَتْ بَرَكَةٌ
مِنَ الدَّمِّ مِنْ جَنَّةِ تَوَمِ الْأَسْوَدِ، أَمَّا الْآخَرُونَ فَقَبِضُوا عَلَى حُرَابِهِمْ
مُتَرَدِّدِينَ، يُلْقُونَ بِنِظَرَاتٍ حَذَرَةٍ نَحْوَ دَنْكٍ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أَنْ
يَتَكَلَّمَ سَيِّدُهُمْ.

أَخِيرًا اسْتَطَاعَ بَتْرُولُ أَنْ يَقُولَ:

«هَذَا... تَصَرَّفْ غَيْرَ مَسْئُولٍ

هَذَا»، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى دَنْكٍ وَاجَ

قَائِلًا: «عَلَيْنَا أَنْ نَرْحَلَ مِنْ

(الْجُدْرَانِ الْبَيَاضِ) قَبْلَ أَنْ يَنْقَلِ

ذَانِكَ الْاِثْنَانِ الْخَبَرَ إِلَى

جُورْمُونِ بَيْكٍ. إِنَّ لَهُ أَصْدِقَاءَ

أَكْثَرَ مِنِّي بَيْنَ الضُّيُوفِ. الْبُؤَابَةُ الْخَلْفِيَّةُ فِي السُّورِ الشَّمَالِيِّ،



ستسَلُّ من هناك... هَلُمَّ، يجب أن تُسرِعَ».

أغمدَ دنك سيفه بقوة، وقال: «إِج، اذهب مع اللورد بَتْرول»، ووضعَ ذراعه حول الغَلام وخفضَ صوته مضيِفاً: «لا تبقِ معه وقتاً يزيد على الحاجة. اتركْ لرِنَ الجبل على الغارب وابتعدْ قبل أن يُبدِلَ حضرة اللورد فريقه ثانيةً. اتَّجه إلى (بركة العذارى)؛ إنها أقرب من (كينجز لاندنج)».

- «وأنت أيُّها السَّير؟».

- «لا عليك بي».

- «إنني مُرافِقتك».

قال دنك: «أجل، وستفعل كما آمرك وإلَّا فستنال لطمَةً موجعةً على الأذن».

كان بعض الرِّجال يُغادر القاعة الكُبرى في مجموعة، متوقِّفين فقط ليرفعوا قلائسهم فوق رؤوسهم قبل أن يُقدِّموا على الخروج في المطر، ضمنهم الثَّور العجوز واللورد كازول المهزول مخموراً مرَّةً أخرى. تحاشى كلاهما دنك، وتفضَّل عليه السَّير مؤرتمر بوجز بنظرة فضوليَّة وإن عدلَ عن تكليمه، في حين لم يخجل أوثر أندرليف، وخاطبه وهو يضع قُفازيه: «أتيت إلى المأدبة متأخراً أيُّها السَّير. وأرى أنك تحمل سيفك من جديد».

- «ستقبض فديتك عنه لو أن شيئاً لا يهْمُك إلا هذا». تركَ دنك تُرسه المحطّم في السّيت، وأسَدَلْ معطفه على ذراعه الجريحة ليُداري الدّم. «ما لم أُمِت. حينئذٍ لك إذني في سلبِ ما أملك من جُثتي».

ضحكَ السيرُ أوْثور، وقال: «أما أشمُّه شهامة أم مجردُ غباء؟ الرّائحتان متشابهتان جدًّا حسبما أذكرُ. لم يتأخّر الوقت على قبول عرضي أيُّها السير».

حدّره دنك: «بل تأخّر أكثر ممّا تظنُّ»، ولم ينتظر من أندريلف ردًّا، بل اندفعَ يتجاوزُه داخلًا من الباب ذي الضّلفتين. تفوح في القاعة الكبرى روائح المزر والدُّخان والأصواف المبتلة، وفي الشُّرفة بالأعلى يعزف بعض الموسيقيّين لحناً خفيفًا، ويصدي الضّحك من المائدة العالية حيث يلعب السيرُ كِربي بِم والسيرُ لوَكْس نايلاند لعبة شُرب، وفوق المنصّة ينهمك اللورد بيك في حديثٍ جاد مع اللورد كوستين، فيما تجلس عروس آمبروز بترول الجديدة مهجورةً على مقعدها العالي.

أسفل الملح وجدَ دنك السيرَ كايل يُغرق حسرته في مزر اللورد بترول، وقد امتلأ طبقه بيخنة ثخينة مطبوخة بطعام متبقٍّ من الليلة السّابقة. في محال الأكل بـ(كينجز لاندنج) يُسمّون مثل هذه الوجبة بـ«وعاء من البني». واضحٌ أنّ السيرَ كايل لم يستسغها، فدون أن تُمسَّ بردت اليخنة وتكوّنت على وجه البني طبقةٌ لامعة من الدّهْن.

انسلَّ دنك جالسًا بجواره على الدّكة، وبادره: «سير كايل».

أوما القِطُّ برأسه قائلًا: «سير دنكن. هل تشرب قليلًا من

المزور؟».

- «لا». المزور آخر ما يحتاج إليه الآن.

- «أنت متوَعِّك أيتها السير؟ اعذرني، لكنك تبدو...».

- ...أفضل ممَّا أشعرُ. «ماذا فعلوا بالسير جلنْدُن بُول؟».

أجاب السير كايل: «أخذوه إلى الزَّنازين»، وهزَّ رأسه مُتبعًا: «ابن عاهرةٍ أو لا، الفتى لم يُعْطِني انطباعًا قَطُّ بأنه لصٌّ».

- «ليس كذلك».

زرَّ السير كايل عينيه راميًا إياه، وقال: «ذراعك... كيف...».

- «خنجر». أدارَ دنك وجهه إلى المنصَّة مقطَّبًا. لقد هربَ من الموت مرَّتين اليوم، ويعلم أنَّ ذلك يكفي أغلب النَّاس. دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة. قامَ منادياً: «صاحب الجلالة».

وضعَ بعض الرِّجال الجالسين على الدِّكِّ القريبة ملاعقهم وبتروا محادثاتهم والتفتوا ناظرين إليه.

ثانيةً قال دنك: «يا صاحب الجلالة»، وتقدَّم بخطواتٍ واسعة على البساط المايري صوب المنصَّة. «ديمون».

الآن يُلوذ نصف مَنْ في القاعة بالصَّمْت. عند المائدة العالية التفتَ الرَّجل الذي يدعو نفسه بالكمنجي ليبْتسم له، ورأى دنك أنه ارتدى غلالةً أرجوانيةً لأجل المأدبة. أرجواني، ليبرز لون عينيه. «سير دنكن. يسرُّني أنك معنا. فيمَ ترغب مني؟».

قال دنك: «العدالة لجلنْدُن بُول».

تردّد صدى الاسم على الجدران، ولنصف نبضة قلبٍ بدا كأنّما تحجّر كل رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ في القاعة.

ثم هوى اللورد كوستين بقبضته على المائدة، وزعق: «الموت ما يستحقّه لا العدالة»، فردّدت دسّته من الأصوات الأخرى قوله، وأعلن السير هاربرت بينج: «إنه نغل المولد. النُّغول كلّهم لصوصٌ أو أسوأ. الدّم يشي».

للحظة شعرَ دنك باليأس. إنني بمفردي هنا. على أنّ السير كايل القطّ دفع نفسه ناهضاً. ترنّح الرجل قليلاً جدّاً، وقال: «قد يكون الفتى نغلاً أيّها السّادة، لكنه نغل كرة النّار بجلالة قدره. كما قال السير هاربرت، الدّم يشي».

عقدَ ديمون حاجبيه قائلاً: «لا أحد يجلّ كرة النّار أكثر مني. لن أصدّق أنّ هذا الفارس الرّائف من صُلبه. لقد سرق بيضة التّين وفتك بثلاثة رجالٍ صالحين فيما فعلَ فعلته».

أصرّ دنك: «لم يسرق شيئاً أو يقتل أحداً. إذا قُتل ثلاثة رجالٍ فابحث في مكانٍ آخر عن قاتلهم. صاحب الجلالة يعلم مثلي تماماً أنّ السير جلنْدُن قضى النّهار كلّهُ في السّاحة، يركب في نزالٍ تلو نزالٍ».

- «أجل. لقد تساءلتُ عن ذلك عن نفسي. لكنهم وجدوا بيضة التّين بين أغراضه».

- «حقاً؟ أين هي الآن؟».

قامَ اللورد جورمون بيك بارد العينين صلفاً، وقال: «آمنةٌ وتحت حراسةٍ مشدّدة. وفيَمَ يعينك هذا بأيّ شكلٍ أيّها السير؟».

- «اجلبها. أودُّ إلقاء نظرةٍ أخرى عليها يا سيدي. اللَّيلةُ السَّابقةُ لم أرها إلا لحظةً وجيزةً».

ضاقتَ عينا بك، وخاطبَ ديمون: «صاحب الجلالة، يَخطرُ لي أنَّ هذا الفارسَ الجَوَّالَ وصلَ إلى (الجُدرانِ البيضاء) مع السيرِ جِلْدُنْ، ودونما دعوة. وارِدُ للغاية أنه شريك في الجريمة».

تجاهلَه دنك، وقال: «صاحب الجلالة، بيضة التَّينِ التي وجدَها اللورد بك بين أغراض السيرِ جِلْدُنْ هي البيضة التي وضعها هناك. فليجلبها إذا استطاعَ. افحصها بنفسك. أراهنك أنها ليست إلا حجرًا مطليًا».

دبَّت في القاعة الفوضى؛ بدأت مئةٌ من الأصوات تتكلَّم في آنٍ واحد، وهبَّت دسَّةٌ من الفُرسان تنهض. شابة ديمون منظر السيرِ جِلْدُنْ في صِغر سنِّه وضياعه عندما اتَّهم، وسألَ دنك: «أأنت سكران يا صديقي؟».

- يا ليتني. «لقد فقدتُ قليلًا من الدَّم، لكنني لم أفقد عقلي. السيرِ جِلْدُنْ متَّهم ظُلْمًا».

سألَ ديمون مدهوشًا: «لماذا؟ لو لم يرتكب بول جريمةً كما تصرُّ، فلمَ يزعمُ حضرة اللورد أنه فعلَ ويحاول إثبات زعمه بصخرةٍ مطليَّة؟».

- «لئيزيحه من طريقك. حضرة اللورد اشترى خصومك الآخرين بالذهب والوعود، لكن بول لم يكن للبيع».

احتقنَ وجه الكمنجي، وقال ضاغطًا على كلماته: «غير صحيح».

- «هو كذلك. أرسل في طلب السير جلنڈن وسله بنفسك».

- «هكذا تحديدًا سأفعل. لورد بيك، اجعلهم يُحضرون النَّغل في الحال. واجلب بيضة التَّين أيضًا. أودُّ أن ألقى عليها نظرة من كتب».

حدج جورمون بيك دنك بنظرة احتقار، وقال: «صاحب الجلالة، الفتي النَّغل يُستجوب حاليًا. بضع ساعاتٍ إضافية وسنحصل لك على اعتراف، لا شك عندي».

قال دنك: «ب»الاستجواب» يعني سيدي «التَّعذيب». بضع ساعاتٍ إضافية وسيعترف السير جلنڈن بقتل أبيك يا صاحب الجلالة، وأخونك الاثنين أيضًا».

- «كفى!». اريدَّ وجه اللورد بيك حتى قارب لونه الأرجواني. «كلمة أخرى وسأقتلع لسانك من جذوره».

ردَّ دنك: «أنت كاذب. إليك كلمتين».

توعده بيك: «وستندم على كليتهما»، ثم أمر رجاله: «خذوا هذا الرَّجل إلى الزَّنازين وقيدوه بالسَّلاسِل».

- «لا». تكلم ديمون بصوتٍ خطير من فرط هدوئه. «أريدُّ حقيقة هذا الأمر. سندرلاند، فيرول، سمُولود، خذوا رجالكم واذهبوا لتجدوا السير جلنڈن في الزَّنازين. اجلبوه من غير إبطاء واحرصوا ألا يُصيبه أذى. إذا حاول أيُّ أحدٍ إعاقتمكم فأخبروه أنكم في شأنٍ يخصُّ الملك».

أجاب اللورد فيرول: «أمرك».

قال الكمنجي: «سأسوي هذه المسألة مثلما كان أبي ليسويها. السير جلنډن متهم بجرائم جسيمة. بصفته فارساً فله حق في الدفاع عن نفسه بقوة السلاح. سألاقيه في مضمار النزال، ولتبت الآلهة في أمر الذنب والبراءة».

قال دنك لنفسه حين رمى اثنان من رجال اللورد فيرول السير جلنډن عاريًا عند قدميه: دم بطل أو دم عاهرة، لقد نزل منه بغزارة.

ضرب الفتى بوحشية. وجهه مكدوم متورم، وعدة من أسنانه مكسورة أو مفقودة، وعينه اليمنى تذرف دماً، وأعلى صدره وأسفله جلده محمر متشق حيث أحرقوه بمكاو ساخنة.

غمغم السير كايل: «أنت آمن الآن. لا أحد هنا إلا فرسان جواله، والآلهة تعلم أننا معشر عديم الأذى». أعطاهم ديمون مسكن الميستر وأمرهم بتضميد أي جراح مني بها السير جلنډن والحرص على استعداده للمضمار. فيما غسل وجه الفتى ويديه من الدّم، رأى دنك أن ثلاثة أظفار خلعت من يد بول اليسرى، وأقلقته هذا أكثر من سائر الإصابات. «أيمكنك أن تحمل رُمحاً؟».

- «رُمحاً؟». تقاطر الدّم من فم السير جلنډن حينما حاول الكلام. «ألدي أصابعي كلها؟».

- «عشر، ولكن سبعة أظفارٍ فقط».

أوماً بول برأسه قائلاً: «توم الأسود كان سييّر أصابعي، لكنه استُدعي. أهو من سأقاتل؟».

- «لا. لقد قتلته».

ابتسم لهذا، وقال: «كان على أحدهم أن يفعلها».

- «ستأزل الكمنجي، لكن اسمه الحقيقي...».

- «... ديمون، أجل. لقد أخبروني. التين الأسود». ضحك السير جلنْدُن وتابع: «لقد مات أبي في سبيل أبيه. كنتُ لأصبح رجله، وبكل سرور. كنتُ لأقاتل في سبيله، أقتل في سبيله، أموت في سبيله، لكنني لم أستطع أن أخسر في سبيله»، وأدار رأسه باصقاً سناً مكسورة، وسأل: «ألي بكوپ من النبيذ؟».

- «سير كايل، أحضر قربة النبيذ».

طويلاً عبّ الفتى الشراب عبّاً، ثم مسح فمه وقال: «انظروا إليّ. إنني أرتجف كالفتيات».

سأله دنك مقطّباً جبينه: «أما زال بوسعك ركوب حصان؟».

أجاب السير جلنْدُن: «ساعِدوني على الاغتسال واجلبوا تُرسي ورُمحي وسرجي وسترون ما بوسعي».



قاربَ الفجر الطلوع قبل أن يهدأ المطر بما يكفي لوقوع القتال. تحوّلت ساحة القلعة إلى مستنقع من الأوحال الطرية التي تلمع مبتلةً في ضوء مثة مشعل، ووراء المضممار ارتفع ضباب رماديّ دافعاً بأصابع شبحيّة تسلّق الجدران الحجرية الشاحبة لتقبض على شُرَفات القلعة. كثيرون من ضيوف الزفاف اختفوا خلال الساعات الفاصلة، لكن من تبّقوا عادوا يرتقون مدرجات المشاهدة واستقرّوا على ألواح من خشب الصنوبر المشجّع بماء المطر، وبينهم وقف السير جورمون بيك يكتنفه لفيف من اللوردات الأدنى شأنًا وقرسان أهالي البيوت.

لم يمرّ أكثر من سنوات معدودة منذ رافقَ دنك السير آرلان العجوز، ولم ينسَ ما يتضمّنه هذا، فأوثقَ الأبازيم في درع السير

جلنْدُن التي لا تُنَاسِبُ مقاساته، وربطَ خوذته إلى عُنْقِيَّتِهِ، وساعده على الرُّكوب، وناولَه ثُرسه. خَلَفَتِ المسابقات السَّابِقَةَ تَقَعُّرَاتٍ عميقةً في الخشب، إِلَّا أَنَّ كُرَةَ النَّارِ الملتهبة لا تزال مرثيةً. فكَرَ دنك: يبدو صغيراً صِغَرِاجٍ، غَلاماً خائِفاً ومتجهِّماً. فرسه السَّمراء المحمَّرة بلا كُسوة، ومضطربة أيضاً. وجِبَ أَنْ يحتفظ بحصانه. لعلَّ الفرس أحسن استيلاذاً وأسرع، لكن الخيال يركب أفضل ركوبٍ بحصانٍ يعرفه جيِّداً، وهذه الفرس غريبةٌ عليه.

قال السير جلنْدُن: «سيلزمني رُمح، رُمح حربي».

ذهبَ دنك إلى الرُّفوف. الرِّماح الحربية أقصر وأثقل من رماح المباريات التي استُخدِمَت في جميع النِّزالات السَّابِقَةَ، ثمانية أقدام من خشب المُرَّان المصمت تنتهي برأس حديدي. انتقى دنكُ واحداً وسحبَه ممرِّراً يده على طوله ليتأكَّد من خلوِّه من الشُّقوق.

في طرف المضمار الآخر تناولَ ديمُون من أحد مُرافقيه رُمحاً مماثلاً. لم يَعد كمنجياً، فبدلاً من السُّيوف والكمنجات تعرض كُسوة جواده الحربي الآن تَينين عائلةً بلا كفاير ثُلَاثي الرُّؤوس، أسود على خلفيَّةٍ من الأحمر. غسلَ الأمير شعره من الصَّبْغة السوداء أيضاً، لينسدل إلى ياقته في شلالٍ من الفِضِّي والذهبي يَبْرُق كمعدنٍ مطرَّقٍ في ضوء المشاعل. أدركَ دنك: هكذا سيكون شعرِاجٍ إذا تركَه ينمو. استعصى عليه أن يتخيَّله بتلك الصُّورة، لكنه يعلم أنَّ على الغلام أن يفعلها يوماً ما إذا عاشا حتى ذلك الحين.

مرَّةً أخرى تسلَّقَ الحاجب منصَّته، وأعلنَ: «السير جلنْدُن النُّغل

مَتَّهِمٌ بِالسَّرْقَةِ وَالْقَتْلِ، وَالْآنَ يَتَقَدَّمُ لِيُثَبِّتَ بَرَاءَتَهُ مَخَاطَرًا بِجَسَدِهِ. دِيمُونٌ سَلِيلٌ عَائِلَةٌ بِلا كُفَايِرٍ، الثَّانِي مِنْ اسْمِهِ، مَلِكُ الْأُنْدَالِيَّيْنَ وَالرُّوَيْنَارِ وَالْبَشَرِ الْأَوَائِلِ شَرْعِيٌّ الْمَوْلَدُ، سَيِّدُ (الْمَمَالِكِ السَّبْعِ) وَحَامِي الْبِلَادِ، يَتَقَدَّمُ لِيُثَبِّتَ صَحَّةَ الْاِتِّهَامَاتِ الْمَوْجَّهَةِ إِلَى النُّغْلِ جَلْنَدُنْ.

وَعَلَى حِينِ غَرَّةٍ اخْتَفَتِ السِّنُونُ وَعَادَ دَنْكٌ إِلَى (مَرْجِ أَشْفَرْد) مِنْ جَدِيدٍ، يُصْغِي إِلَى بِيلُورْ كَاسِرِ الْحَرَابِ قُبِيلِ تَقَدُّمِهِمْ لِيُقَاتِلُوا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِهِ. ثُمَّ أَعَادَ الرُّمَحَ الْحَرْبِيَّ إِلَى مَكَانِهِ وَالتَّقَطَ رُمَحَ مَبَارِيَاتٍ مِنَ الرَّفِّ الْمَجَاوِرِ... طَوْلُهُ اثْنَا عَشَرَ قَدَمًا، رَفِيعٌ، أُنِيقُ. قَالَ لِلسَّيْرِ جَلْنَدُنْ: «اسْتَخْدِمْ هَذَا. إِنَّهُ مَا اسْتَخْدَمْنَاهُ فِي (أَشْفَرْد) فِي الْمَحَاكِمَةِ بِالسَّبْعَةِ».

- «الْكَمْجِي اخْتَارَ رُمَحًا حَرْبِيًّا. إِنَّهُ يَهْدَفُ إِلَى قَتْلِي».

- «عَلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَكَ أَوَّلًا. إِذَا أَحْسَنْتَ التَّصْوِيبَ فَلَنْ يَمْسُكَ سِنَانُهُ أَبَدًا».

- «لَا أَعْرِفُ».

- «أَنَا أَعْرِفُ».

اخْتَنَفَ مِنْهُ السَّيْرِ جَلْنَدُنْ الرُّمَحَ وَدَارَ وَخَبَّ صَوْبَ الْمَضْمَارِ قَائِلًا: «لِيُنْقِذَ السَّبْعَةَ كُلِّنَا إِذَا».

فِي مَكَانٍ مَا فِي الشَّرْقِ طَقَطَقَ الْبَرْقُ فِي سَمَاءٍ وَرَدِيَّةٍ شَاحِبَةٍ. غَرَزَ دِيمُونٌ مِهْمَاذَهُ الذَّهَبِيَّ فِي جَنْبِي فَحَلَهُ وَانْقَضَّ كَقَصْفِ الرَّعْدِ خَافِضًا رُمَحَهُ الْحَرْبِيَّ بِرَأْسِهِ الْحَدِيدِيِّ الْمَمِيتِ، وَرَفَعَ السَّيْرِ جَلْنَدُنْ ثُرْسَهُ وَانْطَلَقَ لِيَلْاْقِيَهُ مُحَرِّكًا رُمَحَهُ الْأَطْوَلَ مِنْ فَوْقِ رَأْسِ



فرسه لِيُسَدِّده إلى صدر المدَّعي الشاب. تناثر الوحل من حوافر حصانَيْهما، وبدأ كأن لهب المشاعل ازدادَ سطوعًا إذ مرَّ الفارسان مهرولين.

أغلقْ دَنكَ عَيْنِيهِ، وَسَمِعَ فَرْقَعَةً، وَصَبِيحَةً، وَارْتِطَامًا مَكْتُومًا.

وسمِعَ اللُّوردُ بِكَ يَصْرُخُ مُلتاعًا: «لا، لا!!!!!!!». لنصف نبضة قلبٍ كَأَدْنِكَ يُشْفِقُ عليه. من جديدٍ فَتَحَ عَيْنَيْهِ. بلا رَاكِبٍ كانَ الفَحْلُ الأَسودَ الكَبيرَ يُبطِئُ حركته إلى خِيبٍ، فَقَفَزَ دَنَكٌ إلى المَضمارِ وأَمسَكَه من عَنانِهِ، وفي طَرفِ المَضمارِ الأَخرِ دارَ السَّيرِ جَلَنَدُنْ بُولُ بِفرسِهِ ورفَعَ رُمَحَهُ المَتَشَطِّبِي. اندَفَعَ الرِّجالُ إلى المَيدانِ حيثُ ارْتَمَى الكَمَنجِيُّ بلا حَراكٍ على وَجْهِهِ في بَرَكَةٍ، وَلَمَّا ساعَدُوهُ لِيَنهَضَ بَدَأَ بَنِيًّا من رَأْسِهِ إلى قَدَمَيْهِ.

صاح أحدهم: «التَّيْنِ البَيْتِي»، فمَاجَتِ الضُّحَكَاتُ فِي أَنْحَاءِ
السَّاحَةِ فِيمَا غَمَرَ الْفَجْرُ (الْجُدْرَانُ الْبَيْضَاءُ).

وبعد بضع نبضات قلب معدودة، فيما عاونَ دنك والسير
كايل جَلَسْدُنْ بُولَ عَلَى التَّرَجُّلِ، دَوَّى الْبُوقُ الْأَوَّلُ وَدَقَّ الْخُفْرَاءُ
فَوْقَ الْأَسْوَارِ نَاقُوسَ الْإِنْذَارِ إِذْ ظَهَرَ أَمَامَ الْقَلْعَةِ جَيْشٌ مُنْبَقًا مِنْ
ضَبَابِ الصَّبَاحِ.

وقال دنك للسير كايل مندهشًا: «إِجْ لَمْ يَكْذِبَ رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ!».



من (بركة العذارى) حضر اللورد موثن، ومن (شجرة الغدبان) اللورد بلاكوود، ومن (وادي الغسق) اللورد داركلن، في حين أرسلت الرُبع الملكيّة حول (كينجز لاندنج) رجالاً تابعين لعائلات هايْفورد ورؤزي وستوكُورث وماسي، ومعهم سيّافة الملك المحلفون، يقودهم ثلاثة فرسان من الحرس الملكي ويدعمهم ثلاثمئة من أسنان الغداف يحملون أقواساً طويلة بيضاء من خشب اليرود. دائل لؤستن المجنونة نفسها خرجت بفرقة ذات بأس من أبراجها المسكونة بالأشباح في (هارنهال)، تلبس درعاً سوداء تُلائمها كقفاز حديدي ويسترسل شعرها الأحمر الطويل.

تلاً ضوء الشّمس المشرقة على رؤوس خمسمئة رُمح وعشرة أضعافها من الحراب، وولدت رايات الليل الرّماديّة من جديد بنصفمئة من الألوان الصّارخة، يعلوها جميعاً تينان ملكيّان على خلفيّتين بسواد الليل: وحش الملك إيرس تارجارين الأوّل العظيم ثُلثي الرُّوس بَحْمرة النّار، ومخلوق ضارٍ أبيض الجناحين ينفث لهباً قرمزياً.

- ليس ميكار في النّهاية. علمَ ذلك هذا لمّا رأى الرّايّتين. رايات أمير (بهو الصّيف) تحمل أربعة تنانين ثُلثيّة الرُّوس، اثنتين واثنين، شعار رابع أبناء الملك الرّاحل ديرُون تارجارين الثّاني. أمّا تينين أبيض واحد فيعلن حضور يد الملك، اللورد بريندن ريفرز.

غُداً الدّم بنفسه جاء إلى (الجدران البيضاء).

تمرد بلاكفاير الأول باد في (حقل العُشب الأحمر) بالدم والمجد. تمرد بلاكفاير الثاني انتهى بالمدلة. من شرفات القلعة جهر الشاب ديمون بعدما رأى حلقة الحديد التي طوّقتهم: «لا يمكنهم أن يخيفونا بتهديداتهم، ذلك أن قضيتنا عادلة. سنشق طريقنا عبرهم تقتيلاً ونركب بعزيمة إلى (كينجز لاندنج)! انفخوا في الأبواق!».

وبدلاً من ذلك همهم بعض الفرسان واللوردات والرجال المسلّحين لبعض بخفوت، وبدأ قليلون منهم ينسلون متجهين إلى الأسطبلات أو إلى بوابة خلفيّة أو مكن ما يأملون أن يحفظهم. وحين امتشق ديمون سيفه ورفعته فوق رأسه، رأوا عن آخرهم أنه ليس «اللهب الأسود».

وعدهم المدعي: «اليوم سنزرع حقل عُشب أحمر آخر».

ردّ عليه مرافق أشيب زاعقاً: «بول على ذلك يا فتى الكمنجة. أوثر أن أعيش».

في النهاية خرج ثاني ديمون بلاكفاير وحده، وكبح حصانه أمام الجيش الملكي ليتحدّى اللورد غداف الدم في نزال فردي. «سأقاتلك، أو ذلك الجبان إيرس، أو أيّ نصير تريد اختياره». ولكن بدل ذلك حاصره رجال اللورد غداف الدم وسحبوه من فوق حصانه وكبلوه بأغلال ذهبيّة، والرّاية التي حملها عُرست في الأرض الموحلة وأضرمت فيها النار، لتحترق وقتاً طويلاً باعثة عموداً ملتويّاً من الدخان تمكن رؤيته من بُعد فراسخ في كلّ اتجاه.

الدَّم الوحيد الذي أريقَ يومها أريقَ لَمَّا شرَعَ رجلٌ في خدمة اللورد فيرول يتباهى بأنه أحد عيون عُداف الدَّم، وقريبًا سينال مكافأةً مجزيةً. «سيدور القمر عليّ وأنا أنكحُ العاهرات وأشرب الدورني الأحمر». هكذا زَعَمَ أنه قال قُبيل أن يشقَّ أحدُ فرسان اللورد كُوستين حلقه، وفيما غرقَ رجل فيرول في دمه قال له الفارس: «اشرب هذا. ليس دُورنيًا، لكنه أحمر».

فيما عدا ذلك، كان ما خرجَ بخطواتٍ ثقيلة من بَوابَةِ (الجُدران البيضاء) طابورًا واجمًا صامتًا، رمى أفرادُه أسلحتهم في كومةٍ ملتمعة قبل أن يُقَيِّدُوا ويُقادُوا إلى حيث سينتظرون حُكْمَ اللوردِ عُداف الدَّم. غادرَ دنك مع بقيَّتِهِمْ، ومعه السير كايل القط وجلنْدُن بُول، بعد أن بحثوا عن السير ماينارد لينضمَّ إليهم، غير أنْ پَلَمَ اختفى في وقتٍ ما ليلاً.

في ساعةٍ متأخرة من ذلك الأصيل وجدَ السير رُولند كريكهول فارس الحرس الملكي دنك بين السُّجناء الآخرين، وخاطبَه: «سير دنكن. أين اختبأت بحقِّ الجحائم السَّبْع؟ اللورد ريفرز يسأل عنك منذ ساعات. تعالَ معي إذا سمحت».

تقدَّم دنك ليمشي بجواره. رفرفَ معطف كريكهول الطويل خلفه كلِّما هبَّت الرِّيح، أبيض كنور القمر على الثلج، وحدا منظره بدنك إلى التَّفكير في كلام الكمنجي فوق السَّطح. حلمتُ أنك تلبس أبيض على أبيض من رأسك إلى قدميك، ومن فوق هاتين الإكثفين العريضتين يسترسل معطفٌ باهت طويل. نخرَ دنك تهكمًا. أجل، وأنت حلمت بتنانين ينفلق عنها بيضٌ من حجر. هذا سيِّئ ذاك.

يقع سُرادق اليد على بُعد نصف ميل من القلعة، في ظلّ دردارةٍ ممتدة الفروع، وعلى مقربةٍ منه راحَت دسّةٌ من البقيرِ ترعى في الكلاّ. ففكر دنك: الملوك يقومون ويقعون، ويمضي كل من البقر والعامة في حال سبيله. إنه شيء اعتادَ العجوز قوله. سأل دنك السير رولند فيما مرًّا بمجموعةٍ من الأسرى الجالسين على العُشب: «ماذا سيحدث لهم جميعًا؟».

- «سيُساقون إلى (كينجز لاندنج) ليُحاكَموا. المفترض أن ينال الفرسان والرّجال المسلّحون عقوبةً مخفّفةً، فقد تبعوا ساداتهم العلّة لا أكثر».

- «واللوردات؟».

- «بعضهم سيُعفى عنه شريطة أن يحكي حقيقة ما يعرفه ويُسلّم ابنًا أو ابنةً لضمان ولائه مستقبلًا. سيكون العقاب أقسى على مَنْ نالوا عفوًا بعد (حقل العُشب الأحمر). سيُسجَنون أو يُجرّدون من أملاكهم. أسوأهم سيفقدون رؤوسهم».

وهو ما استهله غُداف الدّم بالفعل كما رأى دنك عندما بلغا سُرادقه. على جانبي المدخل خُوزق رأسا جورمون بيك وتوم هيدل الأسود على حريتين، وتحتهما تُرساهما. ثلاث قلاع، أسود على برتقالي. الرّجل الذي قتل روجر ابن (شجرة البنسات).

حتى في موته بدّت عينا اللورد جورمون قاسيتين صوّانيتين. أغلقهما دنك بأصابعه، فقال له أحد الحُرّاس: «لماذا فعلت هذا؟ الغربان ستحظى بهما عمّا قريب».

- «كنتُ مدينًا له بهذا القدر». لو لم يَمُت رُوَجر في ذلك اليوم لما نظَرَ السَّير آرلان مرَّتين إلى دنك حين رآه يُطارِد ذلك الخنزير في أَرْقَة (كينجز لاندنج). ملكٌ عجوز ميت أعطى سيفًا لابن بدلًا من آخر، وهكذا بدأ كلُّ شيء. والآن هأنذا واقفٌ هنا، ورُوَجر المسكين في قبره.

أمرًا قال رُولند كريكهول: «اليد في الانتظار».

تخطَّاه دنك ليُمثِّل أمام اللورد بريندن ريفرز، الثَّغل والمشعوذ ويدا الملك.

أمامه وقفَ إيج وقد استحمَّ قبل قليل وارتدى ثياب أمير كما يليق بابن أخ للملك، وعلى مقربةٍ جلسَ اللورد فراي على كُرسي معسكرات، في يده كوب نبيذٍ وعلى حجره يتلوَّى وريثه الصَّغير البشع. واللورد بَتْرول أيضًا حاضرٌ... على رُكبتيه، ممتقع الوجه يرتجف.

كان اللورد ريفرز يقول: «الخيانة لا تقلُّ خَسَّةً إذا اتَّضح جُبْن الخائن. لقد سمعتُ نُغاءك أيُّها اللورد آمبروز، وأصْدَق من كلِّ عشر كلمات واحدة. بناءً عليه، سأسمعُ لك بالاحتفاظ بعُشر ثروتك. لك أن تحتفظ بزوجتك أيضًا. أرجو أن تجد فيها السَّعادة».

سأله بَتْرول بصوتٍ متهدِّج: «و(الجدران البيضاء)؟».

أجاب ريفرز: «غرامة للعرش الحديدي. أنوي أن أهدمها حجراً حجراً وأبذر الأرض التي ترتفع عليها بالملح. في غضون عشرين عاماً لن يتذكر أحد أنها وُجدت يوماً. الحمقى المسنون والنّاقمون الشُّبان ما زالوا يرتحلون إلى (حقل العُشب الأحمر) ليزرعوا زهراً في البُقعة التي سقطَ فيها ديمون بلاكفاير. لن أسمح بأن تُصبح (الجدران البيضاء) نصباً تذكاريّاً آخر للتّين الأسود»، ولوّح بيدٍ شاحبة مضيئاً: «والآن وَلِ الأديار أيُّها الصُّرصور». مكتبة سُر من قرأ

- «اليد رؤوف». ابتعدَ بترول متعجباً معمياً بالأسى حتى إنه على ما يبدو لم يتعرّف على دنك وهو يمرّ.

أمرَ ريفرز: «لك أيضاً إذني في الذهاب أيُّها اللورد فراي. سنتحدّث ثانية لاحقاً».

قال فراي: «كما يأمر سيدي»، وقادَ ابنه من السُّرادق.

عندئذٍ فقط التفتَ يد الملك إلى دنك.

أكبرُ هو ممّا يذكّره دنك، وجهه قاس متجعّد، لكن بشرته ما زالت شاحبة كالعظم، ووجنته ورقبته ما زالتا تحملان الوحمة الخمرية القبيحة التي يحسب بعض الناس أنها تُشبه عُداًفاً. حذاؤه أسود، وغلالتة سقلائية، وفوقها يرتدي معطفاً بلون الدُّخان، يُثبّته دُبوس بشكل يد حديدية. ينسدل شعره إلى كتفيه طويلاً وأبيض ومسترسلاً، ومصقفاً إلى الأمام بحيث يُخفي عنه المفقودة، العين التي اقتلعها منه الفولاذ الأليم في (حقل العُشب الأحمر)، أمّا العين الباقية فحمراء للغاية. كم عينا للورد عُداًف الدّم؟ ألف عينٍ وعين.

قال: «لا شك أنَّ الأمير ميکار كان لديه سببٌ وجيه للسَّماح لابنه بالعمل مُرافقًا لفارسٍ جَوَّال، ولو أنني لا أتصوَّر إطلاقًا أنه تضمَّن إيصاله إلى قلعةٍ مملأى بخونةٍ يُخطِّطون لتمرُّد. كيف وصلتُ لأجد ابن عمومتي في جُحر الأفاعي هذا أيُّها السَّير؟ اللُّورد بَتْرول يُريدني أن أصدِّق أنَّ الأمير ميکار أرسلَكَ إلى هنا لتتقصَّى أمر هذا التَّمرُّد متكرِّرًا في هيئة فارسٍ غامض. أتلك هي الحقيقة؟».

ركعَ دنك على رُكبةٍ واحدة قائلاً: «لا يا سيدي. أعني نعم يا سيدي. هكذا أخبره إج. أعني إيجون، الأمير إيجون. ذلك الجزء صحيحٌ إذًا، لكنه ليس ما يُوصَف بالحقيقة الحقيقيَّة».

- «مفهوم. إذا فقد أدركتما وجود هذه المؤامرة ضد التَّاج وقرَّرتما إحباطهما بنفسيكما، أهكذا المسألة؟».

- «ليست كذلك أيضًا. لقد تصادفَ فقط أننا... تعثَّرنا فيها. لك أن تقول هذا على ما أظنُّ».

رَبَّعَ إج ذراعَيْه، وقال: «والسَّير دنكن وأنا كنا مسيطرَين على الأمور قبل أن تظهر بجيشك».

أضافَ دنك: «لقد نلنا بعض العون يا سيدي».

- «من فرسان جَوَّالة».

- «أجل يا سيدي. السَّير كايل القِطُّ وماينارد پَلَم، والسَّير جلنْدُن بُول أيضًا. هو الذي أسقطَ الكمن... المدَّعي».

- «نعم، سمعتُ تلك الحكاية من نصفمئة شفةٍ بالفعل. نغل (صفصاف القِطط)، وليد عاهرةٍ وخائن».

قال إيج بإصرار: «إنه وليد أبطال. لو أنه بين الأسرى فأريد أن يُعثر عليه ويُطلق سراحه، وأن يُكافأ أيضاً».

- «ومن أنت لتُملي على يد الملك ما يفعله؟».

لم يجفل إيج، وردّ: «تعلم من أنا يا ابن العم».

خاطب اللورد ريفرز دنك: «مُرافقك وقع أيتها السيّر. حرّ بك أن تضربه حتى ينبذ هذه الخصلة».

- «حاولتُ يا سيدي، لكنه أمير».

قال غُدا ف الدّم: «إنما هو تيّن. انهض أيتها السيّر».

فنهض دنك.

قال غُدا ف الدّم: «لطالما وُجد من قبل الفتح بزمان طويل أفراد من آل تارجارين يحلمون بأشياء ستحدث، فلا ينبغي إذا أن نندهش إذا أظهر واحد من آل بلاكفاير تلك الموهبة من أن إلى آخر. ديمون حلم بأن تيّناً سيولد في (الجُدران البيضاء)، وقد وُلِد. الأحمق أخطأ في اللون ليس إلا».

نظر دنك إلى إيج، ورأى الخاتم. خاتم أبيه. إنه حول إصبعه وليس محشوراً في داخل حذائه.

قال اللورد ريفرز لإيج: «أميل إلى أخذك معنا إلى (كينجز لاندنج) وإبقائك في البلاط باعتبارك... ضيفي».

- «لن يُعجب ذلك أبي».

- «على ما أظن. الأمير ميكار ذو... طباع... شائكة. قد يجدر بي أن أرسلك إلى (بهو الصّيف)».



- «مكاني مع السير دنكن. أنا مُرافقه».

- «لِنَقْذِكِ السَّبْعَةَ. كما تشاء. لكما أن ترحلا».

قال إج: «سنفعل، ولكن أولاً يلزمنا بعض الذهب. على السير دنكن أن يدفع للحلزون فديته».

ضحك غُدا ف الدَّم قائلاً: «ماذا دها الصَّبِي المتواضع الذي قابلته يومًا في (كينجز لاندنج)؟ كما تقول يا أميرِي. سَأمرُ أمين نقدي بأن يُعطيك ما ترغب فيه من ذهب، في حدود المعقول».

أصرَّ دنك: «باعتباره قرضًا فقط. سوف أسدِّده».

ردَّ اللورد ريفرز: «حينما تتعلَّم المُثاقفة لا ريب»، وأشار لهما بالانصراف بحركةٍ من أصابعه، وسطَ رقًا وبدأ يُؤشِّر على بعض الأسماء بريشة.

أدرك دنك: يُعَيِّن الرِّجال الذين سيموتون، ثم قال: «سَيدي، لقد رأينا الرُّأسَيْن بالخارج. أهذا... الكمنجي... ديمون... هل ستقطع رأسه أيضًا؟».

رفع غُدا ف الدَّم ناظره عن الرِّق، وأجاب: «القرار في ذلك للملك إيرس... لكن لديمون أربعة إخوة أصغر، وأخوات أيضًا. إذا تصرَّفتُ بحماقةٍ وخلعتُ رأسه فستدبه أمُّه، ويلعنني أصدقاؤه بصفتي قاتِل أقرين، ويُتَوَجَّ القولاذ الأليم أخاه هينجون. ميتًا، الشَّاب ديمون بطل. حيًّا، هو عقبة في طريق أخي غير الشَّقِيق، فلا يُمكنه أن يُتَوَجَّ بلا كفاير ثالثًا ملكا في حين أنَّ الثاني باقٍ حيًّا على نحوٍ مزعج. بجانب ذلك، رهينةٌ نبيلة مثله ستكون

زينة لبلاطنا وشهادة حية على رحمة صاحب الجلالة الملك
إيرس وعطفه».

قال إج: «أنا كذلك عندي سؤال».

- «بدأت أفهم لم أراد أبوك الخلاص منك بكل رضا. فيم
ترغب مني أيضًا يا ابن العم؟».

- «من أخذ بيضة التين؟ لقد وقف على الباب حرس، ومزيد
منهم على السلال، أي إنه لا سبيل إلى دخول غرفة نوم اللورد
بثروول دون أن يرى».

ابتسم اللورد ريفرز قائلاً: «لو أن لي أن أخمن لقلت إن أحدهم
تسلق داخل بئر المرحاض».

- «بئر المرحاض أصغر من أن يتسلقها أحد».

- «على رجل، أمّا طفل فيستطيع».

اندفع دنك يقول: «أو قزم». ألف عين وعين، فلم لا ينتمي
بعضها إلى فرقة من الأقزام الهزليين؟

نهاية... البداية...

مزيدٌ من الأسفار والأخطار في انتظار فارسنا الجوّال ومُرافقه
في السّنوات المقبلة. من (دورن) إلى (الجدار) ستحملهما
رحلاتهما بطول (الممالك السّبع) وعرضها، بل وإلى خارجها
أيضاً وراء (البحر الضيّق) إلى (أراضي النّزاع) ومُدن (إسوس)
البرّاقة.

على الطّريق سيلتقيان لوردات وفُرسائاً ومشعوذين، وعديد
الفتيات الحسنات والسّيّدات النّبيلات، لكي يَسْطُرا اسميهما
في سجلّات (وستروس) فلا يُنسيان أبداً.
لكن تلك حكايات لوقتٍ آخر.

واصلوا القراءة.

جورج ر. ر. مارتن

سانتا في

مايو، ٢٠١٥

شُكر وتقدير

على مرّ الشُّهور الثمانية عشرة التي قضيتها في رسم «الممالك السَّبع»، عاونني أناسٌ كثيرون. الشُّكر لزوجتي چولي، وابنتي نكي وچينا، ورايا وچورچ، وآن جرؤيل، وفرچينيا نوري، وكارل جوستافسن، وپات جوستافسن، ورائدي بروكر، وكاي كرون، ووليم وكريستوفر نيوياور وفورتزا للفنون القتاليَّة. أخيرًا، أشعرُ بأشدَّ امتنانٍ لِمارسلو آنسيانو، لإرشاده الفنيِّ هو القوَّة المحرِّكة لكثيرٍ من الكتب التي رسمتها، بما فيها «فارسٌ من الممالك السَّبع».

جاري چياني

مكتبة

t.me/soramnqraa

GEORGE R. R. MARTIN

A KNIGHT OF THE SEVEN KINGDOMS

قبل مئة عام تقريباً من أحداث «أغنية الجليد والنار»، جال بطلان غير تقليديين في أنحاء وستروس...

في عصر لم تنزل فيه سلالة تارجارين تسيطر على العرش الحديدي، والذكريات عن آخر التناين حية في وجدان الناس، نتعرف فارساً جوالاً ساذجاً لكنه شجاع. يرتفع السير دتكن الطويل فوق خصومه بقامته المديدة، لكن كثيراً من الخبرة لا يزال يعوزه، وفي مغامراته هنا وهناك يصحبه مرافقه ضئيل الحجم إيج الذي يجب أن يخفي هويته الحقيقية، ذلك أنه في الحقيقة الأمير إيجون تارجارين، ويوماً ما سيصبح ملكاً.

في الروايات القصيرة الثلاث التي يضمها هذا الكتاب، يأخذنا جورج ر. ر. مارتن إلى أماكن في وستروس لم تسبق لنا زيارتها، نلتقي فيها شخصيات تاريخية قرأنا عنها فقط في «أغنية الجليد والنار»، شخصيات مؤثرة ستلعب أدواراً بارزة في حكايات دنك وإيج، وفي مستقبل الممالك السبع.

telegram @soramnqraa

